د. حكيم أحمد خوشناو

الكوردُ وبلادهم

عند البلدانيين والرحالة المسلمين

(٢٣٢ ـ ٦٢٦ هـ / ٨٤٦ ـ ١٢٢٩م)



الكــورد

وبلادهم عند البلدانيين والرحالة المسلمين

(232 – 626 هـ / 846 – 1229م)

د. حكيم أحمد خوشناو

الكــورد

وبلادهم عند البلدانيين والرحالة المسلمين

(232 – 626 هـ / 846 – 1229م)



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع دار صفحات ـ سورية

الكورد

وبلادهم عند البلدانيين والرحالة المسلمين

(232 – 626 هـ / 846 – 1229م)

د. حكيم أحمد خوشناو

الطبعة الأولى : 2009

الناشر: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق – سوريا : ص.ب 5292

تلفاكس: 00963 11 5626009

موبايل: 00963 932 806808

E.mail: zeman005@yahoo.com

E.mail: zeman005@hotmial.com

الإخراج الداخلي: دار الزمان

تصميم الغلاف: م . جمال الأبطح

التدقيق اللغوي: عمر كوچري

هذا الكتاب في الأصل رسالة تقدم بها الباحث إلى كلية الآداب – جامعة صلاح الدين، لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي2003م .

شكر وعرفان

بعد حمد الله تعالى والثناء عليه لابد من تسجيل كلمات شكر لأصحاب الفضل علي ممن عاونوني بشكل أو بآخر في إعداد هذه الأطروحة، وفي مقدمتهم الأستاذ الفاضل الدكتور دريد القادر نوري الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة، وكان لتوجيهاته وملاحظاته العلمية القيّمة الأثر الكبير في إنجاز هذا العمل الأكاديمي، وفقه الله تعالى.

وشكري البالغ لأستاذي الفاضل الدكتور أرسن موسى رشيد رئيس قسم التاريخ والذي تفضل عليّ بملاحظات علمية متينة، فجزاه الله الخير الأوفى.

كما أوفر فائق الشكر لأستاذي الفاضل الدكتور محسن محمد حسين الذي وهبني نصحه وملاحظات علمية رصينة وتحمل عناء مراجعة بعض مباحث الرسالة على الرغم من ضيق وقته، أسأل الله له العافية.

وأسجل خالص شكري للأستاذ الفاضل الدكتور عماد الدين خليل الذي اطلع على عنوان الأطروحة وخطة البحث الأولية وأبدى ملاحظاته الوجيهة بشأنها أسأل الله له خير الجزاء.

وأخيراً وليس آخراً شكري وتقديري لأخوتي وأخواتي وزوجتي وكل هؤلاء الذين كانوا عوناً معنوياً لي في جميع الخطوات على طريق إنجاز هذه الرسالة، والذين لم يبخلوا عليّ في إبداء النصح والعون ولو بكلمة خير أو عبارة دعاء.

والحمد لله رب العالمين

المقدمة ونطاق البحث

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. والصلاة والسلام على النبي الأمّي محمد وعلى صحبه وسلم ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد

تكتسب الدراسات البلدانية أهمية خاصة من بين الأنماط المعرفية الأخرى، وإن علم البلدان يتصل بعلم التأريخ اتصالاً مباشراً لكونهما صنوان لا ينفصمان، وكلّ منهما يسعى لخدمة الآخر، فكان ظهورهما متزامناً، بل أن عدداً من المؤرخين كانوا في الوقت نفسه بلدانيين أيضاً.

وذلك لأن عمل كل من المؤرخ والبلداني مكمل بعضهما لبعض، فلا يكفي ما يقدّمه أحدهما لعرض صورة واضحة المعالم عن مجتمع ماضي بدون الآخر. حيث أن علم التأريخ يؤكد على التطورات السياسية والعسكرية للأمم والمجتمعات في العصور المختلفة ولا يلتفت إلا قليلاً إلى الشؤون الحياتية الأخرى، من اقتصادية واجتماعية وعمرانية وغيرها من الأوجه والنظم الحضارية التي هي من اختصاص علم البلدان. مما يجعل الاهتمام بالدراسات البلدانية ذات أهمية تأريخية كبيرة.

ومن جانب آخر فإن الكرد كانوا يشكلون أحد أبرز الأجناس البشرية في الشرق الإسلامي، وقد اثبتوا وجودهم ودورهم منذ العقد الثاني من القرن الأول الهجري، أي خلال عمليات الفتوحات الإسلامية التي وصلت طلائعها إلى بلادهم منذ ذلك الوقت، وبدأ دورهم بالتصاعد مع مرور الزمن، وازدادت إسهاماتهم العسكرية والسياسية والحضارية في العهود الإسلامية (الراشدية والأموية والعباسية)، والتي كانت تصب في خدمة الخلافة الإسلامية وحضارتها بشكل أو بآخر، كما كانت بلادهم أرضاً خصبة ضاعفت من إيرادات خزينة الدولة بفضل ما كانت تقام عليها من أنشطة اقتصادية.

لا شك في أن الإطلاع على المصنفات البلدانية يُمهد السبيل إلى فهم حقيقة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية السائدة في بلاد الكرد في الماضي، وبدون ذلك يتعسر تحقيق ذلك الأمر كما يساعد مثل هذه الدراسة على الوقوف على مدى تحضر المجتمع الكردي – كأحد المجتمعات الإسلامية – في حقبة

البحث. ولولا كتب البلدانيين لبقيت جوانب هامة من التاريخ الحضاري للكرد مجهولة أو غامضة.

من الاعتبارات أعلاه، ولعدم وجود دراسة بلدانية سابقة تتناول الكرد تناولاً شاملاً بحيث تضم جميع أقاليم بلاد الكرد في الحقبة الإسلامية، تم اختيار هذا الموضوع. أضف إلى ذلك رغبة الباحث في دراسة مثل هذا الموضوع ذي الأبعاد الحضارية.

وقد حدد لهذه الدراسة إطار زمني يشمل الحقبة الواقعة بين النصف الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي الذي يمثل نشأة علم البلدان والنصف الأول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي،كما أخذ بنظر الاعتبار في هذا التحديد البعد البلداني لا السياسي وذلك لطبيعة الموضوع البعيدة عن الأبعاد السياسية.

تبدأ الدراسة على الوجه الأدق بسنة (232 هـ/846م) – آخر سنة من عهد الخليفة الواثق – وهي السنة التي كتبت فيها ابن خرداذبة المسوّدة الأولى لكتاب (المسالك والممالك) وهو أول بلداني بقي مصنفه في متناول اليد . وحددت النهاية الدراسة بسنة (626هـ/1228م) تلك السنة التي تمثل تاريخ وفاة البلداني الموسوعي ياقوت الحموي، الذي بلغ بالكتب البلدانية إلى الذروة من حيث التوسع والتنوع الكبيرين في المعلومات التي ضمنها معجمه. وأصبح مصدراً ثراً للبلدانيين الذين ظهروا بعده. ومن جانب آخر فإن الفترة التي أعقبت وفاة ياقوت أصابها نوع من الجمود أو الفتور في مختلف ميادين المعرفة عقب سقوط بغداد .

تضم هذه الدراسة تمهيداً وأربعة فصول بالإضافة إلى أهم النتائج التي توصل إليها الباحث. إذ يتناول التمهيد مدخلاً إلى علم البلدان من خلال تعريفه وبيان كيفية ظهوره وعلاقته بعلم التأريخ ثم تلخيص أبرز دوافع ظهور كتب البلدان والمسالك والممالك والرحلات في العالم الإسلامي. ولا شك أن مثل هذا التمهيد مفيد أن لم نقل أنه ضروري إذ تطلبته طبيعة الموضوع.

ويتناول الفصل الأول أحد شقي عنوان الدراسة، ويضم عرضاً موجزاً لسير أبرز البلدانيين والرحالة المسلمين الذين تضمهم فترة الدراسة، وكذلك تصانيفهم البلدانية، مع التأكيد على بعض الجوانب الهامة من حياتهم، كتلك الأمور المتعلقة بأماكن نشأتهم وتنقلاتهم من مكان إلى آخر ونشاطاتهم المعرفية وأعمالهم

ووظائفهم، وغير ذلك مما شكل أثراً على الكتب التي صنفوها في البلدان والمسالك والممالك والرحلات، كما تحدد قيمة وأهمية هذه الكتب ونوع المعلومات التي تضمها ومدى دقتها وكذلك الأسلوب أو المنهج الذي أنتهجه كل بلداني في ما ألفه. بعبارة أخرى أنه لا يمكن الفصل بين شخصية المؤلف ذات الأبعاد المختلفة وبين نتاجاته العلمية.

وأشير في نهاية الكلام عن كل بلداني إلى ما حظي به الكرد عنده من اهتمام، وبالتحديد الإشارة إلى عدد المرات التي وردت فيها لفظة (الأكراد)، دون الدخول في المزيد من التفاصيل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، التي خيض فيها في الفصول التالية لهذا الفصل.

أما الفصل الثاني فقد كرس للملامح الجغرافية والإدارية لبلاد الكرد، كما أوردها البلدانيون المسلمون من التسمية والموقع من الأقاليم السبعة والأقاليم الجغرافية الإدارية التي توزعت عليها بلاد الكورد، والتعريف بأبرز الاصطلاحات الإدارية التي اعتاد البلدانيون المسلمون استخدامها خلال تناولهم لبلاد الكرد، وكذلك أهم المعالم والأحوال الطبيعية لبلاد الكرد مثلما جلبت انتباه البلدانيين إليها من جبال وأنهار ومناخ، مع التمييز بينهم في مدى اهتمامهم بذلك. ودون أن يعني ذلك التطرق إلى جميع الجبال والأنهار الموجودة في بلاد الكرد، تحاشياً لتكرار ما أورده باحثون سابقون.

وخصص الفصل الثالث للمعطيات العمرانية التي وجدت في المصنفات البلدانية وكتب الرحلات، ويشتمل على عدد من المراكز العمرانية الكردية من مدن وقرى، ولا سيّما في إقليمي الجزيرة والجبال الغربي، ثم العوامل التي ساعدت على قيام المستوطنات البشرية في بلاد الكرد وكذلك العوامل التي تؤدي إلى اضمحلال دورها والتقليل من شأنها، التي انتبه إليها البلدانيون، كالمتعلقة بالموقع ومصادر المياه والتجارة والسياسة. كما تطرق الفصل إلى بعض المعالم العمرانية في بلاد الكرد من الحصون والقلاع والأسوار والجوامع والأسواق وكذلك القناطر والجسور وغيرها، بالإضافة إلى الإشارة إلى المواد البنائية المستخدمة في تشييد تلك المعالم والتي ذكرها البلدانيون والرحالة المسلمون في كتبهم.

وينقسم الفصل الرابع إلى قسمين: الأول، الأحوال الاقتصادية لبلاد الكرد كما أوردها البلدانيون والرحالة، وتشمل الأنشطة الزراعية والصناعية والتجارية

وأهم المحاصيل الزراعية والمواد المصنعة والمتاجرة بها، وكذلك المعادن والعيون المعدنية المنتشرة في أماكن عدة من بلاد الكرد ولا سيّما في إقليمي الجزيرة والجبال، بالإضافة إلى تناول الأسواق والأسعار والنقود على قدر تعلّق الأمر بما ذكرها البلدانيون والرحالة المسلمون.

ويشمل القسم الثاني من هذا الفصل الأحوال الاجتماعية التي رصدها البلدانيون والرحالة الكرد، بدءاً بالآراء التي ذكرت بشأن الأصول العرقية للكرد والتي أسهب المسعودي فيها مقارنة بغيره، ونقلها عنه بعض البلدانيين الذين ظهروا بعده، ومروراً بالقبائل والطوائف الكردية التي ورد ذكرها في الكتب البلدانية، دون الخوض في التفاصيل حول مسمياتها وأصولها وبقاياها والتي سبق أن ذكرت في رسائل جامعية أشير إليها في مواضعها.

كما تطرق هذا القسم إلى أهم المعتقدات الدينية والميول المذهبية السائدة بين سكان بلاد الكرد، مما ذكرها البلدانيون والرحالة المسلمون، وكذلك بعض الصفات والطبائع العامة للكرد.

أما الفصل الخامس وهو الأخير فتناول بعض الجوانب العسكرية والملامح السياسية ذات العلاقة بالكرد، من تلك التي التفت إليها بعض البلدانيين والرحالة المسلمون، ولا سيّما ما يتعلق بأخبار الفتوحات الإسلامية لبلاد الكرد وموقف الكرد منها، حيث استشهدنا في ذلك ببعض النصوص التي أوردها البلاذري بخاصة، والتي نقلها هو من سابقين له أو استند إلى مصادر معلوماتية أخرى، ونقل عنه من أتى بعده من المؤرخين البلدانيين. أما من حيث الناحية السياسية فتقتصر على بعض المعلومات عن كيانات سياسية كردية وبعض زعاماتها خلال فترة البحث، وعلى الرغم من قلتها إلا أنها ذات أهمية تأريخية كبيرة.

ولخص في الختام أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

أما بصدد المصادر والمراجع المستخدمة في إعداد الأطروحة، فينبغي التوكيد على أن الكتب البلدانية التي تدخل ضمن فترة الدراسة تشكل صلب المادة الموجودة فيها لارتباطها المباشر بعنوان الموضوع وباعتبارها المحور الذي يدور عليه جميع جوانب هذا الموضوع، فالوقوف عند هذه المصادر البلدانية والإطلاع على محتوياتها عن كثب كانت ضرورة علمية لا يمكن الاستغناء عنها، فكان أن أفرد فصل كامل لدراسة هذه المصادر وتحليلها والتركيز على أبرز العناصر فيها. وفيما

يخص سير البلدانيين والرحالة المسلمين بشكل عام فإن المعلومات بشأنها ضئيلة لسبب أو لآخر أشير إليه في التمهيد لهذه الدراسة. وقد أفادت الرسالة من مقدمات الكتب البلدانية كثيراً وكذلك إشاراتهم المتعددة إلى جوانب من تحركاتهم ونشاطاتهم في فصول متفرقة من كتبهم التي كانت لها أهمية خاصة لإلقائها الضوء على صفحات مجهولة من سيرهم.

وبالإضافة إلى ذلك فإن من أبرز المصادر التي أفادت هذه الدراسة في فصلها الأول هي كتاب (الفهرست) لابن النديم (ت383 هـ/993 م) الذي يعد كتابه مختصراً عاماً وشاملاً لشتى أنواع المعارف من العلوم والفنون والآداب وما صنف من الكتب بشأنه. والواقع أن ابن النديم انفرد بذكر العديد من المعلومات الخاصة بحياة البلدانيين بحيث لم يسبقه أحد في ذلك، فعلى الرغم من أن ما أورده هو معلومات موجزة إلا أنها ذات أهمية خاصة. ومن المصادر الأخرى المعتمدة في الرسالة كتاب (معجم الأدباء) للموسوعي ياقوت الحموي وكذلك كتاب (وفيات الأعيان) لابن خلكان (ت 681 هـ/ 1282م) الذي ترجم لبعض أعيان البلدانيين وغيرهم من مشاهير الأعلام، وذاكراً معلومات مفيدة عنهم وكذلك الحال بالنسبة للصفدي (ت 764 هـ/ 1363م) في كتابه (الوافي بالوفيات) والكتبي (ت 764 هـ/ 1363م) في كتابه (فوات الوفيات). وابن تغري بردي (ت 874 هـ/ 1470م) في كتابه (النجوم الزاهرة).

أما فيما يخص أسماء الكتب المصنفة ونسبتها فقد كان كتاب (كشف الظنون) لحاجي خليفة (ت 1067هـ/ 1653م). و (إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون) لإسماعيل باشا البغدادي أهم مصدرين تم الرجوع إليهما للإطلاع على المؤلفين وعلى مؤلفاتهم.

كما تتطلب حين الضرورة العودة إلى بعض المصادر التأريخية، ولا سيّما فيما يتعلق بالمعلومات العسكرية والسياسية التي تطرق إليها بعض البلدانيين، ومن هذه المصادر كتاب (تأريخ الرسل والملوك) للطبري (ت 310 هـ/ 922م) وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت 630 هـ/ 1232م) وغيرهما.

والواقع أن طبيعة هذه الدراسة تطلبت الاعتماد على المصادر البلدانية أولاً، وعلى الدراسات الحديثة التي تناولت البلدانيين ومناهجهم وكل ما يتعلق بهم ثانياً.

ويأتي كتاب (تأريخ الأدب الجغرافي العربي) للعالم الروسي كراتشكوفسكي في مقدمة الكتب التي تم الرجوع إليها . فهو يتناول بالتفصيل سير البلدانيين والرحالة المسلمين ومناهجهم، وما تميز به كل عصر من مميزات.

ومن المراجع الأخرى المعتمدة في تناول سير البلدانيين ومناهجهم كتاب (الجغرافيون والرحالة المسلمون) للمستشرق مينورسكي، وكتاب (بلدان الخلافة الشرقية) للسترنج، وكتاب (في الجغرافية العربية) لمؤلفه شاكر خصباك وكتاب (تأريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس) لمؤلفه حسين مؤنس، وكتاب (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى) لمؤلفه زكي حسن، وكتاب (أدب الرحلات عند العرب) لمؤلفه علي حسين مال الله، وغيرها من المراجع المثبتة في قائمة المصادر والمراجع.

كما أفاد البحث عدد من المصادر الفارسية والكردية والإنكليزية التي تفاوتت في الأهمية بالنسبة لفصول ومباحث هذه الدراسة. وأخيراً أقرّ بأن هذه الدراسة ينتابها العديد من النواقص والهفوات التي لا مناص لأي بحث من الوقوع فيها، ولكن يكفي أنني حاولت وبذلك جهدي بغية تحقيق نتائج ما أستطعت إلى ذلك سبيلاً. عساني وفقت في بعض ما سعيت للوصول إليه، وأجد في هذا المقام أنه من المناسب أن أذكر بقول العماد الكاتب الأصفهاني الذي يقول: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر". والله الموفق والهادي إلى سبيل الرشاد، والحمد لله رب العالمين.

الباحث

تمهيد

علم البلدان نشأته وتطوره

ظهرت المصنفات البلدانية منذ منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وإذا راجعنا المعاجم اللغوية نجد أن كلمة (البلدان) مشتقة من (البلد) وهو (كل موضع أو قطعة مستحيزة عامرة كانت أو غير عامرة)[1] وجاء في المعجم الوسيط أن (البلد) أو (البليدة) تعني (المكان المحدود يستوطنه جماعات، ويسمى المكان الواسع من الأرض بلداً)[2]. وجاء في قوله تعالى (والبلد الطيب يَخْرُجُ نباتُهُ بأذنِ رَبِه)[3]وقوله تعالى: (إنما أمرتُ أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذي حرّمها)[4].

والبلدان جمع بلد، اسم يقع على الكور، وهو (جنس المكان كالعراق والشام، والبلدة الجزء المخصص فيه كالبصرة ودمشق)[5]. وسمى طاش كبرى زاده علم البلدان بعلم مسالك البلدان والأمصار وعرفه بأنه (علم باحث عن أحوال الطرق الواقعة بين البلاد وأنها برية أو بحرية عامرة أو غامرة، سهلية أو جبلية مستقيمة أو منحرفة، والعلامات المنصوبة لتلك الطرق من الجبال وأمثالها ومعرفة ما في تلك المسالك من المخاوف الحيوانية أو النباتية أو السبعية وأمثال ذلك، ومنفعة هذا العلم لا يخفى على أحد)[6].

كما ميّز طاش كبرى زاده بين علم البلدان والمسالك والممالك عندها سمى الثاني بعلم البرد والمسافات فيما بينها وعرفه بأنه (علم يتعرف منه كمية مسالك الأمصار وفراسخ وأميالاً، وأنها مسافة شهرية أو أقل أو أكثر، ونفع هذا العلم كالعلم المتقدم)[7].

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب، بيروت1968، مج3، ص94. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، بيروت1983، ج1، ص228.

[2]- مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، القاهرة1985، ج1،ص68.

[3]- سورة الأعراف، الآية 58.

[4]- سورة النمل، الآية91، والمقصود بالبلدة في الآية الكريمة مكة المكرمة.

[5]- ابن منظور، مصدر سابق،مج3، ص94.

[6]- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، (بلا د/ت)،ج1،ص384.

[7]- المصدر نفسه، ج1، ص384؛ طاش كبرى زاده، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى، بغداد: د/ت، مج1،ص237.

وأطرى ابن حوقل على العلم الذي يبحث في الأقاليم وكلّ ما يتصل بها من أمور طبيعية وبشرية واقتصادية عندما ذكر بأنه: «علم يتفرد به الملوك الساسة، وأهل المروءات السادة من جميع الطبقات»[1].

وذكر كراتشوفسكي أن (المسالك والممالك) كان يطلق على الجغرافية الوصفية، وفي الحالات التي يدور الكلام فيها على مراحل الطرق بصورة خاصة أطلق عليها اسم علم (البرد)[2]، أما إذا غلب الجانب الكوزموغرافي Cosmographic – أي علم وصف الكون – بما يصحبه من الميل الواضح نحو العجائب والغرائب فقد استخدمت تسمية (علم عجائب البلاد)[3]، في حين صرّح مينورسكي أن مجموعة الكتب التي تحمل عنوان (المسالك والممالك) تقابلها في اللغة اليونانية تسمية كوزموغرافيا أكثر من عبارة (جغرافي)[4].

وهكذا يمكن القول بأن الجغرافية الوصفية والإقليمية التي اتخذت اسم (المسالك والممالك) تمثل أبرز الحقول الجغرافية عند المسلمين[5]. وقد أصاب كراتشوفسكي لب الحقيقة عندما ذكر (أن منهج الجغرافية الوصفية هو الذي يسترعي النظر بغزارة مادته، وهو الذي يغلب على الأدب الجغرافي العربي ويسبغ عليه طابعه المميز ويعطيه شكله الخاص به مما يصعب إيجاد مثيل له في آداب الأمم الأخرى)[6].

أما البلداني فهو المهتم بأخبار البلدان، والجغرافيون الرحالة نعتوا بالبلدانيين ونقصد بهم أولئك الذين عرفوا برحلاتهم حيث ركبوا البحار وجابوا الأقطار شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً (وإن مصنفاتهم تبسطت في ذكر مختلف الطرق وضمت نبذاً

1- صورة الأرض، ص10. للمزيد ينظر: ليلى توفيق سلمان العاني، مقاصد البلدانيين في مؤلفاتهم في القرنين الثالث والرابع الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد 1998.

2- البرد: جمع بريد، وهو عبارة عن أربعة فراسخ، وهو علم يتعرف منه كمية مسالك الأمصار فراسخ وأميالاً وإنها مسافة شهرية أو أقل أو أكثر ذكره البعض من فروع علم الهيئة، كما يسمى بعلم مسالك الممالك. ينظر: صديق بن حسن القنوجي أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، بيروت: د/ت، ج1، ص127.

3- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، موسكو – لينينغراد 1975، ق1، ص20.

4- الجغرافيون والرحالة المسلمون، الكويت1985، ص7.

5- شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، بغداد 1935، ص30.

6- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق1، ص18.

من الأخبار عن المدن التي كانت تمر بها تلك الطرق وذكرت ما يرتفع من كل إقليم من أقاليم الدولة من خراج أو غلة)[1].

ويرى أحد الباحثين أن المنحى الحقيقي للجغرافيا الإسلامية هو منحى (المسالك والممالك) أو (البرد) باعتباره خطاً سليماً يقوم على أساس الرحلة والمشاهدة والاستفسار من أهالي البلاد والتحقيق في ما يدلونه من معلومات ومقارنتها بغيرها ودراسة الكتب السابقة ونقدها[2].

والجدير بالملاحظة أن ظهور نمط كتب البلدان تزامن مع ظهور التأريخ العالمي عند المسلمين، فإن أول من ألف كتاباً في البلدان هو أحمد بن أبي يعقوب ابن واضح المعروف باليعقوبي، وهو مؤلف أو تأريخ للعالم عند المسلمين، وهو ما يبين الصلة الوثيقة بين الجغرافية والتأريخ لدى المسلمين[3]. ومن هذا الاتجاه تفرع أدب الرحلات الذي يعد جانباً هاماً من جوانب الجغرافية الإسلامية، إذ أن الرحالة بلداني متنقل، وأن وصف الرحلة يعد مصدراً موثوقاً إلى حد كبير للمعلومات التي يوردها البلداني[4].

ويعود ظهور كتب الرحلات وتطور أدبها إلى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كما يذهب إلى ذلك الكثير من الدارسين والمتخصصين[5].

حقاً أن ما كتبه المؤلفون المسلمون فيما بين القرنين الثالث والتاسع الهجريين/ التاسع والخامس عشر الميلاديين، عن الرحلات يعد كثيراً، ولكن ما وصلنا من كتب الرحلات قليل[6]. والسبب أن الرحالة لم يكتبوا رحلاتهم في مؤلفات مستقلة إلا نادراً، إذ أن معظمهم أدمجوا أحاديث تلك الرحلات مع ما ألفوه من كتب

1- لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، بغداد1954، ص26.

2- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد 1967،ص8.

3- حسين مؤنس، مرجع سابق، ص8.

4- المرجع نفسه، ص9؛ عبد الرحمن حميدة، التراث الجغرافي، دمشق1988، ص62.

5- ينظر: نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، بيروت1962، ص148؛ زكي محمد حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، بيروت1981، ص13؛ كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص124.

6- أحمد أبو سعد، أدب الرحلات، بيروت1961، ص20؛ ولكن يرى البعض أن مولد الرحلة ونشأتها عند المسلمين يعود إلى القرن الثاني الهجري وتطورها إلى القرن الثالث الهجري. ينظر: علي حسين مال الله، أدب الرحلات عند العرب، بغداد1987، ص31.

التأريخ أو البلدان كاليعقوبي والمسعودي[1] وغيرهما. كما أشار بعض المؤلفين إلى رحلات قام بها غيرهم، ولم يصل إلينا شيء عنها من تأليف أصحابها أنفسهم. فضلاً عن هذا كله، فكانت ثمة رحلات قام بها الملاحون التجار، ضاعت أخبارها أو لم يدونها أصحابها[2].

وهذا يعني أن ما دوّن من كتب الرحلات وما بقي منها من آثار يمثل جزءاً ضئيلاً مقارنة بالكم الكبير من أعمال الرحلات وأخبارها. والجدير بالإشارة هنا أن جلّ مصنفي كتب البلدان والمسالك والممالك كانوا رحالين يجوبون الأنحاء والأصقاع لأهداف دينية أو إدارية أو تجارية أو غير ذلك، باعتبار أن الرحلة هي عين الجغرافية المبصرة.

ويمكن تقسيم الرحلات في التراث الإسلامي إلى ثلاثة أقسام: رحلات جغرافية، مثل رحلة ابن فضلان (ت 309 هـ/ 921م)[3] ورحلة 9ابن حوقل (ت 331 هـ/ 943م)[4] ورحلة المقدسي (ت 336 هـ/947م)[5] ورحلة أبي دلف (390 هـ/ 1000م)[6] ورحلة عبد اللطيف البغدادي (557 هـ/1162م)[7] وغيرها. ورحلات

1- السيد عبد العزيز سالم، التأريخ والمؤرخون العرب، الإسكندرية1978، ص214.

2- زكي حسن، الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، ص14؛ ينظر أيضاً: أمينة أحمد إمام الشوربجي، رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي (358 – 567 هـ/969 – 1171م)، القاهرة1994، ص26.

3- ابن فضلان: هو أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد، توجه في عهد المقتدر بالله (259 – 320 هـ/ 908 – 932م) إلى ملك البلغار سنة (309 هـ/ 921م) على رأس وفد بهدف عرض وشرح مفاهيم الدين الإسلامي للبلغار فقام بتصنيف رسالة في وصف رحلته التي عرفت به، ذكر فيها ما شاهده في بلاد البلغار من أمور اقتصادية واجتماعية وعيرها. ينظر: دائرة المعارف الإسلامية مادة (ابن فضلان)، القاهرة: د/ت، ج1، ص364.

4- في كتابه صورة الأرض.

5- في كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. ينظر: الفصل الأول من هذه الدراسة.

6- في رسالتيه الأولى والثانية، وقد ضاعت الأولى التي تناولت رحلته إلى الصين ولكن نقل عنها ياقوت بعض النصوص أما الثانية فتناولت رحلته إلى بلاد فارس وأذربيجان وأرمينيا. انظر: الفصل الأول من هذه الدراسة.

7- عبد اللطيف البغدادي: أحد كبار العلماء الموسوعيين، سافر إلى مصر وأقام بها مدة من الزمن ثم توجه إلى القدس، وواصل رحلته إلى دمشق وحران وبلاد الروم والحجاز. وقد كتب رحلته ومشاهداته عن مصر فقط ولم يكتب عن البلدان الأخرى التي زارها تمتع برعاية صلاح

علمية مثل رحلة البيروني (ت 440 هـ/ 1048م)[1]، ورحلة ابن بطلان (ت 458 هـ/ 1066م)[2] ورحلات تاريخية مثل رحلة المسعودي (332 هـ/ 943م)[3] ورحلة الهروي (ت 611 هـ/ 1215م)[4]. وما يهمنا في هذه الدراسة هو الرحلات الجغرافية أكثر من غيرها. وهي التي تتناول وصف المدن والقرى والطرقات والمساحات فيما بينها أي المسالك والممالك والوقوف عند الظواهر الطبيعية من الجبال والبحار والأنهار وغيرها. وكذلك عن الجوانب البشرية من النشاطات الاقتصادية المختلفة وطبائع الناس وعاداتهم وتقاليدهم... الخ. ولكن هناك اختلاف واضح بين الرحالة في اهتماماتهم بهذه الناحية أو تلك وفي طبيعة تناولهم للمواد التي يرصدونها. على الرغم من التقسيم السابق هناك من يميز بين صنفين من الرحالة: صنف يجوب البلدان لهدف علمي وذلك بغية أن يسجل المعلومات الجغرافية والاجتماعية

الدين الأيوبي والملوك الأيوبيين بعده. وسمى كتابه (الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعانية بأرض مصر). ينظر: الزركلي، الأعلام، بيروت1979، ج4، ص61. محمد رضا كحالة، معجم المؤلفين، بيروت1957-1975، ج6، ص15. كراتشوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص346؛ عبد الرحمن حميدة، مرجع سابق، ص244.

1- أبو الريحان البيروني ولد في خوارزم عام (362هـ/973م)، وكان متعدد الاهتمامات العلمية حيث صنّف في الكيمياء والفيزياء والتاريخ والجغرافية والفلك، من مؤلفاته: (الآثار الباقية في القرون الخالية) والذي وصف بأنه (لا مثيل له في جميع آداب الشرق الأدنى)، واستمر خلال نصف قرن في التأليف الذي بلغ ذروته بكتابه عن الهند الموسوم (تحرير ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) والذي لقي صدىً واسعاً منقطع النظير في الأوساط العلمية الأوربية. ينظر: كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص245 – 255؛ حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، القاهرة1972، ج1، ص255.

2- ابن بطلان، طبيب ورحالة مسيحي، ولد ببغداد، وبدأ رحلته عام (440 هـ/1049م) إلى حلب ومنها إلى أنطاكية واللاذقية واستقر به المطاف في مصر. ومن مؤلفاته (تقويم الصحة) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، بيروت د/ت، ص32 – 328. دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن بطلان، ج1، ص221.

3- وقد دوّن المسعودي أخبار ومشاهدات رحلاته في كتبه (كمروج الذهب والتنبيه والإشراف). ينظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

4- هو أبو بكر بن علي الهروي: رحالة مشهور، أصل أسرته يعود إلى هراة بأفغانستان، ولد بالموصل، وتوطن حلب، وتنقل بين الشام وجزيرة العرب ومصر وبلاد الروم وجزر البحر المتوسط وكان مغرماً بالأسفار وزيارة قبور الأولياء والصالحين خاصة وقد جاء كتابه (الإشارات إلى معرفة الزيارات) متضمناً تلك الأسفار. ينظر: الزركلي، الأعلام، بيروت1979، ج5، ص73. حسين سعيد، الموسوعة الثقافية، القاهرة د/ت، ج2، ص1025.

والاقتصادية بشكل أمين ودقيق لذلك يمكن أن يسمى أولئك بـ (الجغرافيين العلميين)[1] وصنف آخر يتنقل بين الأمصار والمدن لأغراض سياسية أو تجارية أو دينية، ثم يدون انطباعاته ومشاهداته وينتمي إلى هذا الصنف الرحالة الأدباء، حيث يغلب على هذا النمط من الرحلات (الطابع الأدبي).[2]

وعلى الرغم من أن نتاجات كلا الصنفين من الرحالة تؤدي في نهاية المطاف إلى زيادة حصيلة المعلومات الجغرافية، ولكنه من الواضح أن هناك اختلافات جوهرية بين الموقفين، حيث أن كتابات الرحالة الجغرافي تكمن في طياتها بذور (البحث العلمي)، لما تنطوي عليه من البحث والاستقصاء، وما يدونها من ملاحظات تغطي جميع جوانب البلاد التي يحل فيها سواء كانت طبيعية أم بشرية[3]. في حين أن كتابات الرحالة الأديب أفقها محدود وهي لا تتجاوز تسجيل مشاهدات خاطفة وملاحظات متفرقة اعتماداً على المعاينة[4]. ولذلك ليس من الصحيح أن نوازي الرحالة بالجغرافي الذي يتطلب منه الدقة العلمية والاستقصاء العميق، وإن كل ما يطالب به الرحالة أن يكون أميناً في نقل مشاهد الظواهر المرصودة والتي يمكن أن يفضي إلى فائدة علمية.

وبصدد نشأة المعرفة الجغرافية وتطورها عند المسلمين بشكل عام، يمكن أن نعد أبا جعفر محمد بن موسى الخوارزمي (ت 232 هـ/ 845م) واضع اللبنات الأولى لعلم الجغرافية الإسلامية والذي تأثر إلى حد كبير بجغرافية بطليموس الفلكية، ويعرف كتاب بطليموس بـ (جغرافيا في المعمور وصفة الأرض).

أما أحمد ابن الطيب السرخسي (ت حوالي سنة 286 هـ/ 899م) فإنه يعد من بين أوائل العلماء المسلمين الذين ألفوا في الجغرافية التي حملت عنوان (المسالك والممالك)[5] وهو العنوان الذي أصبح شائعاً عند بلدانيي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي والقرن التالي له. وتلاحظ أهمية كتاب السرخسي في اعتماد الكثير

1- شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ص239. محمد رشيد الفيل، أثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب، الكويت1979، ص14.

2- شاكر خصباك، مرجع سابق، ص239.

3- شاكر خصباك، مرجع سابق، ص239.

4- السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص214.

5- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت 1966، ج1، ص14؛ ابن النديم، الفهرست، ص149.

من البلدانيين المسلمين عليه، فقد ذكر ياقوت اسم السرخسي مراراً عند حديثه عن مسالك البلدان. ووصفه ابن النديم بأنه (متأدب أديب كثير الرواية)[١].

أما أبو العباس جعفر ابن أحمد المروزي (ت حوالي سنة 274 هـ/ 887م) فقد ذكر ابن النديم عنه، أنه أول من ألف في المسالك والممالك كتاباً[٢]، وقد كرر ياقوت ذلك الرأي[٣] على الرغم من أن المروزي وافته المنية بالأهواز في الوقت الذي كان ابن خرداذبة قد فرغ من المسودة الأولى أو الثانية لكتابه (المسالك والممالك)[٤]، واستنتج بارتولد بأن المروزي توفي قبل أن يكمل كتابة مصنفه في (المسالك). وإن مؤلفاته الخاصة نقلت إلى بغداد بعد موته فبيعت هناك[٥].

ويجهل المؤرخون وأصحاب التراجم الكثير عن كتاب المروزي وفيما إذا كان قد تأثر بالسرخسي أو سواه، أو فيما إذا كان يدخل ضمن المصادر التي اقتبس منها البلدانيون المسلمون في القرن الرابع الهجري وخاصة أولئك الذين صنفوا في المسالك والممالك مثل أبي زيد البلخي أو الاصطخري أو ابن حوقل أو غيرهم.

وبناءً على ما سبق فإن كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة يبقى أول كتاب وضع في هذا المجال والذي وصلتنا منه نسخة مختصرة[٦]، ويظن أن هناك نسخة أخرى، مفصلة ولكنها مفقودة[٧].

وأقدم مسودة لهذا الكتاب ترجع إلى سنة (232 هـ/ 846م) وهناك مسودة ثانية ترجع إلى سنة (272 هـ/ 886م)[٨].

أما كتاب البلدان لليعقوبي الذي كان معاصراً لابن خرداذبة فيعود تاريخ تصنيفه إلى حوالي سنة (278 هـ/ 891م) أي بعد انتهاء ابن خرداذبة من تأليف

---

[1]- الفهرست، ص149.

[2]- المصدر نفسه، ص150.

[3]- معجم البلدان، ج2.

[4]- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ج1، ص131.

[5]- Hudud Al – Alam, Translated by V. Minorsky, (London;1937),p.12.

[6]- نفصل فيه في الفصل القادم.

[7]- انظر: كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص156. و

Hudud Al – Alam, (parthold's preface),p.13 – 14.

[8]- محمد محمود محمدين، نصوص تراثنا الجغرافي بين الاقتباس والاختلاس، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض1981، مج8، ص 175 – 176.

كتابه بعدة سنوات، على الرغم من أن المصادر التاريخية تثبت تاريخ وفاة اليعقوبي قبل وفاة ابن خرداذبة.

وهكذا بدأ المسلمون منذ القرن الثالث الهجري يؤلفون في تقويم البلدان والمسالك والممالك ولكن النصف الثاني منه كان أكثر نتاجاً. وكذلك كان شأن كتب الرحلات التي كانت دوماً في خدمة المعرفة البلدانية، لذا لا يمكن الحديث عن أحدهما بمعزل عن الآخر.

ويمثل القرن الرابع الهجري بحق دور النضج[١] للمصنفات البلدانية حيث ظهرت سلسلة من الكتب التي تناول الاهتمام بالمسالك والممالك وبالجغرافية الوصفية والإقليمية، وإن مؤلفي تلك الكتب كالجيهاني والبلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي والمسعودي اتصفوا – إلى حد كبير – بالمنهجية العلمية المبنية على أساس أسلوب المشاهدة والتحقيق الشخصي[٢] والمقارنة بين المعلومات المكتسبة من السفر والتجوال. ومما زاد من دقة وأهمية المعلومات التي أوردها البلدانيون والرحالة المسلمون بالإضافة إلى تجاربهم ومشاهداتهم الشخصية، أنهم كانوا ينتمون إلى بلدان مختلفة، فأصبح هناك نوع من المنافسة بينهم في إيراد المعلومات[٣].

وقد عرفت هذه المرحلة بـ (الجغرافية الكلاسيكية)[٤] والتي يلاحظ أن روادها الأوائل كانوا من المسلمين الفرس كالجيهاني والبلخي والاصطخري ومنذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بدأ النضج والابتكار يسود الاهتمامات البلدانية في القرون الثلاثة التالية، والتي تمحورت في ثلاثة اتجاهات رئيسية[٥]: الأول: العناية بأقاليم العالم الإسلامي والأقاليم المجاورة لها كمل فعل البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي، كذلك البيروني في كتابه عن الهند. والثاني: في التخصص في بلد معين، كما نراه عند الهمذاني في كتابه (صفة جزيرة العرب) وكذلك البيروني، وهذا ما يمكن أن يسمى بالجغرافية الخاصة. والثالث: وضع

---

[1] – محمد رشيد الفيل، مرجع سابق، ص9؛ المكتبة الجغرافية، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، بغداد1962، مج1، ص241.

[2] – وهذا هو عين الأسلوب الذي اتبعه العلماء في العصر الحديث في كتابه الجغرافية الوصفية.

[3] – شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ص127.

[4] – أحمد سوسة، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، بغداد1974، ج1، ص145.

[5] – محمد رشيد الفيل، مرجع سابق، ص9؛ المكتبة الجغرافية، ص243.

المعاجم البلدانية التي بدأت في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي واتخذت طابعاً لغوياً وهي ما يمثلها البكري في (معجم ما استعجم) ثم تطورها في الفترة التالية عندما وضع ياقوت الحموي (معجم البلدان) وهو بمثابة مستودع يضم الأدب والعلم والتأريخ، إضافة إلى تغطيته الواسعة للمعلومات البلدانية.

ولأهمية هذه المصنفات البلدانية وما حواها من معلومات فقد وصفها بارتولد بأنها جديرة بأن تسمى (أثمن مخلفات الحضارة الإسلامية عن القرنين الرابع والخامس)، وهي تؤكد على (وثاقة العلاقة المدنية)[1] على حد تعبيره. كما أشاد المستشرقان جان سوفاجيه و كلود كاين بالدور الرائد الذي اضطلع به المسلمون في مجال الاهتمامات الجغرافية، بقولهما: «وحتى عصر الكشوف كانت علوم الجغرافيا كلها تقريباً حكراً على الحضارة الإسلامية. وعلى الرغم من كل ما فقد منها فلا تزال للجغرافيين المسلمين وخاصة جغرافيي العصر الذهبي (القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) أهميتهم الكبيرة لدى علماء الغرب»[2].

إن كتب الجغرافية الوصفية الإقليمية التي مثلها كتب (البلدان) و (المسالك والممالك) كانت خاضعة بشكل عام لنمط الكتابة السائدة لدى علماء المسلمين في مختلف حقول وميادين المعرفة في ذلك الوقت، فلم يكن التخصص أو التخصص الدقيق موجوداً بالمفهوم الحديث، فكان بعض البلدانيين مؤرخين في الوقت نفسه كاليعقوبي والمسعودي وأبي الفداء، لذلك لا يكاد يخلو كتاب بلداني من معلومات تاريخية ولكن بنسب متفاوتة، ومنهم من كان له اهتمامات في مجالات علمية أخرى، كأبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي والبيروني، فالأول كان مهتماً بالكيمياء والطب والثاني صنّف في الفلك والمعادن والأحجار عدة كتب.

ومن جانب آخر فإن التمحيص العلمي لم يبلغ درجة عالية من الإتقان، لذلك نلاحظ في الكتب البلدانية، العديد من الأخبار والمعلومات التي لا تصمد أمام العقل والمنطق[3].

1- تأريخ الحضارة الإسلامية، نقله من التركية إلى العربية حمزة طاهر، مصر د/ت، ص50.

2- مصادر دراسة التاريخ الإسلامي، بيروت1988، ص70.

3- انظر مثلاً: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، بيروت1988، ص28؛ ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، بيروت1988، ص251 – 256؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص249 – 250.

وبناء على ما سبق فإن من الإجحاف بحقهم تطبيق المنهج العلمي الحديث على تلك المصنفات البلدانية[1] إذ ليس من حقنا مطالبتهم بتقديم عرض مفصل وعميق للبلاد المختلفة، لأن ذلك كان مستحيلاً في عصرهم وفي زمن عرف ببدائية سبل الاتصالات ووسائلها، على الرغم من أنهم فعلوا ذلك فيما يخص الأماكن التي كانوا يعيشون فيها أو قريبة من مناطق سكناهم، وكلما ابتعدوا عن مناطقهم كلما كانت معالجاتهم أضعف ومعلوماتهم أقل دقة، وهذا أمر بديهي.

كذلك فإن بعضاً من تلك الكتابات كانت تخدم أغراض رجال الإدارة والحكام والتجار بالدرجة الأولى، ومثل هذا النوع من الكتابات لا يتطلب دراسة عميقة ومستفيضة ويمكن القول بأن التفاصيل الواردة في الكتب البلدانية كانت تتناول عدة أمور وموضوعات بنسب متفاوتة في التركيز عليها، مما يمكن إيجازها في النقاط التالية:

أ- دراسة طرق المواصلات من حيث الاتجاهات والتضاريس والمدن التي تقع عليها والمسافات الماثلة بينها ومدى تمتع تلك الطرق بالأمن[2] ولا شك أن مثل هذه الأمور لها أهمية فائقة من النواحي الاقتصادية والعسكرية والدينية.

ب- وصف المدن وصفاً مفصلاً دقيقاً قدر المستطاع، مع تقديم نبذة عن تأريخها وأصول أسمائها وبناتها وساكنيها[3]. وإن هذا الاهتمام الكبير بدراسة المدن يجعل من المسلمين رواداً لما يسمى جغرافية المدن.

ج- الاهتمام بوصف الظواهر الطبوغرافية والتركيز خاصة على الأنهار والبحار والبحيرات[4].

د- الاهتمام بالنواحي الاقتصادية كالزراعة والصناعة والمعادن وأحوال السوق وغيرها[1].

---

[1]- كراتشوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص24.

[2]- ينظر مثلاً: ابن خرداذبة، المسالك والممالك، بيروت1988، ص38 – 53، ص59 – 63؛ ابن رسته، مصدر سابق، ص149 – 154.

[3]- ينظر على سبيل المثال: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط1، بيروت1987، ص112، 134، 211، 280، ص287 – 289؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط1، بيروت1997.

[4]- ينظر الاصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحسيني، القاهرة 1961، ص21، 30، 70، 71؛ المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 174 – 185.

هـ- سرد معلومات تأريخية تتصل بالبلدان والمدن وحكامها في بعض الأحيان وغالباً ما تشمل هذه المعلومات الحديث عن سكان البلاد ومعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم[2].

وقد تفاوت اهتمام البلدانيين المسلمين بالجوانب المذكورة، فهناك من اهتم بأحدها أكثر من غيرها كابن خرداذبة الذي ركز على الطرق والمسافات، وهناك من اهتم بنقطتين أكثر من سواهما كابن حوقل والمقدسي اللذين أكدا على الناحية الاقتصادية والمراكز الحضرية أكثر من الجوانب الأخرى.

ومن خلال استقراء النصوص البلدانية يتضح أن أسلوب التركيز على نقاط محددة أكثر من غيرها، يعود إلى التطور الذي شهدته المصنفات البلدانية عبر القرون، ولا سيّما تلك التي تعود إلى القرنين الرابع والخامس الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين من جهة، والنمط الذي ينتمي إليه البلداني من أنماط الكتب البلدانية الوصفية والإقليمية من جهة أخرى.

وبناءً على ما سبق، فإنه يمكننا القول بأن الاهتمامات البلدانية الوصفية كانت تنصبّ في أول الأمر على تحديد المسافات بين الطرق والمسالك والمدن والبلدات البارزة ومقادير الخراج من الغلات والمحاصيل المختلفة، وخير من يمثل هذا الاتجاه ابن خرداذبة في (المسالك والممالك)[٣] وقدامة بن جعفر في (الخراج وصناعة الكتابة)[٤] وقد حذا حذوهما آخرون ولكن بشكل أكثر تطوراً أمثال ابن رسته في (الأعلاق النفيسة)[٥] وابن الفقيه في (مختصر كتاب البلدان)[٦] واليعقوبي في (البلدان)[٧].

ويلحظ منذ النصف الأول من القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهجريين

1- ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص53، 58، 77، 110، 119 – 120؛ ابن حوقل، صورة الأرض، بيروت1979، ص 197، 200، 202، 310.

2- ينظر مثلاً: البلاذري، فتوح البلدان، بيروت1983، ص193، 194، 199، 209، 300، 304، 317؛ المقدسي، مصدر سابق، ص257، 262، 291، 299، 302، 306.

3- ينظر: ص 21 – 28، ص 46 – 51.

4- ينظر: ص 127 – 129، ص 169 – 184.

5- ينظر: ص 149 – 169.

6- ينظر: ص 104 – 109، ص 185 – 189.

7- ينظر: ص 38 – 45.

أن اهتمامات البلدانيين قد تنوعت ولم تعد تقتصر على تسمية الممالك والمدن وتحديد المسالك، وإنما تعدتها إلى الاهتمام بالناحية الطبيعية للبلدان والأوضاع السائدة فيها من اقتصادية واجتماعية وإدارية بشكل تجزيئي وكذلك التأكيد على الجوانب المدنية وخاصة عند ابن حوقل والمقدسي.

أما بالنسبة للتنوع في الكتابة البلدانية، فإنها قد تعددت مع مرور الزمن، فبعد أن كانت المصنفات البلدانية تتناول أسماء البلدان والأقطار والمدن وطرق المواصلات فيما بينها وهذه عرفت بكتب (المسالك والممالك). ثم ما لبث أن تطورت إلى الاهتمام بالجوانب الطبيعية والبشرية كما في الكتب التي تحمل عناوين (صورة الأرض) و (الأقاليم) و (حسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)، ثم انتقلت إلى التركيز على أقطار أو مدن معينة والتفصيل فيها مثل ما هو الحال في كتاب (صفة جزيرة العرب) للهمذاني[1] وكتاب وصف الهند للبيروني وكتاب الإفادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي اللذين سبق ذكرهما.

وفي المرحلة التالية توسعت اهتمامات البلدانيين لتأخذ مصنفاتهم طابعاً شمولياً بحيث يغطي البلدان الإسلامية وغيرها، كما في (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي[2] على الرغم من أن ذلك لا يعني أن البلدانيين السابقين لم يتطرقوا إلى البلاد غير الإسلامية البتة.

وقد ظهر نمط آخر من الكتب البلدانية ويتمثل في المعاجم ونقصد بها بالدرجة الأساس (معجم ما استعجم) لأبي عبيد البكري و (معجم البلدان) لياقوت الحموي. كما ويجب أن لا ننسى وجود نمط آخر من الكتب الذي قد يكون أقل أهمية من الأنماط السابقة والمتمثل بالكتب الكوزموغرافية التي تتناول عجائب وغرائب مما شاهده أو سمع عنه صاحب الكتاب، حيث الكثير من الخرافات والأساطير مثل كتاب (تحفة الألباب ونخبة الإعجاب) للغرناطي[3].

---

[1] - أبو الحسن الهمذاني، نسبة إلى إحدى قبائل جنوب الجزيرة العربية، معلوماتنا عنه ضئيلة، لكنه ولد ونشأ في صنعاء وزار مكة وتوفي عام (334 هـ/945م). كان بلدانياً ونساباً، من مؤلفاته (صفة جزيرة العرب) و كتاب (الإكليل). ينظر: كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص172.

[2] - سيأتي الحديث عنه لاحقاً.

[3] - أبو حامد الغرناطي الأندلسي (473 – 565 هـ/1080 – 1170م): أحد الرحالة الأندلسيين قام منذ عام (508 – 1114م) برحلات وأسفار عدة شملت مصر وبعض جزر البحر المتوسط

وفيما يتعلق بأساليب مصنّفي الكتب البلدانية وصيغ كتابتها فإنها تتوعت وفق تنوع مقاصدهم، فكتب الموسوعات مثلاً ومن ضمنها كتب المسعودي فقد كانت تحوي معلومات جغرافية وصفية عامة دون التقيد بضوابط جغرافية معينة، إذ الغالب عليها المعلومات التاريخية حيناً[1]، والقصص الأدبية والحكايات حيناً آخر[2] كما أنها قد تتناول بلداً ما أو مدينة معينة بشيء من التفاصيل[3] وقد تختصر في الأخرى[4] وهكذا الحال فيما يخص البحار والأنهار[5] ومهما يكن فإن ما يمكن قوله أن تلك الكتب تحتوي على معلومات ذات الصفة الجغرافية العامة.

أما كتب المعاجم فإنها هي الأخرى تتناول جوانب مفصلة عن البلدان والمدن ومعالمها الطبيعية مع اهتمام واضح بالوقائع التاريخية البارزة فيها. في حين ركزت الكتب الكوزموغرافية على الظواهر أو الأمور التي اختص بها بعض البلدان والمناطق دون غيرها. والتي تجاوزت في غالب الأحيان حدود العلم والمنطق لتجد نفسها في محيط الخرافات والأساطير، غير أن هذا لا يعني خلوها البتة من معلومات سليمة عن بعض المناطق.

وأخيراً فلا نشك أن فضل البلدانيين والرحالة كبير على شتى صنوف المعرفة، وإن أهمية مصنفاتهم تجعل من الضروري أن تدرس على نحو وافٍ عند كل بحث ينجز سواء في التاريخ الاقتصادي أو النظام السياسي أو التاريخ الاجتماعي للأمم الإسلامية ومن بينها الأمة الكردية التي كان لها حضورها الواضح سياسةً وحضارةً في مختلف حقب التأريخ الإسلامي. وإن بوسع الباحث استخراج شتى الحقائق وصنوف المعرفة منها، وبشكل يطمئن على نتائج بحثه لا سيّما إذا ما أقبل على دراسة المعلومات التي أوردها عن بصيرة ثاقبة وعين ناقدة.

وبلاد إيران وما وراء النهر والبلقان، قضى أيامه الأخيرة في بغداد والموصل ودمشق التي توفي فيها. يرجح أن كتابه تحفة الألباب ألف عام 557هـ بالموصل بتوصية من أحد العلماء الكبار. ينقسم الكتاب إلى خمسة فصول يتناول كلها عجائب الدنيا برها وبحرها، إنسها وجنها، حيوانها ونباتها وجمادها.

1- ينظر على سبيل المثال: مروج الذهب، ص 53 – 54، ص 204 – 210، ص 231 – 235.

2- المصدر نفسه: ص 82 – 89، ص 213 – 222، ص379 – 385.

3- المصدر نفسه: ص 230، ص 65 – 69، ص 127.

4- المصدر نفسه: ص 131، ص 135، ص 183.

5- المصدر نفسه: ج1، ص 111 – 141.

دوافع اهتمام المسلمين بالرحلات والدراسات البلدانية

إن وفرة المصنفات البلدانية وكثرة الرحلات التي قام بها المسلمون، تدفعنا إلى ضرورة معرفة الدوافع الكامنة وراء ذلك، لا سيّما إذا ما علمنا أنه كان للبلدانيين والرحالة مقاصد وغايات من تصانيفهم، كأن تكون دينية أو اقتصادية أو سياسية أو علمية.. الخ. وسأكتفي بذكر أبرز العوامل اختصاراً[1]:

1- احتضان الإسلام للعلم وحثه على انتشاره والأخذ بالنافع منه، ومن المعلوم أن في القرآن الكريم آيات عدة تدعو إلى التأمل والتدبر في خلق السموات والأرض وما فيهن، وكذلك السير في الأرض والجوب في البلدان للإطلاع على أوضاعها ومصائر أقوامها، كما ورد ذكر عدد من البلدان والأقوام والمدن وكذلك المعالم الطبيعية من جبال وأنهار وغيرها في آيات وأحاديث نبوية كثيرة.

2- كان للفتوحات الإسلامية أثر كبير في الاهتمام بالبلدان والمسالك والممالك والإطلاع عليها وعلى شعوبها، ومعرفة نوع فتحها، أفتحت صلحاً أم عنوة، لأن لكل حكمه الخاص في الشريعة الإسلامية في قسمة الفيء وأخذ الجزية والخراج وغير ذلك من الآثار المترتبة على الفتح. وعلى هذا الأساس كانت السلطة المركزية المتمثلة بدولة الخلافة حريصة على دراسة أحوال البلاد المترامية الأطراف والتي كانت مجتمعة تحت لواء الخلافة، وذلك بغية تقدير الضرائب بشكل دقيق، يكون معه نظام الحكم نظاماً سليماً.

3- أدى توسع حدود الدولة الإسلامية في العهود المختلفة وبخاصة على أثر عمليات الفتح، إلى اتساع نطاق التجارة وانتشارها في الأقطار شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً، وبالتالي ساعد ذلك زيادة الاهتمام بالبلاد التي تتاجر معها كذلك الطرق التجارية التي تغاير مسالك الغزاة والمقاتلين.

4- حب الرحلة في طلب العلم الذي شاع أمره بين المسلمين، مما ساعد على تقديم المعرفة الجغرافية، فوضع طبقة من أهل المعرفة كتباً في الجغرافية، دونوا

---

[1]- للتفاصيل بهذا الشأن ينظر: رضا كحالة، التاريخ والجغرافية في العصور الإسلامية، دمشق1972، ص 216 – 217؛ أحمد سوسة، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، بغداد1974، ق1، ص 105 – 106؛ محمد صبحي عبد الحكيم وطاهر عبد الحميد الليثي، علم الخرائط، مكتبة الإنكلومصرية، 1969، ج1، ص 19 – 22.

فيها ما عرفوا من البلاد وما سمعوه عن أخبارها أخذاً ونقلاً عن الرحالة والتجار والحجاج وأهل السير والآثار، ومن ثم أخذ علماء تقويم البلدان يصنفون الكتب الجغرافية، فمنهم من قصد بتصنيفهم ذكر البلدان المشهورة والأماكن المعمورة، ومنهم من قصد بتصنيفه ذكر البوادي والقفار مقتصراً على منازل العرب الواردة في أخبارهم وأشعارهم، ومنهم من برع في الجغرافية الوصفية للممالك والبلدان والأصقاع والبلدان الإسلامية أكثر من بلدان النصارى وغيرهم، حيث غالباً ما كانوا يمتنعون عن الرحلة إليها لتفهم عادات وتقاليد أهلها واستقصاء أوضاعهم وطبائعهم، وإن ما أوردوه عنها في بعض المواضع جاء مجانباً للحقيقة وذلك للجهل بلغات تلك الأمم والشعوب وعدم تمكن أولئك الرحالة والبلدانيين من الامتزاج بهم لأسباب عدة.

5- كانت الرحلة لأداء فريضة الحج من أهم العوامل التي ساهمت في تقديم حركة الرحلات وازدهارها . فمن المعلوم أن المسلمين يتوجهون سنوياً من شتى أصقاع العالم الإسلامي إلى مكة والمدنية لتأدية هذه الفريضة، وكان بعض الحجاج عند عودتهم إلى بلدهم يدونون مشاهداتهم ويصفون ما مروا به من البلدان.

وتتجلى هذه الحالة في كتابات رحالة كثيرين أمثال ناصر خسرو الذي وصف لنا عدداً من المدن التي مرّ بها، وأحياناً عقد مقارنات دقيقة بين أحوال تلك البلدان بعضها مع بعض، ووصف طبيعتها وشؤونها الاقتصادية والمالية وأوضاعها الاجتماعية وغير ذلك. وكذلك الحال مع ابن جبير والإدريسي وسيأتي ذكرهم في الفصل التالي بشيء من التفصيل.

الفصل الأول

البلدانيون والرحالة المسلمون ومصنفاتهم البلدانية وموقع الكرد فيها

أولاً: بلدانيو ورحالة القرنين الثالث والرابع الهجريين

ثانياً: بلدانيو ورحالة القرن الخامس الهجري

ثالثاً: بلدانيو ورحالة القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجريين

يستعرض هذا الفصل أبرز البلدانيين والرحالة المسلمين ولا سيّما الذين شاء القدر أن تبقى مصنفاتهم صامدة أمام عوادي الدهر، وكذلك الجوانب الهامة والبارزة من سيرهم الذاتية مع التأكيد على الرحلات والأسفار التي قاموا بها أو التمييز بين من كان بلدانياً جوّالاً، أي ألف كتابه على أساس رحلاته وما يجنى منها من معلومات، وبين من كان بلدانياً فحسب، أي أنه ألف كتابه اعتماداً على مقولات من سبقه من البلدانيين والرحالة.

ويجدر التنويه في هذا المقام أن المعلومات الواردة حول البلدانيين والرحالة في كتب السير والتراجم والطبقات ضئيلة بشكل عام، إذا ما قورنت بما ورد عن أصحاب العلوم والمعارف الأخرى على الرغم من أن عدداً منهم لم يكونوا بلدانيين فحسب وإنما كانت لهم اهتمامات معرفية أخرى كما سيتضح لنا ذلك فيما بعد، وقد يكون مرد ذلك إلى كتّاب السير والتراجم أكدوا على سير النابغين في العلوم الدينية كعلوم القرآن والحديث والفقه واهتموا بهم أكثر من غيرهم وذلك لشرف تلك العلوم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كثرة تجوال البلدانيين الرحالة بين الأصقاع والبلدان وانتقالهم من مكان إلى مكان باستمرار، لعب دوره في عدم أخذهم بالحسبان لدى الكتاب ووقوعهم طي الكتمان والنسيان إلى حد ما، أضف إلى ذلك أن الكثير من المصنفات البلدانية وغيرها قد ضاعت لسبب أو لآخر، أو على الأقل أنها بعيدة عن متناول أيدينا في الوقت الحاضر ولو حفظت فأنها كانت تعيننا للإطلاع على معلومات أخرى وعلى جوانب مجهولة من سيرهم وتأريخهم ونتاجاتهم.

إن هذا لا يعني التطرق إلى كل ما بقي من معلومات في مصادرها المختلفة عن البلدانيين، الذين يدخلون ضمن نطاق البحث، لأنها على الرغم من ضآلتها مقارنة بأصحاب المعارف الأخرى، فإنها أوسع من أن تتحملها دراسة واحدة. ولذلك فإننا سنتطرق إلى جوانب هامة وعلامات بارزة من سيرتهم دون الدخول في التفاصيل، وكذلك الحال فيما يخص مصنفاتهم حيث تم التأكيد على البلدانية منها مع استعراض بعض مضامينها والخطوط العريضة فيها ودوافع تأليفها.

ومن جانب آخر يلاحظ في هذا الفصل نوع من التفاوت الكمي خلال معالجة البلدانيين ونتاجاتهم لما أخذ بنظر الاعتبار مدى أهمية كل بلداني ومصنفه في البلدان.

ومن خلال المتابعة والاستقراء لوحظ أن عدداً كبيراً من البلدانيين الذين

شملهم هذا البحث، هم من الفرس، بل أن أول بلداني بقي أثره من خلال مختصر مصنفه في المسالك و الممالك هو فارسي، وهو الذي يعود إلى النصف الأول من القرن الثالث الهجري والذي يمثل بداية الإطار الزمني لهذه الدراسة.

ولعل ذلك يعود إلى العمق الحضاري للفرس عرقاً وبلاداً، حيث كانوا قبل الإسلام يشكلون إحدى القوتين العظيمتين، وقد ارتقوا مراتب عالية في معظم ميادين المعرفة، وعندما دخل الإسلام بلادهم تفاعلوا مع معطيات الحضارة الجديدة والفكر الجديد، وسعوا حثيثاً في المساهمة في بناء هذا الصرح الجديد الذي لا يقتصر على أمة دون أخرى أو عرق دون آخر، وإنما كان المجال مفتوحاً أمام الجميع ليدلو كلٌ بدلوه، وبما أن الفرس كان لهم السبق الحضاري كان الأجدر بهم أن يثروا روافد الحضارة الإسلامية، معربين عن رغبتهم الشديدة في التفاعل والتأثير والتأثر من خلال الإطلاع على ما أتى به العرب الذين تغير نمط حياتهم جذرياً بحمل رسالة الإسلام ونشرها في أرجاء المعمورة. وكان ردّ فعل الفرس بشكل عام إيجابياً من الناحية الحضارية، فنبغوا من جديد في شتى الميادين وقدموا خدمات جليلة للحضارة الإسلامية التي جمعت بين عطايا مختلف الأجناس والشعوب التي اعتنقت الإسلام.

أما الكرد، فأنهم منذ أن دخلوا الإسلام تفاعلوا إيجابياً مع الدين الجديد، وطروحات الحضارة الإسلامية، إذ برز من بينهم عدد من العلماء الفضلاء والأدباء وغيرهم، لكن ذلك جاء متأخراً نسبياً مقارنة بالفرس، لأن معظم بلاد الكرد قبل الإسلام كانت خاضعة للفرس (سياسةً وحضارةً) مما أفقدهم إمكانياتهم الحضارية أو أضعفها على الأقل وجعلها تذوب في كيان حضاري مغاير.

وفيما يتعلق بموضوع الفصل هذا، فإننا لم نجد بلدانيين ورحالة كرداً ممن ذكرت أسماؤهم أو وصلتنا مصنفاتهم البلدانية، ولعلّ عدم اهتمام الكرد بالبلدان والرحلات يعود إلى طبيعة بلادهم الجغرافية التي يغلب عليها الطابع الجبلي الذي يعيق كثيراً الاتصال بالغير، ويحصر التعامل البشري والاجتماعي والاقتصادي في محيط ضيّق، مما أدى إلى عدم الرغبة في القيام بالرحلات والأسفار للإطلاع على أحوال غيرهم، وأوضاع البلدان الأخرى ولا شك أن وجود مثل تلك الرغبة هو العامل الأساسي لظهور البلدانيين فضلاً عن الحاجة إلى الاتصال بالآخرين بالنسبة للكرد وكان كلا العاملين منعدمين آنذاك.

كما ويشار في نهاية الحديث عن كل بلداني إلى عدد المرات التي ذكرت فيها لفظة (الكرد) في كتابه دون الدخول في التفاصيل التي وجدت مكانها في الفصول التالية.

أما مصادر البلدانيين والرحالة حول الكرد وبلادهم، فهي تتراوح بين المشاهدة والسؤال وكذلك الاستفسار والسماع وقراءة الكتب وأخيراً السجلات الرسمية التي كانت في متناول بعضهم، ممن كانوا يشغلون وظائف إدارية كابن خرداذبة وابن رسته والجيهاني وغيرهم.

ومن البديهي أن يعتمد البلداني الرحالة فيما يكتبه على مشاهداته وانطباعاته لدى تجواله بين الأقاليم والمدن، وبالتالي فإن البلدانيين الرحالة استطاعوا جمع المعلومات التي من الصعب الحصول عليها عن طريق السماع والنقل فقط، وإنما تكون عن طريق دراستها على أرض الواقع ومعلوم أن ذلك يتطلب الزيارة والمعاينة مصداقاً لقول الرسول الكريم (ص): «وليس الخبر كالمعاينة". وقد أكد المسعودي على هذه الناحية بقوله: "مستعلمين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة»[1].

كما صرح المقدسي بأن المعلومات الغزيرة التي وردت في كتابه إنما هي ناتجة عن تجواله ومعايناته، بقوله: «وما تم لي جمعه إلا بعد جولاتي في البلدان ودخولي أقاليم الإسلام، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها، ودوراني على التخوم حتى حررتها، وتنقلي إلى الأجناد حتى عرفتها، وتفتشي عن المذاهب حتى علمتها، وتفطني في الألسن والألوان حتى ربتها، وتدبري في الكور حتى فصلتها وبعثي عن الأخرجة حتى أحصيتها ..»[2]. وكان السؤال والاستفسار أحد مصادر معلومات البلدانيين – كما سبق ذكره – وقد عبر عن ذلك صراحة المؤرخ البلداني اليعقوبي بقوله: « .. فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره، فإذا ذكر لي محل داره وموضع قراره سألته عن بلده ذلك في .. زرعه ما هو، وساكنيه من هم، من عرب أو عجم، ... حتى أسأل عن لباسهم.. ودياناتهم ومقالاتهم.. ثم أثبت كل ما يخبرني به من أثق بصدقه»[3]. وعلى قدر تعلق الأمر بالبلدانيين الذين لم يعتادوا الرحلات فإن اعتمادهم في المعلومات التي دونوها في كتبهم، على

---

[1] – مروج الذهب، ج1، ص10.
[2] – أحسن التقاسيم، ص16.
[3] – البلدان، ص5.

الكتب البلدانية التي سبقتهم، فكانوا يختارون منها ما يشاؤون، ويسهبون أو يختصرون، أو ينقلون حرفياً بعض المعلومات من أمثال قدامة بن جعفر وصاحب كتاب (حدود العالم) والبكري وغيرهم.

وهذا لا يعني أن الرحالة لم يستفيدوا من الكتب إطلاقاً، واقتصر اعتمادهم على المصادر الأخرى التي سبقت الإشارة إليها، حيث أنهم لا شك استفادوا بشكل أو بآخر من كتب سابقيهم على الرغم من أن جلّ اعتمادهم كان على مشاهداتهم وانطباعاتهم عن البلدان وما فيها. وفيما يلي عرض لأولئك البلدانيين والرحالة الذين تضعهم حقبة هذه الدراسة تباعاً.

أولاً: بلدانيو ورحالة القرنين الثالث والرابع الهجريين

ابن خرداذبة (ت حوالي 300 هـ/ 913م)

أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد المشهور بابن خرداذبة[1] ولد أوائل القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي. كان جده، مجوسياً بل من رؤسائهم[2] فأسلم على يد البرامكة[3]، وكان أبوه يتولى منصباً كبيراً وهو ولاية طبرستان[4] حيث فتحت في عهده عدة مناطق من بلاد الديلم وكذلك جبال جرجان الواقعة بين طبرستان وخراسان وكان ذلك في سنة (201 هـ/ 860م)[5].

1- ابن النديم، الفهرست، (بيروت: د/ت)، ص149؛ البغدادي، هدية العارفين (استانبول: 1951)، أعادت طبعه بالاوفست منشورات مكتبة المثنى (بغداد: د/ت)، مج1،ص645.

2- عباس العزاوي، تاريخ الجغرافية أو كتب البلدان، مخطوطة موجودة في دار صدام للمخطوطات تحت رقم 32، ورقة14.

3- البرامكة، أسرة فارسية مقرّبة من بلاط الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 – 193 هـ/786 – 808م) ومن بين أبرز رموزهم يحيى بن خالد وأبناؤه وهم الفضل وجعفر وموسى ومحمد. وكانوا يتولون مناصب هامة في الدولة وقدموا للعباسيين خدمات جليلة، ولكن ما لبث أن انقلب الرشيد عليهم فجأة فقتل جعفر بن يحيى وسجن يحيى وابنه الفضل، وصادر أملاكهم وأموالهم، وذلك لعدة أسباب أهمها خوفه من تزايد نفوذهم. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك (بيروت، 1967)، ج8، ص230؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي (بيروت، 2000)، ج5، ص 147 – 148.

4- طبرستان: منطقة جبلية عالية يتألف معظمها مما يعرف اليوم بجبال البرز الممتدة بمحاذاة الساحل الجبوبي لبحر قزوين، لستر نج، بلدان الخلافة الشرقية (بغداد: 1954)، ص409.

5- الطبري، مصدر سابق، ج8، ص556.

ولا تمدنا كتب السير والتراجم والتاريخ بمعلومات وافية عن هذا البلداني الرائد، سوى أنه كان يشغل منصباً إدارياً هاماً بإقليم الجبال وهو وظيفة (صاحب البريد والخبر)[١] ولكن دون تحديد الفترة الزمنية التي كان يشغل فيها هذه الوظيفة[٢] أما مصنفاته، فقد نسب إليه ابن النديم عدة كتب في مجالات معرفية مختلفة، وهي كتاب أدب السماع، وكتاب جمهرة أنساب الفرس والنوافل، وكتاب الطبيخ، وكتاب اللهو والملاهي، وكتاب الشراب، وكتاب الأنواء وكتاب الندماء والجلساء[٣]، كما ألمح المسعودي إلى كتاب له في التأريخ، فيه أخبار لأمم قبل الإسلام[٤].

ولسوء الحظ فإن تلك الكتب لم يبق منها سوى كتابه في المسالك والممالك. كما أورد له المسعودي مقالة ألقاها أمام المعتمد حول الأدوات الموسيقية والغناء والإيقاع والرقص[٥]، إذ يعود الفضل في تعلمه الموسيقى إلى صديق والده الحميم اسحق الموصلي[٦].

أما كتابه (المسالك والممالك) فهو الكتاب الوحيد الذي تم العثور عليه — كما سبق الذكر — وهو أول كتاب إسلامي يحتوي على مقالات جغرافية ويعد من أقدم الكتب الجغرافية التي ظهرت في اللغة العربية[٧].

1- ابن النديم، مصدر سابق، ص149؛ نيقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، ص18.

2- نيقولا زيادة، الجغرافيا والرحلات، ص18؛ أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون (القاهرة: د/ت)، ص55؛ دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن خرداذبة، ج1، ص268.

3- الفهرست، ص149.

4- مروج الذهب، ج1، ص14.

5- المصدر نفسه، ج4، ص220.

6- اسحق الموصلي: من أعظم المغنين في العصر العباسي، عاش في القرن الثالث الهجري/ الثامن والتاسع الميلادي، وهو ابن إبراهيم الموصلي. كان متقن الصنعة، عالماً بأحوال النغم وطرائق الإيقاع، يقول الشعر ويلحنه، له ألحان كثيرة جيدة ومنها لحنه في شعر ابن ياسين: الطلول الدوارس فارقتها الأوانس.

قال ابن المكي: "لو لم يكن من بدائع اسحق غير هذا الصوت لكفى، فقد غنّى فيه استهلالاً وبسيطاً وصاح وسجع ورجع النغمة واستوفى هذا كله في أربع كلمات". ينظر: حسين سعيد، الموسوعة الثقافية (القاهرة – نيويورك، 1972)،ج1،ص78.

7- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام (القاهرة، 1964)، ج2، ص351.

ويرى دي غويه الذي نشر هذا الكتاب أن ابن خرداذبة ألف كتابه سنة (232 هـ/ 846 – 847م) وهي السنة الأخيرة لحكم الخليفة الواثق (227 – 232 هـ/ 842 – 847م)، وأنه ظل يضيف إليه بعض الإضافات إلى أن ظهرت له نسخة ثانية سنة (272 هـ/ 885 – 886م) وهذا ما يراه الأغلبية[١].

ويذهب دي غويه أن الكتاب الذي بين أيدينا لا يمثل النسخة الكاملة وإنما يمثل موجزاً متأخراً وجد من خلال مخطوطتين فقط[٢].

وفي حقيقة الأمر لم يكن هناك كتاب بلداني أوسع انتشاراً في أواخر القرن الثالث الهجري من هذا الكتاب[٣] ومع ذلك لا يمكن تحديد ما تم الاستعانة به من هذا الكتاب لفقدان النسخة الأصلية له[٤].

وتكمن أهمية الكتاب في أن صاحبه اعتمد على الوثائق الرسمية وسجلات الدواوين والمعلومات المتوفرة في ديوان الخلافة، بحكم موقعه الوظيفي كصاحب البريد بنواحي الجبال. ومن هنا فإن ما أورده يتسم بالدقة بشكل عام، وخاصة فيما يتعلق بالمسافات بين المدن والنواحي وكذلك ما يتعلق بالشؤون المالية، وقد أكد المقدسي ذلك بقوله: "إن ابن خرداذبة كان وزيراً للخليفة وأقدر على ودائع خزانة أمير المؤمنين"[٥].

ولا يستبعد أن يكون ابن خرداذبة قد استفاد من كتاب تأريخي فارسي كان يتناول إيران القديمة لكونه فارسياً وميسوراً[٦].

ونظراً لأهمية الكتاب فقد حظي باهتمام البلدانيين الذين أعقبوه، واعتمدوا عليه مصدراً أساسياً للمعلومات التي ضمنوها كتاباتهم كاليعقوبي وابن رسته وابن حوقل والمقدسي والجيهاني والمسعودي وغيرهم، فكان «إماماً في التأليف متبرعاً

---

[1]- كراتشكوفسكي، مرجع سابق،ق، ص156. مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص8؛ دائرة المعارف الإسلامية (مادة ابن خرداذبة)، ص268. لستر نج، مرجع سابق، ص26 – 27.

[2]- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص156.

[3]- إبراهيم شوكت، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي (بغداد، 1990)، ص82.

[4]- Hudud Al Alam. P.13.

[5]- أحسن التقاسيم، ص21.9

[6]- حمال الفندي، الجغرافيا عند المسلمين (بيروت، 1982)، ص118.

في ملاحة التصنيف، اتبعه من يعتمد عليه، وأخذ هذه ووطئ على عقبه وقفا أثره»[1] وقال أيضاً: «من كتبه النفيسة كتابه في المسالك والممالك وغير ذلك مما إذا طلبته وجدته وإن تفقدته حمدته»[2].

أما المقدسي فيظهر أنه عند مطالعته كتاب الجيهاني، وجد أنه «قد احتوى على جميع أصل ابن خرداذبة»[3] ولكنه في الوقت نفسه نجده في موضع آخر من كتابه يقلل من شأن كتابي ابن خرداذبة والجاحظ فيقول: «وأما الجاحظ وابن خرداذبة فإن كتابيهما مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة»[4].

وفيما يخص أهمية ابن خرداذبة وأهمية كتابه أيضاً عبّر مينورسكي عن تأثيره على غيره بقوله: «ولا يبدو على أي جغرافي جاء من بعد ابن خرداذبة أنه استطاع أن يتخلص من تأثيره»[5]. ووصف كراتشكوفسكي الكتاب بأنه: «يمتاز بأهمية كبرى»[6]، وذكر تيشنر أن ابن خرداذبة يعد بحق أبا الجغرافية لكونه وضع نمطاً وأسلوباً للجغرافية، خاصة وأن الكتاب يزودنا بمعلومات تاريخية مستقاة من المصادر الفارسية عمّا قبل الإسلام[7].

كما أشاد (أحد الباحثين الفرنسيين) بكتاب المسالك والممالك، وأورد في كتابه نصوصاً منه للدلالة على أهمية متضمناته[8].

ويظهر من مقدمة الكتاب أنه ألفه تلبيةً لمتطلبات الدولة وبناءً على أسئلة واستفسارات الخليفة، فجاء منها: «أطال الله بقاءك يا ابن السادة الأخيار والأئمة الأبرار، منار الدين وخيرة الله من الخلق أجمعين، وأدام الله لك السعادة وكثّر لك الزيادة من جميع الخيرات، ووفقك لسبيل الصالحات وجعلك ممن ارتضى أفعاله وزيّن أحواله. فهمت الذي سألت أفهمك الله جميع الخيرات، وأسعدك إلى الممات،

---

1 - مروج الذهب، ج1، ص13.

2 - التنبيه والإشراف، ص75.

3 - أحسن التقاسيم، ص21.

4 - المصدر نفسه، ص22.

5 - الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص8.

6 - تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص158.

7 - دائرة المعارف الإسلامية، مادة جغرافيا، ج12، ص118.

8 - بلاشير منتخبات من آثار الجغرافيين في القرون الوسطى مع نظرة إجمالية في الجغرافية عند العرب (باللغة الفرنسية)، (باريس: 1957)، ص18، ص21 – 25.

وأفلح في الدارين سهمك، ووفَّر فيها قسمك من رسم إيضاح مسالك الأرض وممالكها وصفتها وبعدها وقربها، وعامرها وغامرها، والمسير بين ذلك منها من مفاوزها[1] وأقاصيها ورسوم طرقها وطسوقها[2] على ما رسمها المتقدمون منها، فوجدت بطليموس[3] قد أبان الحدود وأوضح الحجة في صفتها بلغة أعجمية فنقلتها عن لغته باللغة الصحيحة لتقف عليها[4]، وقد رسمت رسم لم فوز الحق في جميع مأمولك ومطالبك ما رجوت أن يكون محيطاً بمطلوبك وآتياً على إرادتك كالمشاهد لما نأى والخبر بما قرب وصنعته كتاباً..»[5].

ومن الملاحظ أن ابن خرداذبة لم يتبع طريقة منهجية واضحة المعالم في تنظيم الكتاب وتبويبه، مما يوحي بأن الكتاب المتداول ليس إلا مختصراً للنسخة الأصلية المفقودة من الكتاب، وإن القائم على اختصاره اختار مواضع متفرقة ليختصرها – كما سبق القول –.

ويحوي الكتاب معلومات هامة عن نظم الحكم والنظام المالي على وجه الخصوص، وكان بمثابة دليل يهتدي به المسافرون لمعرفة الطريق البحري الذي يبدأ من مصب نهر دجلة ويصل إلى الهند والصين؛ كما يشتمل على إحصاءات وبيانات هامة ووافية عن خراج البلاد وطرقها والمسافات بينها، فضلاً عن أنواع السلع المتبادلة والمتاجرة بها بين الأقاليم والمدن[6].

1- مفاوز: جمع مفازة، وهي الأرض التي لا نبت فيها. القاموس المحيط، مج4، ص375.

2- طسوق: جمع طسق، وهو مكيال أو ما يوضع من الخراج على الجربان أو شبه ضريبة معلومة، بطرس البستاني، محيط المحيط، ص121.

3- بطليموس (ت: بعد 161م): كان عالم فلك ورياضة وجغرافيا وفيزياء ومؤرخ، يوناني مصري، نشأ بالإسكندرية. اكتشف عدم انتظام حركة القمر، وله أرصاد هامة عن حركات الكواكب، عدّت أعماله في الفلك والجغرافية مرجعاً أساسياً حتى أيام كوبرنيكوس، فكتابه (المجسطي) يضم مسائل وتفسيرات للأجرام السماوية وعلاقتها بالأرض. ينظر: حسين سعيد، مرجع سابق، ج1، ص217. وكتاب بطليموس هذا هو الذي استخرج منه الخوارزمي الكتاب المعروف بصورة الأرض، نسخه وصححه هانس فريك، (فيينا :1926).

4- هذه العبارة تفيد استفادة ابن خرداذبة من كتاب بطليموس لا الترجمة الكاملة له كما يرى البعض، ينظر: ضياء الدين علوي، الجغرافية العربية في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين/ الثالث والرابع الهجريين، (الكويت: 1980)، ص63.

5- المسالك والممالك، ص13.

6- أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص56.

ولم يقتصر الكتاب على وصف الطرق وتحديد المسافات بل تضمن أقساماً عديدة يبدو أنها زيادات متأخرة أضافها صاحبه إلى كتابه في فترات متفرقة، مثل حديثه عن تقسيم الأرض وعن عجائب العالم من المباني والجبال والأنهار وغيرها. ثم ينتهي الكتاب بشكل غير متوقع مما يبعده ذلك عن المنهجية.

وبعبارة أخرى يمكن القول بأن الكتاب يحتوي على مادتين مختلفتين تمام الاختلاف، الأولى: عرض مجرد للمادة الرسمية والتي تمتاز بأهمية فائقة، والثانية: مادة تحتوي على جملة من الغرائب والعجائب الجغرافية دون أن يشعر القارئ بوجود أية محاولة لصهر هذه المادة وجعلها في سياق متجانس.

وبخصوص «الأكراد» في الكتاب فإنه لم يرد ذكرهم صراحة سوى ثلاثة مرات[1].

أما بالنسبة لوفاة ابن خرداذبة فقد رجح حاجي خليفة أنها كانت في حوالي عام (300 هـ/ 913م)[2].

البلاذري (ت 279 هـ/ 892م)

أحمد بن يحيى بن جابر بن داود الملقب بالبلاذري[3]، ولد في أواخر القرن الثاني للهجرة، عرف كمؤرخ وبلداني ونسابة[4].

وقد نشأ البلاذري، وترعرع في حاضرة الخلافة العباسية، وتلقى العلوم على أيدي شيوخها، وكان له حضوره في الحلقات العلمية في الحديث والسير والأدب[5].

وكدأب غيره من طلاب العلم فإن البلاذري لم يكتف بما تلقاه من العلوم على أيدي علماء بغداد، بل شدّ الرحال متوجهاً نحو الشام ومدن الثغور (حيث زار

1- ينظر: المسالك والممالك، ص27، ص51.

2- كشف الظنون، مج2، ص1665.

3- لأنه كان يكثر من أكل البلاذر والذي أودى بحياته، والبلاذر نبات ثمره أشبه بنوى التمر، ولبه مثل لبّ الجوز وقشره متخلخل ويقال إن الإكثار منه يؤدي إلى الجنون، ابن النديم، مصدر سابق، ص113. ياقوت، معجم الادباء (بيروت: 1980)، ج2، ص128.

4- ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ص128، جغرافيون إسلاميون، مجلة الفيصل، (الرياض:1989)، العدد (150)، ص107.

5- حول شيوخه وتلامذته، ينظر: العسقلاني، لسان الميزان، (حيدر آباد الدكن: 1329 هـ)، ج1، ص322.

جميع المدن الواقعة في شمال الشام، ثم تحول منها إلى البلاد الواقعة ما بين النهرين وهي المسماة بالجزيرة)[١] وكان يجمع خلال رحلاته الروايات التي كان يسمعها من أهالي تلك البقاع ليقارنها بما حفظه من علماء بغداد[٢]، ولاشك أن ما كان يحصل عليه من معلومات، أفاده كثيراً في كتابه فتوح البلدان[٣].

وقد أشاد ياقوت الحموي بمكانته العلمية والأدبية عندما وصفه بأنه كان "عالماً فاضلاً شاعراً مجيداً متقناً"[٤]، ويظهر أن مكانته تلك جعلته مقرباً من البلاط العباسي، فكان من ندماء الخليفة المتوكل (232 – 247 هـ/ 846 – 861م) ومن مقربي المستعين (248 – 252 هـ/ 862 – 866م)، وعهد إليه المعتز (252 – 255 هـ/ 866 – 868م) تعليم ابنه عبد الله الذي كان شاعراً وأديباً[٥] وأصبح خليفة ليوم واحد فقط في عهد الخليفة المقتدر بالله.

بقي من آثار البلاذري كتابان على جانب كبير من الأهمية وهما (الأخبار والأنساب) أو (أنساب الأشراف) ويعرف بـ (تاريخ البلاذري)، و (فتوح البلدان) ولكن ابن النديم نسب إليه كتابين آخرين، وهما كتاب البلدان الصغير، وكتاب البلدان الكبير الذي لم يكتمل في حياته[٦]، ولا يستبعد أن يكون هذان الكتابان من نمط كتب المسالك والممالك أو كتب البلدان، على الرغم من أن بعض الباحثين يرون أن كتابه (فتوح البلدان) ليس سوى مختصر لكتاب البلدان الكبير[٧].

وما يهمنا هنا هو كتابه (فتوح البلدان) الذي لا يعرف بالتأكيد تأريخ تأليفه إلا أن أحد الباحثين يرجح سنة (255 هـ/ 868م) لتكون سنة الانتهاء من تأليفه و هي السنة التي قتل فيها الخليفة المعتز، لأنه لم يذكر بعد المعتز أحداً ممن تولى الخلافة[٨].

1- ابن النديم، مصدر سابق، ص113.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- صلاح الدين المنجد، أعلام التاريخ والجغرافية، دار الكتب الجديد، (بيروت: 1963)، ص26.

4- معجم الأدباء، ج2، ص128.

5- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص161.

6- الفهرست، ص126.

7- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص162. أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، مرجع سابق، ص69. المنجد، مرجع سابق، ص26.

8- المنجد، مرجع سابق، ص31.

وعلى الرغم من أن كتاب فتوح البلدان يغلب عليه الطابع التاريخي لكنه في الحقيقة أقرب إلى دراسة بلدانية، حيث قدم البلاذري فيه صورة واضحة – إلى حد كبير – للتقسيمات الإدارية والسياسية للدولة الإسلامية. ونقل عنه العديد من البلدانيين الذين ظهروا بعده كالاصطخري وابن حوقل[1] وغيرهما بالإضافة إلى قدامة بن جعفر الذي أوجز ما أورده البلاذري بشأن الفتوحات في كتابه الخراج، وكما تكتسب مادة الكتاب أهمية كبيرة من ناحية الجغرافية التاريخية[2].

ويعدّ كتابه هذا من أكثر المصادر التاريخية ثقة فيما يتعلق بالفتوحات الإسلامية، ولا سيّما وأنَّ كتاب المدائني الذي نقل البلاذري عنه الكثير من الروايات، لم يصل إلينا[3]. وقال المسعودي: «لا نعلم في فتوح البلدان أحسن منه»[4] كما أنه يسد بعض الحاجات الفقهية والإدارية[5].

وفيما يخص الكرد وبلادهم، فقد أورد البلاذري روايات عديدة عن فتح المدن الكردية صلحاً أو عنوةً. كما ذكر بعض التفاصيل بهذا الشأن[6].

أما بشأن وفاته فيرجح أنها كانت سنة (279 هـ/892م)[7].

السرخسي (ت 286 هـ/ 899م)

أحمد بن محمد بن مروان الطيب السرخسي نسبة إلى مدينة سرخس التابعة لخراسان[8]، وهو أحد تلامذة الفيلسوف الكندي (ت حوالي 260 هـ/873م)[9]، وصف بأنه كان «متقناً في علوم القدماء والعرب، حسن المعرفة، جيد القريحة، مليح التصنيف والتعريف»[10]. كما وصفه ياقوت الحموي بأنه «أحد العلماء

1- إبراهيم شوكت، الجغرافية العربية، ص80.
2- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص161.
3- المنجد، مرجع سابق، ص36.
4- مروج الذهب، ج1، ص8.
5- الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، (بيروت: 1960)، ص129.
6- ينظر: الفصل الأخير من هذه الدراسة.
7- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة (القاهرة: 1932)، ج3، ص83.
8- ابن النديم، الفهرست، ص320. ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب (بيروت: 1980)،ج2، ص112.
9- ابن النديم، مصدر سابق، ص261.
10- المصدر نفسه والصفحة.

الفقهاء البلغاء المتقين، له في علم الأثر الباع الواسع، في علوم الحكماء، الذهن الثاقب والوقاد وبسطة الذراع»[1].

وقد كان من المقربين للخليفة العباسي المعتضد (279 – 289 هـ/ 903 – 913م) مستشيراً له في أمور الدولة مصاحباً له في أسفاره[٢].

ويظهر مما أورده ابن النديم أن السرخسي كان متعدد الاهتمامات حيث صنّف في ميادين معرفية شتى كالفلسفة والسياسة والحسبة والموسيقى وغير ذلك[٣].

وبخصوص اهتماماته البلدانية، فقد ذكر المسعودي عنه أنه صنّف (كتاباً حسناً في المسالك والممالك والبحار والأنهار وأخبار البلدان وغيرها)[٤] وهو معروف أيضاً باسم كتاب (المسالك والممالك) الذي نقل عنه ياقوت كثيراً من أسماء المدن وأوصافها. والجدير بالإشارة أن مصنفات السرخسي قد فقدت جميعها ويضمنها كتابه في المسالك والممالك، ولم يعثر لها على أثر، مثلها مثل الآلاف من الكتب والمصنفات العلمية الأخرى.

اليعقوبي (ت 292 هـ/ 905م)

أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الأخباري العباسي[٥] ولقّب بالكاتب[٦]، وكانت لتلك الألقاب دلالاتها، فالأخباري لأنه راوية أخبار، والعباسي نسبته إلى بيت الخلافة، حيث كان الخليفة المنصور (136 – 158 هـ/ 754 – 775م) معتمداً عليه، وابن واضح، نسبه إلى جده الأعلى واضح من موالي المنصور، تولى مناصب إدارية خلال عهود الخلفاء العباسيين: المنصور والمهدي والهادي، ولقبه الكاتب لاشتغاله بالكتابة والتدوين[٧]. ولد اليعقوبي في

---

[1] – معجم الأدباء، ج1، ص128.

[2] – ابن النديم، مصدر سابق، ص261.

[3] – ابن النديم، مصدر سابق، ص261 – 262.

[4] – التنبيه والإشراف، ص65. إبراهيم شوكت، الجغرافية العربية، ص85.

[5] – معجم الأدباء، ج5، ص153.

[6] – البغدادي، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، ج1، ص54، وج2، ص279.

[7] – ينظر كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص158. ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص153 – 154. معجم البلدان، ج1، ص161. شاكر خصباك، في الجغرافية العربية،

بغداد[1] حيث نشأ، وترعرع، فيها لكنه لم يمكث فيها طويلاً إذ غادرها إلى أرمينيا حيث قضى فترة شبابه هناك في خدمة الطاهريين[2]، كما أمضى فترة طويلة من حياته في مصر والمغرب أيام حكم الطولونيين. واشتهر برحلاته الواسعة في أرمينيا وخراسان والهند وفلسطين وتركستان[3]، وقد أعرب مينورسكي عن إعجابه بدقة معرفة اليعقوبي بتلك البلاد[4].

ولا يعرف بالتحديد السبب الذي دفعه إلى رحلاته الواسعة، إلا أن كراتشكوفسكي لا يستبعد كون اليعقوبي قد شغل بعض المناصب الحكومية مما تطلب منه الرحلات، وأن جده ووالده كانا من كبار عمال البريد[5].

ومما يجدر ذكره أن المصادر المتوفرة لا تعطينا معلومات وافية عن حياة هذا المؤرخ والرحالة، كما أنه نفسه لم يذكر تفاصيل حياته العلمية والعملية، وتكاد كتبه تغفل ذلك كلياً فهو من جملة العلماء الذين آثروا الصمت والكتمان متجنبين تسليط الأضواء على أنفسهم أو نعت أنفسهم بسيل من المدائح والإطراء.

أما فيما يخص آثاره العلمية فإنه ترك لنا عدة كتب هامة هي: كتاب البلدان، وكتاب التأريخ، وكتاب مشاكلة الناس لزمانهم[6]، وهي التي وصلتنا، كما ينسب إليه

(بغداد :1975)، ص366. ياسين إبراهيم علي الجعفري، اليعقوبي المؤرخ والجغرافي، (بغداد :1980)،ص1.

1- ما ورد في مقدمة كتابه: مشاكلة الناس لزمانهم، ص5. تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص158. شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ص366.

2- الطاهريون: أقاموا إمارة في خراسان وأنحاء أخرى من المشرق الإسلامي، بزعامة طاهر بن الحسين في عهد الخليفة المأمون سنة (205 هـ/872م). واستمر حكمهم إلى سنة 259هـ، وكانت تربطهم بالخلافة علاقات حسنة، ميسون هاشم مجيد، علاقة الخلافة العباسية بدويلات المشرق في القرن الثالث الهجري وحتى نهاية القرن الخامس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل:1983)، ص16 – 19.

3- كراتشكوفسكي، ق1، ص158. مصطفى الشهابي، الجغرافيون العرب، (مصر: 1962)، ص45. خصباك، في الجغرافية العربية، ص366. أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص71.

4- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص9.

5- تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص158.

6-وهو كتاب مميز على شكل رسالة تناول باختصار شديد عهود الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين حتى عهد المعتضد. حيث قدم فيها نماذج مختلفة من التقاليد التي سار عليها الناس، وكان الأصل فيها تقليد الخلفاء. ينظر: مشاكلة الناس لزمانهم، ص9.

كتب أخرى لم تصلنا مثل كتاب (في أخبار الأمم السالفة)[1] وكتاب (المسالك والممالك) الذي أشار إليه أبو الفداء واعتمد عليه كمصدر هام في كتابه تقويم البلدان، وكتاب (فتوح المغرب) وغيرهما[2].

وما يهمنا هنا، هو كتابه في البلدان الذي يعد من أهم الكتب التي صنفت في موضوعه، لكن المصادر لا تشير إلى زمن تأليفه، فلا يعرف على وجه التحديد السنة التي ألف فيها اليعقوبي هذا الكتاب، إلا أن إشارات وردت إلى أحداث وقعت سنة (259 هـ/872م) جعلت من البعض يذهب إلى أن الكتاب ألف في هذه السنة أو بعدها بقليل[3].

في حين أن باحثين آخرين رجحوا سنة (278 هـ/891م) لتكون السنة التي أنجز فيها الكتاب[4]. وكان غرضه من تصنيفه الكتاب وصف الطرق المؤدية إلى تخوم الإمبراطورية الإسلامية، وما جاورها[5]، ويتناول الكتاب في معظمه تخطيط البلدان والرحلات، وكان ترتيب مادته مماثلاً لما جرى عليه ابن خرداذبة[6].

بدأ اليعقوبي كتابه هذا بمقدمة موجزة عن العراق وخاصة بغداد وأهميتها وفضل موقعها على سائر مناطق العالم، ثم فصّل في توضيح خطط بغداد، ثم شرع بتقسيم العالم المعلوم إلى أربعة أقسام حسب الاتجاهات الأربعة، فوضع في كل جهة، الولايات التي تقع فيها والمدن والقرى التابعة لكل منها، والمسافات فيما بينها[7] ومما جاء في مقدمة الكتاب يظهر أن المؤلف يعرض دوافع رغبته في القيام بالأسفار مبيناً منهجه في الكتاب، ومصادره الميدانية بقوله: «أني عنيت في عنفوان شبابي وعند احتيال سنيّ وحدة ذهني بعلم أخبار البلدان، ومسافة ما بين كل بلد وبلد، لأني سافرت حديث السن، واتصلت أسفاري، ودام تغربي، فكنت متى لقيت رجلاً من تلك البلدان سألته عن وطنه ومصره... حتى سألت خلقاً كثيراً وعالماً من

1- كراتشكوفسكي، ق1، ص109. مشاكلة الناس لزمانهم، ص5.

2- الجعفري، مرجع سابق، ص49.

3- عبد الله بن يوسف، مصادر البكري ومنهجه الجغرافي، (الكويت:1974)، ص97.

4- كراتشكوفسكي، ج1، ص159. نفيس أحمد، مرجع سابق، ص46.

5- جمال الفندي، مرجع سابق، ص118.

6- مرجع سابق، ص119.

7- البلدان، ص38. الدوميلي، العلم عند العرب، ص231. آدم متز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، نقله إلى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، (بيروت: 1967)،ج2،ص9.

الناس في الموسم وغير الموسم، من أهل المشرق والمغرب، وكتبت أخبارهم، ورويت أحاديثهم، وذكرت من فتح بلداً بلداً، وجنّد مصراً مصراً من الخلفاء والأمراء، ومبلغ خراجه وما يرتفع من أمواله، فلم أزل أكتب هذه الأخبار، وأؤلف هذا الكتاب دهراً طويلاً، وأضيف كل خبر إلى بلده، وكل ما أسمع به من ثقاة أهل الأمصار إلى ما تقدمت عندي معرفته، وعلمت أنه لا يحيط المخلوق بالغاية، ولا يبلغ البشر النهاية». ويستطرد بقوله: «وقد يقول أهل العلم في علم أهل الدين الذي هو الفقه، مختصر كتاب فلان الفقهي، ويقول أهل الآداب في كتب الآداب... مختصر كتاب كذا. فجعلنا هذا الكتاب مختصراً لأخبار البلدان، فإن وقف أحد من أخبار بلد من ذكرنا على ما لم نُضمن كتابنا هذا، فلم نقصد أن يحيط بكل شيء... وقد قال الحكيم ليس طلبي العلم طمعاً في بلوغ قاصيته واستيلاء على نهايته، ولكن معرفة ما لا يسع جهله ولا يحس بالعاقل خلافه»[1].

ويتميز كتابه بوجود تفاصيل جديدة فيه عن المدن الرئيسية في العراق، وتفصيلات مهمة عن طرق المواصلات في بلاد فارس ومعلومات تاريخية أخرى وكذلك معلومات طبوغرافية واثنوغرافية غزيرة عن المدن والمقاطعات والبلدان التي وصفها، وتحدث عنها.

ومن الملاحظ على كتاب البلدان أنه غير كامل، واستناداً إلى تبويبه فإن القسمين الثالث والرابع منه مفقودان، إذ لا نجد فيه وصف المشرق العربي الشرقية وخوزستان وفارس والهند وجميع الشمال وبداية الغرب[2].

وفيما يتعلق بأخبار الكرد في الكتاب، نجد أنه بالإضافة إلى ذكر المسافات بين المدن الكردية في غربي إقليم الجبال ومقادير أخرجتها[3] فقد وردت فيه لفظة الأكراد ست مرات فقط[4] وذلك خلال حديثه عن سكان المدن في كور الجبال، في حين أن منطقة الجزيرة تدخل ضمن القسم المفقود من الكتاب.

كما يلاحظ الباحث أن اليعقوبي لم يقتصر في كتابه على ذكر البلاد الإسلامية بل تعداها إلى بلاد أخرى خارج دار الإسلام، وبذلك يكون من أوائل

---

[1] - البلدان، ص5 – 6.

[2] - كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص160.

[3] - البلدان، ص 38 – 42.

[4] - المصدر نفسه، ص10، ص39، ص40، ص44.

الذين كتبوا في الجغرافية العامة، كما أنه من أوائل من كتبوا في البلدان في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري إن لم يكن أولهم.

بالإضافة إلى ذلك فإنه الوحيد الذي كتب في المواضيع الجغرافية الخالصة النقية من الشوائب، إذ لم يضمّن كتابه موضوعات لا تمت إلى الغاية التي حددها محوراً لنفسه في كتاباته، من مثل الغرائب والعجائب والأبيات الشعرية وغير ذلك كما فعله غيره من السابقين له أو المعاصرين واللاحقين منهم.

ولا شك أن خلو الكتاب من العجائب يدل على نزعة المؤلف إلى التحليل العقلي، كما أن أسلوبه المبسط والخالي من التكلف والتصنع يضفي عليه المزيد من العلمية[١].

أما وفاة اليعقوبي فعلى الرغم من أن معظم المصادر والمراجع ذهبت إلى أنها كانت سنة (284 هـ/ 893م)[٢] لكن إشارة وردت في كتابه ترجح أنها كانت بعد سنة (292 هـ/905م)، إذ يقول: «لما كانت ليلة عيد الفطر في سنة مائتين واثنتين تذكرت ما كان فيه ابن طولون في مثل هذه الليلة في الزي الحسن بالسلاح وملونات البنود والاعلام وشهرة الثياب وكثرة إسراع وأصوات الأبواق والطبول، فأعرتني لذلك فكرة ونمت في ليلتي»[٣].

ومما يؤكد ذلك أيضاً أن اليعقوبي ختم كتابه (مشاكلة الناس لزمانهم) بحديثه عن الخليفة المعتضد (ت 289 هـ/ 902م)[٤].

ابن رسته (ت: بعد سنة 290 هـ/903م)

أبو علي أحمد بن محمد بن إسحاق المعروف بابن رسته، ويبدو أن المصادر أغفلت ذكره، لكن المعروف أن أصله فارسي، وأنه ولد في أصفهان[٥].

---

[1]- ينظر كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص161.

[2]- ياقوت، معجم الأدباء، ج5، ص153. البغدادي، مصدر سابق، ج1، ص2. محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، (القاهرة: د/ت)، ص1983. سركيس، معجم المطبوعات، ج1، ص1948. كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص159.

[3]- البلدان، ص 127 – 128.

[4]- مشاكلة الناس لزمانهم، ص35.

[5]- عزيز الله بيات، كليات جغرافياي طبيعي وتاريخي إيران، (تهران، 1373 هـ)، ص443.

وقد اشتهر بموسوعته المكونة من سبعة مجلدات والمعنونة (الأعلاق النفيسة) التي يرجح أنه ألفها في حدود سنة (290 هـ/903م). ولكن لم يصلنا منها سوى الجزء السابع وهو القسم المتعلق بالجغرافيا[1].

وعلى الرغم مما في هذا الجزء من خلط في المعلومات الفلكية والأساطير في معلوماته الكوزموغرافية إلا أنه ظلّ يعد مرجعاً هاماً للكثير من البلدانيين الذي جاؤوا من بعده[2]. حيث أن الكتاب لم يقتصر على بلاد الإسلام وإنما تعداها إلى البلاد الأخرى كبلاد الهند والخزر والبلغار والروس وغيرها[3]، وقد بدأ كتابه بمقدمة فلكية استهلها بذكر آيات عديدة تدل على عظمة الله تعالى وآياته سبحانه في السماوات والأرض[4].

ثم كتب فصولاً في الفلك والأرض ومكة والمدينة، بشكل غير منتظم. واعتمد التقسيم السباعي لأقاليم الأرض أي النظام البطليموسي كما اعتمد التقسيم الرباعي في تقسيم بنشهر استناداً إلى الجهات الأربعة: الشمال والجنوب، الشرق والغرب[5]، ثم فصل في أقسام إيرانشهر وكورها، ومن ضمنها كور الجبل وكور الجزيرة[6] الأربع. بعدها وصف الطرق إلى الأقاليم والكور والمسافات بينها. كذلك اشتمل الكتاب على وصف للبحار والأنهار، وألحق بالكتاب قسماً خاصاً بعجائب العالم من حيوان ونبات وآثار ومبانٍ ومعلومات تاريخية متفرقة[7].

أما بخصوص الكرد فإنه لم يرد ذكرهم في كتاب الأعلاق النفيسة سوى مرتين خلال حديث المؤلف عن الطرق والمسافات بين مدن غربي إقليم الجبال[8].

وفيما يخص تاريخ وفاة ابن رسته فهو غير معروف بالتحديد، ولكن من المؤكد أنه توفي بعد سنة (290 هـ/ 903م) ويحتمل أن وفاته كانت في بداية القرن الرابع الهجري في حدود سنة (*310 هـ/923م*)[1].

---

1 – *كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص164.*

2 – خصباك، في الجغرافية العربية، ص368.

3 – *الأعلاق النفيسة، ص 124 – 137.*

4 – المصدر نفسه، ص 7 – 9.

5 – المصدر نفسه، ص 94 – 96.

6 – المصدر نفسه، ص 100 – 104.

7 – المصدر نفسه، ص27، ص35، ص63، ص75، ص83، ص192.

8 – أحمد سوسة، مرجع سابق، ص135.

ابن الفقيه الهمذاني (ت: أواخر القرن الثالث الهجري)

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحق بن إبراهيم الهمذاني[٢] لم تذكر المصادر عنه شيئاً يذكر، فقد اكتفى ابن النديم بأنه: «من أهل الأدب، ولا نعرف من أمره أكثر من هذا»[٣]، وكرر ياقوت المعلومات نفسها التي أوردها ابن النديم، ولم يزد عليها[٤]. وأغلب الظن أنه ولد في همذان، وتألق نجمه في بغداد، واشتهر في أيام المعتضد العباسي بكونه بلدانياً مرموقاً[٥] وكان له من الكتب، كتاب ذكر الشعراء المحدثين والبلغاء منهم والمفحمين، وكتاب البلدان الذي كان يتألف من ألف ورقة "أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهاني"[٦]. إلا أن كراتشكوفسكي دحض ما ذهب إليه ابن النديم مؤكداً أن ابن الفقيه ألف كتابه قبل سنة (290 هـ/903م) أي قبل أن يخرج كتاب الجيهاني إلى عالم الوجود[٧]، وهذا هو الصحيح.

إذاً فإن كتاب ابن الفقيه هذا هو مختصر لكتاب ضخم الحجم تحت عنوان (البلدان) يشمل خمسة مجلدات، ويقع في حوالي ألفي صفحة على ما قيل[٨]. وقد اختصره شخص يدعى علي بن حسين الشيرازي في حدود سنة (413 هـ/ 1022م)[٩].

ويذكر أن كتاب ابن الفقيه استخدم كمصدر للبلدانيين الذين أتوا من بعده كالمقدسي وياقوت[١٠]. وعبَّر المقدسي عن رأيه بشأن الكتاب بقوله: «وأما ابن الفقيه فإنه سلك طريقة أخرى، فلم يذكر إلا المدائن العظمى، ولم يرتب الكور

1- عزيز الله بيات، مرجع سابق، ص443.

2- ياقوت، معجم الأدباء، ج2، ج4، ص199.

3- ابن النديم، مصدر سابق، ص154.

4- معجم الأدباء، ج4، ص200.

5- خصباك، في الجغرافية العربية، ص367.

6- ابن النديم، مصدر سابق، ص154.

7- تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص221. دائرة المعارف الإسلامية، مادة ابن الفقيه الهمذاني، ج1، ص365.

8- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ج1، ص221. دائرة المعارف الإسلامية، ج1، ص356.

9- عزيز الله بيات، مرجع سابق، ص331.

10- المصدر نفسه، ص331.

والأجناد، وأدخل في كتابه ما لا يليق به في العلوم. مرة يزهد في الدنيا، وتارة يرغب فيها، ودفعة يبكي، وحيناً يضحك، ويلهي»[١].

ولكثرة ما تضمنه الكتاب من الخرافات والأساطير والمعلومات البعيدة عن المنهج العلمي فإنه يعد نوعاً من التراجع فيما يخص علم البلدان أو الجغرافية العلمية.

ويرى البعض أن الكتاب ليس مصنفاً جغرافياً بالمعنى الدقيق للكلمة بل أنه مجموعة أدبية عن بلاد الإسلام تحوي كمية كبيرة من الشعر والقصص[٢] مما يقلل من شأن الكتاب علمياً.

وقد جاء في مقدمة الكتاب "كتابي هذا يشمل على ضروب من أخبار البلدان، وعجائب الكور والبنيان، فمن نظر فيه من أهل الأدب والمعرفة، فليتأمل بعين الإنصاف، وليعرنا فيه حسن محضره وجميل رأيه، ويهب زللي لاعترافي، وإغفالي لإقراري، فإني إنما ألحقت في هذا الكتاب ما أدركه حفظي، وحضره سماعي من الأخبار والأشعار والشواهد والأمثال"[٣].

ويلاحظ على ما سبق من الكلام صراحة المؤلف وإقراره باحتمال وقوعه في الأخطاء والهفوات بشكل غير مقصود. كما نعتقد أنه اعتمد في تأليف الكتاب على ما سمعه، أو قرأه من الكتب الأدبية والبلدانية ككتب الجاحظ وابن خرداذبة والبلاذري وغيرهم.

وبخصوص الكرد، فإن ذكرهم لم يرد في كتابه سوى مرتين، الأولى عند حديثه عن مدينة سيسر الكردية[٤] والثانية عند تطرقه إلى زموم الأكراد بفارس نقلاً عن ابن خرداذبة[٥].

أما وفاته فقد اختلف الدارسون بشأن تاريخها[٦].

1- أحسن التقاسيم، ص2.

2- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ج1، ص163.

3- مختصر كتاب البلدان، ص6.

4- المصدر نفسه، ص220.

5- المصدر نفسه، ص188.

6- ينظر: البغدادي، مصدر سابق، مج1، ص645. خصباك، في الجغرافية العربية، ص368. السيد عبد العزيز سالم، التاريخ والمؤرخون العرب، ص187.

قدامة بن جعفر (ت: 310 هـ/ 922م أو 337 هـ/ 948م)

هو قدامة بن جعفر، كان نصرانياً وأسلم على يد الخليفة المكتفي بالله (289 – 295 هـ/ 902 – 908م)[1] وصفه الخطيب البغدادي بأنه "أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم وافر الأدب حسن المعرفة"[2] ووصفه ابن النديم بقوله: «كان قدامة أحد البلغاء الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء ممن يشار إليهم في علم المنطق»[3]، واشتهر بالكتابة والحساب والمنطق والبلاغة ونقد الشعر[4]، وقد ذكر ياقوت أنه تولى الكتابة لابن الفرات[5] في ديوان الزمام[6] ويقال أنه كتب لبني بويه لمعز الدولة[7] البويهي[8].

أما آثاره فإنها كثيرة ومتنوعة منها: كتاب الخراج وصنعة الكتابة، وكتاب نقد الشعر، وكتاب صابون الغم وكتاب الهم وكتاب جلاء الحزن وكتاب درياق الفكر وكتاب السياسة وكتاب حشو حشاء الجليس وغيرها من الكتب[9].

وما يهمنا منها هو كتابه الخراج، الذي يعدّ في جانب منه بلدانياً، وهو كما يستدل من اسمه، أنه صنّفه ليكون مرجعاً يعود إليه موظفو الدواوين من الكتاب وعمال الخراج لتسهيل إدارة الدولة.

---

1 – ابن النديم، مصدر سابق، ص130.

2 – تاريخ بغداد، مج7، ص205.

3 – الفهرست، ص130.

4 – قدامة بن جعفر، الخراج، مقدمة المحقق، ص8.

5 – ابن الفرات: هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الفرات ولد سنة 241 هـ، تولى الوزارة للخليفة المعتضد لثلاث مرات، وقبض عليه أكثر من مرة وصودرت أمواله وأملاكه، قتل على يد صاحب الشرطة نازوك سنة 312هـ/924م. للمزيد عنه ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان (بيروت:1998)،مج3، ص368 – 370.

6 – ديوان الزمام: استحدث في عهد الخليفة المهدي سنة 162 هـ/ 778م، ومهمته التفتيش والإشراف الإداري على الدواوين المركزية ومراقبة الناحية المالية منها بصورة خاصة، ينظر: الجهشياري، الوزراء والكتاب، (القاهرة:1962).

7 – معز الدولة: هو أحمد بن بويه بن فنا خسرو نسب إلى سلالة سابور ذي الأكتاف الساساني، من ملوك بن بويه في العراق، تولى في صباه كرمان وسجستان والأهواز تتبعاً لأخيه عماد الدولة ثم امتلك بغداد سنة 334هـ في خلافة المستكفي بالله، توفي سنة 356 هـ/967م، ينظر: ابن الأثير، ج8، ص264، ص324. ابن خلكان، مصدر سابق، ج1، ص 369 – 370.

8 – معجم الأدباء، ج17، ص12.

9 – ابن النديم، مصدر سابق، ص130. ابن تغري بردي، مصدر سابق، ج3، ص289.

ويظهر من سياق الكتاب أنه تم تأليفه بعد سنة (316 هـ/ 928م) بقليل. بدليل أن قدامة تحدث في ثنايا كتابه عن إغارة أسفار الديلمي[1] على قزوين في السنة المذكورة[2].

ولم يصل إلينا من هذا الكتاب سوى أربعة أقسام، من مجموع أقسامه الثمانية، وهي تمثل الجزء الثاني منه[3]، ويشمل الكتاب على معلومات متنوعة ذات منحى رياضي وفلكي، مع اهتمام ملحوظ بوصف الجبال والأنهار المشهورة ضمن الأقاليم السبعة. ولكن الاهتمام الرئيس للكتاب منصبٌ على وصف طرق البريد ضمن البلاد الإسلامية مع إيراد معلومات هامة عن تقسيم الأراضي وجباية الخراج في الممالك الإسلامية، ومن هنا فإن كتاب الخراج يشبه كتاب ابن خرداذبة أو أنه امتداد له.

والواقع أن الكتب الثلاثة: مسالك ابن خرداذبة وأعلاق ابن رسته وخراج قدامة، بينها ترابط وثيق يكاد يكون عضوياً في بعض الحالات. فضلاً عن أنها جميعاً تعتمد على وثائق أصلية رسمية، والمعلومات الواردة في الكتاب تكتسب أهمية خاصة لأن صاحبه كان يشغل مناصب رفيعة في الدولة، وكان في أواخر حياته يشغل منصب البريد.

وقد وصف أحد الباحثين الكتاب بقوله: "للمرة الأولى نرى نوعاً جديداً من التأليف الجغرافي في كتاب الخراج، وهو كتاب عن الدخل (من ضريبة الأرض المزروعة) إن هذا النوع من العمل هو جغرافي صرف يعتمد في إطاره العام على المسالك ومحطات البريد في جميع أنحاء العالم الإسلامي"[4].

والملاحظ أن المعلومات الواردة فيه تندرج تحت مفهوم جغرافية مواصلات أو جغرافية الاقتصاد أكثر من مفهوم الجغرافية الإقليمية.

أما الغرض من تصنيف الكتاب، فقد عبّر عنه صاحبه بقوله «ولا غنى بصاحب هذا الديوان (ديوان البريد) أن يكون معه منه ما لا يحتاج في الرجوع فيه

---

[1] – أسفار الديلمي: وهو أسفار بن شيرويه قائد الجيش الساماني الذي استولى على بلاد طبرستان وجرجان والري ونواحيها، ودعا فيها لصاحب خراسان، ابن الأثير، الكامل، ج8، ص131 – 134. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، (بغداد: د/ت)، ج4،ص730.

[2] – قدامة، الخراج، مقدمة المحقق، ص 11 – 12.

[3] – المصدر نفسه، ص11.

[4] – كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص165.

إلى غيره، وما أن سأله عنه الخليفة وقت الحاجة إلى شخصه وإنفاذ جيش يهمه أمره، وغير ذلك تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه وجد عنيداً عتيداً ومضبوطاً قبله ولم يحتج إلى تكلف عمله المسألة عنه»[١].

يكتسب الكتاب أهمية كبيرة فهو حافل بالإحصاءات والمعلومات الدقيقة لأنها كتبت من قبل شخص كانت طبيعة عمله تماثل مادة كتابه، حيث كان من موظفي الخراج. واعتمد عليه ابن حوقل في كتابه صورة الأرض.

أما بخصوص الكرد فإن ذكرهم ورد في الكتاب أربع مرات، وذلك أثناء حديث قدامة عن الفتوحات الإسلامية في أقاليم الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان وخوزستان[٢]. ويبدو أن تلك المعلومات اقتبست من كتاب البلاذري[٣].

وكمعظم البلدانيين فإن سنة وفاته لم تدرك على وجه التحديد، لكنها كانت على الأرجح في النصف الأول من القرن الرابع الهجري في عهد الخليفة العباسي المطيع لأمر الله (334 – 363 هـ /946 – 974م)[٤] ورجحه بعض الباحثين بما بين سنتي (310 – 337 هـ/922 – 948م)[٥].

سهراب

يكتنف الغموض حياة هذا المؤلف والذي نعت نفسه مثلما ورد في عنوان كتابه بـ (أفقر الورى سهراب). والظاهر أنه عاش في أواخر القرن الثالث أو أوائل الرابع الهجريين[٦] ويذهب بعض الباحثين إلى أنه مصري قبطي، وأنه ألف كتابه (عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة)[٧] في حدود عام (334 هـ/945م)؛ وهناك من يعتقد أنه ألفه في حدود سنة (289 هـ/ 902م)[٨].

---

[1]- الخراج، ص78.

[2]- ينظر: قدامة، ص328، ص381، ص385.

[3]- قارن: البلاذري، فتوح البلدان، ص199، ص302، ص302، ص317، ص325.

[4]- قدامة، مقدمة المحقق، ص8.

[5]- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1،ج1، ص165. خصباك، في الجغرافية العربية، ص37.

[6]- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص103 – 104. خصباك، في الجغرافية العربية، ص369.

[7]- عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة، تصنيف أفقر الورى سهراب، تحقيق؛ هانز فون فريك، مطبعة أدولف هولر هوزن، (فيينا، 1929).

[8]- خصباك، في الجغرافية العربية، ص369.

فقد ذكر المؤلف في مقدمة كتابه أنه اعتمد على مصادر عديدة دون أن يذكرها بالاسم حيث يقول: «فأنه حبّب إلي النظر في كتب المتقدمين والبحث عن جميع ما ذكروا فيها من صورة الأرض.. فوجدت في عدة من كتبهم يطول شرحها، ويبعد العمل بها، فأحببت أن اختصر من جميع كتبهم كتاباً يقرب خصمه، ويسهل العمل به لمن أراد صورة الأرض المعمورة عليها واستخراج البحار والعيون والأنهار والجبال والأودية مع صحيح ما ذكروا من المسالك المشهورة والطرق الغامضة والبقاع والبوادي المعروفة»[1].

ويعد الكتاب «أهم كتاب منهجي في عمل الخرائط»[2] إذ ضم بين دفتيه معلومات عملية بهذا الصدد حسب الأقاليم السبعة مثلما ورد عند بطليموس والخوارزمي.

كما اشتمل الكتاب على معلومات كثيرة عن المدن والجبال والأنهار والبحار والبحيرات المشهورة وفق مواقعها من الأقاليم السبعة أما تأريخ وفاته فغير معلوم.

الجيهاني (ت 322 هـ/ 934م)

هو أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني[3] المكنى بأبي عبد الله[4] تقلد الوزارة في البلاط الساماني في عهد الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني الذي تولى الإمارة في خراسان سنة (310 هـ/ 923م)، واستمر الجيهاني في منصبه ذلك إلى عام (367 هـ/ 977م)[5].

والتقى الجيهاني بالرحالة الشهير ابن فضلان أثناء مرور الأخير ببخارى خلال رحلته إلى بلاد الخزر والبلغار سنة (309 هـ/922م)[6].

وكان الجيهاني مولعاً بالبلدان والمسالك والممالك مستغلاً موقعه الوظيفي تلبية لميوله، فجمع المعلومات من مختلف أنحاء العالم وخاصة البلدان المجاورة

1- عجائب الأقاليم السبعة، ص1.

2- إبراهيم شوكت، الجغرافية العربية، ص113.

3- نسبة إلى جيهان، وهي مدينة واقعة على نهر شاطىء وادي خراسان هروز، فنسبه الناس إليها فقالوا جيحون على عادتهم في قلب الألفاظ. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص101.

4- ابن النديم، مصدر سابق، ص93.

5- ياقوت، معجم الأدباء، ج3، ص191.

6- رسالة ابن فضلان، ص76.

لخراسان[1] وساعده ذلك على تأليف كتاب تحت عنوان (المسالك في معرفة الممالك) أو (المسالك والممالك)[2] وهو مفقود.

وعلى الرغم من أن تأريخ تأليف الكتاب غير محدد، إلا أن أحد الباحثين ذكر أنه تم ذلك في سنة (310 هـ/ 922م)[3] وقد اعتمد عليه البلدانيون وخاصة الإدريسي الذي يقول بشأنه كراتشكوفسكي أن المادة التي جمعها الجيهاني عن البلاد المجاورة لخراسان خاصة ووادي السند والهند عامة، تكاد تكون المصدر الوحيد أو على الأقل الأساسي، للإدريسي في كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)[4].

وكما نوه به المسعودي بقوله: «إنه ألف كتاباً في صفة العالم وأخباره وما فيه من العجائب والمدن والأمصار والبحار والأنهار والأمم ومساكنهم وغير ذلك من الأخبار العجيبة والقصص الطريفة»[5]. وقد ذكر أن الجيهاني نقل كتابه من (مختصر كتاب البلدان) لابن الفقيه الهمذاني[6]. أما المقدسي فقد انتقده بقوله: «ورأيته ذكر منازل مجهولة ومراحل مهجورة، ولم يفصل الكور، ولا رتب الأجناد، ولا وصف المدن، ولا استوعب ذكرها، بل ذكر الطرق شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً مع شرح ما فيها من السهول والجبال والأودية والتلال والمشاجر والأنهار، وبذلك طال كتابه وغفل عن أكثر طرق الأجناد ووصف المدائن الجياد»[7].

بل ذهب المقدسي إلى أبعد من ذلك عندما اتهمه بأنه اقتبس كتابه من كتاب ابن خرداذبة[8]. واستغل منصبه الرفيع في ذلك فـ (جمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسلك إليها)[9].

ويؤيد مينورسكي ما ذهب إليه المقدسي من اتهامه الجيهاني بانتحال كتاب ابن خرداذبة، عندما ذكر أن فكرة الانتحال لم تكن في ذلك الوقت ذميمة

1- أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ص146.

2- ابن النديم، مرجع سابق، ص138.

3- أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ج1، ص146.

4- تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ص222.

5- التنبيه والإشراف، ص75.

6- العزاوي، تاريخ الجغرافية، ورقة9.

7- أحسن التقاسيم، ص20.

8- المصدر نفسه، ص258.

9- المصدر نفسه، ص19.

ومستقبحة مثلما هو في الوقت الحاضر، وإن كثيراً من المؤلفين القدامى كانوا لا يقومون بأكثر من إعادة نشر مؤلفات سابقيهم[1].

وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهها المقدسي لكتاب الجيهاني، فإن بلدانيين آخرين قد أشادوا به كثيراً، فهذا ابن حوقل صاحب كتاب صورة الأرض يذكر بأنه (لا يفارقه كتاب ابن خرداذبة وكتاب الجيهاني وتذكرة أبي الفرج قدامة بن جعفر)[2].

ومن جانب آخر فإن كتاب الجيهاني قد يعدّ مصدراً هاماً لكتاب (حدود العالم) المنسوب لمؤلف مجهول، يفترض ذلك لكثرة ما ورد فيه من المفردات البلدانية الخاصة بآسيا الوسطى والتي وجدها في الوقت نفسه في كتاب حدود العالم[3].

وتبرز أهمية كتاب الجيهاني في خرائطه التي صوّر بها العالم بصورة عامة وكذلك خرائط أخرى لمختلف البلدان والتي نشرها ميللر في أطلس الخرائط العربية، التي تعد نقطة تحوّل في زمن الكارتوغرافيا العربية[4].

البلخي (ت: 322 هـ/933م)

هو أبو زيد أحمد بن سهل البخلي نسبة إلى مدينة بلخ، إحدى مدن خراسان والتي ولد في إحدى قراها حوالي سنة (235 هـ/849م)[5] اشتغل في شبابه بتعليم الصبية[6].

وفي مقتبل عمره، رحل إلى العراق وتتلمذ فيه على يد الفيلسوف الكندي (ت: 260 هـ/833م) وذكر ياقوت في ذلك بقوله: «فتوجه راجلاً مع الحاج وأقام بها لثماني سنين، وتتلمذ لأبي يوسف يعقوب بن اسحق الكندي، وحصل من عنده

1- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص9، ينظر كذلك: عزيز الله بيات، كليات جغرافياى طبيعي وتاريخي إيران، ص335.

2- صورة الأرض، ص5.

3- بارتولد، جهود العلماء العرب المسلمين في علم الجغرافية، تقويم كتاب حدود العالم، ترجمة وتعليق؛ عبد الجبار ناجي، (بغداد :2000)،ص39.

4- أحمد سوسة، مرجع سابق، ص48.

5- ياقوت، معجم الأدباء، ج3، ص65.

6- المصدر نفسه، ج3، ص65.

علوماً كثيرة، فدرس الفلسفة وطلع على أسرار علم التنجيم والهيئة وبرز في علم الطب والطبائع وبحث في أصول الدين أتم بحث وأبعد استقصاء حتى قاده ذلك إلى الحيرة وزل به عن النهج الأوضح، فتارة كان يطلب الإمام ومرة كان يسند الأمر إلى النجوم والأحكام»[١].

وبعد أن تلقى العلوم من علماء العراق عاد إلى بلخ مسقط رأسه ومكث فيها[٢]، حيث عمل في خدمة أميرها الساماني[٣].

ومما لا شك فيه أن كثرة العلوم التي تلقاها في العراق انعكست على نتاجاته التي بلغت أكثر من أربعين مصنفاً حسب تعداد ابن النديم في مختلف صنوف الفنون والمعارف[٤] وأكثر من ستين على ما ذكره ياقوت، وكلها مفقودة باستثناء مخطوطته في البلدان. مما حدا بابن النديم أن يصفه بقوله: «كان فاضلاً فاهماً بجميع العلوم القديمة والحديثة يسلك في مصنفاته طريق الفلاسفة إلا أنه بأهل الأدب أشبه»[٥].

ولكن اللافت للنظر أن ابن النديم لم يذكر ضمن مصنفات البلخي الكثيرة كتابه هذا في البلدان، كما لم يذكره ياقوت من بعده.

إلا أن حاجي خليفة[٦] أشار إلى أن للبلخي كتاباً في المسالك والممالك (ذكر في أوله الحمد لله مبدي النعم وولي الحمد .. الخ وذكر فيه أقاليم الأرض وبلاد الإسلام بتفصيل مدنها).

وهذا الكتاب المنسوب له يحيط به نوع من الغموض نتيجة تعدد عناوينه فهو تارة يرد باسم (صور الأقاليم)[٧] وتارة أخرى بعنوان (أشكال البلاد) وتارة ثالثة

---

[1] - ياقوت، معجم الأدباء، ج1، ص161.

[2] - المصدر نفسه.

[3] - الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، اعتناء؛ محمد يوسف نجم، (بيروت:1971)، ج6، ص443.

[4] - الفهرست، ص138.

[5] - معجم الأدباء، ج1، ص161.

[6] - كشف الظنون، (بغداد: د/ت)، ج2، ص1664.

[7] - وردت نسخة مخطوطة من الكتاب تحت هذا العنوان في دار صدام للمخطوطات، بغداد، ولكن لسوء الحظ عندما اطلعت عليها وجدتها ناقصة بحيث أنها لم تحو على الأقاليم التي

بعنوان (تقويم البلدان) وهذا التباين في رسم العنوان يدل على أن الكتاب لم يكن معروفاً في صورته الأصلية حتى في عهد قريب من عهد المؤلف[١].

ويرى كراتشكوفسكي أن البلخي ألف كتابه المذكور في حدود سنة (308 هـ/ 921م). أي في أواخر حياته التي انتهت سنة (322 هـ/ 934م)[٢]. ووصف المقدسي البلخي وكتابه وصفاً منتقداً بقوله: «وأما أبو زيد البلخي فإنه قصد بكتاب الأمثلة وصورة الأرض، بعدما قسّمها على عشرين جزءاً ثم شرح كل مثال واختصر ولم يذكر الأسباب المفيدة ولا أوضح الأمور النافعة في التفصيل والترتيب، وترك كثيراً من أمهات المدن فلم يذكرها وما دوخ البلدان ولا وطئ الأعمال»[٣].

ولعل هذه أول إشارة إلى كتاب البلخي من حيث تعريفه وتقييمه. يستدل من كلام المقدسي أن البلخي لم يكن كثير الرحلات والأسفار، وهذا ما أكد عليه بعض الباحثين المحدثين[٤].

وتكمن أهمية الكتاب في كونه محاولة رائدة للبلدانيين الذين اعتمدوا الخارطة أساساً للدراسة الإقليمية، أما نمط الكتاب فإنه عبارة عن شرح كارتوغرافي أكثر من كونه وصفاً جغرافياً للبلدان الإسلامية، كما تعدّ خرائطه طليعة للخرائط الكلاسيكية العربية التي أطلق عليها ميللر Miller اسم (أطلس الإسلام)، ولعل من أتى بعده من البلدانيين كالاصطخري وابن حوقل كان مقلداً له[٥].

الاصطخري (ت: 346 هـ/ 952م)

هو أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري[٦] نسبة إلى مدينة اصطخر[١] في إقليم فارس، لا يعرف عن حياته إلا القليل، فحتى ابن النديم الذي

تدخل ضمن دراستنا هذه، غير أن كتاب الاصطخري وابن حوقل يعوضان ما لم نحصل عليه من مخطوطة البلخي فالاصطخري عوّل على كتاب البلخي، وابن حوقل نقل الكثير من كتاب الاصطخري وأضاف عليه.

[1]– كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص198. جمال الفندي، مرجع سابق، ص127.

[2]– كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص198.

[3]– أحسن التقاسيم، ص20.

[4]– شاكر خصباك، في الجغرافية العربية، ص104. مصطفى الشهابي، الجغرافيون العرب، ص46.

[5]– كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص198 – 199. أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ق1، ص 151 – 154.

[6]– حاجي خليفة، مصدر سابق، مج2، ص472.

هو مصدرنا الأساس عن معظم البلدانيين، لم يشر إليه، وكذلك ياقوت فإنه لم يتطرق إليه في معجمه التراجمي على الرغم من استشهاده به في العديد من المواضع في معجمه البلداني.

كان الاصطخري محباً للأسفار والرحلات، سافر كثيراً، حيث زار بلاد ما وراء النهر وبلاد إيران والجزيرة العربية والشام ومصر[٢] وذلك في أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري، أي أن رحلاته امتدت من الخليج إلى المحيط وبحر قزوين[٣]. ومدوّناً أخبار رحلته، حيث وصف الأقاليم والبلدان والجبال والأنهار وغيرها ولكنه (فاته خواص البلدان وأمزجتها)[٤].

ويظهر أن الاصطخري التقى خلال أسفاره بالبلداني الرحالة ابن حوقل[٥] ولكن مكان اللقاء بينهما ليس معلوماً، أكان في الهند[٦] أم في بغداد[٧] أو في مكان آخر. وبعد تجوالات عديدة وسياحات طويلة كتب ما كتب عن عين مشاهدة فولدت حدثاً في الجغرافية بل تجدداً فيها. وإذا لم يتيسر لنا التعرف على الاصطخري كما ينبغي فإن آثاره تنبئ عن مكانته ومقدرته العلمية في التحقيق الجغرافي إذ اكتسب به علم البلدان مكانته[٨].

وقد بدأ الاصطخري رحلته سنة (303 هـ/ 916م) انطلاقاً من مسقط رأسه اصطخر[٩]. ويعود تاريخ كتابه الذي سمّاه بـ (المسالك والممالك) إلى حول الفترة الواقعة بين (318 – 321 هـ/930 – 933م) في وقت كان أبو زيد البلخي لم يزل على قيد الحياة[١٠].

---

[1] – اصطخر: بلدة بفارس، ومن أعظم حصونها ومدنها وكورها، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص171.

[2] – كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص199.

[3] – المغربي، كتاب الجغرافيا، مقدمة المحقق، ص38.

[4] – سليم افندي وميخائيل شحادة، في الجغرافية وجغرافيي الإسلام، مجلة المقتطف (القاهرة:1883)، السنة السابعة، ج11، مج7، ص661.

[5] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص؟.

[6] – المغربي، مصدر سابق، ص38.

[7] – الاصطخري، المسالك والممالك، مقدمة المحقق، ص9.

[8] – العزاوي، تاريخ الجغرافية، ورقة12.

[9] – شمس الدين سامي، قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتنى وتعبير اصحله كافة أسماء خاصة يي جامعدر، صاحب طابعي، (مهران:1889)، ايكنجي جلد، ص991.

[10] – كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1،ص199.

وعدّ بعض الباحثين[1] كتاب الاصطخري بمثابة نسخة ثانية – ولكنها موسعة – من كتاب البلخي. أي أن الأول عوّل على الثاني، نظراً للشبه الكبير من حيث اللفظ والمعنى بين الكتابين. أما متز فقد خفف من هذا الأمر مؤكداً على أن كتاب صور الأقاليم للبلخي كان أهم مصدر رجع إليه الاصطخري[2].

وقد بات من المؤكد أن الاصطخري التقي بالبلخي في خراسان وأنه أخذ منه كتابه واستنسخه مع إضافات جديدة جاءت بعد وفاة البلخي، كما أن ابن حوقل هو الآخر نسخ كتاب الاصطخري وأضاف إليه معلومات جديدة خاصة فيما يتعلق بالأندلس والجزيرة وغيرها. وأشار بارتولد إلى ذلك بقوله: «إن الكتاب الذي ألفه في القرن الرابع أبو زيد البلخي تلميذ الكندي طبّقه الاصطخري أولاً ثم طبقه ابن حوقل أحد تجار إفريقيا الشمالية»[3].

ومع اعتماد الاصطخري إلى هذا الحد على كتاب البلخي فإنه لا يعني أن كتابه عديم الفائدة، إذ أن صاحبه أكمله وأنجزه بعد أن أضاف إليه الكثير من المعلومات[4] ثم أخذ منه البلدانيون الذين أتوا من بعده وخاصة ياقوت الذي نسب بعض اقتباساته إلى الاصطخري[5].

لقد قسم الاصطخري في عمله بلاد المسلمين إلى عشرين قسماً مثله مثل البلخي، بدأ بديار العرب وانتهى إلى ما وراء النهر واصفاً كل قسم منها على حدة، مع ذكر البلدان والمدن وأنواع تجاراتها ومزارعها وصناعاتها وحرف أهلها وكذلك المسافات بين المدن والنواحي، كما وضح كتابه بالخرائط، بل اعتمد موضوع حديثه عن الإقليم على مصور يرسمه أول الأمر، يتبين فيه ما يراد معرفته، حتى تتكون في خيال الناظر إليه فكرة واضحة عن ذلك الشيء.

وشرح الاصطخري منهجه في تأليف الكتاب وأوجز فأجاد بقوله: «فإني ذكرت في كتابي هذا أقاليم الأرض على الممالك، وقصدت منها بلاد الإسلام بتفصيل مدنها، وتقسيم ما يعود بالأعمال المجموعة إليها، ولم أقصد الأقاليم

---

1 – جمال الفندي، مرجع سابق، ص130. بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص80.

2 – الحضارة الإسلامية، ج1، ص81.

3 – تاريخ الحضارة الإسلامية، ص80.

4 – مينورسكي، الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص11.

5 – الاصطخري، المسالك والممالك، مقدمة المحقق، ص9.

السبعة التي عليها قسم الأرض، بل جعلت كل قطعة أفردتها مفردة مصورة، تحكي موضع ذلك الإقليم، ثم ذكرت مما يحيط به من الأماكن وما في أضعافه من المدن والبقاع المشهورة والبحار والأنهار، وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم، من غير استقصاء ذلك كراهية الإطالة، التي تؤدي إلى ملال من قرأه، ولأن الغرض في كتابي هذا تصوير هذه الأقاليم، التي لم يذكرها أحد قدر ما علمته[١]، أما ذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات وسائر ما أنا ذاكره فقد يوجد في الأخبار، ولا عند من أراد تقصي شيء من ذلك من أهل كل بلد، فلذلك تجوزنا في ذكر المسافات والمدن وسائر ما نذكره ..»[٢].

أما بخصوص حديثه عن الكرد فقد ورد ذكر لفظة «الأكراد» في كتابه ثماني عشرة مرة[٣]، أكثرها عند تطرقه إلى كرد إقليم فارس الذين كان لهم زموم وإحياء فيه.

وبشأن وفاته فلا يعلم على وجه التحديد تأريخها، كما هو الحال بالنسبة لمعظم البلدانيين، لكن دراسة كتاب الاصطخري والأعلام الذين أشار إليهم فيه يدلان على أن وفاته كانت في حوالي منتصف القرن الرابع الهجري، ذلك لأنه يشير إلى أحد الولاة السامانيين ويدعى أبو المظفر محمد بن لقمان بن نصر بن أحمد بن أسد الساماني الذي كان يحكم سمرقند في عهد الأمير الساماني نوح بن نصر أو عهد ابنه عبد الملك بن نوح بن نصر الساماني الذي توفي في حوالي سنة (350 هـ/ 956م)[٤].

انفرد حاجي خليفة بذكر سنة وفاته والتي حددها بسنة (346 هـ/ 952م)[٥].

ابن حوقل النصيبي (ت: بعد 377 هـ/ 977م)

هو أبو القاسم محمد بن علي المعروف بابن حوقل أو الحوقلي، وسمي بالنصيبي وكذلك بالبغدادي وبالموصلي، نسبة إلى المدن الثلاث[١].

1- أي أنه ينفي انتحال كتاب (صور الأقاليم) للبلخي المعاصر له.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص15.

3- المسالك والممالك، الصفحات: 61، 68، 71، 72، 78، 107، 118، 153، 155، 158.

4- المصدر نفسه، ص 177 – 178.

5- كشف الظنون، مج ص1664. البغدادي، هدية العارفين، (بغداد: د/ت)، ج5، ص6.

ولا يعلم على وجه الدقة مكان ولادته على الرغم من أن بعض الباحثين يرون أنه ولد بمدينة نصيبين[٢] والبعض الآخر يجعل من بغداد مسقط رأسه[٣]. ولكن الرأي الأول هو الأرجح لأن ابن حوقل يعرف بالنصيبي أكثر مما يعرف بالبغدادي.

والواقع أن المعلومات المتوفرة عن حياته شحيحة كغيره من البلدانيين، إلا أنه من الممكن الإطلاع على بعض جوانب حياته من خلال حديثه عن نفسه في ثنايا كتابه[٤] والظاهر أنه نشأ في بغداد حيث بدأ رحلته منها[٥]. وكان ذلك يوم الخميس الموافق السابع من شهر رمضان سنة (331 هـ) الخامس من شهر أيار سنة (943م).

وقد اشتهر برحلاته الواسعة في أنحاء العالم الإسلامي والتي دامت حوالي ثلاثين عاماً، حيث جال أصقاع مصر والشام والعراق والبحرين والإحساء وكذلك بلاد فارس وأذربيجان وأرمينيا، كما تجول في بعض نواحي آسيا الوسطى والجنوبية الشرقية منها حيث بلغ إقليم السند؛ كما دخل بلاد البلغار، ووصل إلى أواسط نهر الفولغا، وجاب ربوع بلدان المغرب العربي والأندلس وجهات غربي افريقيا حتى مملكة غانا، كذلك زار نابولي وصقلية في إيطاليا[٦].

وكانت غايته الأولى من تلك الأسفار والرحلات الاشتغال بالتجارة أولاً، أي أن طبيعة مهنته التجارية تطلبت منه التنقل هكذا بين البلدان.

وأشار ابن حوقل في كتابه إلى امتهانه التجارة بقوله: «وحيل بيني وبين رحيلي وما كان معي .. وبضاعتي من خلال ذلك تباع»[٧].

كما بيّن أن من دواعي تأليفه لكتاب صورة الأرض هو شغفه في شبابه «بأخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار، كثير الاستعلام والاستخبار لسافرة النواحي ووكلاء التجار وقراءة الكتب المؤلفة فيها، وكنت إذا لقيت الرجل الذي

---

[1]- ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص398. القزويني، آثار البلاد، ص6. أبو الفدا، تقويم البلدان، ص1.

[2]- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص200.

[3]- العراق في الخوارط القديمة، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، (بغداد :1959)، ص61.

[4]- صورة الأرض، ص10.

[5]- المصدر نفسه، ص 10 — 11.

[6]- المصدر نفسه، ص 16 — 25. أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ج1، ص 170 — 171.

[7]- المصدر نفسه، ص 293.

أظنه صادقاً وأخاله بما أسأله عنه خبيراً عالماً فأجد عند إعادة الخبر الذي اعتقد فيه صدقه، وقد حفظت نسقه وتأملت طرقه ووصفه أكثر ذلك باطلاً، وأرى الحاكي بأكثر ما حكاه جاهلاً ثم أعاوده الخبر الذي التمسه منه والذكر ليسمع الذي استوصفه وأطالع معه ما صدر مع غيره في ذلك بعد رؤية، وأجمع بينهما وبين حكاية ثالث بالعدل والسوية فتتنافر الأقوال وتتنافى الحكايات وكان ذلك داعية إلى ما كنت أحسه في نفسي بالقوة على الأسفار وركوب الأخطار، ومحبة تصوير المدن وكيفية مواقع الأمصار»[1].

وقد رفع ابن حوقل مسودته الأولى من الكتاب إلى الأمير سيف الدولة الحمداني (ت: 356 هـ/966م) بحلب[2]، وأما المسودة الثانية فتعود إلى حوالي عام (367 هـ/ 977م)[3].

انصب اهتمام ابن حوقل كمعظم البلدانيين على وصف (دار الإسلام) وخاصة بلاد فارس، وهو أحد الميزات المهمة التي عرفت بالمدرسة الكلاسيكية في الجغرافية العربية، مع أننا لا ننسى محاولات بعضهم من أمثال ابن خرداذبة واليعقوبي وابن الفقيه وابن رسته ثم المسعودي في تقديمهم وصفاً منتظماً لتخطيط العالم الإسلامي ونظامه الإداري، ودون اقتصارهم على العالم الإسلامي وإنما تناولوا البلدان غير الإسلامية أيضاً. وأقر ابن حوقل باستفادته من كتب ابن خرداذبة والجيهاني وأبي الفرج قدامة بن جعفر، بحيث لم يكد يفارقها[4].

وقد أكثر الباحثون من الحديث عن تأثر كتاب (صورة الأرض) بكتاب (المسالك والممالك) للاصطخري، بل أن بعضهم زعم أن الأول ليس إلا نسخة منقحة من الثاني، واستند أولئك في زعمهم هذا إلى الشبه الكبير — شكلاً ومضموناً — بين نصوص الكتابين وخاصة في الفصول الأولى، واعتراف ابن حوقل نفسه بلقائه بالاصطخري، اللقاء الذي لم يعرف عن مكانه ولا زمانه[5]. وما ذكره

1- المصدر نفسه، ص383.

2- ينظر: ابن خلكان، مصدر سابق، ج3، ص 401 — 406.

3- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص201.

4- صورة الأرض، ص15.

5- للمزيد ينظر: سعد عبود سمّاد، ابن حوقل، دراسة تاريخية في كتابه صورة الأرض، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1987، ص5 — 10.

ابن حوقل بهذا الخصوص: "ولقيت أبا إسحاق الفارسي، وقد صوّر هذه الصورة لأرض السند، فخلطها، وصوّر فارس، فجوّدها، وكنت قد صوّرت أذربيجان.. فاستحسنها والجزيرة فاستجادها، وأخرج التي لمصر فاسدة وللمغرب أكثرها خطأ، وقال قد نظرت في مولدك وأثرك وأنا أسألك إصلاح كتابي هذا حيث ضللت، فأصلحت منه غير شكل وعزوته إليه، ثم رأيت أن انفرد بهذا الكتاب وإصلاحه وتصويره أجمعه وإيضاحه"[1].

والواقع أن الرأي القائل بأن كتاب ابن حوقل ما هو إلا نسخة منقحة فريدة لكتاب الاصطخري فيه مبالغة؛ فالذي يقارن بين الكتابين يرى أن الأول أكثر دقة في تحديد المواقع الجغرافية، وكذلك في عرض المادة الجغرافية من حيث الشمول والتفصيل، أضف إلى ذلك، إضافاته الهامة في وصف الجزء الغربي من العالم الإسلامي، فقد ذكر ابن حوقل تفاصيل عن المغرب لا توجد في كتاب الاصطخري وكذلك الحال بالنسبة إلى أنحاء المشرق الإسلامي[2]، وكذلك إقليمي الجبال والجزيرة، وما يتعلق منها بالكرد[3]. فإنها تتضمن تفصيلات لا نجدها في كتاب الاصطخري مطلقاً.

ويقول أحد الباحثين أن مردّ وجود تشابه كبير بين الكتابين هو أن ابن حوقل هو الذي نسخ كتاب المسالك والممالك للاصطخري[4]، ومما يضفي أهمية أكبر على كتاب ابن حوقل هو تلك التعليقات والإضافات التي دونها ناسخ الكتاب في القرن السادس الهجري، كما ينبغي أن لا ننسى أن ابن حوقل كان أكثر رحلة وسفراً من الاصطخري الذي لا نعرف حدود رحلاته ولكن مهما وصلت فإنها أقل مما وصلها ابن حوقل[5].

ويخصوص موقع الكرد من الكتاب نلاحظ أن بلغ حداً لم تشهده الكتب البلدانية الأخرى، فقد وردت لفظة "الأكراد" فيه إحدى وعشرين مرة[6] بالإضافة إلى ذكر عدد آخر من القبائل والطوائف الكردية. مما يؤكد ذلك أهمية هذا الكتاب بالنسبة لتأريخ وجغرافية الكرد، وفضله على نظائره.

---

[1] – ابن حوقل، صورة الأرض، ص23.

[2] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص 368، 378.

[3] – المصدر نفسه، ص 195 – 203، ص 308 – 315.

[4] – إبراهيم شوكت، الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، ص128.

[5] – المرجع نفسه.

[6] – ينظر الصفحات: 195، 240، 269، 283، 289، 291، 307، 314، 315، 370، 377.

أما بشأن سنة وفاة ابن حوقل فقد انفرد حاجي خليفة بتحديدها وهي سنة (350 هـ/ 961م)[1] ولكنه أخطأ في ذلك لأن ابن حوقل نفسه يلمح إلى احتلال الروم لمدينة حلب في عهد الحمدانيين، وناسخ كتاب صورة الأرض يعلق على ما ذكره ابن حوقل بشأن ذلك الحدث بقوله "إن الروم دخلوا مدينة حلب عام ثلثمائة ونيف وسبعين"[2]. مما يؤكد أن ابن حوقل قد توفي بعد هذه السنة.

المسعودي (ت: 346 هـ/ 952م)

هو علي بن الحسين بن علي المعروف بالمسعودي المكنّى بأبي الحسن[3] ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ولد في بغداد ونشأ بها[4]، كما يصرح بذلك نفسه قائلاً: «وأوسط الأقاليم إقليم بابل الذي مولدنا به وإن كانت ريب الأيام، نأت بيننا وبينه»[5]. ثم يضيف: «وأشرف هذه الأقاليم مدينة السلام لا يغر على من أصارني إليه الأقدار من فراق هذا العصر»[6]. إذن فإن ما ذكره ابن النديم[7] من أنه من أهل المغرب غير صحيح. أما تاريخ مولده فغير معلوم.

اشتهر المسعودي برحلاته الواسعة التي تجاوزت العالم الإسلامي لتشمل بلاداً أخرى كالهند والصين وغيرها وقد أمضى ربع قرن من عمره في الرحلات[8]، حيث جاب الممالك المختلفة ودرس أحوال الأمم والشعوب التي مر بها وتحمل عناءً كبيراً من أجل ذلك.

بدأ المسعودي رحلته الأولى في سنة (305 هـ/ 917م) حيث سافر فيها إلى فارس وكرمان، ومكث بعدها في اصطخر ثم واصل رحلته في سنة (310 هـ/ 922م) إلى الهند بعد ذلك توجه إلى سرنديب (جزيرة سيلان) ومن هناك إلى بحر

1- كشف الظنون، مج2، ص1664.

2- صورة الأرض، ص163.

3- ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، (بيروت، 1974)، ج3، ص12 – 13. ياقوت، معجم الأدباء، ج13،ص90. السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، (القاهرة: د/ت)،ج2، ص307.

4- ياقوت، معجم الأدباء، ج3، ص9.

5- مروج الذهب، ج2، ص184.

6- المصدر نفسه، ج2، ص185.

7- الفهرست، ص154.

8- علي حسين الخربوطلي المسعودي، (القاهرة:1980)، ص48.

الصين ومن ثم البحر الهندي إلى مدغشقر وإلى عمان. وفي سنة (314 هـ/926م) قام برحلته الثانية، حيث ذهب إلى أذربيجان وجرجان ومنها إلى الشام وفلسطين سنة (332 هـ/942م)[1].

وقد أشار المسعودي إلى رحلاته الكثيرة معتذراً من أي تقصير فيما ينتابه قوله: «على أنا نعتذر من تقصير إن كان، ونتنصل من إغفال إن عرض، لما قد شاب خواطرنا، وعمر قلوبنا، من تقاذف الأسفار، وقطع القفار، تارة على متن البحر، وتارة على ظهر البر مستعملين بدائع الأمم بالمشاهدة، عارفين خواص الأقاليم بالمعاينة، لقطعنا بلاد السند والزنج والصين والزنج وتقحمنا الشرق والغرب، فتارة بأقصى خراسان وتارة بأواسط أرمينيا وأذربيجان والبلقان، وطوراً بالعراق، وطوراً بالشام فسيرى في الآفاق سرى الشمس في الآفاق. كما قال بعضهم: تيمم أقطار البلاد، فتارة لدى شرقها الأقصى وطوراً إلى الغرب سرى الشمس لا ينفك تقذفه النوى إلى أفق ناءٍ يقصر بالركب»[2].

والجدير بالذكر أن حبّه الجمّ للعلم والمعرفة والاستطلاع هو الذي دفع المسعودي للقيام برحلاته الكثيرة تلك، وجاب البلدان شرقاً وغرباً بحثاً عن الحقائق الجغرافية والتاريخية والاجتماعية والتأكد منها، لذلك وصفه مينورسكي بأنه «المثل النموذجي لأفضل مواهب بني جنسه، من حيث النظر إلى الفضول العلمي وحب الأسفار وحيوته الملاحظة»[3].

أما بخصوص آثاره فإن ما جمعه المسعودي من المعلومات الثقافية العامة يعد نادراً لم يسبقه إليه أحد من قبله، ومع أنه لم يصنف كتاباً جغرافياً بحتاً، بل أن جَلّ ما وصلنا من كتاباته يجمع بين التاريخ والجغرافيا وكذلك الاجتماع، ولكنه من الناحية الجغرافية وصف البلاد التي زارها وصفاً دقيقاً وشاملاً، قائماً على أساس المشاهدة والتجربة.

والواقع أن المسعودي لم يكن «عالماً في الطبيعيات أو الجغرافيا، بل كان مؤرخاً كبيراً .. غير أن مؤلفاته تحوي معلومات جغرافية وجيولوجية قيّمة.. وقد عاش

1- أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، ص102. مصطفى الشهابي، الجغرافيون العرب، ص50.

2- مروج الذهب، ج1، ص10.

3- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص13.

المسعودي في مرحلة نشوء وبلورة الفكر العلمي الإسلامي، لذلك فإن آراءه تعكس لنا تفكير علماء ذلك العصر»[١].

تبلغ مصنفاته التي ذكرها في مقدمة بعض كتبه[٢] أربعة وثلاثين مصنفاً في عشرات المجلدات والأجزاء، ولكن شاءت الأقدار أن لا يبقى سوى اثنين منها، هما: (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و (التنبيه والإشراف).

وقد فرغ المسعودي من تأليف الكتاب الأول سنة (332 هـ/942م)[٣] أو سنة (336هـ/947م)[٤] ويقع الكتاب في الأصل في عشرين مجلداً ضخماً، لكنه لم يبق منه إلا بعض أجزائه[٥]. وأشار في مقدمته إلى أنه أراد به إجمال ما بسطه في كتاب (أخبار الزمان) واختصار ما بسطه في كتاب (الأوسط)[٦] ولا شك في أن الكتاب يجمع بين دفتيه خلاصة وافية للمعرفة العلمية في عصره[٧].

وقد أورد فيه معلومات جغرافية عديدة، وهو يتكون من قسمين، الأول: وصف الخليقة وقصص الأنبياء باختصار، ثم وصف الأرض والبحار والعجائب والغرائب وتاريخ الأمم القديمة ومعتقداتها وعاداتها وتقاليدها وغير ذلك وهو القسم الذي وردت فيه معلومات جغرافية هامة.

أما القسم الثاني فيتناول التاريخ الإسلامي منذ أواخر عصر الخلفاء الراشدين حتى أوائل خلافة المطيع لله العباسي.

أما كتابه (التنبيه والإشراف) الذي أنجز تأليفه قبل وفاته بسنة[٨] فقد قال عنه المسعودي نفسه في مقدمته: «رأينا أن نتبع ذلك بكتاب سابع مختصر نترجمه بكتاب التنبيه والأشراف، نودعه لمعاً من ذكر الأفلاك وهيئاتها والنجوم وتأثيراتها،

1- مجلة رسالة الخليج العربي، الرياض، العدد الثاني عشر، السنة الرابعة، 1984، ص 189 – 190.

2- ينظر: مروج الذهب، ج1، ص11 – 12. التنبيه والإشراف، ص 17 – 22.

3- مروج الذهب، ج2، ص63.

4- شاكر خصباك، كتابات مضيئة في التراث الجغرافي العربي، (بغداد، 1979)، ص49.

5- المرجع نفسه والصفحة.

6- مروج الذهب، ج1، ص10.

7- نيقولا زيادة، الرحالة العرب، ص47.

8- محمد رجائي ريّان، علم التاريخ عند المسلمين وتطوره في القرن الرابع الهجري، مجلة دراسات تاريخية، (جامعة دمشق: 1989)، العددان 33 و 34، ص92.

والعناصر وتراكيبها، وكيفية أفعالها، والبيان عن قسمة الأزمنة، وفصول السنة، وما لكل فصل من المنازل والتنازع في المبتدأ به منها، والرياح ومهابها وأفعالها وتأثيراتها، والأرض وشكلها وما قيل في مدار مساحتها وعامرها وغامرها والنواحي والآفاق وما يغلب عليها»[1]. فيلاحظ أن المادة الجغرافية هي الطابع الغالب على هذا الكتاب.

أما كتابه (أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران) والذي يسمى أيضاً (الجمان في مختصر أخبار الزمان)، فيعدّ من أهم مؤلفات المسعودي في الجغرافية التاريخية[2]، وهو يقع في ثلاثين مجلداً[3]، ولكن لم يعثر عليه.

ونظراً لوجود معلومات جغرافية غزيرة في كتب المسعودي وأهميتها فقد أشاد به كراتشكوفسكي وقال بأنه: «يقف على قمة المعارف الجغرافية لعصره، وكان دائماً يتطلع إلى الحصول على أحدث المعلومات عن البلاد التي لم يزرها بنفسه»[4]. ولكن كراتشكوفسكي نفسه ينتقده من جانب آخر وذلك من حيث منهجه في التبويب الذي (لا يرقى إلى المستوى المطلوب)[5]، حسب تعبيره. أما طريقته في التأليف فقد تتمثل في الاعتماد على العرض الأدبي لا على الإسناد، ومن ثم فإنه نادراً ما يشير إلى مصادره[6].

ووجد مينورسكي أن المسعودي يختلف عن أولئك البلدانيين الذين يصفون كل مدينة أو يحسبون بالتقدير كل مسافة يقطعونها، ويشبه أسلوبه بما يكتبه (مراسل صحيفة كبرى في أيامنا، والذي يجتذبه كل ما هو مستغرب، والذي يصف كل ما يقع تحت بصره، ولا تفوته فرصة الاستفسار من الشخصيات البارزة أو زيارة الذين يرددون الأقاويل والانتقادات عن مدينة ما)[7]. فمثلاً نجد المسعودي يصف

1- التنبيه والإشراف، ص20.

2- أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ج1، ص187.

3- تاريخ الأدب الجغرافي، ق1، ج1، ص183.

4- رجائي ريّان، مرجع سابق، ص 92 – 93.

5- المرجع نفسه، ص 183.

6- المرجع نفسه، ص183.

7- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص13.

في سياق رواياته وإشاراته التاريخية الممالك التي زارها، وفي الوقت نفسه يناقش جميع المسائل الجغرافية التي وردت في كتب البلدانيين السابقين دون أن يتقيد بمنهج خاص[1].

ويظهر مما ذكره المسعودي نفسه أنه استفاد من آثار البلدانيين السابقين عليه كالبلاذري وابن خرداذبة[2] وقدامة بن جعفر[3].

وقد أشاد به المستشرق الدوميلي واصفاً إياه «من أعظم الجغرافيين الذين استهل بهم القرن العاشر الميلادي»[4].

وأما بخصوص نصيب الكرد من كتابيه (مروج الذهب والتنبيه والإشراف)، فقد وردت ذكر لفظة "الأكراد" فيما أكثر من عشرين مرة[5]. بالإضافة إلى الإشارة إلى أكثر من سبع عشرة طائفة كردية[6]، وقد جاءت إشاراته تلك في سياق عرضه للآراء المتعلقة بأصل الكرد ومواطنهم وميولهم المذهبية[7].

وبشأن وفاته فقد ذكرت المصادر تاريخين لتحديد سنة وفاته الأولى سنة (345 هـ/ 956م) والثانية سنة (346 هـ/957م)[8].

أبو دلف مسعر بن مهلهل (ت: بعد 384 هـ/994م)

إذا سلمنا بشحة المعلومات التاريخية عن سير البلدانيين بوجه عام، فإنها أكثر شحة فيما يخص حياة الرحالة أبي دلف مسعر بن مهلهل الخزرجي الينبعي؛ أما نسبته (الينبعي) و (الخزرجي) فتؤكد صلته بميناء ينبع الواقع على البحر الأحمر، وقبيلة الخزرج التي كانت تستوطن المدينة.

إن تاريخ ميلاد أبي دلف وكذلك وفاته غير معروفين على وجه التحديد، ولكن أحد الباحثين[1] استنتج من نص أورده الثعالبي[2] الذي ذكر أن أبا دلف قد جاوز

1- جمال الفندي، الجغرافيا عند المسلمين، ص40.

2- مروج الذهب، ج1، ص14.

3- المصدر نفسه، ص16.

4- العلم عند العرب، ص225.

5- ينظر: مروج الذهب، ج2، ص 133 – 135. التنبيه والإشراف، ص 78 – 79.

6- مروج الذهب، ج2، ص135. التنبيه والإشراف، ص79.

7- المصدر نفسه والصفحة.

8- ياقوت، معجم الأدباء، ج13، ص90. السبكي، مصدر سابق، ج2، ص307.

التسعين من العمر، بأنه ولد حوالي سنة (292 هـ/903م) وأنه توفي بعد سنة (384 هـ/994م) وهي السنة التي فرغ فيها الثعالبي من تأليف كتاب اليتيمة.

التحق أبو دلف بخدمة السامانيين في حاضرتهم بخارى في عهد الأمير نصر الثاني بن أحمد الساماني (301 – 331 هـ/ 914 – 942م) وهو الأمير نفسه الذي سافر ابن فضلان في عهده إلى بلاد البلغار. وفي سنة (331 هـ – 942م) زار البلاط الساماني وفد من الصين، فاستغل أبو دلف الفرصة، ورافق الوفد في طريق عودته إلى الصين حيث عبر تركستان والتبت، وولج الصين ثم غادرها متوجهاً إلى الهند ومن هناك عاد إلى دار الإسلام عن طريق سجستان وحلّ في بلاط الوزير البويهي الأديب المشهور الصاحب إسماعيل بن عباد (ت: 385 هـ/955م) حيث نظم قصيدته الرائية التي عرفت بالقصيدة الساسانية[٣] وأهداها للصاحب فأعجب بها[٤].

يذكر أن أبا دلف دوّن مشاهداته وانطباعاته خلال رحلته إلى الصين في رسالته الأولى، وفي الفترة ما بين (331 – 341 هـ/ 942 – 952م) زار أماكن مختلفة من أذربيجان وأرمينيا وإيران وشهرزور، ووصف ذلك في رسالته الثانية، ويستشف أحد الباحثين[٥] من قول أبي دلف عن الحوادث قال أنها وقعت في شهرزور عام 341 هـ أن تأليفه للرسالة الثانية يعقب ذلك التاريخ.

ويظهر مما أورده ابن النديم[٦] أنه رأى أبا دلف، ونقل عنه بعض المعلومات، ووصفه بالجوالة، وكذلك ياقوت والقزويني اللذين حفظا لنا مقتطفات من وصف

---

[1]- حسام الدين النقشبندي، الرسالة الثانية لمسعر بن مهلهل وشهرزور، گوفارى زانكوى سليماني، ژماره (8)، سال 2001، ل 211.

[2]- يتيمة الدهر، ج2، ص356.

[3]- القصيدة الساسانية، وهي تتناول خطط وحيل ومكايد الصعاليك والشطار الذين كانوا من خلالها يبتزون أموال الناس، وقد اتخذوا لأنفسهم في ذلك العصر اسم «الساسانيين» للدلالة على علو شأنهم وعظمتهم! ينظر: الثعالبي، يتيمة الدهر، ج3، ص357. كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ج1، ص188.

[4]- كراتشكوفسكي، مرجع سابق،ج1، ص188. أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ج1، ص184. حسام الدين النقشبندي، الرسالة الثانية، ص211.

[5]- حسام الدين النقشبندي، الرسالة الثانية، ص210.

[6]- الرسالة الثانية، عنى بنشرها وترجمتها وتعليقها، بطرس بولغاكوف وأنس خالدوف، صدرت عن أكاديمية العلوم للاتحاد السوفيتي، دار النشر للآداب الشرقية، (موسكو:1960).

أبي دلف، وقد أحصي ما نقله ياقوت في معجمه للبلدان بأربعة وثلاثين اقتباساً، وما أورده القزويني في كتابه (آثار البلاد) بأربعة وعشرين اقتباساً[1]، كما وصف القزويني أبا دلف بأنه كان جوالاً جاب البلدان المختلفة[2].

واجهت رحلات أبي دلف العديد من الاتهامات والشكوك بشأن مدى صحة المعلومات التي دونها أبو دلف، وخاصة في رسالته الأولى، وما يتعلق برواياته وانطباعاته عن الصين[3].

ولكن كراتشكوفسكي نفى تلك الاتهامات[4].

لقد دوّن أبو دلف معلوماته التي جمعها خلال أسفاره بعد فترة من الزمن أي أن معلوماته لم تدوّن مباشرة بعيد الرحلة أو خلالها، وهذا ما انعكس على كيفية عرض المادة وسرد الروايات في (الرسالة الثانية) من عدم الالتزام بالتسلسل الزمني في تناوله للموضوعات والوقائع.

بدأ أبو دلف رحلته من مدينة الشيز الواقعة جنوب أذربيجان، ومنها اتجه شمالاً نحو بلاد الران ثم عاد جنوباً إلى منطقة الطرم الواقعة شرقي نهر سفيدرود وجنوب غربي بحر الخزر (قزوين)، ثم يعود إلى أذربيجان متوجهاً إلى الساحل الغربي لبحر قزوين حتى يصل إلى منطقة موقان ومنها شمالاً إلى مدينة باكو الواقعة في أذربيجان، بعدها يتجه إلى الشمال الغربي حتى يصل إلى مدينة تفليس ليعود منها إلى مدينة اردبيل ثم يسير باتجاه الشمال حيث سهل البلاشجان على الضفة الجنوبية لنهر الرس[5].

ثم يتناول الحديث عن مدينة أورمية وبحيرتها، بعدها يصف شهرزور، مدنها وأسوارها وأخباراً تاريخية عنها، ثم يصف مدن خانقين وقصر شيرين وحلوان ومرج القلعة[6] ويواصل سيره متخذاً الطريق الجنوبي الشرقي صوب لورستان

1- أحمد سوسة، الشريف الإدريسي، ج1، ص185.

2- آثار البلاد وأخبار العباد، ص141.

3- Hudud Al Alam. P.225.

4- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق1، ص189.

5- الرسالة الثانية، ص 7 – 13. النقشبندي، الرسالة الثانية، ص214.

6- الرسالة الثانية، ص 13 – 21.

ويصف بعض مدنها ثم يتجه شمالاً إلى غربي إقليم الجبال واصفاً المدن التي زارها[1]. بعد ذلك يتناول وصف مدن طبرستان فخوارزم ومنها يتوجه إلى خوزستان ليصف بعض مدنها وأنهارها. بذلك يختم أبو دلف رسالته الثانية[2].

أما أسلوبه في كتابة الرسالة فإنه لا يخلو من التشويق لأنه كان أديباً شاعراً كما يؤكد ذلك الثعالبي[3]، ولكنه لم يخرج عن تقاليد الأدب الجغرافي السائد في عصره وخاصة فيما يخص وصف المدن والمواقع التي وقف عندها[4]، بل وقد كان أكثر دقة من غيره.

ويستنتج مما كتبه أبو دلف تعدد اهتماماته العلمية في مجالات الصيدلة والكيمياء[5] وغيرها حيث أكد كثيراً على ذكر المعادن والنباتات واستخداماتها كما أشار إلى عشرات المواقع التي توجد فيها تلك المعادن والنباتات[6].

إن الرسالة الثانية على الرغم من صغر حجمها فإنها بالغ الأهمية من الناحية التاريخية والجغرافية وخاصة فيما يتعلق بموضوع دراستنا هذه، حيث انفرد أبو دلف بذكر أخبار عن بعض المدن الكردية وكذلك ملامح سياسية واجتماعية واقتصادية ودينية لها، أو على الأقل سبق غيره فيها[7].

وقد ذكر أبو دلف لفظة "الأكراد" خمس مرات[8]، بالإضافة إلى خمس طوائف كردية[9].

مؤلف مجهول (صاحب كتاب «حدود العالم»)

تم تأليف هذا الكتاب في المنطقة الواقعة حالياً شمالي شرقي أفغانستان في سنة (372 هـ/982م)، وقد كتب باللغة الفارسية من قبل شخص ما زال اسمه

1- المصدر نفسه، ص 22- 34.

2- المصدر نفسه، ص 34 – 45. النقشبندي، الرسالة الثانية، ص214.

3- يتيمة الدهر، ج3، ص؟

4- النقشبندي، الرسالة الثانية، ص215.

5- الرسالة الثانية، ص6. عزيز الله بيات، مرجع سابق، ص337.

6- ينظر على سبيل المثال: الصفحات: 6، 7، 10، 11، 12، 14، 17، 19، 23، 38.

7- ينظر الصفحات: 13، 14، 18، 19، 20، 25.

8- المصدر نفسه الصفحات، 14، 18، 19، 25.

9- المصدر نفسه، ص18. ينظر كذلك: الفصل الرابع من هذه الدراسة.

مجهولاً، كتبه لأمير ناحية كزكان أو كزكانان (جزجان)(١) (وكان ينتمي إلى أسرة صغيرة حاكمة هي آل فريغون)(٢). حيث قدم الكتاب إلى حاكمهم ويدعى أبو الحارث محمد بن أحمد بن فريغون الذي كان معاصراً للأمير أبي القاسم نوح بن منصور الساماني.

ويظهر أن المؤلف لم يكن رحالاً وإنما ناقلاً عن غيره من البلدانيين والرحالة كابن خرداذبة(٣) والجيهاني والاصطخري٤ على الرغم من أنه لم يشر إلى اقتباساته من كتبهم، عدا ذكره لبطليموس، فقد اتبع نظام كتاب بطليموس بحذافيره باستثناء جميع المعلومات الخاصة بخطوط الطول والعرض منه(٥).

ويذهب بارتولد إلى أن ثمّة علاقة أدبية بين هذا الكتاب وكتاب الجيهاني المفقود(٦) في حين أن مينورسكي لا يشك في طابع الانتحال أو التجميع والاقتباس من الكتاب المذكور(٧).

وفي الوقت نفسه أكد بارتولد أن الكرديزي(٨) المؤرخ الذي كتب (زين الأخبار) بالفارسية قد اعتمد في فصله الجغرافي على كتاب (حدود العالم)(١) الذي يسميه مينورسكي (مناطق العالم)(٢) وهو أكثر دقة.

1- ذبيح الله صفا، تاريخ أدبيات إيران، (طهران: 1378 هـ)، مجلد 1، ص 153 — 154.

2- آل فريغون: ظهروا في القرن الرابع الهجري كأمراء تابعين للسامانيين، وترجع تسميتهم إلى رجل أسطوري فريدون أو أفريدون، وربما إلى فريغ الذي حكم خوارزم قبل الإسلام، ذبيح الله صفا، مرجع سابق، ص154.

3- ذبيح الله صفا، مرجع سابق، ص154.

4- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص223.

5- جمال الفندي، الجغرافيا عند المسلمين، ص39، ص124.

6- جهود العلماء العرب المسلمين في علم الجغرافيا، تقويم كتاب حدود العالم، ترجمة وتعليق؛ عبد الجبار ناجي، (بغداد :2000)، ص39 — 41.

7- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص15.

8- الكرديزي: هو أبو سعيد عبد الحي بن الكرديزي، نسبة إلى ناحية كرديز الواقعة جنوبي غزنة على طريق الهند، المعلومات التاريخية بشأنه قليلة؛ كان معاصراً لعهد الغزنويين، ألف كتاباً في التاريخ باللغة الفارسية سماه (زين الأخبار) وهو كتاب تاريخي شامل يتناول الأحداث التاريخية باختصار منذ بدء الخليقة وحتى عهد السلطان مودود بن مسعود الغزنوي (432 — 440 هـ/ 1040 — 1048م) كما تطرق إلى عادات وتقاليد الشعوب، ينظر: ذبيح الله صفا، مرجع سابق، مجلد 1، ص161.

إن الكتاب صغير الحجم بالنسبة إلى الكتب البلدانية الأخرى ويتكون من واحد وستين فصلاً، تتناول الفصول السبعة الأولى منه مواضيع عامة عن شكل الأرض وأحوال سكانها والبحار والأنهار وغير ذلك، أما الفصول الأخرى فقد خصص كل واحد منه لمنطقة معينة وبشكل مختصر، ومن الملاحظ أن المؤلف ركز على الناحية الاقتصادية وخاصة التجارة والمحاصيل لزراعية لتلك المناطق، كما أن الكتاب لم يقتصر على بلاد الإسلام وإنما شمل جميع بلدان العالم شرقاً وغرباً، بل وأنّ ما خصصه المؤلف لوصف البلدان غير الإسلامية أوسع مما فعله الآخرون من البلدانيين المسلمين بكثير.

أما بشأن نصيب الكرد في كتاب (حدود العالم) فعلى الرغم من أن صاحبه تناول ذكر بلادهم من مدن ومظاهر طبيعية وبشرية باختصار كما مع غيرها من البلدان[٣] فإن لفظة "الكرد" لم ترد فيه إلا مرة واحدة خلال تعريفه لمدينة جبُل في العراق، إذ أشار إلى أن اغلب أهلها من الكرد[٤].

المقدسي (ت: حوالي 390 هـ/1000م)

هو شمس الدين محمد بن أبي بكر البنّاء المقدسي المعروف بالبشاري، يلقب (المقدسي)[٥] نسبة إلى بيت المقدس[٦] وبالإضافة إلى هاتين التسميتين فقد لقب بألقاب وصفات عدة أوردها المقدسي في كتابه، حتى بلغت ستة وثلاثين لقباً[٧] لكثرة ما نسب إلى المناطق التي زارها أو الأعمال التي زاولها والمهن التي مارسها.

1- Hudud Al Alam. P.73.

2- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص15.

3- مؤلف مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، (القاهرة: 1999)، ص117، ص118، ص119، ص101، ص106، ص107، ص108.

4- المصدر نفسه، ص115.

5- المقدسي: وردت بفتح الميم وكسر الدال وكذلك بضم الميم وتشديد الدال نسبته إلى المكان المُقدسي وهو بيت المقدس.

6- ينظر: البغدادي، مصدر سابق، ج2، ص62 – 63. حاجي خليفة، مصدر سابق، مج1، ص16. كراتشكوفسكي، ق1، ص208.

7- أحسن التقاسيم، ص49. وينظر للمزيد: عدي يوسف مخلص، المقدسي البشاري حياته ومنهجه.

ولـد المقدسـي بـين سـنتي (334 – 336 هـ/945 – 947م) بحـسب روايـات عدة[1] لكنها غير مؤكدة ولكن إقراره بأنه أنجز كتابه عندما بلغ الأربعين من العمـر وذلـك في سـنة (375 هـ/985م)[2]، يـرجح ولادتـه بأنهـا كانـت في سـنة (335 هـ/946م).

والظاهر أنه ولد ببيت المقدس، وهناك إشارة إلى أنه كان حاضراً في مكة، عندما كان في العشرين من عمره، وربما كان سفره ذلك لرحلته إلى الحج برفقة والده[3].

وقد أكد المقدسي نفسه أنه نشأ بالشام بقوله: «تكلمنا بلغة الشام لأنها إقليمي الذي به نشأت»[4]. ثم يذكر اسم معلمه الأول القاضي أبي الحسين القزويني[5] بقوله: «لأنه أول إمام عليه درست»[6]، وتلقى الفقه على مذهب أهل العراق[7]. ويظهر أن المقدسي رحل إلى بغداد منذ صغره وتلقى العلوم على أيدي علمائها.

اشتهر المقدسي بكثرة رحلاته التي شملت جميع أرجاء العالم الإسلامي باستثناء الاندلس التي لم يصل إليها، لكنه لم يتناول البلدان غير الإسلامية أو ما يسمى (دار الكفر)، حيث قال (ولم نذكر إلا مملكة الإسلام حسب ولم نكلف ممالك الكفار لأننا لم ندخلها ولم نر فائدة في ذكرها، بل قد ذكرنا مواضع المسلمين منها)[8]، وكان المقدسي خلال رحلاته يدوّن ما يشاهده أو يسمعه من ذوي الخبرة، أو ممن يثق بهم، ويطمئن إلى صحة أقوالهم، ملتقياً بمختلف الطبقات والفئات والأجناس والمذاهب.

1– كراتشكوفسكي، مصدر سابق، ق1، ص209.

2– الإقليمية عند العرب، مجلة المجمع العلمي العراقي، (بغداد :1989)، مج40، ج1، ص238.

3- Ency. Of Islam, Vol.III. p.708.

4– أحسن التقاسيم، ص39.

5– أبو الحسين القزويني: هو أحمد بن عمر بن العباس، أبو الحسن القزويني، قدم بغداد حاجاً في سنة 245 هـ وحدّث بها عن محمد بن عبد بن عامر السمرقندي ومحمد بن موسى الحراني والحسن بن ماجد القزيني وغيرهم. ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، (بيروت: د/ت)، مج4، ص291.

6– أحسن التقاسيم، ص39.

7– المصدر نفسه، ص40.

8– المصدر نفسه، ص23.

ويستدل مما أورده في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) أنه عانى كثيراً خلال جولاته وتنقلاته بين البلدان والأمصار والمدن، ولم يستقر على حال واحد واشتغل شتى الأعمال واختلط بشتى المشارب، ومما قاله بهذا الصدد: «ثم أنه لم يبق شيء مما يلحق بالمسافرين إلا وقد أخذت منه نصيباً غير الكدية وركوب الكبيرة، فقد تفقهت وتأدبت.. وفقهت وأدبت، وخطبت على المنابر، وأذنت على المنائر، وأممت في المساجد .. وأكلت مع الصوفية الهرائس، ومع الخانقائيين الثرائد .. وأشرفت مراراً على الغرق، وقطع على قوافلنا الطرق، وخدمت القضاة والكبراء، وخاطبت السلاطين والوزراء. وصاحبت في الطرق الفساق وبعت البضائع في الأسواق، وسجنت في الحبوس، وأخذت على أني جاسوس .. ورميت بالبدع واتهمت بالطمع ..»[1].

ويلاحظ في مقدمة كتاب المقدسي أنه أراد أن يخوض في ميدان لم يدخله غيره أو لم يحسن الخوض من سبقه، إلا وهو علم البلدان، فيقول: «ووجدت العلماء قد سبقوا إلى العلوم فصنّفوا على الابتداء ثم تبعتهم الأخلاف فشرحوا كلامهم واختصروه، فرأيت أن أقصد علماً قد أغفلوه، وانفرد بفنٍّ لم يذكروه إلا على الإخلال وهو ذكر الأقاليم الإسلامية وما فيها من المفاوز والبحار، والبحيرات والأنهار. ووصف أمصارها المشهورة، ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة وعناصر العقاقير والآلات، ومعاون الحمل والتجارات. واختلاف أهل البلدان في كلامهم وأصواتهم وألسنتهم وألوانهم، ومذاهبهم ومكايلهم وأوزانهم. ونقودهم وصروفهم وشرابهم وثمارهم ومياههم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم وإليهم ..»[2].

ويتضح مما سبق أن المقدسي جعل الرحلة الأساس الذي وضع عليه تأليفه لكتابه، بالإضافة إلى ما سمعه من مشايخ أهالي البلدان التي كان يزورها وكذلك الإطلاع على كتب البلدانيين الذين سبقوه.

وعلى الرغم من أنه نقد في هذا الشأن كتّاب البلدان مراراً، فإنه أشاد ببعضهم أحياناً بفضلهم عليه، وممن وجه إليهم النقد البلخي، حيث عاب عليه بأنه «ما دوّخ البلدان ولا وطئ الأعمال»[3]، وأخذ على الجيهاني بأنه: «كان صاحب

1- المصدر نفسه، ص50.

2- أحسن التقاسيم، ص 15 – 16.

3- المصدر نفسه، ص20.

فلسفة ونجوم وهيئة، فجمع الغرباء وسألهم عن الممالك ودخلها وكيف المسالك إليها»[١]، كما انتقد ابن الفقيه بقوله: «فإنه سلك طريقة أخرى ولم يذكر إلا المدائن العظمى ولم يرتب الكور والأجناد، وأدخل في كتابه ما لا يليق به من العلوم، مرة يزهد في الدنيا وتارة يرغب فيها ودفعة يبكي، وحيناً يضحك ويُلهي»[٢]، كما انتقد كلاً من الجاحظ[٣] وابن خرداذبة لأن (كتابيهما مختصران جداً لا يحصل منهما كثير فائدة)[٤]. وفي موضع آخر من الكتاب جعل من البلخي دليله ورائداً في المعلومات التي أوردها بشأن خراسان فيقول: « ... غير أن أمامنا فيما ذهبنا إليه أبو زيد وقد كان أعلم بدواوين خراسان وتفاصيل أعمالها من غيره»[٥].

ومما يؤخذ على المقدسي اعتداده الشديد بالنفس والإطراء عليها في قوله: «لا يعرف فضل كتابنا هذا إلا من نظر في كتبهم أو دوّخ البلدان وكان من أهل العلم والفطنة»[٦]. وفي موضع آخر بعد أن يتم بعض البلدانيين بالنقل عن بعضهم يقول: « .. وإذا نظرت في كتابنا وجدته يصبح وحده يتيماً في نظمه..»[٧].

ولكن ذلك لا يقلل إطلاقاً من شأن الكتاب الذي يختلف كثيراً عن الكتب البلدانية الأخرى من حيث التنظيم والأسلوب والجودة والابتكار، فقد حرص المقدسي أن لا يكرر معلومات سابقيه قدر الإمكان[٨]. إذ كتبه بأسلوب سجع خفيف غير مخلّ. وقد أشاد به وبكتابه، العديد من الكتاب والباحثين لأن علم البلدان قد قطع على يده شوطاً كبيراً من التطور والنضج، ووجد أحد الباحثين أن

1- المصدر نفسه والصفحة.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- الجاحظ: توفي عام (255 هـ/ 861م) صاحب كتاب الحيوان الذي يحفل بالكثير من المعلومات عن الجغرافيا الحيوانية والانثروبولوجيا والاثنوغرافيا. وله رسالة (التبصر في التجارة) لها أهميتها في الجغرافية الاقتصادية للعالم الإسلامي في زمنه. أما كتابه المعروف بـ (الأمصار وعجائب البلدان) فلم يعثر عليه وقد أخذ عنه كل من ابن خرداذبة وابن الفقيه الهمذاني وابن حوقل والمسعودي والمقدسي.

4- أحسن التقاسيم، ص21.

5- المصدر نفسه، ص242.

6- المصدر نفسه، ص21.

7- أحسن التقاسيم، ص199.

8- المصدر نفسه، ص21.

أهمية عمله تكمن في (دقة ملاحظته لحياة الناس وأعمالهم وأنه يتمتع بنظرة ثاقبة في تقدير آداب البلاد التي زارها)[1]، ورأى آخر أن أهمية الكتاب تكمن في الخرائط التي صوّرها المقدسي للأقاليم واستخدام الرموز وطرائق التعبير الاصطلاحي والتلوين[2]. وعده كراتشكوفسكي (من أكثر الجغرافيين أصالة)[3] فقال عنه شبرنجر بأنه لم يسبقه أحد في اتساع مجال أسفاره وعمق ملاحظاته وإخضاعه المادة التي جمعها بصياغة منظمة[4]. ووصفه مينورسكي بقوله: (ربما كان هذا أكثر الجغرافيين المسلمين بريقاً)[5].

إن المعلومات التي أوردها المقدسي بشأن الأقاليم الإسلامية، التي جعلها أربعة عشر إقليماً خلافاً للبلدانيين الآخرين، متفاوتة فيما بينها، فحين يصف أي إقليم يقسمه عادة إلى ثلاثة أقسام متساوية في حجومها، ففي القسم الأول نجده يشرع بالحديث عن أقسام الإقليم والمدن والأماكن العامرة منه، في حين أنه في القسم الثاني يتناول المناخ والزراعة والطوائف واللغة والتجارة والأوزان والنقود والعادات وكذلك المياه والمعادن والمشاهد (الأماكن المقدسة) وكذلك أخلاق الناس والتبعية السياسية للولايات والخراج على التوالي أما القسم الثالث فيخصصه لذكر المسافات وطرق المواصلات.

ومن الجدير بالملاحظة أن اهتمام المقدسي بالجوانب البشرية كان أكثر من اهتمامه بالجوانب الطبيعية باستثناء إقليم الشام حيث أسهب في وصف طبيعته بعض الشيء[6].

حقاً أن المقدسي تميز عن سابقيه في كتابه (أحسن التقاسيم) من حيث المنهج والتنظيم وكان بحق مبتكراً مجداً ومجيداً فيما أورده ودوّنه، لذا فإن مكانته تبقى بارزة وأهميته تكون خاصة.

1- نفيس أحمد، جهد المسلمين في الجغرافيا، ص57.

2- لامنس، المقدسي وجغرافية سوريا في القرن العاشر الميلادي، مجلة المشرق السنة العاشرة (بيروت: تموز 1907)، العدد 13، ص682، ص684.

3- تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ق1، ص208.

4- يوسف الغنيم، مرجع سابق، ص44.

5- الجغرافيون والرحالة المسلمون، ص14.

6- أحسن التقاسيم، ص 135 – 149.

أما بشأن موضوع الكرد في الكتاب فمن الملاحظ أن المقدسي على الرغم من أنه ذكر الأكراد ثماني مرات إلا أن ذلك ورد خلال حديثه عن أقاليم غير كردية كأرمينيا وفارس وكرمان، أي أنه لم يهتم بذكر الأكراد، ابتداءً وذلك عند عرضه لإقليمي الجبال وآقور (الجزيرة) اللذين يعرفان بتوطن الكرد فيهما بشكل واسع منذ فجر التاريخ. وقد يكون مرد ذلك أن المقدسي لم يجد ضرورياً ذكر اسم الكرد عند الحديث عن بلادهم فوجد ذلك بديهياً ونوعاً من تحصيل حاصل، فاكتفي بالحديث عن الجوانب الطبيعية والبشرية ومختلف جزئياتها لبلاد الكرد متجاوزاً التصريح بلفظة الكرد.

وبخصوص تاريخ وفاته فإنه غير معلوم على وجه الدقة ولكن من الراجح أنه توفي في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، فقد ذكر في كتابه من بين خلفاء بني العباس الذين عاصرهم الخليفة الطائع (363 – 381 هـ/973 – 991م) لكنه لم يشر إلى الخليفة القادر الذي خلفه في الحكم. فعلى هذا الأساس يقدر بأن وفاته كانت بين سنتي (375 – 381 هـ/ 985 – 991م) ولكن كراتشكوفسكي يرى أنه توفي حوالي سنة (390 هـ/ 1000م)[1].

بلدانيو ورحالة القرنين الخامس والسادس الهجريين

لعلنا غير مبالغين ولا مخطئين، إذا قلنا أن جميع أو معظم البلدانيين الذين ظهروا بعد القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي إنما هم مقلدون ومقتفون آثار السابقين من روّاد علم البلدان للقرن الرابع الهجري نفسه الذي بلغت فيه الحضارة الإسلامية أوج تطورها وذروة مجدها من جميع النواحي؛ هذا إذا ما استثنينا بعض الرحالة الذين نقلوا أخباراً ومعلومات جديدة عن بعض البلدان التي زاروها من مثل ناصر خسرو (394 – 481 هـ/ 1003 – 1088م) والإدريسي (493 – 560 هـ/ 1100 – 1166م) وغيرهما.

ناصر خسرو (ت: 481 هـ/ 1088م)

هو الحكيم أبو معين ناصر بن خسرو بن حارث البلخي الملقب بـ (الحجة) أو

---

[1] – ينظر: إسماعيل باشا البغدادي، مصدر سابق، مج2، ص63. حاجي خليفة، مصدر سابق، ص17. الزركلي، مرجع سابق، ج6، ص203. كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص213. فلاح شاكر، المقدسي، (بغداد: 1988)، ص8.

(حجة بلاد خراسان) وهذه مرتبة دينية سائدة في وسط الشيعة الإسماعيلية. ولد في شهر ذي القعدة في عام (394 هـ/1003) في نواحي بلخ[1].

وقد عرف ناصر خسرو كشاعر متمكن من بين الشعراء والأدباء الفرس، أو الذين كانوا يكتبون باللغة الفارسية[2].

قضى ناصر خسرو سني عمره في تلقي العلم وكسب العيش، تولى من خلالها مراتب عالية عند سلاطين وأمراء عصره من السلاجقة كما جنى من وراء ذلك مكاسب مادية وحياة متسمة بالترف، استمر على هذه الحال حتى بلغ الأربعين[3] من عمره. عندها طرأ على حياته تغير جذري بعدما رأى حلماً دفعه ذلك إلى تغيير نمط حياته وإعلان التوبة والعزوف عن شرب الخمر ثم السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج. كما دفعه هذا التحول إلى القيام برحلته المعروفة بـ (سفر نامه) وتدوينها باللغة الفارسية[4].

بدأ رحلته عام (437 هـ/ 1046م) بنية الحج، تلك الرحلة التي دامت سبع سنوات، فانطلق من مدينة مرو ماراً بنيسابور في طريقه إلى الري، كما مر بقزوين وتفليس وميافارقين وآمد ثم الشام وفلسطين، ومن القدس قصد مكة عام (438 هـ/1047م) فأدى حجته الأولى ثم عاد إلى القدس، بعدها توجه إلى مصر[5] حيث كان يحكمها الفاطميون (363 – 567 هـ/973 – 1171م).

وقد أقام ناصر خسرو في مصر لعدة سنوات، أدى خلالها شعائر الحج ثلاث مرات عن طريق البحر الأحمر[6].

والجدير بالذكر أن ناصر خسرو خصص الجزء الأكبر من كتابه لوصف مصر الفاطمية، حيث أشاد بخلفائها وحضارتها وما آثار دهشته مما كانت تتمتع به مصر من الأمن والرخاء السائدين فيها[7]؛ والظاهر أنه اعتنق الإسماعيلية في القاهرة ليغدو بعد ذلك أحد أكبر دعاتهم تحمساً لمذهبه، ومن ثم نشره في بلاده.

---

[1] – ذبيح الله صفا، مرجع سابق، ج1، ص 271 – 273. عزيز الله بيات، مرجع سابق، ص452.

[2] – ذبيح الله صفا، مرجع سابق، ص271.

[3] – عزيز الله بيات، مرجع سابق، ص455.

[4] – سفرنامه، ترجمة: يحيى الخشاب، (القاهرة:1945).

[5] – ناصر خسرو، مصدر سابق، ص27. كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ص1، ص206.

[6] – كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص261.

[7] – ينظر: سفرنامه، ص67.

وكان سفره الأخير للحج في عام (442 هـ/1050م)، ثم قفل بعد ذلك عائداً إلى بلاده عن طريق الخليج ووصل إلى بلخ، مسقط رأسه، عام (444 هـ/1052م)[1].

ويظهر من الأسلوب الذي عرض به المعلومات في كتابه (سفر نامه)، أن ناصر خسرو كان يدوّن مشاهداته وانطباعاته خلال زياراته ميدانياً لذلك يشبه كتابه في صياغته (بالمذكرات)، فقد ذكر فيها معلومات وثيقة في الجغرافية التاريخية والعادات والتقاليد السائدة والجوانب الاقتصادية وغيرها، والمعلوم أن مصر حظيت بالاهتمام الأوفر في الكتاب لكونها مركز الخلافة الفاطمية آنذاك.

أما فيما يتعلق بنصيب الكرد في الكتاب فإنه بالنظر من أن ناصر خسرو قد مرّ سريعاً ببعض المدن الكردية في طريقه إلى الحج، فإن ما أورده بشأنهم من جوانب سياسية واقتصادية وعمرانية عن بلاد الكرد[2]، يعد ضئيلاً، لكنه هام ومفيد.

توفي ناصر خسرو في عام (481 هـ/1088م) بعد عمر ناهز السابعة والثمانين وترك العديد من الآثار المكتوبة باللغة الفارسية منها: سفر نامه، خوان إخوان، كشايش ورهايش، جامع الحكمتين، زاد المسافرين ووجه دين[3].

أبو عبيد البكري (ت: 487 هـ/1094م)

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر البكري المشهور بكنيته (أبو عبيد) في أغلب الأحيان، ولد بقرطبة وترعرع بها[4]، ولا نعرف تاريخ مولده على وجه التحديد ولكنّ أحد الباحثين يرى أنه ولد حوالي عام (400 هـ/ 1010م) أو بعد ذلك بقليل[5]، لكن آخرين يرون أنه ولد عام (432 هـ/1040م)[6] وهو الأصح.

1- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص261. نيقولا زيادة، الرحالة العرب، ص48.

2- ينظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة.

3- ذبيح الله صفا، مرجع سابق، ج1، ص275.

4- دائرة المعارف الإسلامية، مادة البكري، ج1، ص531. حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيون في الأندلس، (مدريد: 1967)، ص109.

5- البكري، المسالك والممالك، مقدمة المحقق، ص9.

6- شاكر خصباك، في الجغرافيا العربية، ص379.

ينتسب البكري إلى قبيلة بكر بن وائل التي تولى أفرادها الكثير من المناصب الرسمية بالأندلس، ولكننا لا نعرف شيئاً يذكر عن أوائل عائلة البكري ولا عن الفترة التي استقرت فيها بالأندلس.

وعندما شبّ البكري أصبح موظفاً كبيراً ثم دبلوماسياً في الأندلس في عهد ملوك الطوائف[1]، كما شهد دخول المرابطين الأندلس عندما استنجد بهم صاحب أشبيلية ليصدوا عن المسلمين جيوش ليو السادس المسيحية كما شهد بداية زوال دول ملوك الطوائف[2].

وبخصوص آثار البكري يظهر أنه لم يتخصص في فرع من فروع المعرفة الإنسانية شأنه في ذلك شأن جلّ العلماء المسلمين في القرون الوسطى، لذلك فإن تأليفاته تبحث عن موضوعات مختلفة. فقد كان البكري لغوياً وأديباً فضلاً عن أنه اشتهر بصفته بلدانياً في المشرق والمغرب. ولكنّ أكثر مصنفاته ضاعت ولا نعرف عنها سوى عناوينها، منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب الإحصاء لطبقات الشعراء، كتاب اشتقاق الأسماء، أعلام نبوة نبينا محمد، التدريب والتهذيب في دروب أحوال الحروب وكتاب النبات.

يعد البكري من البلدانيين الكبار الذين أنجبهم المغرب الإسلامي في القرن الخامس الهجري. وبالرغم من أنه لم يقم برحلات إلى أنحاء العالم الإسلامي فإن ما كتبه في البلدان يكتسب أهمية خاصة، لما وصف بلدان العالم الإسلامي في المشرق والمغرب «وصفاً غاية ما يكون في الدقة»[3]، في كتابيه (معجم ما استعجم) و (المسالك والممالك).

أما كتابه الأول فهو قاموس لغوي جغرافي يتألف من أربعة مجلدات يتمثل ثبتاً

---

[1] - ملوك الطوائف: كانوا يتزعمون دول الطوائف (422 – 484 هـ/ 1031 – 1091م) والتي ظهرت بعد سقوط الخلافة الأموية في الأندلس وانتهاء حكم أسرة بني عامر، وكانت تلك الفترة تتسم بالفوضى والاضطراب وغلبة المصالح الذاتية لملوك الطوائف مما شجعت السلطات الإسبانية على التحرش بتلك الدول والتوسع على حسابها واستمرت تلك الحالة المزرية حتى ظهور دولة المرابطين وانضمام الأندلس إليها سنة (484 هـ/1091م). للمزيد ينظر: عبد الرحمن على الحجي، التاريخ الأندلسي، (بيروت: 1976)، ص 323 – 326.

[2] - أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص148.

[3] - دائرة المعارف الإسلامية، مادة البكري، ج1، ص531.

بالأسماء الاصطلاحية للأماكن ومعظمها يتعلق بجزيرة العرب، وهي الأسماء التي ترد في الشعر الجاهلي وفي كتب الحديث والتي كان رسمها مثار اختلاف وجدل لدى الدارسين، وذكر في مقدمة كتابه هذا السبب الذي دفعه لتأليفه قائلاً: «فأني لما رأيت ذلك قد استعجم على الناس، أردت أن أفصح عنه، بأن أذكر كلّ موضع مبين البناء معجم الحروف حتى لا يترك فيه لبس ولا تحريف»[1].

أما كتابه الثاني (المسالك والممالك) والذي فرغ من تأليفه حوالي عام (460 هـ/1068م)[2]، فإنه لم يصل إلينا كاملاً، وهو لا يشبه أي كتاب آخر من نفس الصنف، لأنه ليس مجرد سرد للمسالك كما هو الشأن بالنسبة إلى سميّه كتاب ابن خرداذبة، ولا هو مجموعة مُلح وغرائب وأساطير من دون أو غير منتظمة تنظيماً[3] مثل كتاب البلدان لابن الفقيه، ولا هو أيضاً محصلة لرحلات كاتبه، مثلما هو الحال بالنسبة إلى الاصطخري والمقدسي أو غيرهما.

كما لا يمكن لهذا الكتاب أن يصنّف ضمن فن العجائب ولا في نوع كتب الهيئة (الفلك)، وإنما يجمع كتاب البكري بين كل ذلك حيث تتوالى فيه المسالك ووصف البلدان والشعوب والمدن، وتتخرج بالطرائف والأساطير والاستطرادات التاريخية[4].

إذاً التفصيلات التي أوردها في (المسالك والممالك) ليست بلدانية فحسب، وإنما تتصل إلى حد كبير بالتأريخ السياسي والاجتماعي بل بعلم السلالات البشرية (الاثنوغرافيا)، مما ضاعف ذلك بالتجريد من قيمة الكتاب خاصة في عيون الغربيين.

ويتصف أسلوبه بالتجريد ودقة التفاصيل، ولا سيّما فيما يتعلق بوصف الطرق والمسافات.

أما فيما يتعلق بالكرد فإن البكري تطرق إلى الأصول العرقية للكرد وما قيل بشأنهم نقلاً عن المسعودي كما يبدو[5]. كما ذكر بعض طوائفهم[1]، وورد ذكر لفظة (الكرد) و (الأكراد) في كتابه (المسالك والممالك) أكثر من عشر مرات[2].

1- معجم ما استعجم، ج1، ص1.

2- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص275.

3- بلاشير، مرجع سابق، ص70.

4- ينظر: المسالك والممالك، الصفحات: 342، 343، 346، 349، 364، 367.

5- المسالك والممالك، ص343.

توفي البكري بقرطبة عام (487 هـ/1094م) بعد عمر حافل بالنشاطات والانجازات العلمية.

الإدريسي (ت: 560 هـ/1166م)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى المعروف بالإدريسي، وتنسب أسرته إلى الشرفاء الأدارسة[3]، ولد في مدينة سبتة بالمغرب الأقصى عام (493 هـ/1100م) وأمضى طفولته في المغرب ثم انتقل في صباه إلى قرطبة بالأندلس وتلقى العلم في جامعتها إذ درس فيها العلوم والرياضيات لكنه اهتم بدراسة التاريخ والجغرافية بشكل كبير[4].

وقد بدأ الإدريسي أسفاره في سن مبكرة، ووفق في الوصول إلى مناطق قلّ من عرفها في عصره. وإذا كانت معرفته الواسعة بإسبانيا والمغرب ليست أمراً مستغرباً لعيشه فيها، فإن زيارته شملت لشبونة وسواحل فرنسا وبعض مدنها الهامة، بل أوغل حتى الجزر البريطانية[5]، وذلك بعد أن سبق له أن زار آسيا الصغرى في عام (510 هـ/1116م) وهو لما يتجاوز السادسة عشرة من عمره، مما جعل أحد الباحثين[6] يشك في الأمر ويجد من الضروري أعادة النظر في تاريخ ولادة الإدريسي إذ لا يعقل أن يرحل شخص في مثل هذا السن إلى منطقة قصية مثل آسيا الصغرى.

وعموماً فإن الإدريسي يعد أول بلداني مسلم جاب البلدان الأوربية على نطاق واسع وقد استدعاه الملك النورماندي روجر الثاني ملك صقلية فلبى دعوته وأقام

1- المصدر نفسه، ص344.

2- ينظر: ص 343 – 344.

3- الأدارسة: هم من العلويين الذين طالبوا بأحقيتهم بالخلافة في مطلع القرن الثاني الهجري، والتسمية نسبة إلى مؤسس الأسرة، إدريس الأول الذي فرّ من الحجاز واتجه نحو مصر ومنها إلى المغرب حيث استطاع أن يؤسس بمساعدة سكانه، دولة الأدارسة عام (172 هـ/ 789م). وبنى في المكان المعروف باسم (جراوة) مدينة فاس، واتخذها عاصمة له، واستمر حكمه حتى وفاته عام (177 هـ/793) حيث مات مسموماً فخلفه ابنه إدريس الثاني، وقد تلاشت دولتهم عام (375 هـ/985م). ينظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج5، ص192.

4- ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريتر، (فيسبادن: 1962)، ج1، ص163.

5- مصطفى الشهابي، مرجع سابق، ص 52 – 62.

6- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ص173.

في صقلية وعكف على تأليف كتاب بلداني بناءً على طلب ملكها، يصنّف فيه له مملكته وسائر أنحاء العالم، ويضع خارطة لأقطار الأرض، وقد أنجز فيما بعد كتابه المعروف (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)[1] أو ما يسمى بـ (كتاب روجار)[2].

وقد تميز هذا الكتاب بمنهجه العلمي الدقيق حيث اعتمد مؤلفه فيه على مشاهدته الشخصية والكتب البلدانية والتاريخية التي سبقت العربية واليونانية، كما استفاد كثيراً من معلومات الرواد الذين بعث بهم الملك روجار إلى أنحاء أوربا لاستطلاع أوصافها وتحقيق مواضعها، بالإضافة إلى اعتماده على المعلومات التي يجمعها من أفواه الرحالة والتجار والمسافرين في السفن التي كانت ترسو في موانئ صقلية حينذاك.

وعلى الرغم من إتباع الإدريسي المنهج البطليموسي في تقسيم الأرض إلى سبعة أقاليم، أي أحزمة عريضة فوق خط الاستواء، إلا أنه تصرّف في هذا التقسيم وذلك بإدخاله نوعاً من التعديل أو التغيير، حيث قسم كل إقليم من الأقاليم السبعة إلى عشرة أقسام رئيسية، ويشرع من وصف تلك الأقسام الواحد تلو الآخر، ابتداءً من الغرب متجهاً نحو الشرق. وألحق كل قسم منها بخارطة، بحيث إذا ضمت هذه الخرائط السبعون إلى بعضها البعض، تكونت لدينا خارطة عامة متكاملة للعالم بشكل مستطيل[3]، وهذا ما لا يمكن تطبيقه على خرائط البلدانيين الآخرين، وفي الوقت نفسه يميز خرائط الإدريسي عن خرائط الآخرين تماماً.

والواقع أن كتاب الإدريسي هذا يكتسب أهمية خاصة فيما يتعلق بأوربا، لأنه أول كتاب يتناول البلدان الأوربية بهذا التفصيل وهذه الدقة، أما عن العالم الإسلامي فلم يأت بشيء جديد، حيث اعتمد في ذلك على البلدانيين الذين سبقوه أكثر من الرحلات والمشاهدات الشخصية.

كما ألّف الإدريسي كتاباً آخر في البلدان يعدّ مختصراً لكتاب (نزهة المشتاق)، وقد أهدى الكتاب للملك النورماندي غليوم ابن روجر الثاني؛ وورد ذكر الكتاب بعناوين عدة هي (روض الإنس ونزهة النفس) و (روض الفرج وأنس المهج) و (أنس

1- الصفدي، مصدر سابق، ج1، ص163.

2- وتوجد نسخة مصورة من إحدى مخطوطات الكتاب في مكتبة المجمع العلمي العراقي.

3- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص285.

المهج وروض الفرج)، ولعل الأصل فيه هو العنوان الأول لكنّ النقلة تصرفوا فيه[1]، وقد استند إليه أبو الفدا في كتابه (تقويم البلدان)[2].

وقد نشر المخطوطة فؤاد سزكين بعنوان (أنس المهج وروض الفرج)[3]. والكتاب في الواقع يقتصر تقريباً على ذكر المسافات بين المدن والأقاليم المختلفة.

أما بخصوص بلاد الكرد التي تقع في الجزء السادس من الإقليم الرابع حسب تقسيم الإدريسي لأقاليم الأرض، فإنه أورد ذكر المسافات بين المدن والنواحي الكردية من جهة وبينها وبين المناطق المجاورة من جهة ثانية[4]. وإن ما أورده بهذا الشأن ليس إلا تكراراً لسابقيه وخاصة بلدانيي القرن الرابع الهجري.

أما لفظة (الأكراد) فقد ورد ذكرها في الجزء السادس من الإقليم الرابع خمس مرات.

توفي الإدريسي في مدينة سبتة عام (560 هـ/1166م).

ابن جبير (ت: 614 هـ/1217م)

هو أبو الحسن محمد بن أحمد جبير الكناني البلنسي، ولد عام (540 هـ/ 1135م) في مدينة بلنسية بالأندلس، ودرس علوم القرآن والحديث والفقه والآداب، وصَفَهُ لسان الدين بن الخطيب بأنه كان (أديباً بارعاً، شاعراً مجيداً سريّ النفس، كريم الأخلاق)[5].

واستقر في مدينة غرناطة، وعمل كاتباً لحاكمها المدعو أبو سعيد عثمان، وقد بدأ يفكر في تدوين مشاهداته منذ أن شرع بالتوجه إلى الأماكن المقدسة لأداء

1- إبراهيم شوكت، تحقيق الجزيرة والعراق من «روض الفرج وأنس المهج» للشريف الإدريسي، عن حكيم أوغلو ونسخة حسن حسني باشا، مجلة المجمع العلمي العراقي، (بغداد :1973)، مج3، ص 5 – 40.

2- إبراهيم شوكت، الجزيرة والعراق من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلة الأستاذ كلية التربية/ جامعة بغداد، 1963، مج11، ص2.

3- من منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية في إطار جامعة فرانكفورت، (جمهورية ألمانيا الاتحادية: 1984).

4- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 219 – 223.

5- الإحاطة في أخبار غرناطة، ص96.

فريضة الحج للمرة الأولى كفارة عن كؤوس خمر أقدم إلى احتسائها بأمر من حاكم غرناطة(١).

وهكذا ظهرت شهرة ابن جبير من خلال رحلاته الثلاث، وأهمها كانت تلك التي استغرقت أكثر من ثلاث سنوات، بدأها يوم الاثنين في التاسع عشر من شهر شوال سنة (578 هـ)، الموافق لليوم الثالث من شهر شباط سنة (1182م)(٢) وختمها في يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر محرم سنة (581 هـ)، الموافق لليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان سنة 1185م(٣).

وقد دوّن أثناء رحلته خط سيره بشكل أمين وصادق، حيث مرّ بسبته، وسار بمحاذاة سواحل سردينية وصقلية حتى دخل ميناء الإسكندرية، ومنها توجه إلى القاهرة ثم صعيد مصر ومنها توجه إلى جدة ثم صحب قافلة متوجهة إلى مكة، حيث أقام فيها حوالي عام ونصف، بعد ذلك مرّ بالمدينة في طريق عودته إلى الكوفة، وزار الحلة وبغداد وسامراء فالموصل فحلب ومنها إلى دمشق التي قضى فيها عدة أشهر، بعدها عاد إلى غرناطة(٤).

وقد سجل مشاهداته وانطباعاته في كتاب سماه (تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار) ويعرف بـ (رحلة ابن جبير) وشملت أوصافه جميع ما مرّ به من مدن، وما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المناظر، وكذلك الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد اهتم في ذلك اهتماماً خاصاً بوصف الجوانب الدينية من مساجد وقبور الصحابة والصالحين ومناسك الحج ومجالس الوعظ والمستشفيات، كما وصف الكنائس والقلاع والحصون، مشيراً إلى الحروب التي كانت سجالاً بين المسلمين والصليبيين فيها والعلاقات بين الجانبين في حالة السلم.

أما بصدد الكرد فبالإضافة إلى ذكر جوانب اقتصادية وعمرانية وسياسية لبعض مدن الجزيرة التي زارها ابن جبير(٥) كرأس عين(١) ودنيسر(٢)، فإنه ألمح إلى

---

[1]- مصطفى الشهابي، مرجع سابق، ص71.

[2]- رحلة ابن جبير، ص 7 – 8.

[3]- المصدر نفسه، ص320.

[4]- المصدر نفسه، ص320.

[5]- رحلة ابن جبير، ص 214 – 215.

مخاطر السفر بطريق الموصل إلى نصيبين وإلى دنيسر، والمتمثلة حسب تعبيره في (إغارة الأكراد الذين هم آفة هذه الجهات.. يقطعون السبيل ويسعون فساداً في الأرض، وسكناهم في جبال منيعة على قرب من هذه البلاد المذكورة، ولم يُعن الله سلاطينها على قمعهم وكفّ عاديتهم، فربما يصلون بعض الأحيان إلى باب نصيبين، ولا دافع لهم ولا مانع إلا الله عز وجل)[٣].

هذه هي المرة الوحيدة التي ذكر ابن جبير اسم (الأكراد) في كتابه بهذا الشكل.

ومن جانب آخر فإنه أشاد كثيراً بالسلطان صلاح الدين الأيوبي، ودوره الجهادي المشرف وعدالته وخدماته الجليلة التي كان يقدمها للناس، ولكن دون أن يشير إلى أصله الكردي أو ذكر نبذة عن سيرته الجليلة، لكنه يشغل كل مناسبة للإطراء عليه[٤].

وقد توفي ابن جبير في الإسكندرية عام (614 هـ/1217م)[٥].

ثالثاً: بلدانيو ورحالة القرن السادس والنصف الأول من القرن السابع الهجري

ياقوت الحموي (575 – 626 هـ/1179 – 1229م)

نختم هذا الفصل بالتطرق إلى البلداني الكبير الذي بلغ بالمصنفات البلدانية إلى القمة من خلال معجمه الشامل (معجم البلدان)، وهو أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله شهاب البغدادي، ونسبته إلى حماة وإن كان بغدادي الدار، ولد سنة (575 هـ/1179م)، في بلاد الروم (الأناضول الحالية) ثم أسر وهو صغير السن من بلده، فقيل له الرومي، واشتراه أحد التجار البغداديين وكان يدعى (عسكر بن أبي نصر الحموي) فنسب ياقوت إليه أو إلى حماة، ولذلك سمي ياقوت الحموي[٦].

1- المصدر نفسه، ص216.

2- المصدر نفسه، ص218.

3- المصدر نفسه، ص215.

4- ينظر الصفحات: 14، 16، 23، 25، 33، 38، 45، 54، 73، 80، 124، 149، 207، 216، 222، 260، 272.

5- مصطفى الشهابي، مرجع سابق، ص75.

6- ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص104.

وقد رأى التاجر البغدادي أن يستفيد من هذا الحدث النابه ليستعين به في عملياته الحسابية والكتابية، فأدخله المدرسة يتعلم منها الكتابة، إلا أن ياقوتاً توسع في دراساته، فاهتم بالنحو الأدب، وأرسله سيده في تجارات له في الخليج وعمان والشام، فأغرم ياقوت بالرحلة[1].

ثم اعتقه سيده سنة (596 هـ/1199م)، ولم يلبث أن دب بينهما خلاف، فانشغل ياقوت بنسخ الكتب ليقتات منه وجنى منه خيراً كثيراً، ومن ذلك تعرف على أهل العلم والأدب[2]. ولم يلبث أن عادت العلاقات بينه وبين سيده إلى سابق عهده، فاستأنف ياقوت أسفاره التجارية، وعند عودته وجد أن سيده قد توفي بعد أن أوصى له ببعض ثروته[3].

وبعد ذلك اشتغل ياقوت بتجارة الكتب، ولكنه اشتاق إلى التجوال والترحال، فأخذ يتجول في بلاد فارس والجزيرة العربية وآسيا الصغرى ومصر والشام. وحيثما نزل كان يلتهم ما في خزائن البلاد من الكتب. وفي مرو بدأ بوضع كتابه (معجم البلدان)[4]. الذي كان حصيلة ثلاث رحلات طويلة وأسفار متفرقة لم تنقطع إلا قبل وفاته بسنتين فقط[5].

ومن المعروف أن مدينة مرو كانت إحدى المدن الكبيرة بخراسان وقصبتها، وكانت مكتبتها إحدى المناهل الهامة التي استقى منها ياقوت معلوماته، وقد أكدّ ياقوت خلال حديثه عن مدينة مرو الشاهجان، إنه لو لم يقع غزو مغولي، لما فارق مرو حتى آخر يوم في حياته، وعندما غادرها كانت تحوي عشر مكتبات مفتوحة الأبواب لعامة الناس، وكان في مسجدها الجامع مكتبتان، كانت إحداها تضم اثني

---

[1]- للمزيد عن ياقوت ينظر: المنذري، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت:1981)، ج3، ص249. ابن المستوفي الأربلي، نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل (المعروف بتاريخ اربل)، حققه وعلق عليه سامي بن السيد خماس الصقار، (بغداد:1980)، ق1، ص319 – 323. ابن خلكان، مصدر سابق، حقق أصوله وكتب هوامشه يوسف علي الطويل وكريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية،ط1، (بيروت:1998)، ج5، ص103 – 116.

[2]- ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص108.

[3]- ابن المستوفي، مصدر سابق، ص320.

[4]- ابن خلكان، مصدر سابق، ص110.

[5]- عبد الرحمن حميدة، مرجع سابق، ص244.

عشر ألف مجلداً، وكان من الميسور الوصول إليها، وكان لديه في منزله على الدوام مئتا مجلد، وربما أكثر من ذلك، والتي لم يكن يسأل أحد عنه أي رهن، هذا ما قيمتها كانت تتجاوز مائتي دينار (ذهب). وكان يستمتع بقراءتها، وكان هذا الشغف بالكتب يجعله أن ينسى كل البلدان وحتى أسرته وأولاده[1].

لقد كان ياقوت متعدد الاهتمامات بل كان موسوعياً صنّف في مجالات معرفية شتى، ومن أبرز مصنفاته، معجم البلدان، ومعجم الصحراء، وكتاب (المشترك وضعاً والمفترق صقعاً) و (المبدأ والمال) في التاريخ، وكتاب (الدول)، وكتاب (أخبار المتنبي)، ومجموع كلام أبي علي الفارسي، و (المقتضب في النسب)[2].

وما يهمنا هنا هو كتابه (معجم البلدان) والذي شرع ياقوت في تأليفه بعد عام (615 هـ/ 1218م). وأنجزت المسودة الأولى لهذا الكتاب في مدينة حلب في العشرين من شهر صفر عام (621 هـ)، الموافق للرابع عشر من مارس عام (1224م) أو في عام (623 هـ/1225م)[3].

وقد ذكر ياقوت في مقدمة الكتاب أن الذي دفعه إلى الشروع في وضع كتاب كهذا كان القرآن الكريم الذي جاء فيه ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور﴾[4] والعديد من الآيات الأخرى التي تحث على الرحلة والإطلاع على أحوال الأمم ومصائرها[5].

وبالإضافة إلى ذلك فإن مما حثّ ياقوت على تصنيف الكتاب، كان ما أثير في إحدى المجالس العلمية بمروِ الشاهجان عاصمة إقليم خراسان عن ضبط حركات كلمة (حباشة) التي كانت تطلق على أحد أسواق العرب في الجاهلية، هل أنها يضم حرفها الأول أم بالفتح، وعندما راجع ياقوت الكتب المتوفرة لم يجد فيها ما يؤكد به قوله في أنها (حُباشة) بالضم وليست (حَباشة) بالفتح كما أصر على الثانية

1- معجم البلدان، ج8، ص 254 – 255.

2- ابن المستوفي، مصدر سابق، ص324. ابن خلكان، مصدر سابق، ج5، ص112.

3- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص276. لسترنج، مرجع سابق، ص12.

4- سورة الحج، الآية:46.

5- معجم البلدان، ج1، ص17.

أحد الحاضرين في المجلس دون دليل، فوجد على أثره ضرورة وجود كتاب شامل يضم أسماء المواضع، ويضبطها، فكان (معجم البلدان)[1].

وعلى الرغم من مطالبة ياقوت من قبل بعض أصدقائه، بوضع مختصر لمعجمه البلداني، إلا أنه امتنع عن ذلك، ولكن بعد مضي أكثر من قرن، بدأ عبد المنعم عبد الحق (ت: 735 هـ/1234م) القيام بهذا العمل فوضع كتابه الموسوم بـ (مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع).

ومهما يكن من أمر فإن ياقوتاً قام بتصنيف كتاب آخر في موضوع البلدان، ونقصد به (المشترك وضعاً) الذي كان عنوانه لكتابه الجديد حيث كتب المسودة الأولى له في عام (623 هـ/1226م) وفي عام (626 هـ/1229م) أي عام وفاته جدّد صياغة هذا الكتاب مع بعض التغيرات الطفيفة في عنوانه الذي أصبح (المشترك وضعاً والمفترق صقعاً)، ويبدو أن ابن خلكان كان يملك نسخة مخطوطة من هذا الكتاب الذي اقتبس عنه في وفيات الأعيان[2].

يقدم لنا ياقوت من خلال كتابيه في البلدان مادة جغرافية تفوق بشكل ملحوظ كل ما قدّمه سابقوه، ليس فقط في ضخامة المادة التي جمعها من المصادر السابقة، وإنما أيضاً بفضل ملاحظاته المباشرة واهتماماته بجميع البلدان على السواء[3].

ولعلنا غير مبالغين إذا قلنا أن ياقوتاً بلغ الذروة في مجال المعاجم البلدانية عند المسلمين، كما يجب أن لا ننسى مثلما قاله كراتشكوفسكي: إن أول معجم جغرافي ظهر في أوربا وهو معجم اورتلي (Ortelius) كان في القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري)، وهذا يعني أن المكتبة الجغرافية الإسلامية كانت فيها عدة معاجم قبل أن تعرف أوربا المعاجم الجغرافية بعدة قرون[4].

وبالإضافة إلى السبق التاريخي فإن معجم البلدان يعدّ أفضل مصنّف من نوعه لمؤلف مسلم في العصور الوسطى، باعتباره ديوان الجغرافية الأكبر وكنزها الذي يمثل صرحاً من صروح العبقرية العلمية البشرية على مر العصور[5].

1- المصدر نفسه، ج1، ص18.
2- كراتشكوفسكي، مرجع سابق، ق1، ص277.
3- المرجع نفسه، ص278.
4- المرجع نفسه، ص335.
5- حسين مؤنس، تاريخ الجغرافيا والجغرافيين، ص418.

وإذا ما أضفنا إلى معجم البلدان ما قدّمه ياقوت في (المشترك) من إضافات كثيرة ودقيقة لأدركنا منزلة هذا البلداني، وما أسداه من خدمة جليلة للمعرفة البشرية في الحقول الجغرافية.

ومما يلاحظ على منهج ياقوت في معالجة مراكز الاستقرار البشري من بلاد الكرد وغيرها:

- الاهتمام بضبط الأسماء استناداً إلى ما أوردته الكتب السابقة.
- التنبيه على أوجه الشبه والاختلاف في رسم الأسماء.
- العناية الكبيرة بالمشترك وضعاً والمفترق صقعاً، وعلى الرغم من الإشارة إلى ذلك في المعجم فإنه أفرد – كما ذكرنا – كتاباً مستقلاً أورد فيه ألفا وتسعين اسماً تعالج أربعة آلاف ومائتين وواحداً وستين موضعاً.
- تحديد التبعية الإدارية للمدينة أو القرية. وتصنيف المراكز العمرانية إلى مدن كبرى ومدن عادية وبلدان وبليدات وقرى وتوابع القرية.
- التأكيد على حالة الموضع من حيث الخراب والاندثار، ومقارنة حالة الموضع في عهده مع ما كان عليه سابقاً.
- تحديد المواقع الفلكية للمدن والقرى.

وقد عكست أهمية (معجم البلدان) وتميّزه عن غيره من الكتب البلدانية، على الكرد وبلادهم، من حيث المادة الجغرافية والمعرفية العامة والغزيرة التي قدمها ياقوت عن بلاد الكرد، مما لا نجده في المصادر الأخرى، وأن الذي نجده في معجمه من المراكز العمرانية الكردية من المدن والقرى وما بينهما، يفوق بكثير ما أوردته المصادر البلدانية الأخرى.

وبناءً على ذلك فإن الدارس للبناء الحضاري للمجتمع الكردي في العهود الإسلامية لابدّ وأن يرجع إلى الكتاب المذكور. كما وإن المتمعن فيه يلحظ ورود ذكر للبلاد الكردية، المئات من المراكز العمرانية مما يعكس الوجه الحضري للكرد في العصور الوسطى الإسلامية، ويبطل الزعم القائل بأن الكرد لم يكونوا متحضرين، ومن جانب آخر فإن كثرة العلماء والفضلاء الذين أنجبتهم بلاد الكرد والذين أشار ياقوت إلى عدد منهم عند انتهائه من وصف كل مدينة أو قرية، إنما يعكس جانباً

آخر من التحضر الكردي، ويؤكد مواكبة الكرد للمسيرة العلمية والحضارية عامة في المجتمع الإسلامي.

كما ويلاحظ ذكر الكرد وطوائفهم عشرات المرات في معجم البلدان، ولا يكاد يخلو أي جزء من أجزاء الكتاب الثمانية من ذلك بشكل أو بآخر.

أما بصدد وفاة ياقوت فإنها كانت في العشرين من شهر رمضان عام (626 هـ/ 1229م) بمدينة حلب، ولما يبلغ الستين من العمر. قال عنه ابن خلكان: «وقدمت حلب للاشتغال بها في مستهل ذي القعدة سنة وفاته، وذلك عقب موته، والناس يثنون عليه، ويذكرون فضل أدبه، ولم يقدر لي الاجتماع به»[1].

وهكذا فقد استعرضت خلال الصفحات السابقة أبرز البلدانيين والرحالة المسلمين ضمن نطاق البحث، بشكل موجز، لأنني وجدت من المفيد الوقوف عند سيرهم والتعرف على نتاجاتهم البلدانية، ليكون ذلك لنا عوناً لنا في الفصول التالية التي تتناول جوانب مختلفة عمرانية واقتصادية واجتماعية وغيرها من الجوانب التي تطرق إليها البلدانيون والرحالة المسلمون فيما يتعلق بالكرد وبلادهم.

1- وفيات الأعيان، ج5، ص116.

الفصل الثاني

بلاد الكورد

كما وردت في مصنفات البلدانيين والرحالة المسلمين

أولاً: بلاد الكورد وموقعها من الأقاليم السبعة

ثانياً: الأقاليم الجغرافية التي توزعت عليها بلاد الكورد

ثالثاً: الاصطلاحات الإدارية التي استخدمها البلدانيون في تناول بلاد الكورد

رابعاً: أبرز المعالم الطبيعية التي رصدها البلدانيون لبلاد الكورد

بلاد الكورد وموقعها من الأقاليم السبعة

يعدّ الكرد أحد أبرز العناصر البشرية في الشرق وأعرقها، فقد كان لهم دورهم المؤثر في المنطقة سياسياً وعسكرياً وحضارياً منذ عصور موغلة في القدم. فكان وجودهم في الشرق الإسلامي وما اضطلعوا به من مهام سياسية وحضارية إلى جانب الأقوام الأخرى المجاورة، ومن فاعلية دورهم التاريخي وثرائه.

وإن تعيين حدود بلاد الكرد في الفترة الإسلامية بشكل عام ليس بالأمر الهيّن، لأنها لم تكن تحدد بشكل ثابت، بالنظر لانقسام تلك البلاد على أقاليم عدة وبمسميات مختلفة[١]، فرضتها الظروف السياسية والإدارية والجغرافية، وإذا كانت حدود إقليم واحد كالجزيرة[٢]، مختلف عليها بين البلدانيين، فإن الاختلاف بشأن حدود بلاد الكرد — ككل — يعدّ أمراً بديهياً.

وتجدر الإشارة إلى أن الباحث عمد إلى استخدام مصطلح (بلاد الكرد) عوضاً عن مصطلح (كردستان) الذي يفيد مدلول المصطلح الأول حرفياً، ومردّ ذلك أن الاستخدام الثاني لم يكن وارداً متداولاً في المصادر التاريخية والبلدانية خلال فترة الدراسة لذلك، فالدقة والأمانة تتطلبان عدم استخدام ذلك المصطلح.

والجدير بالذكر أن مصطلح (كردستان) يعود استخدامه لأول مرة في المصادر التاريخية إلى النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وكان يقصد به إحدى المقاطعات الإدارية التي كانت تضم مدن إقليم الجبال الغربي والمشتملة على ست عشرة مدينة وبلدة وكانت حاضرتها قلعة بهار الواقعة شمالي

1- يعود هذا الاختلاف إلى عصر ما قبل الإسلام، فعلى سبيل المثال كانت المصادر اليونانية والرومانية تطلق على المناطق الواقعة شمال بلاد ما بين النهرين بـ (ميسو بوتاميا Mesopotamia) في حين أن المصادر السريانية كانت تسميها إقليم آثور، أما المصادر الإسلامية فكانت تعرف المنطقة المذكورة باسم إقليم الجزيرة وأحياناً إقليم آقور.

للمزيد ينظر: مينورسكي، الأكراد ملاحظات وانطباعات، ترجمة؛ معروف خزندار، (بيروت:1987)، ص135. ليرخ، دراسات حول الأكراد، ترجمة؛ عبدي حاجي، (حلب:1994)، ص 14 — 15. درايفر، الكرد في المصادر القديمة، ترجمة؛ فؤاد حمه خورشيد، (بغداد :1986)، ص33 — 34. ابن العبري، غريغوريوس الملطي، تاريخ مختصر الدول، (بيروت: د/ت)، ص11 — 15. الاصطخري، أبو اسحق إبراهيم بن محمد الفارسي الكرخي، المسالك والممالك، تحقيق؛ محمد جابر عبد العال الحسيني، (القاهرة: 1961)، الأقاليم، ص121.

2- ينظر: الاصطخري، مصدر سابق، ص 52 — 53. المقدسي، مصدر سابق، ص 122 — 123.

مدينة همذان[1]. أي لم يدل مصطلح (كردستان) على جميع أنحاء البلاد التي كان يقطنها الكرد[2].

وكان يعتقد أن البلداني الفارسي حمد الله المستوفي القزويني (ت: 750 هـ/1349م) هو أول من ذكر في كتابه (نزهة القلوب) لفظة كردستان، ولكن الحقيقة هي أن هناك كتّاباً آخرين مسلمين وغيرهم سبق وأن أوردوا اللفظة المذكورة في كتاباتهم، وعلى سبيل المثال نلحظ أن الرحالة الإيطالي ماركوبولو (Mrco Polo) (ت: 1323م/723 هـ) الذي قام برحلته الشهيرة إلى الشرق سنة (670 هـ/1217م)، قد ذكر كلمة (كردستان) في رحلته التي دوّنها، وكذلك الحال عند المؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت: 718 هـ/1318م) والذي أرخ للمغول في كتابه (جامع التواريخ)، حيث نجد ورود كلمة (كردستان) في كتابه المذكور عدة مرات[3].

وإذا كان بلدانيو القرن الثالث الهجري يركزون على التقسيم الفلكي للأرض المعمورة إلى سبعة أقاليم (مرقمة). فإن بلدانيي القرون التالية دأبوا على تقسيم العالم الإسلامي إلى عدة أقاليم آخذين بنظر الاعتبار الأبعاد الإدارية والجغرافية، وكان الهدف الأول من التقسيمات الإدارية إلى أقاليم تسهيل عملية الإدارة وجمع الضرائب، فلم تكن العمليات يسيرة في دولة مترامية الأطراف كالدولة الإسلامية في عهودها المختلفة.

والواقع أن عدم وجود كيان مستقل يضم جميع أجزاء كردستان ولا سيّما في التاريخ الإسلامي أدى إلى صعوبة تعيين حدود الأقاليم التي ضمت إلى هذه الدولة أو تلك قديماً وحديثاً، كما ترتب على ذلك فترات متعددة تآكل وتقلص حدود

1- للمزيد ينظر: زرار صديق، كردستان في القرن الثامن الهجري، (اربيل، 2000)، ص 46 – 49.

2- يطلق في الوقت الحاضر مصطلح كردستان في إيران للدلالة على (كوردستان موكريان) و (كوردستان أردلان)، سعيد خضري، جغرافياى طبيعي كردستان موكريان، (تهران: 1379هـ)، ص12.

3- للمزيد ينظر: رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ (الترجمة العربية)، (القاهرة: د/ت)، ص 261 – 262. حمد الله المستوفي القزويني، نزهة القلوب، (طهران: 1336 هـ-ش)، ص127. ماركوبولو، رحلة ماركوبولو، ترجمة؛ عبد العزيز جاويد، (مصر:1977)، ص45. باسيل نيكتين، الأكراد أصلهم وتاريخهم، (بيروت: 1958)، ص25. م. جه ميل روژبه ياني، سولتان سه نجه رى سه لجوقى كوردستان سليمان شاه به بوه، گوفارى روشه نبيرى نوى، ژماره (118)، (به غداد حوزه يراني، 1988)، ل 22 – 26. زرار صديق توفيق، مرجع سابق، ص؟.

كردستان من الجهات جميعها[1]. ومن هنا فإن الباحثين مختلفون في تعيين حدود كردستان من الجهات الأربع وخاصة في الجزئيات[2].

وأجد من الضروري التطرق إلى موقع بلاد الكرد من الأقاليم السبعة قبل الشروع في ذكر الأقاليم التي توزعت عليها تلك البلاد. ويتطلب ذلك الوقوف عند لفظة (الإقليم) وأصل التقسيم الفلكي هذا.

من خلال استقراء المصادر البلدانية، لوحظ كثرة استخدام أصحابها للفظ (الإقليم) وتقسيمهم القسم المعمور من الأرض إلى عدد من الأقاليم، حتى أن بعض البلدانيين اتخذوا من (الأقاليم) عنواناً لمصنفاتهم، حيث يعدّ (كتاب الأقاليم) المفقود والمنسوب لهشام الكلبي أول كتاب في هذا المجال. ومن الكتب الأخرى أيضاً كتاب (عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة) لسهراب أواخر القرن الثالث الهجري، وكتاب (صور الأقاليم) للبلخي، أوائل القرن الرابع الهجري، وكتاب (صور الأقاليم) للاصطخري أواسط القرن المذكور، وكتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري.

وعند تتبع معنى كلمة (الإقليم) نجد اختلافاً بيّناً بين مفهومها وأصلها الاشتقاقي عند البلدانيين المسلمين، فقد ذكر ياقوت: «أما اشتقاق الأقاليم فذهبوا إلى أنها كلمة عربية واحدها إقليم وجمعها أقاليم، مثل أخريط وأخاريط.. فكأنما سمّي إقليماً لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخمه أي (مقطوع)، و (القلم) في أصل اللغة (القطع)»[3].

---

[1] – محسن محمد حسين، نناشد صلاح الدين أم نحاسب أنفسنا، (اربيل،2002)، ص23.

[2] – ينظر: يه وليا چه وليا چه له بى، كورد له ميژووى دراوسيكانيدا، سياحه تنامه ى ئه وليا چه له بى، وه رگيراني سه عيد ئاكام، چاپهانه ى كورى زانيارى كورد، (به غداد :1979)، ل90. شريف باشا، يادا شتنامه له باره ى داخوازيى يه كاني گه لى كوردو وه،وه رگيراني له فه ره نسى يه وه:فه رهاد پيربال، گوفارى رابوون، زماره (2)، (ستوكهولم:1991). شاكر خصباك: كوردو مه سه له ى كورد، وه رگيراني أمين موتاپچى، (به غداد :1961)، ل 22 – 24. عه بدوللا غه فور، جوگرافياي كوردستان، چاپى دووهم، (هه ولير:2000)، ل 254 – 268. عزيز الله بيات، كليات جغرافياى طبيعي وتاريخي إيران، چاپ دوم، (تهران:1373 هـ.ش)، ص373. حسن ارفع، كردها، (نيويورك – تورنتو:1966)، ص 7 – 10. علي أصغر شميم، كوردستان، (تهران: د/ت)، ص13 – 14. جلال الدين شافعي كورد، جوغرافياى تاريخي كوردستان، (تهران:1378 هـ.ش)، ص32 – 33.

Mehrdad R.izady, The Kurds, (Washington). P.1.

[3] – معجم البلدان، ج1، ص31.

وذكر أبو الريحان البيروني: «إن الإقليم على ما ذكر أبو الفضل الهروي في المدخل الصاحبي (الميل)، فكأنهم يريدون بها المساكن المائلة عن معدّل النهار»[١].

ولحمزة الأصفهاني رأي بهذا الصدد نقله عنه ياقوت قوله أن: «الأرض مستديرة الشكل، المسكون منها دون الربع، وهذا الربع قسمان براً وبحراً. ثم ينقسم هذا الربع سبعة أقسام يسمى كل قسم منها بلغة الفرس كشخر، وقد استعارت العرب من السريانيين الكشخر اسماً وهو الإقليم، والإقليم اسم للرستاق»[٢].

وهنا رأي مفاده أن كلمة (إقليم) محرفة عن الكلمة اليونانية (Kilma) استخدمها العالم الفلكي اليوناني هيباركوس (Hipparchus) في القرن الثاني قبل الميلاد (حوالي سنة 140 ق.م). عندما أوجد نظاماً من الخطوط الموازية لخط الاستواء والتي تقسم سطح الأرض إلى مناطق وفق طول النهار في كل منطقة عند الانقلاب الصيفي. وقد أطلق على كل منطقة (Kilma) وعلى المناطق (Kilmata) بحيث يختلف طول النهار في كل منطقة بمقدار نصف ساعة عن الأخرى[٣].

والجدير بالإشارة أن الفرس هم الذين قسموا الربع المعمور من الأرض إلى سبعة أقسام وسموها (كشورات)[٤]. وهذا يعني أن هذا التقسيم لا يعود إلى اليونان الذين أوجدوا نظام الأقاليم الذي سبق ذكره البلدانيون المسلمون الذين ضمنوه مصنفاتهم[٥].

وإذا كانت الظروف السياسية والإدارية تطلبت تقسيم بلاد الكرد إلى عدة أقاليم، فإن التقسيم الفلكي وفق نظام الأقاليم السبعة قد وحدّ البلاد وجعلها ضمن إقليم واحد هو الإقليم الرابع الذي يتوسط سائر الأقاليم.

---

[1]- التفهيم لأوائل صناعة التنجيم، (بغداد: د/ت)، ص144. كذلك: ابن رسته، مصدر سابق، ص12.

[2]- معجم البلدان، ج1، ص31.

[3]- محمد محمود محمدين، مفهوم الإقليم ودراسته عند المقدسي، ضمن بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، (الرياض:1984)، مج3، ص342.

[4]- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص31.

[5]- كراتشكوفسكي، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة: صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة: 1957)، ق1، ص126.

وأجد من الضروري الإشارة إلى ما أورده بعض البلدانيين بشأن تحديد الإقليم الرابع، وما يدخل فيه من البلدان، فقد ذكر المقدسي: «الإقليم الرابع أوله، حيث يكون الظلّ في الوقت الذي ذكرنا أربعة أقدام وثلاثة أخماس وثلث خمس قدم، وعرضه نحواً من مائتين وستين ميلاً ونيفاً قاصداً، ووقع وسطه بالقرب من آقور ومنبج وعرقه من نحو الري، ووقع طرفه الأدنى الذي يلي العراق بالقرب من بغداد وما كان على سمتها شرقاً وغرباً، ووقع طرفه الأدنى الذي يلي العراق بالقرب من بغداد وما كان على سمتها شرقاً وغرباً، ووقع طرفه الأقصى الذي يلي الشام بالقرب من قاليقلا وساحل طبرستان إلى اردبيل وجرجان وما كان من هذا السمت، ووقع فيه من المشاهير: نصيبين ودارا والرقة وقنسرين وحلب وحران وسميساط والثغور الشامية والموصل وسامراء وحلوان وشهرزور وماسبذان والدينور ونهاوند وهمذان وأصبهان والمراغة وزنجان وقزوين وطوس وبلخ وجميع ما التقت هذه المدن على السمت»[1].

وذكر الهمذاني: «ويمر الإقليم الرابع على وسطه من المشرق إلى المغرب على المواضع التي يكون نهارها الأطول.. وابتداؤه من الموضع الذي انتهت إليه ساعات الإقليم الثالث وعرضه إلى حيث يكون نهاره الأطول أربع عشرة ساعة وثلاثة أرباع الساعة وعرضه ثمان وثلاثون درجة ونصف الدرجة، وسط هذا الإقليم بالتقريب أصبهان وما كان في مثل عرضها من مواضع الأرض. وابتداؤه من المشرق آخر أرض الصين والتبت وبلخ وخراسان والجبال وأرض الموصل وشمال الشام وبعض الثغور وجزيرة قبرص وبلاط طنجة إلى حد المغرب من دون البحر المظلم»[2].

أما الإدريسي فقد حدد موقع بلاد الكرد بشكل أكثر دقة عندما أورده في الجزء السادس من الإقليم الرابع بقوله: «إن الذي تدخل في هذا الجزء السادس من الأرض أكثر أرض الجزيرة وبعض أرض أرمينيا وبعض أرض أذربيجان وبلاد البهلويين وهي بلاد الجبل والجزيرة وما بين دجلة والفرات وتشتمل على ديار ربيعة ومضر. وبلاد الجبل الدسكرة وخانقين وقصر شيرين والسيراون والصيمرة وقرميسين والدينور والزوزان والكرخ ودنباوند. وأما بلاد البلهويين فمنها الري وأصبهان ونهاوند ومهرجانقذق وماسبذان وقزوين ومدينة المبارك»[3].

1- أحسن التقاسيم، ص68. أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك، (بلا: د/ت)، ص184.

2- صفة جزيرة العرب، تحقيق؛ محمد الأكرع، (صنعاء:1983)، ص48.

3- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص 228 – 229.

إن لذلك الموقع الوسط الذي تتمتع به بلاد الكرد مع غيرها من البلدان أهمية استثنائية التفت إليها العلماء، وقد أفرد المسعودي بحثاً حول تميّز الإقليم الرابع بعنوان: «فضل الإقليم الرابع على سائر الأقاليم" وذكر أنه "يقع وسط الأقاليم السبعة وهو أفضلها وأعدلها»[1].

كما تطرق أحد المستشرقين إلى هذه الناحية، وأكد أن مميزات الإقليم الرابع جعل منه معيناً حضارياً ثراً بقوله: «يقع الإقليم الرابع وهو المتوسط، عند علماء المسلمين على مسافة واحدة بين الجهة الحارة والجهة الباردة. يجمع أصلح الأحوال لحياة الإنسان وأعماله فيجب أن تكون هذه البلاد، بناءً على قانون الطبيعة أكثر أقسام أهل الأرض حضارة، لذلك كانت المراكز الحضارية الإسلامية كبغداد وأصفهان تقع ضمن هذا الإقليم»[2].

الأقاليم الجغرافية التي توزعت عليها بلاد الكورد

أشرنا فيما سبق إلى أن البلدانيين لم يتفقوا على صيغة واحدة في تقسيماتهم للبلاد الإسلامية إلى الأقاليم والكور والمدن والرساتيق، وإن هذه الاصطلاحات لم تكن محددة وغير متفق عليها لدى جميعهم، لذلك تبقى هذه التقسيمات غير متكاملة، ولا تعطي صورة واضحة المعالم عن النظام الإداري في الأقاليم الإسلامية على الرغم من أهميتها.

وقد أخذ البلدانيون بنظر الاعتبار العوامل الطبيعية والسياسية في تقسيماتهم، ولما كان كل إقليم يشكل وحدة إدارية قائمة بذاتها، فكان يطلق على هذه الأقاليم مسمّيات عدة مثل: ممالك، وبلاد، وأرض، وديار[3]. وفيما يلي عرض للتقسيمات الإدارية للأقاليم التي كانت تتكون منها بلاد الكرد مع بيان مدى اتفاق أو اختلاف البلدانيين بهذا الشأن. مع ملاحظة أن التركيز الاستيطاني الكردي كان يقع في غربي إقليم الجبال والجزيرة.

أ- غرب إقليم الجبال

من المعروف تاريخياً أن هذه المنطقة – في فترة بحثنا – لم تكن إقليماً

1- التنبيه والإشراف، (بيروت:1981)، ص48.

2- بارتولد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص50.

3- صالح أحمد العلي، دراسات في الإدارة في العهود الإسلامية الأولى، (بغداد:1989)، ص154.

مستقلاً وقائماً بذاته، وإنما كانت ضمن إقليم الجبال[1] الشاسع الذي كان يحوي كوراً ورساتيق ونواحي كثيرة تعيش على أرضه أقوام وطوائف عديدة. ومن هنا فإن البلدانيين حددوا حدود إقليم الجبال ككل غير متجزئ، ووصفوا مدنه وطبوغرافيته وتركيبه البشري على هذا الأساس، وعلى الرغم من أن سكان غربيّه كان معظمهم من الكرد، إلا أنهم لم يأخذوا ذلك بنظر الاعتبار، لأن الأساس الذي انطلقوا منه في وصفهم تقسيماتهم كان ذا أبعاد طبيعية وسياسية وإدارية بعيدة عن التركيبة البشرية – المكانية.

وذكر لسترنج أن إقليم الجبال القديم ينقسم إلى قسمين أحدهما صغير وهو كردستان في الغرب والآخر كبير وهو عراق العجم في الشرق[2]، وقبل الشروع في ذكر ما كان يدخل ضمن غرب إقليم الجبال، أجد من الضروري الإشارة إلى حدود وكور إقليم الجبال بشكل عام، فقد اختلف البلدانيون في تحديد حدود هذا الإقليم بلاد البهلويين[3] عند البعض[4]، كغيره من الأقاليم، ولابدّ لنا في هذا المقام استعراض ما أورده البلدانيون بهذا الشأن ابتداءً من القرن الثالث الهجري، فقد ذكر ابن خرداذبة: «أن بلاد البهلويين تضم الري وأصفهان وهمذان والدينور ونهاوند ومهرا نقذق وحاسبذان وقزوين[5]، وفي موضع آخر ذكر بأن كور الجبل هي ماسبذان ومهجرجا نقذق وماه الكوفة وهي الدينور وماه البصرة وهي نهاوند وهمذان وقم»[6].

أما اليعقوبي فلم يحدد إقليم الجبال، واكتفى بالإشارة إلى كور ماسبذان ومهجرجا نقذق والصيمرة من كور الجبل ضمن حديثه عن الطرق والمسافات في المناطق التي تقع حسب تقسيمه ضمن الربع الأول من بلاد الإسلام وهو رابع

---

[1]– يظهر أن هذا اللفظ بطل استعماله منذ الغزو المغولي، إذ لم يستخدمه البلداني الشهير القزويني (ت:682 هـ). لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص221.

[2]– المرجع نفسه، ص221.

[3]– تعود هذه التسمية إلى العصر الساساني (226 – 650م) إذا افترض وجود صلة بينها وبين اللغة الرسمية لسكان الإقليم في ذلك العصر، وهي المعروفة باللغة البهلوية، ينظر: كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ص33. إدوارد براون، تاريخ الأدب في إيران، ترجمة؛ أحمد كمال الدين حلمي، (الكويت:1984)، ص146.

[4]– ينظر: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص58. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص193.

[5]– المسالك والممالك، ص58.

[6]– المصدر نفسه، ص32.

المشرق[1]. في حين عدد ابن رسته كور الجبل وهي «ماسبذان ومهرجا نقذق وماه الكوفة وهي الدينور، وماه البصرة وهي نهاوند، وهمذان وقم»[2]. وهو نص ما ذكره ابن خرداذبة دون تقديم أو تأخير مما يوحي باحتمال اقتباسه من كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة والذي ألفه قبل تأليف ابن رسته لكتابه (الأعلاق النفيسة) ببضعة عقود. أما ابن الفقيه الهمذاني فأشار إلى أن بلاد البهلويين هي: «همذان وماسبذان ومهجرجا نقذق. وهي الصيمرة وقم وماه البصرة وماه الكوفة وقرماسين»[3]. ولا يكتفي ابن الفقيه بذكر الكور والمدن التي تقع ضمن هذا الإقليم وإنما يتطرق إلى ذكر المناطق التي تنسب إلى الجبل وهي ليست منه – كما يرى – وهي: «الري وأصبهان وقومس وطبرستان وجرجان وسجستان وكرمان وقزوين والديلم والبير والطيلسان»[4].

وإذا انتقلنا إلى بلدانيي القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي نجد أنهم فصلوا أكثر وبشكل أدق في وصفهم الجبال وتوابعها وحدودها، فقد ذكر كل من الاصطخري وابن حوقل أن الجبال: «تشتمل على ماه الكوفة والبصرة وما يتصل بهما من أدخلناه في إضعافها، فحدّها الشرقي مفازة خراسان وفارس وأصبهان وشرقي خوزستان وحدّها الغربي أذربيجان، وحدّها الشمالي حدود الديلم وقزوين والري، وحدّها الجنوبي العراق وخوزستان»[5].

ويضيف الاصطخري بأنه لم يحسب الري وقزوين أبهر وزنجان ضمن إقليم الجبال بل ضمها إلى الديلم (لأنها محتفة بجبالها على التقويس)[6]، مؤيداً بذلك ابن الفقيه الهمذاني ومخالفاً ابن خرداذبة وابن رسته، ومتفوقاً على الهمذاني في إشارته إلى سبب تقسيمه هذا.

ثم ذكر الاصطخري وابن حوقل مدناً مشهورة في الإقليم أعظمها: همذان والدينور وأصبهان وقم. ومدناً أصغر من هذه مثل: قاشان ونهاوند واللور والكرج والبرج.

---

1 – البلدان، ص39.

2 – الأعلاق النفيسة، ص15.

3 – المصدر نفسه والصفحة. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص223.

4 – مختصر كتاب البلدان، ص193.

5 – الاصطخري، المسالك والممالك، ص115. ابن حوقل، مصدر سابق، ص304.

6 – المسالك والممالك، ص115.

أما المقدسي الذي يتميز بمنهجية خاصة، بعد أن ابتدأ حديثه عن إقليم الجبال بجملة مواصفات ومميزات خاصة به وببعض كوره ومدنه وقال: (وقد جعلنا هذا الإقليم ثلاث كور وسبع نواح وأدخلنا أصفهان في العدد وألحقناها في العدد وألحقناها بطرف الصورة، وأفردنا وصفها وزدنا فيه الأشكال التي فيها والمعاني التي نذكرها. فأول الكور من قبل الرحاب الري ثم همذان ثم أصفهان والنواحي: قم، كاشان، الصيمرة، كرج، ماه الكوفة، البصرة، وشهرزور)[1].

لم يكتف بذلك وإنما عرض رأياً آخر حين أشار إلى أنه قرأ في بعض الكتب أن الري وأصفهان ليسا من بلاد البهلويين وإنما هي همذان، وماسبذان ومهرجا نقذق وهي الصيمرة وماه البصرة وهي نهاوند وماه الكوفة وهي الدينور ولها من المدن: أسد آباذ، آوه، بوستة رامسن، سيرواند، روذاور، طزر، النواحي: (ماه الكوفة، ماه البصرة، ماسبذان)[2] ويظهر أنه يقصد بالكتب التي قرأها الكتب البلدانية التي سبقته أو التي عاصرته مثل مختصر كتاب البلدان والمسالك والممالك وصورة الأرض.

وأشار صاحب كتاب (حدود العالم) إلى حدود إقليم الجبال من الجهات الأربع وهي حدّه الشرقي أجزاء من فارس وشيء من مفازة كرج كوه وشيء من خراسان، وحدّه الجنوبي أجزاء من خوزستان، وحدّه الغربي أجزاء من العراق ومن أذربيجان، وحدّه الشمالي جبال الديلم[3].

وتطرق البلداني المغربي أبو عبيد الله البكري ضمن أقسام إيرانشهر إلى كور الجبل، وهي: ماه سبذان، ومهرجا نقذق وماه الكوفة وهي الدينور، وماه البصرة وهي نهاوند، همذان وقم[4]. ثم أضاف ذكر الكور التي نسبت إلى الجبل وهي ليست منه ولا من خراسان وهي الري وقومس وأصبهان وشهرزور وصامغان وداراباذ وقزوين وأبهر وزنجان وطبرستان وجرجان ودنباوند.

ومن الملاحظ أنه لم يشر إلى الإقليم الذي يفترض أن تنسب إليه كل هذه الكور والنواحي التي زعم أنها ليست من الجبل ولا من خراسان، في حين أن

1- أحسن التقاسيم، ص295.

2- أحسن التقاسيم، ص296.

3- مؤلف مجهول، ص106.

4- المسالك والممالك، ص496.

الاصطخري وابن حوقل نسباها إلى الديلم، والملاحظة الأخرى هي أن البكري أخرج مناطق أكثر من سابقيه من حدود الجبل.

أما البلداني المشهور الإدريسي فقد قال عن الجبال بأنها: (تشتمل على مدن مشهورة ومعاقل مذكورة وأعظمها همذان والدينور وأصبهان وقم، وبها جمل بلاد أصغر من هذه مثل قاشان ونهاوند والزوزان والكرج وأبهر وقزوين، وإن كان بعض الناس يرى أنها من بلاد الديلم)[1].

ويظهر أنه غير مقتنع بهذا الرأي لذلك نسبه إلى بعض الناس دون تعليق، ويبدو أنه يقصد بـ (بعض الناس) الاصطخري وابن حوقل اللذين ذكرا ذلك صراحة كما سبق الذكر.

أما ياقوت فقد ذكر بأن الجبال: (اسم علم للبلاد المعروفة اليوم باصطلاح العجم بالعراق وهي ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك من البلاد الجبلية والكور العظيم)[2]، واستغرب ياقوت من تسمية إقليم الجبال بالعراق ثم عزا سبب ذلك ظنه إلى أن ملوك السلاجقة كان أحدهم إذا ملك العراق، دخلت هذه البلاد في ملكه فكانوا يسمونه سلطان العراق، وهذا أكثر مقامة بالجبال فظنوا أن العراق الذي ينسب إليه ملكه هو الجبال[3].

نلحظ مما سبق أن بلدانيي القرن الرابع الهجري وبخاصة الاصطخري وابن حوقل وصاحب كتاب (حدود العالم) هم الأكثر دقة في تحديد إقليم الجبال وما ينسب إليه من كور ومدن حيث أشاروا إلى حدوده من الجهات الأربع.

ويمكن لنا تحديد إقليم الجبال بالنسبة إلى عصرنا، بأنه الأراضي التي تشمل على المنطقة الواقعة شمال غربي إيران حتى بحيرة أورمية، ممتداً من سهول العراق غرباً حتى الصحراء الإيرانية الكبرى شرقاً، ومشتملة على منطقة الجبال شرقي أذربيجان[4].

1- نزهة المشتاق، ص224.

2- معجم البلدان، ج3، ص26.

3- المصدر نفسه، ج3، ص27.

4- النقشبندي، الكرد في الدينور وشهرزور، ص2.

أما الجزء الغربي من الإقليم فيشمل الكور والمدن التي تقع إلى الغرب من الخط الوهمي الذي يربط همذان بمدينة كرج أبي دلف الواقعة بين همذان وأصبهان[1]، وهو ما يقابل في الوقت الحاضر الجزء الأوسط من كردستان الشرقية – كردستان إيران – والذي يشتمل على أوستانات كرمنشاه وباختران وكردستان – سنندج – والأجزاء الغربية من أوستان وهمذان والجزء الجنوبي من أوستان أذربيجان الغربية، وتحد هذه المنطقة الحدود الدولية بين دولتي العراق وإيران من الغرب، وأراضي محافظتي آراك وزنجان من الشرق وخط مياندواب – مهاباد – بيرانشهر شمالاً، ولرستان من الجنوب[٢].

وقد كان غربي إقليم الجبال في العصر العباسي يضم عدداً من الكور، هي همذان وماه البصرة وماه الكوفة وماه سبذان ومهرجا نقذق، وحلوان واللر الصغرى بالإضافة إلى عدد أكبر من القصبات والمدن والقرى والتي سيأتي ذكرها في الفصل التالي.

أما بشأن اللور (اللّر)[٣] فقد أشارت المصادر البلدانية إلى أن لورستان كانت في صدر الإسلام كورة مستقلة لا تتبع أي إقليم ولكن بالنظر لصغر مساحتها فإنها ألحقت بإقليم خوزستان الواقع في الجهة الجنوبية منها، واستقر الحال أخيراً على أن تلحق بإقليم الجبال لأن مناخها مناخ الجبل نفسه من جهة[٤]، ولأنها متصلة به من جهة أخرى[٥]. والواقع أن المنطقة هي امتداد طبيعي وبشري باتجاه الجنوب لغربي إقليم الجبال ذي الأغلبية الكردية.

وقد أطلق (اللور) على قبيلة كردية وكذلك على المنطقة التي تقطنها حيث ذكر ياقوت: (اللر بالضم وتشديد الراء، وهو جيل من الأكراد في جبال بين أصبهان

---

[1]- أحمد ميرزا، مرجع سابق، ص27. وكرج أبي دلف نسبه إلى ممصّرها القاسم بن عيسى العجلي المكني بأبي دلف الذي كان أبرز قواد الخليفة المأمون. وهي غير بلدة كرج الواقعة في ناحية روذراور بين همذان ونهاوند. ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص126.

[2]- نيشتمان بشير، الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية لغربي إقليم الجبال خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة صلاح الدين:1994)، ص18.

[3]- اللور: لفظة كردية تعني باللهجة اللورية الجبل الذي تكسوه الغابات، حميد ئيزده به ناه، فه رهه نگى له ك ولور، مطبعة المجمع العلمي الكردي، (بغداد :1978)، ص14.

[4]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص65. ابن حوقل، مصدر سابق، ص232.

[5]- ياقوت: معجم البلدان، ج7، ص184.

وخوزستان، وتلك النواحي تعرف بهم، فيقال بلاد اللر ويقال لها لرستان ويقال لها اللور أيضاً)[١].

والجدير بالتنويه أن اللور لم يحظ باهتمام كبير من لدن البلدانيين المسلمين حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فكانت إشاراتهم إلى اللور (القبيلة والمكان) محدودة.

ويمكن القول أن لورستان كانت مقاطعة يحدها من جهة الشرق أصفهان وولاية فارس ومن جهة الشمال كرمنشاه وهمذان وجنوباً خوزستان وإقليم فارس وغرباً العراق العربي[٢].

وتتقسم لورستان إلى قسمين: اللور الكبرى واللور الصغرى، وقد عد لسترنج اللور الكبرى جزءاً من إقليم خوزستان واللور الصغرى جزءاً من إقليم الجبال[٣]. وتقع كورة اللور الصغرى في القسم الجنوبي الشرقي من منطقة غربي إقليم الجبال وإلى الجنوب من كورة همذان ونهاوند وإلى الغرب من كورة أصفهان.

ومن أبرز مدن لورستان بقسميها : ايذج، وبروجرد وتستر واليشتر (ليشتر) والسوس (الشوش) وشابور خواست[٤].

إقليم الجزيرة

أجمعت المصادر البلدانية والتاريخية الإسلامية على تقسيم إقليم الجزيرة إلى ثلاث ديار: ربيعة، ومضر وبكر وذلك نسبة إلى القبائل العربية الثلاثة التي نزلت الجزيرة. وعلى الرغم من ذلك فإن ابن حوقل يرى عدم جواز ضم الجزيرة إلى ديار العرب، وإن نزول طوائف من العرب بها واتخاذهم بعض الأماكن بها دياراً ومراعياً لا يبرر ذلك مؤكداً: «ولم أر أحداً عزا الجزيرة إلى ديار العرب، لأن نزولهم بها، وهي ديار لفارس والروم في إضعاف قرى معمورة ومدن لها أعمال عريضة...»[٥].

1- المصدر نفسه، ج7، ص177. وللمزيد ينظر: رمضان شريف زبير الداودي، لورستان الكبرى، رسالة ماجستير، كلية الآداب، (جامعة صلاح الدين:1994).

2- ينظر: رمضان شريف، مرجع سابق، ص19.

3- بلدان الخلافة الشرقية، ص235، ص268.

4- حول هذه المدن ينظر: رمضان شريف، مرجع سابق، ص 28 – 34.

5- صورة الأرض، ص29.

ومن الملاحظ على النص السابق أن ابن حوقل نسب الجزيرة إلى بلاد فارس والروم من منطلق التبعية السلطوية السياسية دون أن يأخذ في الحسبان الاعتبارات الجغرافية الطبيعية والبشرية.

أما حدود الإقليم فقد رسمها كل من الاصطخري وابن حوقل بشكل دقيق ومسهب[1] أكثر من غيرهما من البلدانيين الذين تشملهم هذه الدراسة[2]. فذكر: «وأما الجزيرة فإنها ما بين دجلة والفرات، وتشتمل على ديار ربيعة ومضر، ومخرج ماء الفرات من داخل بلد الروم من ملطية على يومين ويجري بينهما وبين سميساط، ويمر على سميساط جسر منبج وبالس إلى الرقة وقرقيسيا والرحبة وهيت والأنبار وقد انقطع حدّ الفرات مما يلي الجزيرة ثم يعدل حد الجزيرة في سمت الشمال إلى تكريت، وهي على دجلة حتى ينتهي عليها إلى السن مما يلي الجزيرة والحديثة والموصل وجزيرة ابن عمر، ثم يتجاوز آمد فينقطع حد دجلة على بعد من حدّ أرمينيا، ثم يمتد مغربياً إلى سميساط ثم ينتهي إلى مخرج ماء الفرات في حدّ الإسلام من حيث ابتدأنا. ومخرج ماء دجلة فوق آمد من حدّ بلد الأرمن، وعلى شرقي دجلة وغربي الفرات مدن وقرى تنسب إلى الجزيرة – وإن كانت خارجة عنها. لقربها منها»[3].

أما المقدسي فقد استهل كلامه عن إقليم الجزيرة، والذي يسميه هو (آقور) دون أن يشير إلى أصل هذه التسمية، بالثناء عليه بقوله: «إقليم نفيس، ثم له فضل لأن به مشاهد الأنبياء ومنازل الأولياء، به استقرت سفينة نوح على الجودي وبه سكن أهلها، وبنوا مدينة ثمانين وبه تاب الله على قوم يونس وأخرج معه العين، ومنه دخل الظلمات ذو القرنين، وبه كانت عجائب جرجيس، وفيه أنبت الله تعالى ليونس اليقطينة، ومنه خرج نهر الملة المبارك المذكور دجلة، أليس به مسجد يونس.. ثم هو ثغر من ثغور المسلمين ومعقل من معاقلهم، لأن آمد اليوم دار جهادهم، والموصل من أجلّ انضادهم. وجزيرة ابن عمر أحد منازلهم، ومع ذلك،

---

[1] – ينظر: عبد المرشد العزاوي، حدود الجزيرة الفراتية عند الاصطخري وابن حوقل، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان الخامس عشر والسادس عشر، كانون الثاني – أيار: 1984، ص111.

[2] – تناول أبو الفدا هو الآخر في كتابه (تقويم البلدان) حدود الجزيرة بالتفصيل.

[3] – المسالك والممالك، ص52. صورة الأرض، ص189.

فهو واسطة بين العراق والشام ومنازل العرب في الإسلام. ومعدن الخيل العتاق، ومنه ميرة أكثر العراق، رخيص الأسعار، جيد الثمار، ومعدن الأخيار»[١].

بهذه الكلمات أجمل المقدسي أهمية الجزيرة الدينية والعسكرية والطبيعية والبشرية والاقتصادية.

ثم تطرق إلى تقسيم الإقليم قائلاً: «وقد قسّمنا هذا الإقليم على بطن العرب لتعرف ديارهم وتميزها وجعلناه ثلاث كور على عدّة بطونهم أولها من قال العراق ديار ربيعة ثم ديار مضر ثم ديار بكر»[٢]. أي أنه هو الآخر قسّم الإقليم بمنظار عربي (قبلي) دون أن يأخذ بنظر الاعتبار الاعتبارات الجغرافية والتاريخية والبشرية.

وكان الكرد يشكلون نسبة كبيرة من سكان الإقليم وخاصة في القسم الأعلى من الجزيرة في الجهات الشرقية والشمالية الشرقية منها[٣]. وإن كثرة المدن والقرى الكردية المنتشرة في نواحي الجزيرة تؤكد ذلك[٤]. ومما يدل على ذلك أيضاً ما أورده الهمذاني عندما ذكر أن: «جبل الطور البري وهو أول حدود ديار بكر، وهو لبني شيبان وذويها ولا يخالطهم إلى ناحية خراسان إلا الأكراد»[٥]. وهذا يؤكد أيضاً سعة المساحة الجغرافية التي كان يقطنها الكرد من ديار بكر حتى خراسان، والتي تشكل جزءاً من بلادهم. كما ذكر أن جبل الجودي (كان يسكنه ربيعة وخلفه الأكراد وخلف الأكراد الأرمن)[٦].

إقليم أذربيجان[٧] وأرمينيا وآران

ومن الملاحظ أن جلّ البلدانيين[١] جعلوا كلاً من أذربيجان وأرمينيا وآران إقليماً واحداً عند تقسيمهم البلدان الإسلامية، نظراً للترابط الوثيق بينها والتداخل الكبير

1- أحسن التقاسيم، ص121.

2- المصدر نفسه، ص122.

3- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، (بغداد: 1948)، ص19.

4- ينظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

5- صفة جزيرة العرب، ص247.

6- المصدر نفسه والصفحة.

7- للمزيد ينظر: سروان كاويان بور، تاريخ عمومي أذربيجان، (تهران: 1346 هـ.ش)، دائرة المعارف الإسلامية، مادة أذربيجان، ج1، ص41. حسام الدين النقشبندي، أذربيجان، أطروحة دكتوراه، (كلية الآداب، جامعة بغداد: 1984).

بينها من الأوجه المختلفة، الجغرافية والإدارية والسياسية والعرقية، ورسموا لها خارطة واحدة تضم ثلاثتها، والجدير بالذكر أن جمع المناطق الثلاثة في إقليم واحد أحدث نوعاً من الاختلاف بين البلدانيين حول تبعية بعض المدن.

وقد بين ابن حوقل سبب توحيد المناطق الثلاث في إقليم واحد بقوله: «وقد جعلتها إقليماً واحداً لأنها مملكة إنسان واحد فيما شاهدته سائر عمري، وما نقلت الأخبار به لمن تقدمني ..»[٢]. أما المقدسي فقد جمعها تحت اسم جامع هو (إقليم الرحاب) وذلك لوسعته وطيبته ووفرة خيراته[٣].

أما صاحب كتاب (حدود العالم) فقد وصف بلاد أذربيجان وأرمينيا وآران بأنها ثلاث بلدات متصلة ببعضها، وسوادها متداخل بعضه ببعض، ثم عيّن حدودها، فإلى الشرق منها حدود جيلان وإلى جنوبها حدود العراق والجزيرة، وإلى غربيها حدود الروم والسرير[٤]، وإلى شمالها حدود السرير والخزر[٥].

وقد اختلف البلدانيون بخصوص حدود أذربيجان اختلافاً طفيفاً[٦]، ولكن من الممكن القول إنَّ أذربيجان كانت تحدّه من الشرق بلاد الديلم والجيل وغربي بحر قزوين، من الغرب أرمينيا وشمالي الجزيرة ومن الجنوب إقليم الجبال؛ وأما حدوده الشمالية، فكانت تتمثل بنهر الرس (آراس) الذي يشكل حداً طبيعياً فاصلاً بين أذربيجان من الجنوب وبلاد الران (آران) من الشمال[٧].

1- ينظر: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص 105 – 106. الاصطخري، المسالك والممالك، ص108. ابن حوقل، مصدر سابق، ص285. المقدسي، مصدر سابق، ص287. مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص119.

2- صورة الأرض، ص285.

3- أحسن التقاسيم، ص287.

4- السرير: مملكة واسعة بين اللان وباب الأبواب وليس إليها إلا مسلكان، مسلك إلى بلاد الخزر ومسلك إلى بلاد أرمينيا، وهي ثمانية عشر ألف قرية في جبال، وأهل السرير من النصارى، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص45.

5- مؤلف مجهول، ص119.

6- ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص108. ابن حوقل، مصدر سابق، ص285. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص109.

7- النقشبندي، أذربيجان، ص37.

Kinneir, Op. Cit. p.148 – 149.

ووصف أذربيجان بأنه إقليم واسع وصقع جليل ومملكة عظيمة الغالب عليها الجبال، وفيه قلاع وخيرات واسعة[١].

ويعدّ أذربيجان من الأقاليم التي كان يقطنها الكرد منذ عصور موغلة في القدم[٢] أي أنه كان أحد المواطن الكردية باعتباره كان جزءاً من بلاد الميديين[٣]. وكان تركز الكرد بشكل خاص في النواحي الجنوبية والغربية من الإقليم والتي تشكل امتداداً طبيعياً لإقليمي الجبال والجزيرة، موطني الكرد الرئيسيين، وكذلك في المناطق المحيطة ببحيرة أورمية، وقد أشار البلدانيون إلى هذه الحقيقة، وذكروا مناطق في أذربيجان، كان يسكنها الكرد كما تحدثوا عن قبائل كردية كانت تقطن بعض مدن الإقليم. وتعود بعض هذه الإشارات إلى العقد الثاني من القرن الأول الهجري حيث كانت الفتوحات على أشدها، منها ما ذكره البلاذري عن كرد سهل البلاشجان وساترودان وجبل سبلان[٤]، وموقفهم تجاه الفاتحين[٥].

وذكر المسعودي أذربيجان موطناً للكرد الهذبانية[٦]، والكلالية (الجلالية) والزرزارية[٧]. ومن أبرز المدن التي كان يقطنها الكرد ضمن مدن أرمينيا كما أوردها البلدانيون هي:

مدينة أرمية (ورمى)

ذكرها المقدسي ضمن مدن أرمينيا[١]، وكانت تلي مدينة مراغة التي وصفت

1- ياقوت، معجم البلدان، ج1،ص109.

2- ذكر مينورسكي أن الكرد ظلوا يشكلون أحد أبرز العناصر البشرية في أذربيجان وفي جميع أنحائه حتى ظهور الغزو التركي، فالسلاجقة الذين توافدوا على مدن الإقليم منذ مطلع القرن الخامس الهجري وأزاحوا سكانه الأصليين ومنهم الكرد مما أحدث تغييراً كبيراً في التركيبة السكانية للمنطقة، فبعد أن كان الكرد يشكلون الأغلبية غدت النواحي الشرقية والجنوبية الشرقية ذات أغلبية تركية. دائرة المعارف الإسلامية، مادة أذربيجان، ج1، ص 30 – 32. مادة آران، ج2، ص569.

3- Kinneir, Op. Cit. p. 148.

4- فتوح البلدان، ص317. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص268. قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص378. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص109.

5- ينظر: الفصل الأخير من هذه الدراسة.

6- مروج الذهب، ج2، ص135.

7- التنبيه والإشراف، ص78.

بأنها نزهة جداً وخصبة ومسوّرة[٢]، حيث كانت مراغة[٣] المدينة الثانية في أذربيجان من حيث الحجم، بعد اردبيل العاصمة.

سميت المدينة باسم المدينة البحيرة القريبة منها، والتي عرفت بملوحتها، وكانت تحيط بها عمارات وقرى ورساتيق[٤]، وكانت المسافة بين البحيرة وبين مدينة مراغة ثلاثة فراسخ (حوالي 18كم) وبينها وبين مدينة أُرمية فرسخان (حوالي 12كم)[٥].

لقد كانت أُرمية أحد أعمال الأمير الهذباني أبو الهيجاء بن ربيب الدولة[٦]، فكان يقطنها عدد كبير من الكرد الهذبانية الذين قتلوا بزعامة قائدهم أبي الهيجاء، عشرات الآلاف من الغزاة السلاجقة الذين حاولوا العبور إلى أرمية حوالي سنة (429 هـ/1037م أو 432 هـ/1040م)[٧].

كما أشار ابن حوقل إلى الوجود الكردي الهذباني في المدينة وحولها[٨].

أما ابن خرداذبة فقد ألمح إلى أهمية المدينة الدينية عندما عرّفها بأنها مدينة زردشت ولم يزد على ذلك[٩].

مدينة اشنة (اشنويه) (شنتو)

عرفت بأنها أحد مواطن الكرد الهذبانية[١] والزرزارية[٢] وقد أشاد ابن حوقل بأهميتها الزراعية والتجارية وغناها بالثروة الحيوانية.

1- أحسن التقاسيم، ص288.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص108.

3- جعل المقدسي مدينة المراغة ضمن أرمينيا.

4- Jackson, Percia Past And Present, Ams Press, (New York:1906). P. 70 – 71.

5- الاصطخري، المسالك والممالك، ص108.

6- إن المعلومات التاريخية حوله ضئيلة، غير أنه أول أمير همذاني يرد ذكره. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص531. أحمد عبد العزيز، الهذبانيون في أذربيجان، ص53. قادر محمد حسن، الإمارات الكردية في العهد البويهي، رسالة ماجستير غير منشورة، (كلية الآداب، جامعة صلاح الدين، اربيل:1999)، ص42 – 43.

7- ابن الأثير، مصدر سابق، ج9، ص531. ابن خلدون، تاريخ، (بيروت:1957)، مج4، ص556. ص679. دائرة المعارف الإسلامية، مادة أرمية، ج1، ص675.

8- صورة الأرض، ص289.

9- المسالك والممالك، ص106. للمزيد حول ماضي المدينة وحاضرها ينظر: جمال رشيد أحمد، لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان، (اربيل:2001)، ص 34 – 35.

وقد زارها ياقوت سنة (617 هـ/1220م) فقال أنها بلدة من طرف أذربيجان، من جهة أربل تقع بين أربل وأُرمية بينها وبين المدينة الثانية يومان في حين تبعد عن الأولى خمسة أيام(٣).

وأضاف ياقوت أن المحدثين نسبوا إليها عدداً من الرواة على ثلاث صيغ هي: (الاشناني) و (الاشنائي) مثل أبي جعفر محمد بن عمر بن حفص الاشناني أو الاشنائي. والصيغة الثالثة هي (الأشنهي)، كما هو الحال في نسبه الفقيه عبد العزيز بن علي الأشنهي الشافعي الذي تفقه على يد إسحاق إبراهيم بن علي الفيروز آبادي، وسمع الحديث من أبي جعفر بن مسلمة، وصنف كتاباً مختصراً في الفرائض(٤).

وكانت مدن أشنه وتبريز وجابروان وما تحيط بها تعرف بالرديني(٥) نسبة إلى آل الرديني من العرب الذين كانوا يسيطرون عليها جاعلين منها أملاكاً خاصة بهم قبل أن يعفي عليهم الزمن، وتنتزع منهم ما بأيديهم(٦) وقد انتزع منهم الكرد الهذبانيون مدينة نريز الواقعة جنوب أرمية، مطلع القرن الرابع الهجري(٧).

مدينة سلماس

ذكرها المقدسي ضمن مدن أرمينيا(٨) وكانت مدينة صغيرة في القرن الرابع الهجري(٩). وصفها ياقوت بأنها مشهورة بأذربيجان تبعد عن مدينة أرمية يومان وعن مدينة تبريز ثلاثة أيام وعن مدينة خوي مرحلة واحدة. وأضاف ياقوت أن المدينة كان معظمها خراباً(١٠).

---

[1]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص289.

[2]- المسعودي، التنبيه والإشراف، ص78.

[3]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص289. وللمزيد حول المدينة، ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة اشنويه، ج2، ص 221 – 223.

[4]- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص164.

[5]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص108.

[6]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص290.

[7]- للمزيد ينظر: النقشبندي، أذربيجان، ص100.

[8]- أحسن التقاسيم، ص288.

[9]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص108.

[10]- معجم البلدان، ج5، ص60.

وإذا كان لدينا رواية تاريخية تعود إلى سنة (332 هـ/944م) تشير إلى (الجماهير الهذبانية) الملتفة حول زعامة أحد القادة الكرد المعروف بجعفر بن شكويه الكردي في مدينة سلماس[1]، فإن أحد البلدانيين ذكر أن الكرد كانوا يتركزون حول المدينة ويحيطون بها[2].

أما أرمينيا – فكما سبقت الإشارة إليها – فإنها جمعت مع كل من أذربيجان وآران على أنها إقليم واحد. وهي تقع في أقصى شمال الدولة الإسلامية جنوب جبال القفقاس جاء ذكرها[3] بالتفصيل في مصنفات البلدانيين الأوائل حيث أشار بعضهم[4] إلى تقسيمات أرمينيا الأربعة وهي: أرمينيا الأولى، وكانت تضم مدن: السيسجان وآران وتفليس والبيلقان وقبلة شروان وأرمينيا الثانية، وكانت تضم مدن: جزران وصغدبيل وباب فيروز قباذ واللكز وأرمينيا الثالثة وكانت تضم مدن: البسفرجان (السفرجان) ودبيل (دوين) وسراج طير وبغروند ونشوى وأرمينيا الرابعة، وكانت تشمل مدن: شمشاط وخلاط وقاليقلا وارجش وباجنيس[5].

وبالإضافة إلى التقسيم السابق أورد ياقوت ثلاثة آراء أخرى، فقد قيل أن أرمينيا قسمان، أرمينيا الكبرى وأرمينيا الصغرى، وقيل إنها ثلاث أرمينيات[6]. وعند اليعقوبي فإن أرمينيا على ثلاثة أقسام[7].

أما بلدانيو القرن الرابع الهجري فقد اكتفوا بذكر المدن التابعة لكورة أرمينيا مع وجود اختلاف بينهم بشأن تبعية بعض المدن بين أذربيجان وأرمينيا[1].

---

[1]– مسكويه، تجارب الأمم، ج2، ص65.

[2]– المقدسي، مصدر سابق، ن ص289. وللمزيد حول المدينة ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة أذربيجان، ج12، ص103 – 106.

[3]– ينظر: صلاح الدين أمين طه، الحياة العامة في أرمينيا، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1975، ص24. شرك، دائرة المعارف الإسلامية، مادة أرمينيا، ج3، ص33.

[4]– ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص108. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص 263 – 264. البلاذري، مصدر سابق، ص193.

[5]– للمزيد، ينظر: جمال رشيد أحمد، لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان، (اربيل:2000)، ص 34 – 35.

[6]– معجم البلدان، ج1، ص133.

[7]– البلدان، ص120.

ويمكن تعيين حدود أرمينيا بأنها كانت تحدها من الشمال جبال القفقاس وبلاد الكرج[٢] ومن الجنوب ناحية هكاري وديار بكر في إقليم الجزيرة، أما من ناحية الشرق فكان هناك أذربيجان وآران ومن ناحية الغرب بلاد الروم وكانت تمثل مناطق الثغور[٣].

وعلى قدر تعلّق الأمر بموضوع بحثنا، فإن بعض مناطق أرمينيا يمثل جزءاً من بلاد الكرد، وقد أشار البلدانيون المسلمون إلى عدد من المدن الكردية أو التي كان يقطنها الكرد بنسب كبيرة في أرمينيا، وخاصة الناحية الجنوبية الغربية منها حيث يعود ارتباط الكرد بها إلى عصور موغلة في القدم[٤].

أما آران فقد عرّفه ياقوت بأنه اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة، وبينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرّس، وإن المدن والأماكن الواقعة إلى الغرب والشمال فهي تابعة لآران، أما الواقعة منها إلى الشرق فهي تدخل ضمن أذربيجان[٥]. أشار ياقوت إلى أربع مدن تابعة لآران هي كنجة (جنزة) وبرذعة، وشمكور، وبيلقان[٦].

أكد المقدسي ان آران كان يشكل حوالي ثلث الإقليم الذي سماه (إقليم الرحاب)[٧]

والجدير بالذكر ان ابن خرداذبة تطرق على آران على اعتبار انها إحدى مدن ارمينية الاولى[١]. أما ابن رسته فقد اكتفى بذكر اسم آران عند كلامه في نهر الرس الذي كان يمر به[٢].

1- الاصطخري، المسالك والممالك، ص111، ابن حوقل، مصدر سابق، ص295. المقدسي، مصدر سابق، ص288.

2- الكرج: عرفهم ياقوت بقوله: "جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ولهم ولاية تنسب إليهم"، معجم البلدان، ج7، ص126.

3- ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص108. ابن حوقل، مصدر سابق، ص285. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص 263 – 264. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص 132 – 133. القزويني، آثار البلاد، ص495.

4- صلاح الدين أمين طه، مرجع سابق، ص34.

5- معجم البلدان، ج1، ص115.

6- المصدر نفسه والصفحة نفسها.

7- أحسن التقاسيم، ص287.

وتناول بلدانيو القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي أبرز المدن التابعة لآران: وهي برذعة، والباب والابواب، وتفليس، وبيلقان، وورثان، وبرديج، وبرزنج، والشماخية، وشروان، والابخار، والشابران، وقبلة وشكي، وجنزة، وشمكور، وختان، وكانت المدن الثلاث الاولى تمثل كبرى المدن بآران.

ويظهر مما ذكرته المصادر التأريخية والبلدانية ان عدة أجناس بشرية كانت تقطن آران كالأرمن والكرد والخزر والروم والعرب والترك، وكان بعضها يسكن المنطقة قبل الاسلام والبعض الآخر كالعرب والترك دخلها في أعقاب الفتوحات الاسلامية، وأصبح لبعضها فيها كيانات سياسية مستقلة في العصر الاسلامي كإمارة بني شداد الكردية وشروان شاهات لبني شيبان العربية[٣].

ومن أبرز القبائل الكردية التي كانت تقطن اقليم أرمينية وآران، وبالتحديد في مدن دوين، وبرزعة وجنزة (كنجة) والبيلقان، هم بنوا شداد الدين كانوا يمثلون احد بطون الروادية والتي كانت بدورها بطن من بطون الهذبانية[٤].

ومن المدن الاخرى التي كان يقطنها الكرد في الأقليم :

- خلاط (اخلات) :

وهي احدى مدن ارمينية الرابعة وفق تقسيمات البلدانيين، وكانت في ارض سهلة. وكانت من قصبة ارمينية الوسطى. وبلدة عامرة ومشهورة بخيراتها الواسعة[٥].

- دوين :

ورد بصيغ متعددة كـ(دبيل)[٦] و(دون)[١] و(دفين)[٢] وكانت مدينة عظيمة أكبر من اردبيل التي كانت قصبة اذربيجان واكبر مدنها. وهي كانت قصبة ارمينية وبها دار

1- المسالك والممالك، ص108.

2- الاعلاق النفسية، ص88.

3- اسماعيل شكر رسول، الامارة الشدادية الكردية في بلاد ئاران، (اربيل : 2001)، ص45.

4- منجم باشي، جامع الدول، باب في الشدادية، تحقيق : مينورسكي، (كمبردج : 1958، ص8؛ محمد مردوخي، تاريخ مردوخي، (تهران : د/ت)، ص3- 4.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص241.

6- ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص108؛ اليعقوبي، مصدر سابق، ص119؛ ابن رسته، مصدر سابق، ص88؛ ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص264؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص10، ابن حوقل مصدر سابق، ص287؛ المقدسي، مصدر سابق، ص289.

الإمارة[3]. وذكر صاحب كتاب (حدود العالم) أن دوين كانت تمتد حتى حدود الجزيرة، وتتصل ببلاد الروم[4]. وذكر المقدسي أن المدينة كانت تحت سيطرة الكرد[5]. أما ياقوت فعرفها بأنها بلدة من نواحي آران في آخر حدود أذربيجان بالقرب من مدينة تفليس، «ومنها ملوك الشام بنو أيوب»[6].

بدليس

بلدة من نواحي أرمينيا قرب خلاط، وفقد نفى المقدسي أن تكون هذه البلدة تابعة للجزيرة، وأوضح أن تبعيتها لحكم بني حمدان لا تبرر ذلك، حيث أن تبعية مدينتي قنسرين والرقة لحكم سيف الدولة الحمداني لم يقل أحد أن الرقة من الشام. وعزز رأيه أيضاً بأن هناك مدينة أخرى ضمن أرمينيا تناظر بدليس من ناحية الاسم وهي تفليس[7].

قندرية

انفرد المقدسي بذكرها مكتفياً بالقول أنها: «مدينة أحدثها الأكراد، بها جامع لطيف»[8].

الكرد في الأقاليم الأخرى

لم يقتصر توطن الكرد على إقليمي الجزيرة والجبال وأذربيجان وأرمينيا وإنما تجاوز ذلك ليشمل مناطق محددة في أقاليم أخرى لأسباب قد تكون سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك فقد أشار البلدانيون إلى الوجود الكردي بنسب متفاوتة في أقاليم فارس وخراسان وكرمان.

1- في إقليم فارس

أن أول ما يلف النظر فيما يتعلق بالكرد القاطنين بإقليم فارس ما جاء في

1- مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص120.

2- احمد كسروي، شهرياران كمنام، (تهران : 1929)، ج3، ص276.

3- الاصطخري، المسالك والممالك، ص110. مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص120.

4- مؤلف مجهول، ص120.

5- أحسن التقاسيم، ص289.

6- معجم البلدان، ج4، ص328.

7- أحسن التقاسيم، ص288.

8- المصدر نفسه، ص289.

الكتب البلدانية عما عرف بـ (زموم الأكراد) التي وردت بصيغة (رموم) أيضاً[١]، وإن أول من استخدم لفظ (زموم) هو البلداني ابن خرداذبة الذي فسره بـ (محل الأكراد)[٢].

وقد تكرر استخدام التعبير المذكور لدى البلدانيين الآخرين كابن الفقيه الهمذاني[٣]، والاصطخري[٤] وابن حوقل[٥] والمقدسي[٦] والإدريسي[٧] أما ياقوت الحموي فقد استخدم صيغة (رم) وجمعها (رموم) للدلالة على المعنى نفسه، حيث ذكر أن (تفسير الرموم محال الأكراد ومنازلهم بلغة فارس)[٨].

واختلف الكتاب المعاصرون بشأن هذه اللفظة منهم من رجح (زم) ومنهم من رجح (رم). فقد ذكر مينورسكي أن الاستخدام الأصوب هو الثاني، والذي رأى فيه لفظة فارسية تفيد معنى (معشر) أو (مجموعة)[٩]. أما جرجي زيدان فرجح التعبير الأول راجعاً إياه إلى أصل عربي عندما زعم أن الكلمة تعود في أصلها إلى «زمام» العربية والتي تفيد معنى القيادة والمراقبة ونظائرها[١٠]، وهذا رأي مستبعد.

ولكن بالنظر في أن «الزموم» عبارة عن مناطق كردية خالصة في الوسط الفارسي فمن المرجح أنها كلمة كردية، والتي يفترض استخدامها عند الكرد منذ عهود قديمة، خاصة إذا ما عرفنا أن كلمة (زوما) ورد ذكرها في كتاب ملا محمود البايزيدي[١١].

وأول من أسهب من البلدانيين في شرح الزموم هو الاصطخري الذي شبهها بالممالك وسمى أصحابها بالملوك[١٢]، ذكر أن لكل زم من الزموم مدناً وقرى

1- ينظر: محب الله، موقع الأكراد وكردستان تاريخياً وجغرافياً وحضارياً، (بلا:1991)، ص53.

2- المسالك والممالك، ص51.

3- مختصر كتاب البلدان، ص188.

4- المسالك والممالك، ص71.

5- صورة الأرض، ص236، ص239.

6- أحسن التقاسيم، ص325، ص339.

7- نزهة المشتاق، ج4، ص418.

8- معجم البلدان، ج4، ص423.

9- ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص71.

10- تاريخ التمدن الإسلامي، ج4، ص78.

11- عادات ورسوماتنامة، ص7. ارشاك بولاديان، الأكراد حسب المصادر العربية، نقله إلى العربية خشادور قصباريان وعبد الكريم أبا زيد، (يريفان:د/ت)، ص93 – 94.

12- المسالك والممالك، ص87.

مجتمعة. وقد ضمن خراج كل ناحية منها رئيس من الأكراد و (الزموا إقامة رجال لبذرقة[1] القوافل وحفظ الطرق ونوائب السلطان إذا عرضت). ثم حدد حدود الزموم[2]. وكرر ابن حوقل ما أورده الاصطخري مع بعض الزيادات[3]. وكذلك فعل ياقوت حيث نقل ما أورده كل من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي[4].

يلاحظ مما أورده أولئك البلدانيون أن كل زم كان يغطي مساحة كبيرة من الأرض، ويضم مدناً وقرى وضيعاً كثيرة، وكان القائم عليه شخصية كردية مرموقة له الأمر والنهي وهو المسؤول عن حدود زمّه والمشرف على إدارة الزم والمكلف بجمع الخراج وحماية القوافل التجارية ومراقبة الطرقات والضرب على أيدي العابثين بالأمن وتقديم العون اللازم للسلطان إذا ما احتاج إليه في الحالات الطارئة وعند التعرض للخطر، باعتباره القائم مقام السلطان.

ويتضح من ذلك أن تلك الزموم كانت عبارة عن وحدات إدارية شبه مستقلة ووظيفة القائم على كل منها كانت إدارية، اقتصادية عسكرية وأمنية. وإن بقاء تلك الزموم لعدة قرون – كما يلاحظ من كتب البلدانيين – إنما يدلّ على فعاليتها ونجاحها في أداء الواجبات المنوطة بأصحابها أو رؤسائها الكرد الذين اتصفوا بلا شك بالكفاءة وهم يديرون مناطق خارج بلادهم، ومن البديهي أن تلك الزموم، كان يسكن بعض أعمالها أقوام أخرى، بالإضافة إلى الكرد.

أما عدد (زموم الأكراد) في إقليم فارس فقد اختلف بشأنها ففي حين حدده ابن خرداذبة بأربعة[5]، فإن الاصطخري وابن حوقل والمقدسي ذكروا خمسة زموم[6].

وهذا هو الراجح لأن الاصطخري هو من مدينة اصطخر بإقليم فارس فهو الأدرى بأحوال بلاده.

1– بذرقة: خفارة أو حراسة.

2– المسالك والممالك، ص 71 – 72.

3– صورة الأرض، ص236، ص 239 – 240.

4– معجم البلدان، ج4، ص423.

5– المسالك والممالك، ص51.

6– المسالك والممالك،ص71 – 72. صورة الأرض، 236. أحسن التقاسيم، ص339 – 340.

وقد عدد ابن خرداذبة الزموم الأربعة، وحدَّد المسافة بين كل منها وبين مدينة شيراز[١] بالفراسخ[٢]، فذكر أن زم الحسن بن جيلويه المسمى بـ (المازنجان)[٣] كان يبعد عن شيراز أربعة عشر فرسخاً (حوالي 84 كم)، ويبعد زم اردام بن جواناه عنها ستة وعشرين فرسخاً (حوالي 156 كم)، ويبعد زم القاسم بن شهريار المسمى بـزم (الكوريان) خمسين فرسخاً (حوالي 300 كم)، وكان زم الحسن بن صالح المسمى (السوران) يبعد عن شيراز سبعة فراسخ (حوالي 42 كم) وهو أقرب الزموم إلى مركز فارس.

أما المقدسي فقد ذكر ثلاثة من الزموم الخمسة والتي رتبها حسب كبرها، ولكن مع بعض الاختلاف في أسمائها مقارنة بما أورده ابن خرداذبة فقال: «وزمومه خمسة، أكبرها زمّ أحمد بن صالح يعرف بالديوان، ثم زم شهريار يعرف بزم البازنجان، وهم الذين في ناحية أصفهان من هذا الزم ثم زم أحمد بن الحسن ويعرف بزم الكاريان وهو زم اردشير خرّه»[٤].

أما حدود تلك الزموم فكانت كما أوردها الاصطخري وابن حوقل كالآتي:

- زم جيلويه (الرميجان): كان يقع في الناحية التي تلي أصفهان[٥]، وهو يأخذ طرفاً من كورة اصطخر[٦]، وطرفاً من كورة شابور[٧]، طرفاً من كورة ارجان[٨]،

1- شيراز: مدينة محدثة في الإسلام، وكانت قصبة إقليم فارس، بها الدواوين ودار الإمارة، الاصطخري، المسالك والممالك، ص67.

2- المسالك والممالك، ص51. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص188.

3- عند الاصطخري جاء بصيغة (الرميجان).

4- أحسن التقاسيم، ص 339 – 340.

5- أصفهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها، وهي من نواحي الجبل، وأنجبت عدداً كبيراً من العلماء. ياقوت: معجم البلدان، ج1، ص167.

6- اصطخر: مدينة بإقليم فارس، وسعتها حوالي ميل، وهي من أقدم مدن فارس وأشهرها. الاصطخري، المسالك والممالك، ص76.

7- شابور: كانت أصغر كور فارس ومدينتها سابور، نسبت إلى سابور الملك بانيها، الاصطخري، المسالك والممالك، ص67.

8- ارجان: كورة جليلة سهلية جبلية بحرية، إحدى كور فارس، كانت كثيرة النخيل والتين والزيتون والدخل والخيرات، روى عن الأمير البويهي عضد الدولة إنه قال غرضي من العراق الاسم ومن أرجان الدخل، المقدسي أحسن التقاسيم، ص324.

فحدّ منه ينتهي إلى مدينة البيضاء[1]، وحدّ منه ينتهي إلى أصبهان، وحدّ منه فينتهي إلى حدود خوزستان، وحدّ منه ينتهي إلى زم ناحية سابور، وإن كل ما كان يقع ضمن تلك الحدود فهو يدخل في ذلك الزم.

– زم شهريار (البازنجان[2] أو المازنجان)[3]: وكان متاخماً للزم السابق من ناحية أصبهان، ولم يكن من المازنجان أحد في عمل فارس إلا وكان له بها ضياع وقرى كثيرة.

– زم الديوان (زم الحسين بن صالح): وكان يقع ضمن كورة سابور. وكان أحد أطراف حدوده يلي اردشير خرّه[4]، أما حدوده الثلاثة الأخرى فكانت تحيط بها كورة سابور. وكل ما كان من المدن والقرى في أضعافها فهو منها.

– زم اللوالجان (زم أحمد بن الليث): وكان يقع في كورة اردشير خرّه، وأخذ حدوده كان يلي البحر، في حين أن كورة اردشير خرّه كانت تحيط بالزم من النواحي الثلاثة الأخرى. وما وقع في أضعافه من القرى والمدن فهو منه.

– زم الكاريان: وكان يقع هو الآخر في كورة اردشير خرّه، وكان يحيط بها من الجوانب الأربعة كل من سيف بني الصفّار[5]، وزم البازنجان وحدود كرمان واردشير خرّه، فكان كل منها يشكل حداً من حدود الزم الأربعة[6].

---

[1]– البيضاء: أكبر مدينة بكورة اصطخر بينها وبين شيراز ستة فراسخ (حوالي 48كم) وسميت بهذا الاسم لأنه كان لها قلعة في فتح اصطخر . وأما اسمها بالفارسية بهو نسابك. ابن حوقل، صورة الأرض، ص247. وممن نسب إليها عالم كردي يدعى علي بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم أبو الحسن الصوفي المعروف بالكردي البيضاوي سمع أبا الحسين أحمد بن محمد بن فادشاه وأبا بكر بن زنده، ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص416.

[2]– المسالك والممالك، ص68.

[3]– صورة الأرض، ص239.

[4]– اردشير خرّه: كورة قديمة في إقليم فارس قصبتها أكثرها كان يمتد على البحر وصفت بكونها شديدة الحر قليلة الثمار. المقدسي، مصدر سابق، ص324.

[5]– سيف بني الصفار: كان لبني الصفار وهو من آل عمارة ويعرفون بآل الجلندي، مملكة عريضة وضياع كثيرة على ساحل البحر بفارس متاخمة لحدود كرمان فعرفت بهم، الاصطخري، المسالك والممالك، ص369. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص369.

[6]– ينظر: المسالك والممالك، ص71 – 72. صورة الأرض، ص239 – 240. معجم البلدان، ج4، ص423.

أمـا ترتيـب الزمـوم مـن حيـث الكـبر، فكـان أكبرهـا زم الرميجـان، ويليـه زم اللولجان ثم زم الديوان فزم البازنجان ثم زم الكاريان[١].

وانفـرد الاصـطخري بالإشـارة إلى بعـض ملـوك الزمـوم الـذين (علـى أبـوابهم الجيوش الدائمـة مـن ألـف رجـل إلى ثلاثـة آلاف رجـل)[٢]. وظـروف انتقـال ملكيتـها من شخص إلى آخر كانت تتم إما عن طريق القوة أو عن طريق الوراثة وبتدخل مـن السلطة المحلية المتمثلة بالطاهريين ثم الصفّاريين الذين حكموا فارس وغيرهـا مـن المناطق خلال القرن الثالث الهجري باسم الخلافة.

ومن أولئك الملوك المهرجان بن روزيه ملك زم الرميجان (جيلويه)، والـذي كـان أقدم من الملك جيلويه ومن أخيه سـلمة ابـن روزيـه. أمـا جيلويـه فكـان أول الأمـر في خدمة سلمة عقب انتقاله من اصطخر إلى هنـاك، وبعـد وفـاة سـلمة تغلـب جيلويـه على الزم واستفحل أمره حتى نسب الزم إليه[٣].

وقد وقعت نزاعات دامية بين جيلويه وآل أبي دلف[٤]، قتل في أحدها معقل بن عيسى — أخو أبي دلف — وفي وقعة أخرى قتل جيلويه وتغلب أبو دلف على الزم بعد أن مثّل بجثة خصمه شرّ تمثيل حتى كان آل أبي دلف يقيمون برأس جيلويه في الحروب يحمل بين أيدهم على رمح إلى أن انقضت أيامهم بعد تدخل الأمير الصفّاري عمرو بن الليث[٥]، الذي أعاد إدارة الزم إلى أولاد جيلويه[٦].

---

[1] – الاصطخري، المسالك والممالك، ص78. ابن حوقل، مصدر سابق، ص236.

[2] – المسالك والممالك، ص78.

[3] – المصدر نفسه والصفحة.

[4] – آل أبي دلف: كانوا قوماً من العباديين من أهل الحيرة، وكانوا جهابذة بها، فخرج جدٌ لهم يقال له إدريس فأثرى فلم يجرؤ على إظهار دعوته بالكوفة، واضطر للانتقال إلى البصرة حيث اشترى داراً فيها، ثم خرج إلى الجبل، وأبو دلف من ولده — ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص186.

[5] – عمرو بن الليث (265 — 289 هـ/878 — 901م): ثاني أمراء الدولة الصفارية التي قامت في سجستان وامتدت إلى خراسان وطبرستان وجرجان والري وفارس وغيرها. كان أقوى الأمراء الصفارين وكانت علاقاته مع الخلافة العباسية متأرجحة بين الولاء والعداء. أسر في معركة حاسمة مع السامانيين سنة (288 هـ/900م)، ومات في السجن سنة (289 هـ/901م). ينظر: محمد الخضري بك، محاضرات في تأريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، (مصر:1970)، ص309، 321.

[6] – المسالك والممالك، ص87.

أما زم الديوان فكان رئيسهم شخص كردي يدعى آزاد مرد بن شهاذ الذي ملكه حيناً من الدهر، ثم خرج على السلطان، ولوحق، فاضطر أن يهرب إلى عمان بعد هزيمته أمام محمد بن إبراهيم الطاهري وبقي فيها حتى وفاته[١]، ولم يشر الاصطخري إلى سبب عصيانه.

وانتقل أمر الزم إلى شخص كردي آخر اسمه الحسين بن صالح وبقي الزم تحت حكمه وتحت حكم أولاده حتى عهد عمرو بن الليث الصفار الذي انتزع الزم منهم وسلّمه إلى شخصية كردية أخرى تدعى ساسان بن غزوان، فصار الزم في يده ويد أولاده.

أما زم اللولجان فكان في أيدي آل الصفار إلى أن ولي محمد بن إبراهيم الطاهري فارس فسلّمه إلى شخص كردي اسمه أحمد بن الليث وتداوله بعده أهل بيته.

أما زم الكاريان فكان يرأسه حجر بن أحمد بن الحسن الذي كان من آل الصفار، أي لم يكن كردياً.

أما زم المازنجان فكان يرأسه أفراد من قبيلة المازنجان المتعاقبين فكان أول الأمر بيد شهريار ثم انتقل إلى ابنه القاسم بن شهريار وموسى بن القاسم ثم موسى بن عبد الرحمن فموسى بن محراب ثم أبو مسلم محمد بن موسى وبعده انتقل إلى فارس بن موسى ثم أحمد بن موسى[٢].

وفيما يتعلق بالأحوال الضريبية للزموم وكيفية تعامل الدولة مع أراضيها ونسبة ضريبة الخراج عليها. فالواقع كان خراج الأرض على ثلاثة أنواع: المساحة والمقاسمة والقوانين التي في مقاطعات معروفة[٣] لا تزيد ولا تنقص زرع أم لم يزرع[٤]؛ وأما المساحة المقاسة فإن زرع أخذ خراجه، وإن لم يزرع لم يؤخذ[٥].

1- المصدر نفسه والصفحة.

2- المصدر نفسه، ص87 – 88.

3- ويقصد بها المقاطعة أو الضمان: وهي ضريبة تجبى وفق اتفاقات محددة بين الدولة والملتزم الذي أقطعته الدولة إقطاعات معينة وفق نظام الالتزام.

4- الاصطخري، المسالك والممالك، ص95. ابن حوقل، مصدر سابق، ص263.

5- للمزيد ينظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ط5، (القاهرة:1396 هـ)، ص75. مجموعة من المؤلفين، النظم الإسلامية، (بغداد،1987)، ص112.

وكانت عامة بلاد فارس يفرض عليها الخراج مساحة إلا الزموم فإنها كانت مقاطعات باستثناء قليل من المقاسمات[1] والتي كانت على وجهين (ضياع في أيدي قوم من أهل الزموم وغيرهم معهم عهود من علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وغيرهما من الخلفاء، فيقاسمون على العشر والثلث والربع وغير ذلك، والوجه الآخر مقاسمات على قرى صارت لبيت المال فيزارع الناس عليها)[2].

يلاحظ من ذلك أن بعض أهالي الزموم من الكرد كانوا يدفعون نسباً محددة من ضريبة الأرض على طريق المقاسمة وفق اتفاقات كانوا يعقدونها مع أعلى سلطة في الدولة الإسلامية والمتمثلة بالخلافة وذلك تفادياً من أي تدخلات غير مسؤولة وغير منصفة سواء أكانت خارجة من أصحاب الزموم أو من غيرهم.

بالإضافة إلى تلك الزموم فقد أورد البلدانيون ذكر عشرات الأحياء والبيوتات الكردية المنتشرة في إقليم فارس ولكن دون تحديد مواقعها إلا أنهم أكدوا على كثرتها وضخامة عدد أفرادها.

فقد عدد البلدانيون[3] حوالي أربعة وثلاثين حياً من الأحياء الكردية بفارس مع بعض الاختلاف في ضبطها وهي: الكرمانية والرامانية ومدثر (مدين) وحي محمد بن بشر والبقيلية والبنداد مهرية وحي محمد بن إسحق والصباحية والإسحاقية والآذركانية والشهركية والطصما دهنية والزيادية والشهروية والبندادكية (البندادقية) والخسروية والزنجية والصفرية والشهارية والمباركية والاشتامهرية والشاهونية والفراتية والسلمونية والصيرية والأزاد دختية والبراز دختية والمطلبية والمحالية واللارية[4] والشاهكانية والكجتية[5] والجليلية.

وأكد الاصطخري أن تلك الأحياء هي التي حضرته أسماؤها وإلا فإنها أكثر بكثير بحيث لا يمكن تقصيهم إلا من ديوان الصدقات ثم أردف أن عددها يزيد

1- الاصطخري، المسالك والممالك، ص95. ابن حوقل، مصدر سابق، ص263.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص95. ابن حوقل، مصدر سابق، ص264.

3- الاصطخري، المسالك والممالك، ص72. ابن حوقل، مصدر سابق، ص240. المقدسي، مصدر سابق، ص339.

4- لم يرد ذكر هذا الحي في كتاب المسالك والممالك.

5- لم يرد ذكر هذا الحي في كتاب صورة الأرض.

على مائة حي[١]. وقال ابن حوقل أن الأحياء المذكورة هي المشهورة بين الأحياء الكردية الكثيرة التي من الصعب إحصاؤها إلا من ديوان الصدقات[٢]. وورد أن تلك الأحياء كانت تضم أكثر من خمسمائة ألف بيت، وكان يخرج من الحي الواحد حوالي ألف فارس[٣]، أي أن مجموع الفرسان في الأحياء المائة يصل إلى أكثر من مائة ألف فارس.

وكان أفراد الأحياء الكردية ينتجعون في المشتى والمصيف على المراعي، باستثناء عدد قليل منهم كانوا مستقرين على حدود الصروم والجروم (أي المناطق الباردة والمناطق الحارة) ولا ينتقلون. وكان يتمتع أهالي تلك الأحياء بالقوة والبأس الشديد وكثرة العدد والعدة والرخاء الاقتصادي الغني بالثروة الحيوانية، بحيث لم يكن بمقدور السلطات إيذاءهم أو فرض هيمنتها عليهم[٤].

وإذا ما افترضنا أن كل بيت من البيوت الخمسائة ألف التي ذكرها الاصطخري كان يضم خمسة أفراد – وهذا قليل لا كثير بالنسبة للأسرة العشائرية في ذلك الوقت – فإن ذلك يعني أن عدد السكان في الأحياء الكردية بفارس كان يبلغ مليونين ونصف المليون! وعلى الرغم من صعوبة التسليم بهذا التقدير الذي يتسم بالمبالغة فإن ذلك يدل بالتأكيد على الثقل البشري الكردي في إقليم فارس من خلال الزموم والأحياء المنتشرة المستقرة والمتنقلة فيه بحيث كانوا يشكلون قوة محلية لا يستهان بقدراتها ويحسب لها الحساب في القضايا الإدارية والعسكرية والاقتصادية والأمنية.

أما بصدد كرد فارس بزمومها وأحيائها وظروف وملابسات وصولهم إلى هناك واستقرارهم فيه بهذا الحجم الكبير فلا تمدنا المصادر التاريخية والبلدانية بنبأ ذي شأن، وقد يكون وجودهم في فارس عائداً إلى ما قبل ظهور الإسلام بزمن طويل، ومن المحتمل أنهم كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر بحثاً وراء المراعي إلى أن أنهى بهم المطاف في المناطق التي شكلوا فيها زموماً، لأن (الزموم) تعطي مدلولاً

---

[1]- المسالك والممالك، ص72.

[2]- صورة الأرض، ص240.

[3]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص72. ابن حوقل، مصدر سابق، ص240. ياقوت، معجم البلدان، ج6، ص408.

[4]- المسالك والممالك، ص72.

مرتبطاً بالاقتصاد والرعي[1].

ومما يجدر ذكره أن البلداني الفارسي ابن البلخي (ت: بعد 500 هـ/1107م) أورد رأياً بشأن الزموم الكردية بفارس لا يخلو في جزء منه من المبالغة فبعد أن عدّ الزموم – على حدّ تعبيره – الخمسة وأشار إلى أن أبناءها من الكرد كانوا يشكلون ألمع العناصر المحاربة في جيش فارس، نجده يزعم أن جميعهم حصدتهم المعارك الدائرة خلال عمليات الفتوحات الإسلامية باستثناء شخص واحد كان يدعى (علكة بور) اعتنق الإسلام! ونقل الأمير البويهي عضد الدولة في القرن الرابع الهجري الكرد القاطنين من أصفهان بإقليم الجبال إلى فارس[2].

ولكن هل يعقل أن يقتل أفراد حوالي خمسمائة ألف بيت كردي في فارس ولا يبقى منهم سوى رجل واحد؟، ولكن ما أورده يؤكد على جانب آخر وهو قدم الوجود الكردي في فارس من جهة وشدة بأس كرد الزموم وموقعهم البارز في الجيش الفارسي من جهة ثانية، ويفيد أيضاً أنهم قد استغلوا من قبل الدولة، بفضل بسالتهم وقدراتهم الحربية[3]، التي عرفوا بها واستخدموا في تغذية الماكنة الحربية البشرية للدولة.

ومن جهة أخرى فإن ما أورده البلدانيون الذين سبق أن ذكرناهم بشأن الزموم والأحياء الكردية بفارس ينفي زعم ابن البلخي، لأن ما أورده يؤكد بقائهم وتمتعهم بامتيازات خاصة وأدائهم واجباتهم الموكلة إليهم طيلة الفترة التي عالجتها هذه الدراسة.

بالإضافة إلى الزموم والأحياء الكردية بإقليم فارس، فقد وردت إشارات بلدانية عن وجود الكرد في أماكن مختلفة من الإقليم. إذ أشار اليعقوبي إلى رستاقين من رساتيق أصفهان كان يقطنها الكرد والخرّمية[4] – أي أتباع بابك الخرّمي – وهما رستاقا اقامدان وفهمان[5]. كما ورد ذكر اسم مدينة من أجل مدن نواحي أصفهان تدعى مدينة (كرد)[6] أو (كورد)[1] مما يوحي باحتمال نسبة

1- أرشاك بولاديان، مرجع سابق، ص94.

2- فارس نامه، ص240.

3- شمس الدين سامي، قاموس الأعلام (تركي)، (استانبول: 1306 هـ/1889م)، مادة كرد، ص3842.

4- ينظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.

5- البلدان، ص44.

6- الاصطخري، المسالك والممالك، ص77.

المدينـة إلى سـاكنيها الكـرد[٢]. وقـد وصـف المقدسـي المدينـة بأنهـا «عـامرة معـدن الجـوز والثمـار، جبليـة»[٣]، ووجـدت مدينـة تحـت الاسـم نفسه كانـت تابعـة لكـورة اصطخر[٤]، وأخرى كانت تسمى مدينة (الأكراد) وكانت إحدى مدن كورة شابور[٥].

وفي وسط الجبال بإقليم فارس وجدت مدينـة باسـم (زم الأكـراد) وكانـت ذات خيرات وفيرة، وكانت إحدى مدن كورة شابور.

كما ذكر المقدسي بأنه كان توجد في إحدى نواحي قصبة شـابور – شهرسـتان – قلعة حصينة باسم دنبلا[٦]، فـلا يستبعد أن يكون ذلـك نسبة إلى عشيرة دنـبلا الكردية التي ورد ذكرها في المصادر البلدانية[٧].

والجدير بالذكر أن بعض البلدانيين تطرقوا إلى ما وقع بين الفرس والروم مـن معارك قبل الإسلام والتي كانت إحدى نتائجها سبي سكان المنـاطق المفتوحـة كالتي جرت خلال غزو الملك الساساني قباذ بين فيروز والد أنو شيروان العادل للمـدينتين الكرديتين ميافارقين وآمد واللتين كانتا تحت سيطرة الروم، فبعد أن فتحها وسـبى أهلها أمر ببناء مدينة بين حدّ فارس والأهواز وسمّاها ابر قباذ وهـي التي أصـبحت تدعى ارجان[٨]، وسكن فيها سبايا مدينتي ميـا فـارقين وآمـد، وكوّرهـا كـورة، وضـم إليها رساتيق من امهرمز وكورة سـابو وكـورة اردشـير خـرّه وكـورة أصـفهان[٩]، وهـذا ما يؤكد جلياً الوجود الكردي في تلك الكورة من إقليم فارس.

---

[1]- المقدسي، مصدر سابق، ص340.

[2]- المصدر نفسه والصفحة.

[3]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص69.

[4]- ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص6.

[5]- المقدسي، مرجع سابق، ص425، 332.

[6]- المصدر نفسه، ص330.

[7]- ينظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة.

[8]- ارجـان: وكانـت كـورة واسـعة مـن كـور فـارس، تلـي في الـسعة كـورة دارابجـرد وكانـت تقـع في الأطـراف الـشمالية الغربيـة مـن فـارس، وتحـادد إقلـيم خوزسـتان، يـاقوت، معجـم البلـدان، ج1، ص120.

[9]- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص185. ابن البلخي، فارس نامه، ص84. ياقوت، معجـم البلدان، ج1، ص120.

2- الكرد في إقليم خراسان

إن خراسان إقليم واسع جداً حدَّد حدوده الاصطخري وابن حوقل على أنه يحيط به من الشرق نواحي سجستان وبلد الهند، ومن الغرب مفازة الغزية ونواحي جرجان، في حين بلاد ما وراء النهر وجزءاً من بلاد الترك تحده من الشمال، أما مفازة فارس وقومس إلى نواحي جبال الديلم مع جرجان وطبرستان والري وما يتصل بها، فإنها تشكل حدود خراسان الجنوبية[1].

ويظهر أن وجود الكرد في بعض مناطق خراسان جاء من ناحية الجنوب حيث فارس التي كان يقطنها عدد كبير من الكرد من خلال الزموم والأحياء الواسعة التي سبق ذكرها.

وقد أشار بعض بلدانيي القرن الرابع الهجري إلى الوجود الكردي في خراسان والذي كان يتمثل في مجموعات رعوية غير مستقرة في غالب الأحيان باحثة وراء الكلأ والماء والعشب، أو في قرى رعوية.

فقد ذكر الاصطخري أن مدينة اشترج[2] – اندخُذ[3] – مدينة صغيرة في مفازة "لها سبع قرى وبيوت للأكراد أصحاب الأغنام وإبل منها شعر ومدر"[4].

كما ورد ذكر الكرد في كورة قهستان[5] التابعة لإقليم خراسان والتي ذكر أنها كانت تضم ثماني مدن[6] بالإضافة إلى العديد من القرى والرساتيق، التي كانت متباعدة تفصل بينها مساحات سهلية غير مأهولة[7].

وقد ذُكر أن (في أضعاف هذه المدن مفاوز يسكنها الأكراد وأصحاب السوائم من الإبل والغنم)[1]، وفي الوقت نفسه نلاحظ أن كلاً من الاصطخري والمقدسي

1- المسالك والممالك، ص145. صورة الأرض، ص358. وللمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص218 – 220.

2- لم يذكرها البلدانيون الآخرون.

3- بلدة بين بلخ ومرو، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص208.

4- المسالك والممالك، ص153.

5- قهستان: كلمة كردية وتعني – كويستان – أي المنطقة الجبلية.

6- المقدسي، مصدر سابق، ص238.

7- الاصطخري، المسالك والممالك، ص153 – 154. ابن حوقل، مصدر سابق، ص370 – 372. ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص103.

أوردا اسم قرية باسم (قرية الأكراد) وذلك خلال ذكرهما المسافات بين الطرق التي كانت تربط مدن وقرى خراسان بعضها ببعض[٢].

3- الكرد في إقليم كرمان

عرّف ياقوت كرمان بأنه ولاية مشهورة، ناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان[٣].

وقد انفرد ابن حوقل دون غيره من البلدانيين بالتطرق إلى الوجود الكردي بكرمان من خلال حديثه عن جبال الإقليم المنيعة وهي جبال القفص وجبال البارز وجبال معدن الفضة[٤].

ولعلّ من المناسب نقل نصّ ما ذكره ابن حوقل بهذا الصدد، إذ يقول: «وجبال القفص فهي جبال جنوبيها البحر وشمالها حدود جيروفت والروذبار وقوهستان أبي غان، وشرقيّها الأخواش ومفازة بين القفص ومكران، وغربيّها البلوص وحدود نواحي المنوجان ونواحي هرموز، ويقال أنها سبعة أجيال[٥]، ولكل جيل رئيس منهم، وهم صنفٌ من الأكراد[٦]، وحي من أحيائهم، ويكونون على ما قاله أهل نواحيهم نحو عشرة آلاف رجل مستظهرين ممتنعين، وكان للسلطان عليهم جراية يستكفهم بها وهم مع ذلك يقطنون الطريق ويخيفون السبيل في عامة كرمان والى مفازة سجستان وحدود فارس، فاستأصل الملك شأفتهم، وكسر شوكتهم وجاس ديارهم، وأخرب نواحيهم، وشتتهم ثم ألجأهم إلى خدمته وفرتهم في أكناف نواحيه ومملكته...»[٧].

إذا تمعنا في النص أعلاه نلاحظ ما يلي:

– على الرغم من انفراد ابن حوقل بما ذكر عن الكرد بإقليم كرمان فإن ما أورده ليس بالأمر المستبعد بالنظر لوجود حدود مشتركة بين كرمان وكل من فارس

---

[1]- المصادر نفسها، ص155، ص372، ص103.
[2]- المسالك والممالك، ص158. صورة الأرض، ص377.
[3]- معجم البلدان، ج7، ص132.
[4]- صورة الأرض، ص269.
[5]- عند الاصطخري سبعة أجيال، المسالك والممالك، ص98.
[6]- ذكر ياقوت أن القفص جيل كالأكراد في نمط حياتهم، ينظر: معجم البلدان، ج7، ص75.
[7]- صورة الأرض، ص270.

وخراسان اللذين سبق وأن أشرنا إلى وجود الكرد فيها بشكل ملحوظ، وخاصة في إقليم فارس.

- توطن الكرد القفص في أحد الجبال المنيعة التي عرفت بهم، وهي البيئة التي تعوّد عليها الكرد.

- نقل ابن حوقل معلوماته عن أهل المنطقة أنفسهم مما يعزز الثقة بما أورده.

- كان عدد أولئك الأكراد متواضعاً مقارنة بنسبة الكرد في إقليم فارس.

- وكانوا يمثلون حيّاً من أحيائهم، وقد يكون ذلك الحيّ امتداداً للأحياء الكردية الكثيرة بإقليم فارس كما سبق الذكر.

- اتصف أولئك الكرد بالشجاعة والمنعة بحيث لم يكن بمقدور السلطات مواجهتهم أو إخضاعهم مما اضطرها إلى تخصيص عطاء لهم تفادياً لتجاوزاتهم التي استمرت رغم ذلك، ليؤدي بهم الأمر أخيراً إلى الهلاك والخراب والدمار والتشريد والتشتيت وإخضاعهم بالقوة على يد الملك الذي لم يسمّه ابن حوقل وقد يكون أحد الملوك البويهيين الذين عاصرهم، أو أحد الأمراء الحسنويهيين.

الاصطلاحات الإدارية المستخدمة في تناول بلاد الكورد

استخدم البلدانيون في مصنفاتهم العديد من الألفاظ والاصطلاحات الإدارية، التي تعطي مجتمعة صورة مناسبة عن التقسيمات الإدارية السائدة في بلدان الخلافة الإسلامية، ولكننا نلاحظ تفاوتاً بينها في مدى توضيح مدلولات تلك الاصطلاحات من جهة، وفي مواقع استخدامها من جهة أخرى.

فقد أورد بلدانيو القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ألفاظاً إدارية دون أن يلتفتوا إلى معانيها ودون أن تستوقفهم مدلولاتها، كما أن بعضهم مثل ابن الفقيه الهمذاني (لم يرتب الكور والأجناد)[١] فيقول: «وأما نحن فجعلنا المصر كل بلد حلّة السلطان الأعظم، وجمعت إليه الدواوين وقلدت منه الأعمال إليه مدن الإقليم مثل دمشق .. وربما كان للمصر أو للقصبة نواح، فالأقاليم أربعة عشر، ستة منها عربية ... وثمانية عجمية .. ولابدّ لكل إقليم من كور، ثم لابدّ لكل كورة من قصبة و لكل قصبة من مدن. وليس كل قصبة مصراً»[٢].

1- المقدسي، مصدر سابق، ص20.

2- أحسن التقاسيم، ص20.

ولتوضيح الصورة فإن المقدسي يشبّه الأمصار بالملوك والقصبات بالحجّاب والمدن بالجند والقرى برجالها. وأضاف أن «البلد يعّم المصر والقصبة والرستاق والكورة والناحية»[1].

أما ياقوت فقد عرّف حلّل الألفاظ والتعابير التي أوردها في معجمه، ومن بينها الإدارية، بشكل واضح ودقيق، مخصصاً فصلاً من الجزء الأول لهذا الغرض، مما أضفى على معجمه أهمية أكبر.

وأجد من الضروري التطرق إلى أهم المصطلحات الإدارية التي ترددت لدى البلدانيين خلال تناولهم الكرد، كالآتي:

1- الإقليم

لم يقتصر استخدام الإقليم عند البلدانيين على النظام الفلكي الذي سبق الإشارة إليه، بل امتد منذ القرن الرابع الهجري ليشمل تقسيمات جغرافية وإدارية للبلدان الإسلامية، أي تقسيمها إلى وحدات إدارية لها خصوصياتها الجغرافية بشكل عام أو السياسية أحياناً، فقد ذكر ابن حوقل في تبريره لجعل أرمينيا وأذربيجان وآران إقليماً واحداً لأنها: «مملكة إنسان واحد فيها شاهدته سائر عمري، وما نقلت الأخبار به لمن تقدمني كابن أبي الساج ومفلح غلامه وديسم بن شاذلويه والمرزبان بن محمد المعروف بالسالار آنفاً وسالفاً لمثل الفضل بين يحيى و عبد الله بن مالك الخزاعي وغيرهما»[2].

وقد قسم البلخي والاصطخري بلاد الإسلام إلى عشرين إقليماً، وقسّمها ابن حوقل إلى اثنين وعشرين إقليماً، في حين قسّمها المقدسي إلى أربعة عشر إقليماً، ستة منها عربية وثمانية للعجم.

ومن الملاحظ أن اهتمام البلدانيين انصب على البلدان الإسلامية دون غيرها، وبرر المقدسي ذلك بقوله: "ولم نتكلف ممالك الكفار لأنها لم ندخلها، ولم نر فائدة من ذكرها بل قد ذكرنا مواضع المسلمين فيها"[3].

1- المصدر نفسه، ص22.

2- صورة الأرض، ص285.

3- أحسن التقاسيم، ص23.

ومن جانب آخر فإن كلاً من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي على الرغم من انتمائهم إلى مدرسة واحدة، وهي التي عرفت بمدرسة البلخي[1]، كما أنهم عاشوا في عصر واحد، إلا أنهم اختلفوا في التقسيم العددي للأقاليم الإسلامية فلكل منهم وجهته الخاصة به، غير أن تقسيمهم الموضوعي كان متقارباً إلى حد كبير.

والى جانب استخدام اصطلاح (الإقليم) للدلالة على الأقسام الإدارية الرئيسة عند البلدانيين، فإنه استخدم ليقصد به أحياناً، وحدات إدارية تابعة للأقسام الإدارية الرئيسة[٢].

كما أورد بعضهم مدلولاً آخر للإقليم ليقصد به الوحدة الإدارية التابعة لمدينة، كإشارة اليعقوبي إلى إنه كانت لمدينة الدينور «عدة أقاليم ورساتيق»[٣]. وقوله عن مدينة نهاوند بأنه كان «لها عدة أقاليم»[٤] وكذلك ما ذكره ابن حوقل عن مدينة الموصل «ولها أقاليم ورساتيق ومدن كثيرة مضافة إليها»[٥].

مما سبق يتبين لنا بجلاء أن البلدانيين كانوا يجتهدون في إطلاق التسميات على تقسيماتهم الإدارية والتي غالباً ما كانت الجزئية منها تخضع لآرائهم وتوجهاتهم الخاصة، خاصة فيما يتعلق بتبعية مدينة ما لإقليم معين أو جعلها ضمن إقليم آخر مجاور.

2- الكورة[٦]

وهي من أوسع الاصطلاحات المستخدمة لدى البلدانيين، وعادة ما كان يقصد بها الوحدة الإدارية الأصغر من الإقليم، وتتبعها عدة مدن ورساتيق[٧]. وهي تعني الأستان بالفارسية[٨].

---

[1] – جمال الفندي، الجغرافيا عند المسلمين، ص40.

[2] – ينظر: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص73 – 74. ابن حوقل، مصدر سابق، ص395.

[3] – البلدان، ص40.

[4] – المصدر نفسه، ص42.

[5] – صورة الأرض، ص194.

[6] – الكورة: تعني مساحة من الأرض تحتوي على عدد من القرى حول مدينة مما يجعلها مقاربة للإقليم الجغرافي في وقتنا الحاضر. لسان العرب، ج10، ص116.

[7] – ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص18.

[8] – المسعودي، التنبيه والإشراف، ص52.

وذكر ياقوت نقلاً عن حمزة الأصفهاني: أن الكورة لفظ فارسي يطلق على قسم من أقسام الإستان، واستعارها العرب فجعلوه اسماً للأستان مثل استعارتهم الإقليم من اليونانيين فجعلته اسماً للكشخر. فالكورة والأستان واحد. ثم يضيف ياقوت تعريفه للكورة بأنها: «كل صقع يشتمل على عدة قرى ولابدّ لتلك القرة من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة، كقولهم دارا بجرد مدينة بفارس لها عمل واسع ذلك العمل بجملته دارا بجرد ...»(١).

واستخدم ابن حوقل مفهوم الكورة للدلالة على الوحدة الإدارية الأصغر من المدينة، مثل كلامه عن مدينة حرّان بإقليم الجزيرة (وكان لها غير رستاق وكورة جليلة)(٢).

وقد أشار البلدانيون إلى أن الكور تقسم إلى أقسام، فقسّم ابن خرداذبة وقدامة الكور إلى رساتيق باستثناء كور العراق التي قسّمها إلى طساسيج، في حين قسّمها الاصطخري إلى نواحي بها منابر وأخرى ليس فيها منابر(٣).

3- الطسوج

كلمة فارسية أصلها (تسو) فعرّبت بقلب التاء طاء وإضافة الجيم إلى آخرها زيادة في تعريبها وتجمع على طساسيج، والغالب استخدامها في سواد العراق(٤)، وقد ذكر ابن خرداذبة أن ترجمة الطسوج هي ناحية، مقسماً السواد إلى كور والكور إلى طساسيج والطساسيج إلى رساتيق(٥)، وقد حذا حذوه قدامة(٦). أما ياقوت فذكر بأن الطسوج أخصّ وأقل من الكورة والرستاق والإستان، كأنه جزء من أجزاء الكورة التي تتألف من مجموعة من الطساسيج(٧).

4- الناحية

استخدمها بعض بلداني القرن الرابع الهجري وخاصة ابن حوقل والمقدسي،

1- معجم البلدان، ج1، ص39.
2- صورة الأرض، ص204.
3- المسالك والممالك، ص 18 – 28. الخراج وصناعة الكتابة، ص159 – 162.
4- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص40.
5- المسالك والممالك، ص18 – 26.
6- الخراج، ص160.
7- معجم البلدان، ج1، ص40.

ولكن يلاحظ أن استخدامها لدى ابن حوقل لا يتسم بالوضوح والدقة، فهو تارة يستخدمها كوحدة أساسية في إقليم معين[١]، وتارة أخرى كوحدة إدارية أصغر من الكورة[٢]، وتارة ثالثة يعبّر عنها لتعني الوحدة الإدارية الأصغر من المدينة[٣].

ومن جهة أخرى غالباً ما استخدم ابن حوقل لفظة (الناحية) بشكل عام للدلالة على منطقة تابعة أو متبوعة كقوله: «ويجلب من الزوزان ونواحي أرمينيا والران.. والزوزان ناحية وقلاع لها ضياع الغالب عليها الجبال»، وقوله: «لهذا الجبال ملك.. ونواح ذات رساتيق"، وكذلك قوله عن مدينة أرمية: "لها رساتيق واسعة ونواح خصبة».

وقد يذكر ابن حوقل المناطق الخاضعة لنفوذ شخص باسم ناحية كقوله: «نواحي أبي الهيجاء ابن الروّاد».

أما المقدسي فقد أضاف إلى بعض الأمصار والقصبات نواحي تتبعها عدة مدن، مثل إقليم آقور الذي (به أربع نواح)، مضيفاً أن (ناحية) ديار ربيعة هي جزيرة ابن عمر، تتبعها عدة مدن، هي: فيشار، باعيناثا، المغيثة والزوزان، حيث جعل لكل ديار ناحيتها وجعل إقليم الجبال ثلاثة أكوار وسبع نواحي.

5- المدينة

وعادة ما يقصد بها البلدانيون الوحدة الإدارية التي تدخل ضمن التقسيمات الإدارية الأكبر كالإقليم والكورة والناحية، وعندما تذكر المدينة بصفة (مدينتها) فإنها تفيد المركز أو العاصمة[٤]. فقد وصف اليعقوبي مدينة الصيمرة بأنها مدينة كورة مهرجا نقذق[٥].

أما (القصبة) فتفيد المعنى نفسه أي (العاصمة) حيث ذكر المقدسي، أن قصبة ديار ربيعة الموصل، أما ديار مضر فقصبتها الرقة، وكانت آمد قصبة ديار بكر[٦].

---

[1]- صورة الأرض، ص274. ص320.

[2]- المصدر نفسه، ص237.

[3]- المصدر نفسه، ص218. ص312.

[4]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص160. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج3، ص377.

[5]- البلدان، ص39.

[6]- أحسن التقاسيم، ص122.

ويلاحظ أن ابن حوقل استخدم تعبيراً آخر في المعنى نفسه حينما ذكر أن مدينة برذعة هي (أم الران)[1].

أما تعبير (المدينة) بمدلولها الشائع فهي أعلى مراتب التحضر. ولها بحث آخر في هذه الدراسة.

6- الرستاق[2]

وهو أحد أبرز الاصطلاحات المستخدمة عند البلدانيين ويقصدون به المنطقة الزراعية التابعة للمدينة، ويكون الرستاق بمثابة الشريان الذي يمد المدن بحاجاتها الزراعية، ويتضح ذلك في إشارة ابن حوقل إلى رستاقي قردي وبازيدي في إقليم الجزيرة وإنتاجهما من الحبوب والقطن[3].

وذكر الإدريسي أن الرستاق (بلسان الفرس معناه الإقليم)[4] وانعكس ذلك على التقسيمات الإدارية التي أوردها في كتابه، فقد ذكر على سبيل المثال أن (بين كفر عزي وسوف الأحد رستاق الزاب الكبير ورستاق حزة أيضاً، وهما إقليمان لهما إصابة الحنطة الكثيرة)[5].

ومن جانب آخر نجد أن الإدريسي يذكر أن الرستاق يشتمل على مدن، ويتضح ذلك عند حديثه عن رستاق الخابور والذي ذكر بأن: «له مدن كثيرة وأعمال واسعة»[6] ومما سبق يتبين أنه استخدم (الرستاق) لأكثر من دلالة.

أما ياقوت فقد ذكر أن هذه الكلمة فارسية مشتقة من (روذة فستا) و (روذة) اسم للسطر والصف والسمّاط، و (فستا) اسم للحال والمعنى أنه على التسطير والنظام ثم أضاف أن الفرس يعنون به كل موضع فيه مزارع وقرى وهو عندهم بمنزلة السواد عند أهل بغداد[7].

1- صورة الأرض، ص290.
2- يمثل الرستاق منطقة زراعية بما فيها من قرى. ينظر: لسان العرب، ج5، ص156.
3- صورة الأرض، ص196.
4- نزهة المشتاق، ج3، ص411.
5- المصدر نفسه، ج4، ص660.
6- المصدر نفسه، ج3، ص407.
7- معجم البلدان، ج1، ص42.

7- القرية

ويعني بها البلدانيون الوحدة الإدارية التي تلي المدينة من حيث الأهمية والحجم، ولا تتوفر فيها مقومات المدينة على الرغم من احتمال وجود التشابه بين بعض القرى والمدن في بعض النواحي، مثل كثرة السكان ووجود بعض المرافق في القرى والتي غالباً ما يعرف بها المدن كالحمامات والفنادق[1]. وتختلف القرى من حيث عدد السكان فقد يبلغ العدد في بعض القرى عدة مئات[2] وفي بعضها الآخر عدة آلاف.

8- المنبر

وهو أحد المميزات التي تتميز بها المدن عن القرى، ولهذا اللفظ مدلول ديني مرتبط بإقامة شعيرة صلاة الجمعة فهو من الناحية اللغوية (مرقاة يرتقيها الخطيب الواعظ ليخاطب الجمع).

وقد كثر استخدام هذه اللفظة لدى البلدانيين وخاصة ابن حوقل والمقدسي والإدريسي الذين وجدوا في وجود المنبر في مكان ما دلالة حضرية مدينية، فبوجوده يدخل (المكان) في عداد المدن وإلا فهي كانت (قرية) كبيرة، فإذا لم يوجد فيها منبر لا تدخل في عداد المدن[3].

ومن جانب آخر استخدم البلدانيون المنبر كدلالة على وحدة إدارية كقول ابن حوقل في الجامعين في الفرات الأوسط: «عبارة عن منبر صغير يحيطه رستاق عامر وخصب جداً»[4].

9- عمل

وله مدلول هام في التقسيم الإداري أذ أن أعمال المركز ونحوه يقصد بها ما يكون تحت حكمه ويضاف إليه. يقال قرية فلان من أعمال مركز كذا[5] كقول ابن حوقل عن مدينة ميافارقين: (قوم يعدونها من أعمال الجزيرة، وهي من شرقي

1- الإدريسي، نزهة المشتاق، ج4، ص56.

2- ابن حوقل، مصدر سابق، ص345.

3- ينظر: ابن حوقل، مصدر سابق، ص322. الإدريسي، نزهة المشتاق، ج3، ص400.

4- صورة الأرض، ص219.

5- المعجم الوسيط، ج2، ص634.

دجلة وعلى مرحلتين منها فلذلك تحسب من أرمينيا)[1] ويقصد بها أنها من توابع الجزيرة.

ويمكن القول أن معنى (الأعمال) قريبة من معنى (النواحي) لكن الأولى لها مدلول إداري أما الثانية فإن مدلولها الجغرافي أوضح.

أبرز المعالم الطبيعية التي رصدها البلدانيون لبلاد الكورد

من البدهي أن يسبق الوصف الطبيعي للبلدان لدى البلدانيين الجوانب الأخرى، فأول ما يصادفهم الأرض وما عليها من معالم طبيعية كالجبال والوديان والأنهار وغيرها، حتى أن بعضهم خصص فصولاً للحديث عنها[2]. ومن جانب آخر فإن أولئك البلدانيين أدركوا حقيقة العلاقة بين الطبيعة والإنسان وحتمية التفاعل والتعامل بينهما.

ومن أبرز المعالم الطبيعية في بلاد الكرد كما ورد في كتابات البلدانيين:

أ- الجبال

ذكر صاحب كتاب (حدود العالم)[3] إن الجبال على ضربين: أحدهما جبل أصلي يبدأ من ناحية، ويتجه إلى ناحية أخرى، ويكون ضيقاً في مكان ومتسعاً في مكان آخر، على خط مستقيم في مكان ومعوّجاً في آخر. أما المكان الذي ينقطع فيه اتصاله فيسمى عموداً.

والنوع الثاني: يتمثل في فروع الجبل المتشعبة من عمودي، والتي تمتد حتى تصل مكاناً تتقطع فيه، وتسمى فروع الجبل، وشبهها ذلك البلداني بالشجرة ذات الأغصان الكثيرة، حيث تكون أغصانها على مثال فروع الجبل، وكل جبل يمتد عموده بين المدن ويجتاز القرى، وتكون فروعه كثيرة.

وقد تحدث ابن حوقل عن الجبال الصعبة من حد شهرزور إلى آمد فيما بين حدود أذربيجان والجزيرة ونواحي الموصل، تلك الجبال التي كان يتراوح عرضها بين (30 – 40 فرسخاً/ 180 – 240 كم)، ولا توجد فيها مساحة مرحلة واحدة

1- صورة الأرض، ص295.

2- ينظر: ابن رسته، مصدر سابق، ص83. ص90. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص10. مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص12. ص18، ص23. ص34. ص44.

3- مؤلف مجهول، ص23.

(36 كم) سهلية، وكانت تلك الجبال مسكونة بالكورد الحميدية واللارية والهذبانية وغيرهم من كورد شهرزور وسهرورد[1]. جبل يكون في المفازات وعلى ساحل البحر وشواطئ الأنهار، تكون فروعه قليلة، إلا أن أغلب أعمدة الجبال تتصل ببعضها[2]. وهذا وصف دقيق، وقد وردت إشارات كثيرة في ثنايا الكتب البلدانية تحدث عن الجبال المنتشرة في بلاد الكرد، في الأقاليم التي تتوزع عليها، فمن أشهر جبال الجزيرة جبل الجودي[3]، القريب من جزيرة ابن عمر[4] في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل[5]. والمتصل بجبل الكمام بالثغور[6] وهكذا ارتبط هذا الجبل بقصة سيدنا نوح واستواء سفينته عليه في حادثة الطوفان الشهيرة التي ذكرها القرآن الكريم: ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقُضي الأمر واستوت على الجودي﴾[7]، وقد أكدّ القرآن الكريم أهمية جبل الجودي وما حوله من الأراضي التي تدخل ضمن بلاد الكرد منذ فجر التاريخ، عندما وصف المنطقة التي نزل عندها النبي نوح والذين كانوا معه على متن سفينته النجاه، بـ (المبارك) ويظهر ذلك في التوجيه السماوي للنبي نوح لكي ينزل ومن معه ﴿منزلاً مباركاً﴾، أي كثير الخيرات والبركات، وهذا ما نلاحظه على المنطقة، حيث قال تعالى مخاطباً نبيه: ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، وقل ربي انزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾[8].

ولذلك فقد اكتسب الجبل وما يحيط به أهمية خاصة تضفي عليه نوعاً من القدسية أثارها البلدانيون، فأورد ابن الفقيه الهمذاني قولاً عن مجاهد مفاده أن

---

[1] – صورة الأرض، ص315. وحول تلك القبائل الكردية، ينظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.

[2] – المصدر نفسه والصفحة.

[3] – ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص22. مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص30. المقدسي، مصدر سابق، ص123. الزمخشري، الجبال والأمكنة والمياه، تحقيق إبراهيم السامراني، (بغداد :1966)، ص58.

[4] – الاصطخري، المسالك والممالك، ص55.

[5] – ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص88.

[6] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص203، 206.

[7] – سورة هود، الآية 44.

[8] – سورة المؤمنون، الآيتان 28 – 29.

النبي إبراهيم أسس زوايا البيت الحرام بأربعة أحجار: حجر من حراء، وحجر من ثبير، وحجر من الطور، وحجر من الجودي[1]!.

وذكر الهروي[2]، أنه التقى رجلاً طاعناً في السن، ودفع إليه قطعة من خشب ذكر أنها من خشب سفينة نوح!.

ويلاحظ أن كل بلداني إذا ما مرّ بلفظ الجودي، تطرق إلى حادثة الطوفان التاريخية[3]. وذكر الإدريسي[4] وياقوت[5] خطأً جبلاً آخر قرب الجودي، أسمياه جبل تنين، وسواء كان الخطأ منهما أو من النساخ فإن الصحيح هو جبل (ثمانين) المرتبط أيضاً بحادثة الطوفان وسفينة نوح، فقد أفاد ابن حوقل أن جزيرة ابن عمر: «متصلة بجبل ثمانين وباسورين وفيشابور، وجميعها في الجبل الذي منه جبل الجودي»[6].

وهناك جبل آخر في الجزيرة يرتبط هو الآخر بحادثة الطوفان وهو جبل سنجار الذي عزى ياقوت سبب تسميته إلى أن النبي نوح عندما مرّ بسفينته في الجبل، نطحته فقال: «هذا سن جبل جار علينا فسميت بهذا الاسم»[7]. والراجح أن هذا التفسير عار عن الصحة، فمن يقول أن نوحاً كان يتكلم العربية! ومن الجبال الأخرى جبل شعران[8]، وأنه سمي بهذا الاسم لكثرة أشجاره وهو جبل بالموصل، وقيل بنواحي شهرزور[9]، ويقال بل هو جبل بباجرمي (كركوك). وهناك جبل قنديل[10]، وبالفارسية تخت شيرويه، حيث وصف بأنه من أعمر الجبال ويبقى

1- مختصر كتاب البلدان، ص22. ابن شداد، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، قسم الشام، (دمشق:1962). ص36.

2- الإشارات إلى معرفة الزيارات، (دمشق:1953)، ص68.

3- البكري، معجم ما استعجم، ج2، ص403. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص234. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص88.

4- نزهة المشتاق، ص234.

5- معجم البلدان، ج2، ص461.

6- صورة الأرض، ص203.

7- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص78.

8- وهو جبل هه ورامان.

9- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص125.

10- ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص145.

الثلج على قمة الجبل في الشتاء والصيف[1].

وجبل آمد من الجبال الشهيرة بالمنطقة[2]. وبالقرب من مدينة آمد إلى الجنوب هناك جبل آخر يعرف بـ (طور عبدين) يمتد بين مدينتي دارا ونصيبين[3]. وجبل ماردين بالقرب من مدينة نصيبين يبلغ ارتفاعه حوالي (فرسخين / 12كم) وبه حيات مشهورة تفوق غيرها بسرعة القتل[4].

وذكر الاصطخري أن مدينة دارا تقع على سفح جبل[5] بين نصيبين وماردين[6].

ومن الجبال الشهيرة الأخرى بالجزيرة جبل بارما على بعد (مرحلة/37.5 كم) من مدينة السن الواقعة على شرقي دجلة، وهناك رأي آخر رجحه ياقوت مفاده، أن ساتيدما هو الجبل المحيط بالأرض، ومنه جبل بارما المعروف بجبل حمرين وما يتصل به قرب الموصل والجزيرة وتلك النواحي[7]. وقد وصفه ابن خلدون بـ (جبل الأكراد)[8].

وحاول ياقوت — كدأبه — إرجاع الكلمة إلى أصل عربي زعماً أنه سمي بذلك لأنه ما من يوم وإلا سفك فيه دم[9]. نهر دجلة في وسطه، ويمتد الجبل غرباً إلى وسط الجزيرة، ويمتد شرقاً إلى حدّ كرمان[10] حيث يعرف هناك بجبل ماسبذان[11]، قال عنه ياقوت أنه «جبل بين تكريت والموصل وهو الذي يعرف بجبل حمرين[12]، يزعمون أنه محيط بالدنيا»[1].

1- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص125.

2- المصدر نفسه، ص127. ابن حوقل، مصدر سابق، ص201.

3- سهراب، مصدر سابق، ص116.

4- الاصطخري، المسالك والممالك، ص54. الإدريسي، نزهة المشتاق، ص222.

5- الاصطخري، المسالك والممالك، ص53.

6- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص273.

7- معجم البلدان، ج5،ص6.

8- المقدمة، ص63. ص70.

9- معجم البلدان، ج5، ص6.

10- كرمان: ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان، ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص132.

11- الاصطخري، المسالك والممالك، ص53.

12- يشكل جبل حمرين الحدود الطبيعية لبلاد الكرد من جهة الغرب.

وذكر ياقوت اسم جبل يدعى (ساتيدما) وقال إنه يقع بين ميافارقين وسعرت، ومن الجبال المحيطة بالموصل جبل داسن وهو جبل عظيم في شمالي المدينة من الجانب الشرقي لنهر دجلة «فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية»[2]، وقد كان هذا الجبل من أهم معاقل الأكراد. وكذلك جبال الهكارية نسبة إلى الأكراد الهكارية[3]، وكانت هي الأخرى تقع شمال الموصل، كما أورد ياقوت اسم جبل آخر بنواحي الموصل هو جبل (حبتون) وأشار إلى تسميته الأعجمية إذ لا أصل لها في اللغة العربية[4]، وهذا بديهي فليس بالضرورة أن يكون هناك أصل عربي لجميع المشتقات.

وانفرد البلداني المغربي أنور عبيد البكري بذكر جبل بالجزيرة هو جبل مرد[5] أو مردان وأورد أبياتاً شعرية تضمنت ذلك الجبل:

تزاورن عن مردٍ ودافعن ركنه   لمنعرج الخابور حيث تخبرا

عبرن عن قرقيسياء لعرعر   وفرضه نُعمٌ[6] ساء ذلك معبرا

إلى نسوة منينها بمثقب[7]   أماني لا يجدين عنك حبربرا[8]

كما أورد البكري بيتين آخرين نسبهما إلى جرير بن عبد الله البجلي — أحد قادة فتح الجزيرة جاء فيها ذكر جبل مردان:

لقد فرقتم في كل أدب   كتفريق الإله بني معد

وكنتم حول مردان حلولا   أكارس أهل فأثرت ومجد[1]

1- معجم البلدان، ج2، ص225.

2- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص284.

3- المصدر نفسه، ج8، ص480.

4- المصدر نفسه، ج2، ص112.

5- مرد — مه رد: لفظة كردية تعني الرجل الشجاع الكريم.

6- فرضه نُعم: بشط الفرات، سميت باسم أم ولد لتبع تدعى نُعم، معجم البلدان، ج6، ص427.

7- مثقب: وهو في أربعة مواضع، والمراد هنا: حصن على ساحل البحر قرب مدينة المصيصة، سمي المثقب لأنه في جبال كلها مثقبة، معجم البلدان، ج7، ص206.

8- حبربر: أدنى شيء.

ومن الجبال الأخرى جبل السلق الذي وصفه ياقوت بأنه: «جبل عال مشرف على الزاب من أعمال الموصل متصل بأعمال شهرزور»[٢]. وهو جبل لاهيجان.

وبالقرب من شهرزور جبل يسمى الزلم[٣] ويتفرد بنبت (حب الزلم) الذي يصلح كدواء للباءة[٤].

الجبال التي يشكل الكرد غالبية سكان غربيه، فالغالب عليه – كما هو واضح من اسمه – الجبال باستثناء ما بين همذان إلى الري. حيث الجبال هناك قليلة والغالب عليها السهل، في حين أن الجبال تحيط بالإقليم من حد شهرزور ممتداً إلى مدن حلوان والصيمرة والسيروان واللور إلى أصبهان وفارس راجعاً إلى قاشان وهمذان، حتى ينتهي إلى قزوين وسهرورد على حدود أذربيجان، إلى أن يعود إلى شهرزور[٥].

ومن الجبال الأخرى في بلاد الكرد وفق ما ذكره البلدانيون المسلمون، جبل بهستون الذي وصف بأنه (جبل عظيم)[٦] و (منيع أملس لا يرتقي وبه غار فيه عين تجري)[٧]، و (عرضه ثلاثة أيام وأكثر)[٨].

أما الاصطخري فقد وصف الجبل بشكل أكثر دقة بقوله: «جبل ممتنع لا يرتقي إلى ذروته وطريق الحاج تحته سواء، ووجهه من أعلاه إلى أسفله أملس حتى كأنه منحوت، ومقدار قامات كثيرة من الأرض قد نحت وجهه وملّس»، ثم أورد

---

[1]– معجم ما استعجم، ج4، ص1211.

[2]– معجم البلدان، ج5، ص59.

[3]– المصدر نفسه، ج4، ص479. يعرف اليوم بـ (كژه ي زه لم)، ولعل (زلم) هي (زه لام) الكردية التي تعني (الرجل). نسبة إلى ذلك الحب الذي ينشط الطاقة الجنسية للرجال، ومن المستبعد أن يكون أصل الكلمة عربية أو محرفة عنها كما يذهب ياقوت الذي يحاول جاهداً إيجاد الأصول العربية للأسماء والمسميات الأعجمية وغالباً ما كانت محاولاته تلك مجحفة.

[4]– المصدر نفسه والصفحة. الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص25. حسام الدين النقشبندي، الكرد في الدينور وشهرزور، ص64. جمال بابان، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، (بغداد: 1976)، ج1، ص255.

[5]– الاصطخري، المسالك والممالك، ص119.

[6]– ابن حوقل، مصدر سابق، ص306.

[7]– المقدسي، مصدر سابق، ص306.

[8]– القزويني، آثار البلاد، ص342.

زعماً مفاده أن بعض ملوك الفرس الساسانيين أراد أن يتخذ جوف هذا الجبل موضع سوق كدليل على قدرتهم وسلطانهم. وكان هناك على ظهر الجبل بالقرب من الطريق صورة دابة متحركة كأحسن ما يكون من الصور، قيل أنه صورة دابة كسرى المسمى (شبديز) وعليه كسرى وصورة شيرين[1].

وهناك جبال كانت تعرف بـ (الخرمية)[2] أو (الخرمدينية)[3] نسبة إلى بابك الخرّمي[4]، وعلى يسار الطريق بين قصر شيرين وحلوان، جبل متصل بجبل حلوان[5].

وهناك جبل سن سميرة[6]، خلف مدينة قرميسين (كرمنشاه)[7] وتتفرغ منه سلسلة جبال همذان التي تمتد إلى مدينة حلوان متعرجة على مدينة ماسبذان، لتمرّ منها بين مدينتي السوس وايذج بإقليم خوزستان[8].

ومن الجبال الأخرى التي أشار إليها البلدانيون، جبل أروند أو جبل همذان، جنوبي المدينة والمشرف عليها[9]، وصفه ياقوت: «بأنه جبل نزه خضر نضر»[10].

وكان جبل أروند موضع اهتمام الشعراء الظرفاء الهوذانيين الذين كانوا يأتون على ذكره في أشعارهم ومجالسهم، وكانوا يعدونه أحد أعظم مفاخر مدينتهم ويفضلونه على سائر المدن ويشيدون بعينه، الذي يزعمون أنه من عيون الجنة

1- المسالك والممالك، ص119.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص120.

3- المقدسي، مصدر سابق، ص306.

4- الخرمية: فرقة دينية تعود جذورها إلى المعتقدات الإيرانية القديمة كالمزدكية والزرادشتية، أنشأت في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. تزعم بابك الخرمي حركة معارضة للدولة العباسية أوائل القرن الثالث الهجري، وعرفت باسمه. للمزيد ينظر: الاسفرابيني، التبصر في الدين وتميز الفرق الناجمة من الهالكة، (بلا:1940)، ص80. وقيل أن الخرمية هم الذي يتبعون الشهوات ويستبيحونها. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص227.

5- ابن رسته، مصدر سابق، ص150.

6- روي أن الجيش الإسلامي الفاتح مرّ من خلال توجهه صوب نهاوند بجبل طويل يشرف على الجبال الأخرى فقال قائل: كأنه سن سميرة، وكانت سميرة إحدى النساء المهاجرات من بني ضبّة كان لها سنة مشرفة على أسنانها فسمي ذلك الجبل بسنها. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص83.

7- المصدر نفسه والصفحة.

8- سهراب، مصدر سابق، ص114.

9- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص203، ص218.

10- معجم البلدان، ج1، ص135.

لصفاء مائه ونقائه وشفائه للمرضى ولعذوبته وبرودته، ومما أورد ياقوت بهذا الشأن[1]:

تذكرت من أروند طيب نسيمه	فقلت لقلبي بالفراق سليم
سقى الله أروندا وروض شعابه	ومن حلة من ظاعن ومقيم

وقال بعض الشعراء:

سقياً لظلك يا أروند من جبل	وإن رميناك بالهجران والملل
هل يعلم الناس ما كفلتني حججا	من حب مائك إذ يشفي من العلل

وذكر البلدانيون اسم جبلين بمدينة دبيل (دوين) التي كان يغلب عليها الأكراد في القرن الرابع الهجري، وهما جبلا الحارث والحويرث نسبته إلى الحويرث بن عقبة والحارث بن عمرو الغنويين، اللذين كانا مع القائد الفاتح سلمان بين ربيعة الباهلي، وهو أول من وصل هذين الجبلين فسميّا بهما، حسب ما نقله ياقوت عن المدائني[2]. والحارث هو جبل آرارات، وقمته آرارات الصغرى كانت تسمى الحويرث[3].

كما نقل ياقوت عن ابن الفقيه الهمذاني[4] الذي يحفل كتابه بالروايات الخيالية والأسطورية رواية أخرى بهذا الشأن تربط بين هذين الجبلين وأصحاب الرس الذين كفروا، وانتقم الله منهم كما ورد في القرآن الكريم[5]. وذكر الهمذاني أنه كان على نهر الرس بأرمينيا ألف مدينة فبعث الله إليهم نبياً يقال له موسى[6] فدعاهم إلى الإيمان بالله الأوحد الأحد، فكذبوه وجحدوا، فدعا عليهم واستجاب الله لدعائه بأن حول جبلي الحارث والحويرث بالطائف فأرسلهما عليهم ودفنوا تحتهما وهم أحياء[7].

1- المصدر نفسه، ج1، ص135 – 136.
2- معجم البلدان، ج3، ص108.
3- لسترنج، مرجع سابق، ص217.
4- لم أجد ذلك في كتابه.
5- ينظر: سورة الفرقان، الآية:38. سورة ق: الآية: 12.
6- وهو غير النبي موسى بن عمران.
7- معجم البلدان، ج3، ص108. ينظر كذلك: المقدسي، مصدر سابق، ص292.

وهذه رواية خالية من الصحة والمنطق فليس لله تعالى حاجة إلى نقل جبلين من بلاد أخرى قصية لينتقم من أهلها لا سيّما والمنطقة المغضوب عليها أصلاً هي منطقة جبلية.

ب- الأنهار

لقد حفلت كتب البلدان بالكلام عن الأنهار، وكانت لدى البلدانيين المسلمين معلومات وافرة عن الأنهار الكبرى في العالم القديم، وعلى الرغم من أن بعضهم كان يردد الأساطير القديمة نفسها عن منبع الأنهار الكبرى من الفردوس[1]، إلا أن أكثرهم كان يحدد منابعها بدقة ومنها الأنهار والنهيرات الواقعة في بلاد الكرد.

ومن الحقائق المعروفة عند البلدانيين المسلمين عن الأنهار، أن الأمطار والثلوج والينابيع هي التي تغذي تلك الأنهار بالمياه، كما ويلاحظ أن البلدانيين المسلمين اهتموا اهتماماً كبيراً بمصادر المياه عند الكلام عن المراكز العمرانية[2].

وقد أفرد ابن رسته فصلاً خاصاً من كتابه عن أنهار البلاد الإسلامية، كبيرها وصغيرها. مع التأكيد على صفات أوديتها ومواضع جريانها ومنابعها ومصباتها[3]. مثل نهر الرّس[4] ونهر الكرّ[5] ونهر اسفيدروز ومخرجه من باب سيسر[6] كما أشار إلى مخارج الزابين والخابور والبليخ والهرماس[7]، ومخرج نهر جندي سابور ونهر السوس[8]. وغيرها من الأنهار ومخارجها.

كذلك خصص ابن خرداذبة فصلاً من كتابه بعنوان (باب مخارج الأنهار) حدد فيه منابع جميع الأنهار المعروفة في العالم الإسلامي ومصباتها، ومن ضمنها الأنهار الصغيرة وتناول باختصار أوديتها[9].

1- ينظر مثلاً: المقدسي، مصدر سابق، ص34.

2- ينظر الفصل الثالث من هذه الدراسة.

3- الأعلاق النفيسة، ص88 – 94.

4- المصدر نفسه، ص88.

5- المصدر نفسه والصفحة.

6- المصدر نفسه والصفحة.

7- المصدر نفسه، ص89.

8- المصدر نفسه، ص90.

9- المسالك والممالك، ص149 – 154.

وهناك تشابه كبير بين ما أورده كل من ابن خرداذبة وابن رسته بخصوص الأنهار[1]، وكانا معاصرين، ولكن لكون الأول سبق الثاني في تصنيف كتابه فالراجح أن الثاني استفاد من كتاب الأول ونقل منه.

ومما ذكره ابن خرداذبة عن الأنهار ومخارجها قوله: «ومخرج الخابور من رأس العين ويستمد من الهرماس ويصبر في الفرات بقرقيسيا ومخرج الهرماس من طور عبدين ويصب في الخابور»[2]. وكذلك قوله: «ومخرج نهر جنديسابور الذي عليه قنطرة الزاب من الصبهان أيضاً، ويصب في دجيل الأهواز، ومخرج نهر السوس من الدينور ويصب في دجيل أيضاً، المسرقان يحمل من دجيل فوق شاذروان تستر ويصبّ في البحر الشرقي»[3].

والجدير بالملاحظة أن اهتمامات كلٍ من الاصطخري وابن حوقل بالأنهار وتتبع مجاريها من المنبع حتى المصب، كانت محدودة. أما المقدسي فقد عني بالتحدث عن الأنهار، فأفرد لها مع البحار فصلاً موجزاً في مقدمة كتابه وشرح مخارجها ومصباتها ومجاريها إلا أنه أهمل ذكر كثير من الأنهار، وميّز بين اثني عشر نهراً من دون سائر الأنهار، ومن بين تلك الأنهار المميزة دجلة والفرات وهرماس والأهواز[4].

كما أفرد صاحب كتاب (حدود العالم) فصلاً بعنوان (القول في الأنهار)، وذكر أنها على نوعين طبيعي وصناعي، معرّفاً إياهما بشكل علمي دقيق حيث قال: (أما الصناعي فهو ذلك الذي يحفر مجراه ويجري فيه الماء لأعمار مدينة أو لسقي زرع أو بدر. وأغلب الأنهار الصناعية صغير ولا يمكن للسفينة أن تسير فيه، ويحدث أن يكون في مدينة عشرة أنهار صناعية أو أقل أو أكثر..)[5].

(وأما الطبيعي فهو ذلك الذي تكون مياهه كثيرة تأتي من ذوبان الثلوج ومن العيون التي تجيء من الجبل وتنساب على الأرض، ويشق – هذا النهر – طريقه بنفسه، حيث كون مجراه متسعاً في مكان وضيقاً في مكان آخر..)[6].

1- قارن مع: الأعلاق النفيسة، ص88 – 94.

2- المسالك والممالك، ص150.

3- المصدر نفسه، ص151.

4- أحسن التقاسيم، ص24 – 34.

5- حدود العالم، ص34.

6- المصدر نفسه والصفحة.

وبعد هذه المقدمة خاض في تعريف وشرح عشرات الأنهار، الكبيرة منها والصغيرة متتبعاً مجرى النهر من المنبع حتى المصب مشيراً إلى المدن التي يجتازها النهر ومن بين تلك الأنهار دجلة والسوس والرّس والزابان والكرّ وسبيدروز وغيرها .

أما المسعودي فعلى الرغم من أنه تناول الأنهار بالتفصيل في كتابه (مروج الذهب) غير أنه أغفل ذكر كثير من الأنهار[1]، لكنه بالمقابل التفت إلى أمر هام حين ذكر أن للأنهار شباباً وهرماً وحياة وموتاً ونشوراً مثلما هو الحال بالنسبة للإنسان والحيوان والنبات[2].

أما البلدانيون الآخرون وحتى ياقوت فلم يعنوا بالأنهار عناية تذكر.

ت- المناخ

لم تخل الكتب البلدانية من الأبحاث المناخية، إلا أن اهتمامات مصنفيها جاءت متفاوتة، ولعل ابن رسته هو أول بلداني مسلم تناول الأقاليم السبعة بالشرح، فقد أفرد في المجلد السابع من كتابه (الأعلاق النفيسة) فصلاً في الحديث عن الأقاليم هذه وما فيها من بلدان المعمورة[3]، كما ناقش فكرة استحالة الاستيطان في المناطق الاستوائية والقطبية مقدماً في ذلك حججاً مناخية و منطقية تؤيد ما ذهب إليه. كذلك أوضح تأثير العامل المناخي على الإنسان والحيوان والنبات[4].

وقد حذا سائر البلدانيين المسلمين حذو ابن رسته، فلم يخل مصنف من مصنفاتهم من الكلام عن الأقاليم السبعة سواء بإسهاب أم بإيجاز، أما ياقوت الحموي فلم يكتف بشرحها إقليماً إقليماً في موسوعته البلدانية وإنما رسم لها رسماً توضيحياً أيضاً[5].

وبدأت التفصيلات المناخية تدخل تدريجياً إلى كتب البلدان ضمن المعلومات الوصفية الأخرى للمدن والأمصار، ولكن بشكل محدود .

1- مروج الذهب، ج1، ص؟.

2- المصدر نفسه، ج1، ص؟.

3- الأعلاق النفيسة، ص 94 – 96.

4- المصدر نفسه، ص97 – 99.

5- معجم البلدان، ج1، ص33.

ومن أوائل البلدانيين الذين ضموا كتبهم مثل تلك الإشارات المناخية، اليعقوبي الذي اكتفى بإشارات مناخية محدودة عن بعض المدن الكبرى كبغداد وسامراء[1]. ومن جانب آخر فإنه ضمّن تعريفاته للبلدان أوصافاً مناخية مثل (مصر المتغيرة الهواء)[2] و (أرمينيا النائية الباردة، الصردة، الحزنة) و (كور الجبل الحزنة الخشنة، المثلجة، دار الأكراد الغليظي الأكباد)[3] وكأنه يريد أن يخبرنا بوجود علاقة بين البرودة والخشونة والغلظة.

أما ابن خرداذبة فلم يتضمن كتابه أيه إشارات مناخية هامة باستثناء بضع إشارات عن مناخ بلاد الروم واليمن في الباب الذي أفرده لعجائب الأرض[4].

أما ابن الفقيه الهمذاني فقد تطرق إلى بعض الجوانب المناخية لبعض المدن دون الخوض في التفاصيل إلا نادراً، كإشاراته إلى الثلوج الكثيفة التي كانت تغطي جبل قنديل طيلة أشهر السنة[5] وقوله عن مدينة قرميسين: «ومن عجائب قرميسين أن الريح كانت لا تهبّ فيها أيام الصيف في الليل»[6]!، وأسهب على سبيل الظرافة في حديثه عن مناخ همذان المتسم بشدة الحرارة في الصيف وشدة البرودة في الشتاء[7].

ولم يزد صاحب كتاب (حدود العالم) على إطلاق عبارة وصفية عامة على مناخ بعض الأقاليم والمدن مثل قوله عن مناخ الجزيرة: «طيبة الهواء»[8] و مدينة ليشتر: «طيبة الهواء»[9].

أما المقدسي فيعدّ أكثر البلدانيين الأوائل عناية بالتفصيلات المناخية، حيث أكدّ تأكيداً خاصاً على الصفات المناخية لكل إقليم. وكانت تفصيلاته تلك ذات

1- البلدان، ص8، ص27.
2- المصدر نفسه، ص9.
3- المصدر نفسه، ص9 – 10.
4- المسالك والممالك، ص134.
5- مختصر كتاب البلدان، ص125.
6- ابن الفقيه، مصدر سابق، ص197.
7- المصدر نفسه، ص203 – 216.
8- حدود العالم، ص117.
9- المصدر نفسه، ص107.

صفة وصفية بطبيعة الحال وليست تعليلية. ومثال ذلك وصفه لمناخ إقليم الجبال حيث قال: «وهو إقليم بارد كثير الثلوج والجليد خفيف على القلب»[1] ووصفه لمناخ إقليم آقور (الجزيرة) بأنه مقارب للشام والعراق و (كورة آمد باردة لقربها من الجبال، وأصح بلدانه هواءً الموصل)[2]. كذلك وصفه لمناخ حلوان بأنها (معتدلة الهواء)[3].

أما المسعودي فقد تناول جوانب متعددة عن المناخ بشكل عام وتأثيراته على مختلف الأحياء على الأرض، دون أن يخوض في تفصيلات ذلك فيما يتعلق ببلد معيّن أو مدينة بعينها.

أم الإشارات المناخية التي أوردها كل من الاصطخري وابن حوقل فإنها محدودة جداً، وليست لها أية أهمية تذكر لانصباب اهتمامها على النواحي الاقتصادية والعمرانية وغيرها.

كما لم يعتن بلدانيو القرن الخامس والسادس الهجريين/الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين بالمسائل المناخية أية عناية تذكر، وحتى ياقوت فإنه باستثناء ما أورده في مقدمة موسوعته من مسائل مناخية عامة عن المعمورة، فإن إشاراته المناخية عن البلدان والمدن محدودة، ولم تتجاوز عبارات وصفية عامة كقوله عن مناخ إقليم الجزيرة: "صحيحة الهواء"[4] وإشاراته إلى «زمهرير الجبال وكثرة ثلوجه»[5].

1- أحسن التقاسيم، ص303.
2- المصدر نفسه، ص126.
3- المصدر نفسه، ص112.
4- معجم البلدان، ج3، ص54.
5- المصدر نفسه، ج3، ص27.

الفصل الثالث

المعطيات العمرانية في بلاد الكورد

أولاً: المراكز العمرانية الكوردية

أ- المدن

ب- القرى

ثانياً: عوامل قيام المراكز العمرانية الكوردية واضمحلالها

أ- دور مصادر المياه في العمران والتخطيط العمراني

ب- دور العامل التجاري

ت- دور عامل المناخ

ثالثاً: المعالم العمرانية للمدن الكوردية

أ- الحصون والقلاع والأسوار

ب- الجوامع والأسواق

ت- معالم أخرى

ث- مواد البناء



أولاً: المراكز العمرانية الكوردية (المدن والقرى)

إن المصادر البلدانية حافلة بذكر العشرات من المراكز العمرانية في بلاد الكرد من المدن والبلدان والبلدات والقرى وغيرها والتي شملت جميع الأقاليم التي عاش فيها الكرد. ومن الملاحظ أن اهتمامات البلدانيين بهذا الموضوع جاءت متفاوتة من جهة، ومن جهة أخرى فإنهم لم يأتوا على ذكر الكرد صراحة في جميع الحالات التي تعرضوا فيها لتلك المراكز العمرانية لأن اهتمامهم انصب بالمرتبة الأولى على الأحوال الطبيعية والاقتصادية للمدن والقرى ومواقعها والمسافات فيما بينها، وحتى في الحالات التي تطرقوا فيها إلى الناحية البشرية والسكانية فإنهم اكتفوا بوصف سكان بلدة معينة بأنهم من الأعاجم، وهذه لفظة مطلقة وتعميمية كانوا يقصدون بها من كان ينطق بغير العربية.

وعلى هذا الأساس فإن التركيبة السكانية للبلدان الإسلامية بشكل عام – خلال فترة البحث – يكتنفها الكثير من الغموض، فمن الصعب معرفة الأجناس البشرية المستوطنة في مدينة ما وتحديد نسبة كل منها، إلا أن وقوع تلك المراكز العمرانية داخل الحدود التقريبي لبلاد الكرد وفق المعطيات التاريخية والجغرافية، يجعلنا نحسبها مدناً أو قرى كردية.

وقد توسع البلدانيون المسلمون، ولا سيّما المقدسي والاصطخري وابن حوقل وياقوت واليعقوبي، في أحاديثهم عن المدن المختلفة في المفهوم العمراني لها وفي إبراز خصائصها السكانية، وملامحها الاقتصادية والجغرافية والسياسية والمعرفية، وتطرقوا أيضاً إلى ميولها الدينية والمذهبية وأحياناً الثقافية.

وانصبت اهتماماتهم على عدة محاور هي:

- الإقليم الذي تنتمي إليه المدينة.
- التلميح بالنسب السكانية، وكذلك العمران والبنيان ونوع البناء ومواد البناء.
- الموقع الجغرافي للمدينة ومدى ملاءمته.
- مدى توفر المياه والموارد الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وكذلك حركة السوق.
- مدى حصانة المدينة وكيفية تحصينها من أسوار وقلاع وصحون.

- وجود المسجد الجامع.
- وجود المنبر أو عدم وجوده.
- مقادير الخراج.
- المسافات بين المدن ووصف الطرق.
- محاسن ومساوئ المدينة وأهلها إذا كانت ظاهرة.
- الوضع السياسي للمدينة.

والجدير بالذكر أنه ليس بالضرورة التطرق إلى جميع تلك المحاور خلال حديث البلداني عن مدينة معينة.

وقد كان البلدانيون يستخدمون عبارات وألفاظاً مختلفة في وصف المدن مثل (عظم) أو (عظيمة) أو (كبيرة) أو (جليلة) أو (كبيرة جداً) أو (واسعة) أو (ليست واسعة) أو (وسطة) أو (صغيرة).

ومن الملاحظ أن بعض البلدانيين ولا سيّما ياقوت حاولوا التمييز بين المراكز العمرانية من حيث سعتها فاستخدموا مصطلحات (المدينة) و (البلد) و (البلدة) و (البليدة) و (القرية). والواقع أن الحدود الفاصلة بين المدينة الصغيرة والبلدة الكبيرة من جهة، وما بين البليدة والقرية من جهة أخرى غير واضحة تماماً. واللافت للنظر أن ياقوت استخدم لفظة (البلد) أو (البلدة) في أكثر من موضع للدلالة على المدينة الكبيرة أو المدينة الوسطة أو الصغيرة[1].

ومن جانب آخر فإن البلدانيين لم يشيروا إلى مساحة المدينة وعدد سكانها إلا نادراً، كما في بعض مدن إقليم فارس وإقليم الجبال أو أذربيجان وغيرها[2].

لا شك أن جميع المدن ليست متساوية في حجمها أو النسب السكانية بل أنها تختلف من مدينة إلى أخرى تبعاً لعوامل مختلفة جغرافية وإدارية وسياسية واقتصادية وغير ذلك. وقد تطرق عدد من البلدانيين إلى هذه الناحية ووصفوا المدن بعبارات متعددة، كما وقارن بعضهم فيما بين مدينة وأخرى. فلا بدّ من الإشارة إلى بعض تلك الأوصاف والمقارنات فيما يتعلق بمدن بلاد الكرد.

---

[1] - ينظر مثلاً: معجم البلدان، ج4، ص318، و ج5، ص36.

[2] - ينظر مثلاً: الاصطخري، المسالك والممالك، الصفحات: 123، 125، 208، 209، 254، 317، 181، 182.

فقد وصف اليعقوبي مدينة همذان بأنها (بلد واسع جليل القدر كثير الأقاليم والكور)[1]، وقال عنها الاصطخري إنها (مدينة كبيرة)[2] وعند ابن حوقل (مدينة كبيرة حسنة جليلة المقدار)[3] و (مقدارها فرسخ في مثله)[4]، ووصفها الإدريسي بأنها (كبيرة القطر كثيرة العامر)[5].

أما مدينة الدينور فوصفت بأنها (جليلة القدر)[6]. وأجرى ابن حوقل نوعاً من المقارنة بينها وبين همذان فوجدها كثلثي همذان[7].

أما مدينة حلوان فقد وصفت في القرن الثالث الهجري بأنها (جليلة كبيرة)[8] ومدينة نهاوند وصفت بأنها (جليلة كثيرة التجارة والرساتيق والعمارة)[9]. أي أن أهميتها تعود إلى عوامل جغرافية واقتصادية وسكانية، كما كانت قرميسين (جليلة القدر – كثيرة الأهل)[10]. ووصف الاصطخري مدينة نصيبين بأنها كبيرة[11]. وقارن المقدسي بينها وبين الموصل وأكدّ أنها أنزه وأصغر وأرحب من الموصل[12] وذكر ابن حوقل بشأنها أنها (من أجلّ بقال الجزيرة وأحسن مدنها)[13]، ثم قارن بينها وبين الموصل بقوله: «إنها أضعاف أعمال نصيبين في نسخة الأعمال وكثرة الضياع وعظم أعمالها»[14]. وعرّفها صاحب كتاب حدود العالم بأنها أكثر المدن نزاهة في الجزيرة وهي عامرة مكتظة بالسكان[15].

1- البلدان، ص41.
2- المسالك والممالك، ص117.
3- صورة الأرض، ص306.
4- المصدر نفسه، ص308.
5- نزهة المشتاق، ص233.
6- البلدان، ص40.
7- صورة الأرض، ص308.
8- اليعقوبي، مصدر سابق، ص40.
9- ابن حوقل، مصدر سابق، ص307.
10- اليعقوبي، ص40.
11- المسالك والممالك، ص52.
12- أحسن التقاسيم، ص124.
13- صورة الأرض، ص191.
14- المصدر نفسه، ص194.
15- مؤلف مجهول، ص118.

أما ابن جبير الذي زار المدينة خلال رحلته، ووصلها في شهر ربيع الأول سنة (580 هـ/1184م)، وصف المدينة بدقة مستهلاً بمقدمة لا تخلو من مسحة أدبية بقوله: «شهيرة العتاقة والقدم، ظاهرها شباب، وباطنها هرم، جميلة المنظر، متوسطة بين الكبر والصغر»[1].

أما اربل فوصفها ياقوت بقوله: «قلعة حصينة ومدينة كبيرة في فضاء من الأرض واسع بسيط»[2]. إذ أن سهولة الأرض ساعدت على توسيع المدينة لتكون مدينة كبيرة.

أما مدينة جزيرة ابن عمر فقد وصفت بأنها صغيرة[3]، ويظهر أن موقعها كثغر لم يساعدها على أن تصبح مدينة كبيرة، إذ كانت (فرضة لأرمينيا وبلاد الروم ونواحي ميافارقين وارزن)[4]، و (كانت على شفا جرفٍ بين الخوف والرجاء)[5] أي لم تكن آمنة لأنها كانت معرضة دوماً لهجوم الروم.

وقارن كل من الاصطخري وابن حوقل بين مدينتي الرها وكفر توثا حيث ذكرا أن الأولى أصغر من الثانية[6].

والجدير بالملاحظة أن عدداً غير يسير من الدراسات قد تطرق إلى ذكر المدن والأقاليم الكردية بحثاً ودراسة. وقد تناول كلٌ منها جزءاً من بلاد الكرد، في حين أن هذه الدراسة تجمع معظم مدن وقرى وأقاليم بلاد الكرد مع ملاحظة الاختصار في ذكرها والتركيز على الاختلافات التي وردت بشأن المراكز العمرانية من لدى البلدانيين وكيفية وصفهم لها في الفترات المختلفة ومدى التطور الذي كانا يطرأ عليها من حين لآخر وفق المتغيرات الزمانية والسياسية والإدارية.

وقد بدأنا بذكر المدن الكردية في إقليمي الجزيرة والجبال نظراً لكونهما يشكلان القسم الأعظم من بلاد الكرد، أما المراكز العمرانية الكردية الأخرى التي تقع في الأقاليم الأخرى فنتطرق إليها، بعد ذلك تباعاً وأهم تلك المراكز:

1- رحلة ابن جبير، ص214.

2- معجم البلدان، ج1، ص116. للمزيد حول هذه المدينة ينظر: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الأتابكي، (بغداد:1976).

3- صورة الأرض، ص202.

4- ابن حوقل، مصدر سابق، ص203.

5- المصدر نفسه والصفحة.

6- المسالك والممالك، ص53. صورة الأرض، ص204.

أ- المدن

❖ **ميافارقين**

اختلف البلدانيون بشأن تبعية مدينة ميافارقين الإدارية، ففي حين ذكرها ابن خرداذبة ضمن كور ديار ربيعة بإقليم الجزيرة، واكتفى بالإشارة إلى المسافة بينها وبين مدن الديار الأخرى[1]، نجد أن آخرين عدوها من أشهر مدن ديار بكر[2]، وهي الأصح. ولم يزد ابن رسته على القول أنها من كور الجزيرة[3]، وأشار الإدريسي إلى الاختلاف بشأنها[4].

أما الاصطخري وصاحب كتاب (حدود العالم) فكان لهما رأيٌ آخر، فقد ذكر الأول أن: «قوماً يعدها من الجزيرة إلا أنها دون دجلة، وخلفها حدّ الجزيرة فيما صوّرنا ما بين دجلة والفرات، فلذلك جعلناها من أرمينيا»[5]، أي أن الاصطخري اجتهد من عنده بالاستناد إلى خريطة الجزيرة التي رسمها فجعل المدينة خارج الجزيرة[6].

أما الآخر فقد عرّف ميافارقين بأنها «تقع على الحد بين أرمينيا وجزيرة الروم»[7].

ووصفها ناسخ كتاب ابن حوقل في القرن السادس الهجري بأنها «مدينة جليلة عظيمة الخطر.. مصطكة العمارة»[8].

ووصف المقدسي مدينة ميافارقين بأنها: «بلد طيب حصين له شرف وفصيل بحجارة وخندق، قليلة العلم والبساتين»[1]. وأسهب ياقوت في الحديث عن المدينة وتاريخها[2]. وأكدّ على أن الكرد الشامية كانوا يقطنون فيها[3].

1- المسالك والممالك، ص86 – 87.

2- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202. البكري، معجم ما استعجم، ج4، ص1286. ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص349. القزويني، آثار البلاد، ص565.

3- الأعلاق النفيسة، ص103.

4- نزهة المشتاق، ص222.

5- المسالك والممالك، ص111.

6- ينظر خارطة رقم 5.

7- مؤلف مجهول، ص121.

8- صورة الأرض، ص202.

❖ أرزن

وهي تقع في ديار ربيعة[٤]، على مقربة من ميافارقين، على الضفة الغربية من أحد روافد دجلة يدعى سريط[٥] وهي مدينة مشهورة قرب خلاط، كانت من أعمر نواحي أرمينيا إلا أنها لم تعد كذلك في عهد ياقوت الذي قال: «أما الآن فبلغني أن الخراب ظاهر فيها»[٦]، ومن جانب آخر أشار ياقوت إلى وجود خلاف بشأن تبعية المدينة بقوله: «وقد عدّ قوم أرزن من أطراف ديار بكر مما يلي الروم، وقوم يعدّونها من نواحي الجزيرة». لكنه رجح الرأي القائل بأنها من أرمينيا وهي غير أرزن الروم الواقعة أيضاً في أرمينيا ولكنها أكبر من الأولى جغرافياً وإدارياً وسياسياً[٧].

❖ سعرد

وكانت تقع على ضفاف نهر الرزم شمال تل فافان[٨]. وقد ورد اسم هذه المدينة بصيغ مختلفة في المصادر البلدانية وهي (سِعرت)[٩] أو (أسعرد)[١٠] أو (سعرد)[١١] وهذا أمر بديهي في كتابة الكلمات غير العربية لدى الكتاب العرب.

وكانت تسكنها أبناء قبيلة الحاريوختي الذين كانوا يقطنون ما بين سعرد وحيزان[١٢].

والواقع أن قلة من البلدانيين – خلال فترة البحث – تطرقوا إليها واكتفوا

---

[1]– أحسن التقاسيم، ص124.

[2]– معجم البلدان، ج8، ص349. ينظر كذلك: عبد الرقيب يوسف، الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى، (بغداد :1972). ج1، ص76 – 79.

[3]– معجم البلدان، ج8، ص394.

[4]– ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص86.

[5]– الاصطخري، الأقاليم، ص43.

[6]– معجم البلدان، ج1، ص125.

[7]– المصدر نفسه، ص126.

[8]– لسترنج، مرجع سابق، ص154.

[9]– ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص208.

[10]– الاصطخري، الأقاليم، ص34.

[11]– الشابشي، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، (بغداد :1951)، ص127.

[12]– الفارقي، تاريخ الفارقي، ص49.

بذكر اسمها دون الدخول في التفاصيل. مما يوحي بأن المدينة لم تكن ذات شأن يذكر خلال القرون السبعة الأولى من التأريخ الإسلامي[1].

❖ أنحل

انفرد ياقوت بذكرها واكتفى بالقول أنها بلد من ديار بكر مع سعرت[2]. مما يعني أنها كانتا متجاورتين.

❖ حيزان

وكانت تقع بالقرب من سعرت وهي إحدى مدن ديار بكر أيضاً، كانت تقطنها قبيلة الحاربوختي الكردية[3] كما سبق الذكر.

وصفت بأنها كثيرة المياه والزراعة. ولم يستبعد ياقوت أن تكون (حيزان) جمع (الحوز) وهو الشيء الذي يحوزه ويحصله[4]. وهذا التوجه خاطئ ويدخل في سياق محاولات ياقوت المتكررة في تعريب أسماء المدن غير العربية لأن الكلمة كردية الأصل وتعرف الآن باسم (هيزان)[5] وتعني القبائل أو القوى باللغة الكردية.

❖ حاني

وهي من مدن ديار بكر، عرّفها الاصطخري بقوله: «مدينة وسطة لطيفة خصبة»[6]. ووصفها ياقوت بأنها «مدينة معروفة بديار بكر»[7].

❖ الناصرية (النصرية)

وهي التي ذكرها ناصر خسرو خلال رحلته وقال بأنها من بناء الأمير الدوستكي (المرواني) سعد الله نصر الدولة وشرف الملة أبو نصر أحمد[1]، على

1- في حين وصفت في القرن الثامن الهجري بأنها كانت مدينة مشهورة بصناعات معدنية وزجاجية وخشبية رائعة، ينظر: حمد الله المستوفي القزويني، نزهة القلوب في المسالك والممالك، تحقيق؛ محمد دبير صادق (طهران:1917)، ص123.

2- معجم البلدان، ج1، ص208.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص204.

4- المصدر نفسه والصفحة.

5- عبد الرقيب يوسف، الدولة الدوستكية، ج1، ص22.

6- المسالك والممالك، ص53.

7- معجم البلدان، ج3، ص110.

بعد أربعة فراسخ (24كم) من مدينة ميافارقين[٢]. ولم يخض في التفاصيل[٣].

❖ آمد (ديار بكر الحالية)

وقد حظيت هذه المدينة باهتمام بالغ من لدن البلدانيين والرحالة باستثناء صاحب كتاب حدود العالم، حيث أسهبوا في وصفها وخاصة فيما يتعلق الأمر بحصانة سورها. وتقع على جبل في غربي دجلة مطلّ عليها[٤]. ووصفها المقدسي بأنها: «بلد حصين حسن عجيب البناء على عمل أنطاكية.. وبينه وبين الحصن فضاء»[٥]. ويحيط بها نهر دجلة من جميع الجهات باستثناء جهة واحدة، يستديرها كالهلال[٦].

❖ حصن كيفا[٧]

عرّفها ياقوت بأنها بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على نهر دجلة تابعة لديار بكر، تقع بين مدينتي آمد وجزيرة ابن عمر، وأشاد بقنطرتها[٨]، ووصفها المقدسي بأنها كانت (كثيرة الخير)[٩].

أما ناسخ كتاب ابن حوقل فذكر أنها قلعة حصينة ذات شعب، مدفونة بين الجبال باستثناء الجهة المشرفة منها على نهر دجلة الواقعة في الجنوب الغربي من

1- الأمير أبو نصر أحمد: هو ثالث أبناء مروان بن دوستك مؤسس السلطة الكردية الحاكمة التي حكمت للفترة (273 – 485 هـ/982 – 1093م)، تولى حكم الدولة الدوستكية لمدة أكثر من نصف قرن (401 – 453 هـ/1011 – 1061م) قدم خدمات جليلة لدولته بفضل سياسته الحكيمة على الصعيدين الداخلي والخارجي. للمزيد ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9. محمد أمين زكي، خولاصه يه كى تاريخي كورد وكوردستان، (سليماني:2000)، به رگى دووه م، ل5 – 50.

2- سفر نامه، ص8.

3- أعرب المؤرخ الفارقي عن إعجابه بالمدينة ووصف بدقة موقعها الرائع والمرافق الخدمية التي كانت موجودة فيها. للمزيد ينظر: تاريخ الفارقي، ص141.

4- ابن حوقل، مصدر سابق، ص201.

5- أحسن التقاسيم، ص124.

6- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص56. القزويني، آثار البلاد، ص491.

7- وردت بصيغة (حصن كيبا) أيضاً في بعض المصادر. ينظر: السمعاني، الأنساب، (بيروت:1980)، ج4، ص154. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص153.

8- معجم البلدان، ج3، ص153.

9- أحسن التقاسيم، ص125.

النهر، وكان فيها شعاب وأودية صعبة، وأضاف بأن رساتيقها كانت كثيرة وضياعها عامرة، أما مناخها فكان وخماً غير صحي وخاصة في فصل الصيف[1].

❖ تل فافان[2]

وكانت تقع أسفل التل المعروف بفافان، على الجهة اليسرى، من نهر دجلة على بعد خمسين ميلاً شرقاً من حصن كيفا، حيث ينعطف النهر بشكل كبير باتجاه الجنوب[3]. ولم يرد ذكر المدينة في مصنفات بلدانيي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

أما المقدسي في القرن الرابع الهجري فحدد موقع المدينة بأنها تقع بين نهر دجلة ورزم[4] من ناحية الجبل[5].

❖ ثمانين[6]

وهي أقدم المراكز العمرانية الكردية، عرفها الاصطخري بأنها قرية تقع أسفل جبل الجودي، قيل أن جميع من كانوا مع النبي نوح في سفينة النجاة، التي استوت على الجودي، ثمانون رجلاً إذ بنوا تلك القرية ولم يعقب منهم أحد[7].

إلا أنها لم تظل قرية بل تطورت إلى مدينة فقد وصفها المقدسي بأنها: «مدينة على نهر غرير يقبل من أرمينيا تحت الجودي»، وأضاف بأنها كانت أول قرية بعد الطوفان بناها نوح بعدد ركاب السفينة الثمانين، لكل رجل ممن معه بنى بيتاً،

1- صورة الأرض، ص202.

2- ورد ذكرها في الوثائق الآشورية باسم (تله) مما يعني قدم هذه المدينة: ينظر: دائرة المعارف الإسلامية مادة (دجلة). أما الآن فهي تدعى (تلاتيف روان) وهي تقع عند التقاء نهر برتان بنهر دجلة. عبد الرقيب يوسف، الدولة الدوستكية، ج2،ص19، هامش رقم6.

3- لسترنج، مرجع سابق، ص145.

4- رزم: وادي في أرض أرمينيا فيه ماء كثير يصبّ في نهر دجلة عن تل فافان. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص401.

5- أحسن التقاسيم، ص125.

6- لا تزال باقية والحياة تدبّ فيها، وهي الآن قرية تابعة لقضاء (شرنخ) تعرب بـ (هشتيان) أي الثمانين، للمزيد ينظر: سلام حسن طه، جزيرة ابن عمر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة صلاح الدين:1999)، ص32.

7- المسالك والممالك، ص55. ينظر كذلك: ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج1، ص214.

فهي أول مدينة بنيت في الجزيرة[1] بعد الطوفان حسب هذه الرواية.

أما ياقوت فقد وصف ثمانين بأنها (بليدة) عند جبل الجودي، قرب جزيرة ابن عمر، وأشار إلى أن الثمانين إنساناً الذين كانوا على متن سفينة نوح عليه السلام بعد أن استقروا في المكان وبنوا لهم المساكن، فلم يلبث أن أصيبوا بوباء أدى بهم جميعاً باستثناء نوح وولده[2].

ومن جانب آخر فقد ذكر ياقوت اسم اثنين من العلماء الفضلاء ينسبان إلى ثمانين وهما أبو القاسم عمر بن ثابت الضريري الثمانيني الذي كان له تصانيف عدة، تلقى العلم على يد العالم المعروف ابن جني، وتوفي سنة 482 هـ. أما الثاني فهو أبو حفص عمر بن الخضر بن محمد الثمانيني، سمع بدمشق وبمصر عدداً من العلماء الأعلام[3].

❖ جزيرة ابن عمر (جزيرة الأكراد) (بوتان)

نقل عز الدين بن شداد عن اليعقوبي أنه عدّ جزيرة الأكراد ضمن كور ديار ربيعة[4]، وافترض ابن شداد أن تكون هذه الجزيرة هي جزيرة ابن عمر، وأنها كانت تعرف بذلك، قبل أن يختطها الحسن بن عمر التغلبي الذي نسبت المدينة إليه[5]. وهذا رأي صائب لكونها مدينة كردية صرفة.

أما الاصطخري فقد وصفها بأنها مدينة صغيرة تقع على الجانب الغربي من نهر دجلة[6]. في حين أن ابن حوقل أسهب كثيراً في وصفها، وأشار إلى أنها تبعد عن الموصل بحوالي ثلاثين فرسخاً (180كم) وهي فرضة لأرمينيا وبلاد الروم ونواحي ميافارقين وارزن[7]، كما أكد على أنها أحسن تلك الناحية عمارة وأكثرها سلامة لكثرة أهلها وخصبها، ثم قارن بينها وبين غيرها من حيث العمران والغنى بقوله:

1- أحسن التقاسيم، ص123 – 124.

2- معجم البلدان، ج3، ص15.

3- المصدر نفسه والصفحة.

4- لا توجد هذه المعلومة في كتاب البلدان لليعقوبي فيحتمل أن يكون هناك كتاب آخر له مفقود باسم (المسالك والممالك).

5- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، حققه يحيى عبارة (دمشق:1978)، ج3، ق1، ص213.

6- المسالك والممالك، ص53.

7- صورة الأرض، ص202.

«إنها ليست كأرزن وميافارقين من خلوّ المنازل وعدم الأسرة وأهل الضياع وقلة الماشية والكراع»[1].

ووصف المقدسي جزيرة ابن عمر بأنها (بلد كبير) وهي طيبة نزيهة[2]، وقال بأنها ناحية ديار ربيعة.

أما ياقوت فقد ذكر بأنها عبارة عن بلدة تقع شمالي الموصل ولها رستاق خصب واسع الخيرات، يحيط بها نهر دجلة، الأمن جانب واحد وتأخذ شكلاً شبيهاً بالهلال، ثم عمل في الجانب البري خندق ليجري فيه الماء، ونصبت عليه رحى فأحاط بها الماء من كل جوانبها[3]، لتصبح جزيرة بعد ذلك، وذكر ياقوت العديد من العلماء المنسوبين إلى جزيرة ابن عمر[4].

ومن أعمالها كورتا بازيدي وباقردي المتقابلتان على جانبي نهر دجلة شرقي وغربي[5] ولجمال طبيعتها فقد حظيتا باهتمام الخليفة العباسي هارون الرشيد (170 – 194 هـ/ 786 – 809م) الذي زارهما في سنة (174 هـ/790م) وبنى بباقردي قصراً له[6].

وذكر ياقوت ناحية باسم ديبور بأنها من عمل جزيرة ابن عمر[7].

❖ بُرز مهران

انفرد ياقوت بذكرها وذكر أنها بلد بالقرب من جزيرة ابن عمر، وفيه دير أبّون[8].

❖ سفّان

انفرد ياقوت بالإشارة إليها واكتفى بتعريف بسيط له بأنه صقع أي ناحية كانت واقعة بين مدينتي نصيبين وجزيرة ابن عمر ضمن ديار ربيعة[1].

1- المصدر نفسه، ص203.

2- أحسن التقاسيم، ص124.

3- معجم البلدان، ج3، ص57.

4- المصدر نفسه، للمزيد حول هذه المدينة ينظر: سلام حسن طه، مرجع سابق.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص256.

6- الطبري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت:1966)، ج8، ص239.

7- معجم البلدان، ج4، ص331.

8- المصدر نفسه، ج2، ص302.

* زوزان[٢]

ذكر المقدسي أنها إحدى مدن ديار ربيعة[٣]، أما ياقوت فوصفها بقوله: «كورة حسنة" تقع بين أرمينيا وبين أخلاط وأذربيجان وديار بكر والموصل، وكان يقطنها بالإضافة إلى الأرمن طوائف كردية[٤]. ثم نقل ياقوت عن ابن الأثير[٥] تعيين موقع وحدود الزوزان فقال إنها: "ناحية واسعة في شرقي دجلة من جزيرة ابن عمر وأول حدوده من نحو يومين من الموصل إلى حدود خلاط وينتهي حدّها إلى أذربيجان إلى أول عمل سلماس وفيها قلاع كثيرة حصينة كلها للأكراد...»[٦].

ويظهر أن ما ذهب إليه ابن الأثير هو الأصح والأدق في تسمية الزوزان بـ «ناحية واسعة» ولهذه العبارة مدلولها الأوسع من المدينة وهي تشمل أرجاء شاسعة نسبياً كما تبين من الحدود التي رسمها ابن الأثير للزوزان وهي تشمل أراضي من الجزيرة وأرمينيا وأذربيجان والتي يقطنها الكرد بنسب متباينة.

* نصيبين[٧]

أشاد البلدانيون المسلمون بأهمية المدينة وجلال قدرها وعمرانها[٨] في مدينة ديار ربيعة[٩]، أي مركزها وقصبتها وقد بنيت في عهد الروم[١٠]. ووصفها الاصطخري بأنها: «أنزه بلد بالجزيرة وأكثرها خيراً»[١١] وأشار كل من الهمذاني وابن جبير إلى استيطان الكرد فيها وفيما يحيط بها[١٢].

1- ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص49.

2- وهي غير (الزوزن) التي كانت كورة واسعة بين نيسابور وهراة. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص488. والزوزان: كلمة كردية تعني المناطق الباردة أي (كويستان).

3- أحسن التقاسيم، ص122.

4- معجم البلدان، ج4، ص488.

5- الكامل في التاريخ

6- معجم البلدان، ج4، ص488.

7- كانت هناك مدينة أخرى تعرف بنصيبين الروم على شاطئ الفرات بينها وبين آمد حوالي ثلاثة أيام، ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص391.

8- اليعقوبي، مصدر سابق، ص118. الاصطخري، المسالك والممالك، ص52. ابن حوقل، مصدر سابق، ص193 – 194. مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص118.

9- ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص86.

10- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص390.

11- الأقاليم، ص40.

12- معجم البلدان، ج8، ص390.

والجدير بالإشارة أنه غالباً ما كان البلدانيون[١] يشيرون خلال تناولهم مدينة نصيبين إلى عقاربها الشهيرة والتي كان يعاني منها أهلها. ونقل ياقوت عن السرخسي أن أصل تلك العقارب يعود إلى الصراع الفارسي – الروماني قبل الإسلام. فعندما عجز الملك الساساني أنو شروان عن فتح نصيبين أمر أن تجمع له العقارب فحملوا العقارب من قرية طيرانشاه[٢] التابعة لشهرزور، فكانت القارورات تملأ بالعقارب وتوضع في العرّادات التي تشبه المنجنيق وترمى بها على الروم، وعندما تقع القارورة على الأرض تتكسر وتخرج منها تلك العقارب، واستمرت العملية حتى ضجّ أهلها فاستسلمت المدينة[٣]. وقد تكون هذه الرواية مختلفة أو مبالغ فيها.

وذكر ياقوت أن من أهم أعمال نصيبين، بليدة تعرف بـ (طور[٤] عبدين) الواقعة في بطن الجبل المشرف عليها المتصل بجبل الجودي[٥] وكورة بين النهرين التي كانت من أعمال نصيبين حيناً ومن أعمال الموصل حيناً آخر[٦].

❖ دارا

وهي مدينة تقع في سفح جبل[٧] بين نصيبين وماردين[٨]. وصفها المقدسي بأنها صغيرة طيبة[٩]، قال ابن حوقل أنها: «مدينة أزلية كانت للروم»، أي كانت قديمة، وقال ياقوت إنّ بانيها كان الملك الفارسي دارا بن دارا[١٠]، ووصفها ابن جبير بأنها بيضاء كبيرة[١١].

❖ ماردين

لم تشر إليها المصادر البلدانية في القرن الثالث الهجري لأن تركيزها كان على

1- ينظر المصادر آنفة الذكر.
2- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص390.
3- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص390.
4- طور: الجبل.
5- معجم البلدان، ج6، ص371.
6- المصدر نفسه، ج2، ص420.
7- الاصطخري، المسالك والممالك، ص53. مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص118.
8- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص273.
9- أحسن التقاسيم، ص124.
10- ياقوت، المشترك وضعاً والمفترق صقعاً، ص116.
11- رحلة ابن جبير، ص215.

المسالك بين الممالك والمدن الرئيسة؛ ولكنها وصفها البلدانيون بأنها كانت مبنية على جبل الجزيرة الذي يشرف على دارا ونصيبين ودنيسر[1] وكان بمقدور أهلها النظر إلى مدن رأس العين والخابور وسنجار[2] ووصفها ابن جبير بالمعمرة[3].

وأشار ابن الأثير وابن شداد إلى سكان نواحي ماردين الكرد[4].

❖ دنيسر[5]

لم يرد لها ذكر في المصادر البلدانية في القرنين الثالث والرابع الهجريين والراجح أنها برزت كمدينة هامة خلال عهد الدولة المروانية الكردية. وهي تبعد عن ماردين حوالي أربعة فراسخ (24كم) وهي من أعمالها[6]. وكانت في النصف الثاني من القرن السادس الهجري أقرب ما تكون إلى البادية كما وصفها ابن جبير[7]. ووصفت في القرن السابع الهجري بأنها بلدة عظيمة مشهورة تبعد عن ماردين حوالي فرسخين (12كم)[8]. والظاهر أن الفرق في تحديد المسافة بينها وبين ماردين بين القرنين السادس والسابع الهجريين يعود إلى التوسع الذي شهدته دنيسر خلال تلك الفترة من الناحية العمرانية مما قلّصت تلك المسافة[9].

❖ الرها (الرّهاء) (أورفه)

وهي إحدى أقدم وأهم مدن الجزيرة، وصفت بأنها مدينة وسطة وفيها آثار نادرة للنصارى[10]. وتقع بين الموصل والشام، بينهما مسافة ستة فراسخ (36كم)[11]. وقال ياقوت اسم المدينة بالرومية هو آذاسا بناها الملك الروماني

1- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص194. ودنيسر كلمة كردية مركبة تعني (رأس الدنيا).
2- ابن حوقل، مصدر سابق، ص220.
3- رحلة ابن جبير، ص215.
4- الكامل في التاريخ، ج8، ص227. الأعلاق الخطيرة، ج3، ق1، ص147.
5- وتسمى حالياً بـ (قزل تبه).
6- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.
7- رحلة ابن جبير، ص216.
8- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص318.
9- للمزيد ينظر: عوامل نشوء المدن الكردية في هذا الفصل.
10- صورة الأرض، ص204.
11- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص450.

سلوقص بعد وفاة الإسكندر بست سنوات[١].

❖ حَرزم

وصفها ياقوت بأنها بليدة تقع في واد نهر جار وبساتين بين مدينتي ماردين ودنيسر وهي أحد أعمال الجزيرة[٢].

❖ الموصل[٣]

حظيت الموصل باهتمام وافر من لدن البلدانيين، لكونها أهم مدن الجزيرة ومصرها، وصفها المقدسي بقوله: «بلد جليل حسن البناء طيب الهواء صحيح الماء، كبير الاسم قديم الرسم ..»[٤]. وذكر أيضاً أن الموصل قبل الفتح الإسلامي كانت تعرف بـ (خولان)[٥] والظاهر أنها كانت لها أسماء ومسميات أخرى في العصور القديمة والعهود التي سبقت الإسلام[٦].

ومن المعلوم أن الموصل قد أسبغت بحثاً فلا نريد الخوض فيها بقدر ما نريد الإشارة إلى مواضع سكنى الكرد فيما حولها، حيث كانت إحدى أهم مواطن الكرد منذ عصور موغلة في القدم[٧]. وقد ذكر هذه الحقيقة عدد من البلدانيين وحرروا موقع توطن الكرد وطوائفهم في الموصل وأعمالها[٨].

وأكد ابن حوقل على كثرة أعمال الموصل في (فسخة الأعمال وكثرة الضياع وعظم المحل وغزر السكان وأهل الأسواق)[٩].

1- John Maconald. Kinneirm Geographical Memoir Of The Perian Empire, (London:1813), p.33.

2- معجم البلدان، ج3، ص134.

3- ينظر بشأنها: سليمان الصائغ، تاريخ الموصل، (مصر:1923). عبد الماجود أحمد السلمان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، (الموصل:1985).

4- أحسن التقاسيم، ص123.

5- المصدر نفسه والصفحة.

6- للمزيد ينظر: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص30. يوسف حبي الموصل في المصادر السريانية القديمة، مستل من مجلة سومر، مج3، ج1، 1978، ص140. طه باقر وفؤاد سفر، المرشد إلى مواطن الآثار والحضارة، (الرحلة الثالثة)، (بغداد:1966)، ص17.

7- ينظر: الأزدي، تاريخ الموصل، تحقيق؛ علي حبيبة، (القاهرة:1967)، ج2، ص208.

8- ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص251. ابن حوقل، مصدر سابق، ص195 – 196. ينظر كذلك: لسترنج، مرجع سابق، ص115 – 116.

9- ابن حوقل، مصدر سابق، ص194.

وذكر ابن خرداذبة حوالي عشرين كورة من كور الموصل وهي تكريت والطيرهان والسن والحديثة ومرج جهينة ونينوى وباجلي[١] وباهدري[٢] وباعذري وحبتون وبانقلي وحزّة وبابغاش والمغلة ورامين والحناية وباجرمي وبها حيناسابور ودقوقاو خانيجار[٣].

ومن الملاحظ أن حوالي نصف هذه الأكوار هي كور كوردية.

أما ابن رسته المعاصر لابن خرداذبة فلم يشر إلا إلى تسع كور لها، وهي كور الموصل وتكريت وطيرهان والسن والحديثة والمروج وسيسجار وباجلي وباجرمي[٤].

ومن الملاحظ أن اثنين منها لم يذكرها ابن خرداذبة وهي المرج وسيسجار. ولعلّ الوظيفة الإدارية التي كان يشغلها ابن خرداذبة كصاحب للبريد جعلته أكثر دراية ودقة في جرد الكور والنواحي.

أما بلدانيو القرن الرابع الهجري فقد تطرقوا بشكل أكثر دقة وتفصيلاً إلى أعمال الموصل، فقد ذكر ابن حوقل الذي كان في المدينة سنة (358 هـ/968م) إحدى عشرة منطقة تابعة لها من رساتيق ومدن ونواحي، وتناول أحوالها الاقتصادية وخيراتها الواسعة، وكان حوالي عشر منها مناطق كردية وهي: رستاق المرج (ميرگ) ومدينة سوق الأحد وأرض حرة ورساتيقها ومدينة كفر عزى التي كان يسكنها الشهارجة الأكراد ورستاقا قردي وبازيدي ورستاق باهدرا ورستاق الخابور وأعمالها الواسعة التي كانت تجاور رستاق سنجار ونواحي الجبال ورستاقا معلثايا وفيشخابور[٥].

إن تأكيد ابن حوقل هذا، وهو المصدر الأكثر ثقة حول هذا الموضوع بسبب توفر عنصري المعاصرة والمشاهدة في معلوماته التي أوردها، يدل بجلاء على أن الكرد كانوا يشكلون الأغلبية في الموصل وأعمالها، ومن هنا جاء توكيد لسترنج على أن جلّ أهل الموصل كانوا في القرن الرابع الهجري من الكرد[٦].

---

[1]– ينظر: الكامل في التاريخ، ج9، ص35، 70.

[2]– عند قدامة: باهدرا، وعند ابن الفقيه: بانهدرا. ينظر: الخراج، ص245. ومختصر كتاب البلدان، ص13. يظهر أن ذلك كان تصحيحاً من قبل النسّاخ.

[3]– المسالك والممالك، ص85.

[4]– الأعلاق النفيسة، ص103.

[5]– صورة الأرض، ص196. ينظر كذلك: الإدريسي، مصدر سابق، ص230.

[6]– بلدان الخلافة الشرقية، ص116.

وبالنظر إلى كثرة الأعمال التي كانت تتبع والتي وصلت إلى حدود أذربيجان[١]، والأكثر من ذلك فإن كوراً ومدناً من العراق وبلاد الجبل كانت قد ضمت إليها في بعض الفترات[٢]، فإننا نقتصر منها على تلك التي كان يقطن فيها الكرد.

❖ المرج (مرج الموصل)

أورد ذكرها البلاذري ضمن معاقل الأكراد التي فتحت سنة (20 هـ/640م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[٣] ووصفها ابن حوقل بأنه رستاق فسيح كثير الضياع[٤]. ووصفه ياقوت بأنه موضع بين الجبال في منخفض من الأرض يشبه الغور وفيه مروج وقرى، وهي ولاية حسنة واسعة وعلى جباله قلاع[٥].

❖ سوق الأحد

وكانت ضمن رستاق المرج، يأوي إليها التجار من الأكراد وغيرهم في موعد غير محدد، وكانت مدينة كثيرة الحيز وخصبة تحادّ الجبل على نهر قريب منها يصب ماؤها إلى الزاب الكبير[٦].

❖ حزّة

وصفها ابن حوقل بأنها إقليم يفصل بينه وبين أعمال المرج نهر الزاب الكبير[٧]، وعرفها ياقوت بأنها بليدة قرب اربل من أرض الموصل، وكانت قصبة كورة اربل حسب ما أورده ياقوت[٨].

❖ كفر عزى

وصفت في القرن الرابع الهجري بأنها مدينة (قصدة) أي يقصدها الناس وذلك لخيراتها الواسعة ورخصها وأسواقها وضياعها. وكان الكرد يقطنون في

---

[1] – الأزدي، مصدر سابق، ج2، ص33.

[2] – شيخ الربوة الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، أعادت طبعه بالأوفسيت مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة (لايبزك:1922)، ص190.

[3] – فتوح البلدان، ص321.

[4] – صورة الأرض، ص196.

[5] – معجم البلدان، ج8، ص244.

[6] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص196.

[7] – المصدر نفسه والصفحة.

[8] – معجم البلدان، ج3، ص146.

نواحيها في حين كان يقطن داخل المدينة الشهارجة النصّار[1]، في حين عرّفها ياقوت في القرن السابع الهجري بأنها قرية من قرى اربل، وكانت تقع بين اربل والزاب الأسفل، وكان قضاة اربل ينسبون إليها[2].

❖ **باعذري وباهدرا**

أورد ذكرها البلاذري خلال حديثه عن فتح الجزيرة والموصل وهما من "معاقل الأكراد" التي فتحت في سنة (20 هـ/640م)[3] وأشار ابن حوقل إلى ضياع باهدرا الكثيرة وكثرة إيراداتها[4].

❖ **العقر (عقر الحميدية)**

أول من تطرق إليها من البلدانيين هو ياقوت وكانت أحد أعمال الموصل تقع إلى الشرق منها كان يسكنها الكرد الحميدية[5]. أنجبت عدداً من أهل العلم ذكر من بينهم ياقوت أحد أصدقائه، وكان موسوعياً يدعى الشهاب محمد بن فضلون بن أبي بكر بن الحسين بن محمد العدوي العقري النحوي اللغوي الفقيه المتكلم الحكيم، سمع الحديث والأدب على جماعة من أهل العلم[6].

❖ **العمادية (ناميدى)[7]**

وكانت هي الأخرى من أعمال الموصل، تقع في الشمال منها. وذكر ياقوت أن الأتابك عماد الدين زنكي بن آق سنقر عمّرها سنة (537 هـ/1142م) وسماها باسمه[8]، وكانت قبل ذلك حصناً كردياً خرّب لكبره وكان يدعى آشب[1].

1- ابن حوقل، مصدر سابق، ص196. ذكر الأزدي أن هؤلاء الشهارجة كانوا كرداً، ينظر: تاريخ الموصل، ص163.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- فتوح البلدان، ص321. كذلك: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص85.

4- صورة الأرض، ص196.

5- اضطلعوا بدون مشرف خلال الحروب الصليبية.

6- ياقوت، معجم البلدان، ج6، ص338.

7- يعود تاريخ المدينة إلى عصر ما قبل الإسلام، ولذلك فإن ما أورده ياقوت عن المدينة ليس دقيقاً، فقد وردت الإشارة إلى المدينة في الكتابات الآشورية باسم (أمات)، بالإضافة إلى وجود معالم أثرية قديمة فيها تعود إلى ما قبل الإسلام، طه باقر، المرشد إلى مواطن الآثار، الرحلة الثالثة، (بغداد: 1965 – 1966م)، ص54.

8- المصدر نفسه، ج6، ص348.

❖ الحسنية

وهي منسوبة إلى الحسن بن عمر[٢] ذكرها ياقوت بأنها تقع بين الموصل وجزيرة ابن عمر، وتبعد عن الأولى من جانبها الشرقي يومين[٣]. وقد وصف أحد بلدانيي القرن الثامن الهجري نهرها المسمى بالخابور، وكذلك قنطرته العجيبة البنيان[٤]، ولعل ذلك ما ينطبق على مدينة (زاخو) الحالية، وهذا ما يرجح أن تكون مدينة الحسنية تلك زاخو الحالية، على الرغم من وجود من ينكر ذلك[٥].

❖ باجرمي (باجرمق)[٦]

ورد ذكرها في أولى المصادر البلدانية، فقد ذكرها ابن خرداذبة ضمن كور الموصل وأشار إلى ثلاث مدن أخرى تابعة لكورة باجرمي وهي خُنياسابور ودقوقا وخانيجار[٧].

كما ورد ذكرها خلال عمليات الفتح، حيث توجه إليها القائد الفاتح عتبة بن فرقد السلمي بعد تكريت، ومن كورة باجرمي سار نحو شهرزور[٨].

أما ياقوت فقد اكتفى بالقول أن باجرمق كورة قرب دقوقا[٩]. ولم يكن البكري دقيقاً في تحديد موقع باجرمي عندما أشار أنها: "موضع قبل نصيبين"[١]، ولم يزد

1- آشبا: لفظة كردية اختصرت من الكلمة الكردية المركبة (آش ئاوا) أي طاحونة الماء ولكن يستبعد محفوظ العباسي أن تكون العمادية آشب نفسها، بل أنها موقعهما مختلفان بدليل أن آثار قلعة أشب مازالت باقية وهي تقع بالقرب من بلدة سرسنك الحالية. ينظر: إمارة بهدينان العباسية، (الموصل:1969)، ص12.

2- سبقت الإشارة إليه.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص150. المشترك وضعاً، ص150.

4- ابن الربوة الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، أعادت طبعه مكتبة المثنى ببغداد عن طبعة (لايبزك:1923)، ص190.

5- لسترنج، مرجع سابق، ص122 – 123.

6- كانت تطلق على معظم أنحاء محافظة كركوك الحالية (كورة باجرمي). للمزيد ينظر: قادر محمد ئهشكه نه يى، ناوچه ى كه ركوك له سه رده مى عه بباسى يه كان دا، گوفارى سه نته رى برايه تى، ژماره (20)، (هه ولير: هاوينى2001)، ل 101 – 112.

7- المسالك والممالك، ص85.

8- البلاذري، مصدر سابق، ص324. قدامة، مصدر سابق، ص382.

9- معجم البلدان، ج2، ص251.

يزد على ذلك والجدير بالإشارة أن البلدانيين قلما تطرقوا إلى مدن كورة باجرمي باستثناء ما أشير إليه، ربما لعدم بروزها في الأحداث السياسية ولاستقرار أمرها.

❖ **خانيجار (طوزخورماتو)**

وصفت بأنها (بليدة) بين مدينتي بغداد واربل بالقرب من مدينة دقوقا[٢].

❖ **داقوق (داقوقا)[٣]**

مدينة تقع بين مدينتي اربل وبغداد، وكانت مدينة (معروفة ورد ذكرها في الأخبار والفتوح) كما وصفها ياقوت، وقد وقعت عندها موقعة للخوارج الذين كانوا يتخذون منها مأوى لهم، وقتل منهم خلق كثير. وقد أورد ياقوت أبياتاً شعرية لأحد الشعراء يرثيهم، جاءت فيها لفظة المدينة بصيغتين (دقوقا) (دقوقاء):

شباب أطاعوا الله حتى أحبّهم	وكلهم شار يخاف ويطمع
فلما تبوّوا من دقوقا بمنزل	لميعاد إخوان تداعوا فأجمعوا
دعوا خصمهم بالمحكمات وبيّنوا	ضلالتهم والله ذو العرش يسمع
بنفسي قتلى في دقوقاء غودرت	وقد قطعت منها رؤوس وأذرع
لتبك نساء المسلمين عليهم	وفي دون مالاقين مبكي ومجزع[٤]

❖ **سنجار (شنكال)**

ورد ذكرها في كتابات بلدانيي القرن الثالث الهجري، على أنها إحدى كور ديار ربيعة[٥] ووصفت بأنها مدينة مشهورة[٦]. تقع في لحف جبل سنجار[١] ما بين

---

[1] – معجم ما استعجم، ج1، ص220.

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص211.

[3] – ينظر بشأن التفاصيل عن المدينة، محمد جميل بندي الروزبياني، مدن كرديه قديمة، (السليمانية:1999)، ص1 – 15.

[4] – ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص 303 – 304.

[5] – ابن حرداذبة، مصدر سابق، ص86. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص126.

[6] – ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص78. القزويني، آثار البلاد، ص393.

مدينتي الموصل ونصيبين، تبعد كل منهما ثلاثة أيام حوالي (108كم)[٢] وتبعد عن مدينة تل أعفر خمسة فراسخ (30كم)[٣].

كما ذكر اسم المدينة خلال عمليات الفتح الإسلامي[٤]. وكانت المدينة يسكنها الكرد الذين وصفهم أحد الرحالة المتأخرين بالكرم والشجاعة[٥]، هذا بالإضافة إلى عدد من العرب الذين اسكنوا بها بعد فتحها سنة (16 هـ/637م)[٦].

❖ اربل

لم يذكرها بلدانيو القرن الثالث الهجري باستثناء ابن خرداذبة الذي قسم السواد (دل إيرانشهر) إلى اثنتي عشرة كورة منها كورة استان شاذ فيروز والتي كانت تضم خمسة طساسيج منها طسوج اربل[٧]. كما لم يتطرق إليها بلدانيو القرن الرابع الهجري باستثناء قدامة بن جعفر الذي كرر ما ذكره ابن خرداذبة فحسب[٨].

ولاشك أن إغفال أمر مدينة اربل طيلة القرون الستة الأولى من التاريخ الإسلامي من قبل المؤرخين والبلدانيين على السواء، يعود إلى ضعف شأن المدينة خلال تلك الفترة الطويلة. وعلى الرغم من وجود بعض الروايات التاريخية التي تفيد بوجود دور سياسي للمدينة منذ النصف الأول من القرن الخامس الهجري عندما كان الهذبانيون يتخذون منها مركزاً لإمارتهم حتى العقد الثالث من القرن السادس الهجري، إلا أن المدينة لم يبرز دورها بشكل واضح حتى العهد الأتابكي (522 – 630 هـ/1128 – 1233م) حين بلغت ذروة عظمتها واتسعت[٩] بحيث لم

1- الاصطخري، المسالك والممالك، ص53. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص78.

2- ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص78.

3- قدامة، مصدر سابق، ص114.

4- البلاذري، مصدر سابق، ص178.

5- رحلة ابن بطوطة، المسماة (تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الأسفار)، (بيروت:1964)، ص237.

6- البلاذري، مصدر سابق، ص178.

7- المسالك والممالك، ص18.

8- الخراج وصناعة الكتابة، ص159.

9- للمزيد ينظر: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الأتابكي (522 – 630 هـ/1128 – 1233م).

تعد القلعة تستوعب الأعداد المتزايدة من السكان الذين كانوا يتوجهون شطرها وبالتالي زيادة استعمالات الأرض الحضرية مما اضطرها إلى استثمار المناطق السهلية الواقعة إلى الجنوب والجنوب الشرقي والغربي منها[١].

وقد تناول ياقوت الذي عاصر العهد الأتابكي، مدينة اربل بشيء من التفصيل ليشمل جوانب جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية. إذ عرّف المدينة بأنها عبارة عن قلعة حصينة ومدنية كبيرة في أرض سهلة واسعة، وفي أحد أطراف القلعة خندق عميق وسور المدينة ينقطع في نصفها. ووصف المدينة بأنها بنيت على تلّ عال من التراب عظيم واسع الرأس[٢]. – وهذا ما نلاحظه اليوم – وذكر أنها تقع بين الزابين وتعد من أعمال الموصل، ووصفها بأنها مدينة كبيرة عريضة طويلة قام بعمارتها وبناء سورها الأمير مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كچك على الذي أقامه بها وتولى أمرة أربل للفترة (589 – 630 هـ/1190 – 1233م)[٣].

كما أشار إلى الأسواق والمنازل الموجودة في القلعة بالإضافة إلى الجامع، ثم لاحظ نوعاً من الشبه بين قلعتي اربل وحلب إلا أن الأولى هي الاكبر والأوسع رفعة. ومن جانب آخر فإن ياقوت لاحظ على المدينة سمات القرية عندما صرّح: «ومع سعة هذه المدينة فبنيانها وطباعها بالقرى أشبه منها بالمدن». وكانت تتبع المدنية عدة قلاع أخرى لم يذكرها بالاسم، وأضاف أنه لم يكن هناك بستان حول المدينة ولا نهر جارٍ فيها، وكان اعتمادها على مياه الآبار العذبة.

ولم يجد ياقوت بها من أهل الفضل إلا أبا البركات المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب المعروف بالمستوفي الذي كان ذا أدب وعلم ودين وله مصنفات، وأضاف أن جماعة من أهل العلم والحديث نسبت إليها[٤].

أما بخصوص سكان اربل وأطرافها فقد أكدّ ياقوت أن (أكثر أهلها أكراد استعربوا وجميع رساتيقها وفلاحيها وما ينضاف إليها أكراد)[١] دون أن يشير إلى أي عرق آخر غير الكرد.

---

[1]– صلاح الدين الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة اربيل، دراسة مقارنة في جغرافية المدن، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، (بغداد: كانون أول1980)، مج11، ص312 – 313.

[2]– معجم البلدان، ج1، ص116.

[3]– للمزيد ينظر: محسن محمد حسين، مرجع سابق.

[4]– ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص118.

وفي ختام حديثه عن مدينة اربل أورد ياقوت عدة أبيات شعرية لأحد الشعراء الذين يتبعهم الغاوون وفي كلّ وادٍ يهيمون ويقولون ما لا يفعلون، ويدعي أنو شروان البغدادي المعروف بشيطان العراق الضرير الذي هجا مدينة اربل وبغداد وأهلها ثم عاد وتراجع عمّا خرج من لسانه ليبدل الهجو مدحاً، وقد تضمن الشعر بعض الكلمات والأعلام الكردية ولعلّ الاستشهاد ببعض أبياته لا يخلو من فائدة:

تبّاً لشيطاني وما سوّلا ... لأنه انزلني اربلا

نزلتها في يوم نحس فما ... شككت أني نازل كربلا

وقلت ما أخطأ الذي مثّلا ... باربل إذ قال بيت الخلا

هذا وفي البازار قوم إذا ... عاينتهم عاينت أهل البلا

والكرد لا تسمع إلا جيا ... أو نجيا أو نتوى زنكلا

كلاّ وبوبو علّكو خشترى ... خيلو وميلو موسكا منكلا

ممو ومقو ممكي ثم أن ... قالوا بو يركى تجي قلت لا

ربعٌ خلا من كلّ خير بلى ... من كل عيب لبس فيه ملا

فلعنة الله على شاعر ... يقصد ربعاً ليس فيه كلا

ومما جاء في اعتذاره عن هجو اربل:

وقد تاب شيطاني وقد قال لي ... لاعدت أهجو بعدها اربلا

واقصد إلى اربل واربع بها ... ولا تقل ربعاً قليل الكلا

وقل أنا أخطأت في ذمها ... وحطّ في رأسك خلع الدّلا

يا اربليين اسمعو كلمة ... قد قال شيطاني واسترسلا

فالآن عنكم قد هجا نفسه ... بكل قول يُخرس المقولا

هيج ذاك الهجو عن ربعكم ... كل أخير ينقض الأوّلا

---

[1]- المصدر نفسه، ص117.

♦ خانقين

ورد ذكرها في أوائل المصادر البلدانية على أنها إحدى كور استان شاه فيروز[١]. ووصفها اليعقوبي بأنها من أجلّ القرى وأعظمها أمراً[٢]. كما أشار إليها البلاذري خلال حديثه عن عمليات الفتوحات الإسلامية[٣]. أما البكري فلم يكن دقيقاً في تعريفه للمدينة عندما ذكر بأنها موضع في بلاد فارس وطسوج من طساسيج حلوان[٤]. ووصف المقدسي مدينة خانقين والمدن الأخرى الواقعة على جادة حلوان بقوله: «ليس لهن بهاء ولا هنّ لائقات ببغداد»[٥].

أما ياقوت فكان دقيقاً في تعريف المدينة عندما ذكر أنها بلدة من نواحي السواد على الطريق بين همذان وبغداد، وتبعد عن مدينة قصر شيرين ستة فراسخ (36كم)[٦].

والجدير بالذكر أن مدينة خانقين يعود تاريخها إلى عصور موغلة في القدم[٧].

♦ شهرزور[٨]

ضمت إلى الموصل في أعقاب الفتح الإسلامي وبقيت على تلك الحالة حتى العصر العباسي وبالتحديد في أواخر عهد الخليفة هارون الرشيد (ت: 194 هـ/808م) حيث فصلت عنها[٩]. ووصفت بأنها كورة واسعة في الجبال بين مدينتي

1- ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص18. قدامة، مصدر سابق، ص159 – 160.

2- البلدان، ص34.

3- فتوح البلدان، ص260.

4- معجم ما استعجم، ج2، ص484 – 485. كذلك: المقدسي، مصدر سابق، ص36، ص104.

5- أحسن التقاسيم، ص108.

6- معجم البلدان، ج3، ص211.

7- للمزيد ينظر: الروزبياني، مدن كردية قديمة، ص239 – 242.

8- للتفاصيل ينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة (شهرزور)، ج13، ص420. حسام الدين النقشبندي، الكرد في الدينور وشهرزور، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد:1975)، ئه مين نه قشبه ندی، شاره زوور وشاره زووری یه کان، گوفاری کوری زانیاری عیراق – ده سته ی کورد، (به غدا:1983)، به رگی ده یه م، ل 42 – 72.

9- البلاذري، مصدر سابق، ص325.

اربل وهمذان[1]، وكانت تضم عدة مدن وقرى، وقصبتها كانت مدينة كبيرة تسمى (نيم ازراي)[2] الواقعة في منتصف الطريق بين طيسفون وشيز.

ومن المدن الأخرى التابعة لشهرزور أيضاً مدينة شيز ومدينة دزدان ومدينة تيرانشاه وبلدة بير (پير)[3] وكذلك ديلمسان[4].

وأكدّ ياقوت أن سكان تلك النواحي كلهم كانوا كرداً[5].

❖ الصامغان

وهي الأخرى ضمت إلى الموصل بعد الفتح ثم فصلت عنها في عهد الرشيد[6]، فأصبحت في حدود الجبال، فقد وصفها ياقوت بأنها كورة من كور الجبل وكانت تعرف بـ (بميان)[7]. وقد تطرق البلاذري أثناء معالجته لسير عمليات الفتح إلى سكانها الكرد[8].

❖ دراباذ

وكان حالها حال شهرزور والصامغان، وهي تقع بالقرب منها، لأن تلك المدن الثلاث كانت تذكر دائماً معاً في المصادر التاريخية والبلدانية[9]. وأشار البلاذري إلى سكانها الكرد وذكر أن الرشيد ولّى شخصاً واحداً على ولاية شهرزور والصامغان ودارباذ وحدد له مرتباً قدره ستمائة درهم[10].

❖ تيرانشاه

إحدى نواحي شهرزور، لم يتطرق إليها بلدانويا القرن الثالث والرابع

1- ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص165.
2- كلمة كردية مركبة تعني نصف الطريق.
3- لعل قرية بيران الحالية الواقعة في هورامان هي عين تلك البلدة. ينظر: حسام الدين النقشبندي، مرجع سابق، ص15.
4- ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص165.
5- المصدر نفسه والصفحة.
6- البلاذري، مصدر سابق، ص325.
7- معجم البلدان، ج5، ص176. ويزعم ياقوت أنها تقع على حدود طبرستان، وهذا زعم باطل.
8- البلاذري، مصدر سابق، ص325.
9- ينظر: الطبري، تاريخ الملوك والأمم، تحقيق؛ محمد أبو الفضل إبراهيم، (بيروت:1965)، ج9، ص176، ص128.
10- البلاذري، مصدر سابق، ص325.

الهجريين، وإنما ذكرها الرحالة ابن مهلهل[1]، ثم نقل عنه ياقوت[2].

❖ **بير**

وصف بأنه بلد حصين في نواحي شهرزور[3].

❖ **سهرورد**

وصفت في القرن الرابع الهجري بأنها (مدينة صغيرة الغالب عليها الأكراد)[4].

❖ **قرميسين (كرمان شاه)**

وصفت بأنها مدينة جليلة القدر، كثيرة الأهل (أكثر أهلها العجم من الفرس والأكراد)[5]، بناها الملك قباذ بن فيروز لمناخه الطيب[6]، وعرّفها ياقوت بأنها تعريب كرمان شاهان وهي بلد معروف يبعد عن مدينة همذان ثلاثين فرسخاً (180كم) قرب مدينة الدينور[7].

❖ **ازر ميدُخت**

انفرد بذكرها ياقوت مكتفياً بالقول أنها بليد قرب قرميسين[8] ولم يستبعد أن يكون الاسم جاء من الملكة ازرميخت من أواخر ملوك الفرس وكانت ابنة ابرويز، والتي تولت الحكم بعد أختها بوران لمدة أربعة أشهر[9].

❖ **الدينور**

وكانت تسمى (ماه الكوفة) لأن وارداتها كانت تحمل في أعطيات أهل الكوفة، وصفت بأنها مدينة جليلة القدر وأهلها أخلاط من الناس العرب والعجم[1]،

1- الرسالة الثانية، ص19.

2- معجم البلدان، ج5، ص165.

3- ابن مهلهل، مصدر سابق، ص19. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص470.

4- الاصطخري، المسالك والممالك، ص118. ابن حوقل، مصدر سابق، ص314.

5- اليعقوبي، مصدر سابق، ص40.

6- ابن الفقيه الهمذاني، ص195.

7- معجم البلدان، ج7، ص36. ويبدو أن القزويني اشتبه عليه اسم المدينة المذكورة عندما قال أن قرميسين بليد بالقرب من كرمانشاهان، رغم أنها تسميتان لموضع واحد، ينظر: آثار البلاد، ص433.

8- معجم البلدان، ج1، ص139.

9- للمزيد ينظر: كريستنسن، مرجع سابق، ص79. ص81، ص478 – 479.

ولاشك أن معظم أولئك العجم كانوا من الكرد، أما العرب فقد استوطنوها بعد الفتح. كما أشار المسعودي إلى الكرد الشهنجانية الذين كانوا يقطنونها[٢].

وكانت تقع بالقرب من مدينة قرميسين[٣] وتتبعها عدة أقاليم ورساتيق[٤]. وكان ينسب إليها عدد كبير من أهل الأدب والحديث[٥].

❖ نهاوند

وصفت بأنها مدينة جليلة[٦] وعظيمة[٧] وتقع على جبل[٨]، وهي تبعد عن همذان أربعة عشر فرسخاً (84كم)[٩] وقد أورد ياقوت عدة روايات بشأن بنائها لا يمكن التأكد منها، ومما ذكره أن المدينة من بناء النبي نوح وأنها في الأصل (نوح آوند). وقيل إنها سميت نهاوند لأنها وجدت كما هي[١٠].

وكانت المدينة تمثل القصبة الأولى لكورة ماه البصرة[١١].

أما حول سكان مدينة نهاوند فيظهر مما أورده البلدانيون أن الكرد كانوا يشكلون عنصراً هاماً فيها[١٢].

❖ روجرد

بلدة واقعة بين مدينتي همذان والكرج تبعد عن الأولى 18 فرسخاً (108كم)

---

[1]- اليعقوبي، مصدر سابق، ص40.

[2]- مروج الذهب، ج2، ص135.

[3]- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص370.

[4]- اليعقوبي، مصدر سابق، ص40.

[5]- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص370.

[6]- اليعقوبي، مصدر سابق، ص41.

[7]- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص409.

[8]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص118.

[9]- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص409.

[10]- معجم البلدان، ج8، ص409.

[11]- قدامة، مصدر سابق، ص173. وللمزيد ينظر: محمد علي سلطاني، جغرافياى تاريخي وتاريخ مفصل كرمانشاهان، مؤسسة فرهنكي نشر سها، (جاب دوم: 1374 هـ.ش) جل أول، ص2.

[12]- ينظر: اليعقوبي، مصدر سابق، ص4. المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص135. حمد الله المستوفي القزويني، نزهة، ص83.

وعن الثانية 10 فرسخاً (60كم)[1] ولم يرد ذكرها عند بلداني القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، وهي مدينة مستحدثة، أي لم تكن موجودة قبل الإسلام، وكانت تمثل القصبة الثانية لكورة ماه البصرة[2]. وقد استحدث فيها وزير آل أبي دلف المدعو حمويه بن علي منبراً[3]، لتتحول القرية إلى مدينة[4].

❖ مرج القلعة

وصف بأنه موضع بينه وبين حلوان منزل ويقع على الطريق إلى همذان[5]. ووصفه ابن رسته بأنه قلعة كبيرة تبعد عن قرية الزبيدية (نسبة إلى السيدة زبيدة زوجة هاورن الرشيد التي عمرت بها قصراً ومسجداً) سبعة فراسخ (42كم)[6].

❖ ماى دراوستان (ماذروستان)

كانت بلدة تبعد عن قرية الزبيدة ثمانية فراسخ (48كم) وصف ابن رسته هذه المسافة بأنها في شعب وأشجار كثيرة، وبأن الموضع (مخوّف من الأكراد)[7].

❖ كنكور (قصر اللصوص)

هي مدينة قديمة، أورد ذكرها البلدانيون المسلمون[8]. وهي تقع بين همذان وقرميسين (كرمان شاه). وكانت تبعد عن أسدآباد سبعة فراسخ (42كم)[9] عرفت بقصرها العجيب الذي كان معقلاً للملك الساساني ابرويز[10] وسميت بقصر اللصوص لأن المسلمين لما وصلوها خلال عمليات الفتح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، سرقت دوابهم فيها[11].

1- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص320.

2- قدامة، مصدر سابق، ص173.

3- الاصطخري، المسالك والممالك، ص118. ابن حوقل، مصدر سابق، ص313.

4- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص420.

5- المصدر نفسه، ج7، ص244.

6- الأعلاق النفيسة، ص151. محمد علي سلطاني، مرجع سابق، مج1، ص37.

7- المصدر نفسه والصفحة.

8- ابن رسته، مصدر سابق، ص152. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص53، 233، 244. مسعر بن مهلهل، مصدر سابق، ص26. ابن حوقل، مصدر سابق، ص301.

9- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص155.

10- مسعر بن مهلهل، مصدر سابق، ص26. ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص62.

11- ينظر: الطبري، مصدر سابق، ج4، ص147.

وذكر المسعودي أن قبيلة الماجردان الكردية كانت تقطن المدينة[1].

وينسب إلى المدينة من أهل العلم أبو غانم المعروف بن محمد بن معروف القصري الملقب بالقصري (وكان كاتباً سديداً مليح الشعر كثير المحفوظ، تقلد وظائف إدارية)[2].

❖ **سيسر[3]**

كان بلداً متاخماً لمدينة همذان كما أورده ياقوت[4]، وقد أسهب ابن الفقيه الهمذاني في الحديث عنها، وأشار إلى سبب تسميتها بهذا الاسم، وهو (لأنها في انخفاض من الأرض، بين رؤوس آكام ثلاثين فقيل ثلاثون رأساً، وكانت سيسر تدعى صدخانيه أي ثلاثون رأساً ومائة عين لكثرة عيونها ومنابعها)[5].

وكانت سيسر وأطرافها مراعي لمواشي الرعاة الكرد وغيرهم، وكان يتولاه أحد للخليفة المهدي ويدعى سليمان بن قيراط، وبعد أن غدت مأوى للناقمين على الدولة أرسل الخليفة إلى سليمان ومعاونيه المدعو بلاسم الطيفوري، جيشاً لضبط المنطقة والشروع ببناء مدينة محصنة تقيهم الأخطار ففعلوا واسكنوها الناس بعد أن ضموا إليها بعض رساتيق المدن المجاورة مثل رستاق ماينحرج من الدينور ورستاق الجوذمة من كورة برزة بأذربيجان، ولكن يبدو أن القلاقل استمرت في المنطقة[6].

❖ **الصيمرة والسيروان**

وصفهما الاصطخري بأنهما مدينتان صغيرتان[7]، في حين ذكر المقدسي أن الصيمرة هي ماسبذان وأنها كانت كبيرة عامرة كثيرة الخير يتصل بها رستاق في

1- مروج الذهب، ج2، ص251. التنبيه والإشراف، ص89.

2- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص61. وللمزيد حول ماضي وحاضر المدينة، ينظر: محمد علي سلطاني، مرجع سابق، مج1، ص 22 – 28.

3- معجم البلدان، ج5، ص105.

4- معجم البلدان، ج5، ص105.

5- مختصر كتاب البلدان، ص220.

6- المصدر نفسه، ص220 – 221. معجم البلدان، ج5، ص105. وينظر: دائرة المعارف الإسلامية، مادة سيسر، ج12، ص474.

7- المسالك والممالك، ص118.

الجبال[١]. أما ياقوت فذكر أن الصيمرة بلد بين ديار الجبل وديار خوزستان، وهي مدينة تابعة لكورة مهرجانقذق[٢].

❖ مايدشت

ذكر ياقوت بأنها قلعة وبلد من نواحي خانقين[٣]، وهي ما زالت موجودة تحت الاسم نفسه.

❖ الدشت

وصفت بأنها بليدة في وسط الجبال بين مدينتي اربل وتبريز، وكانت عامرة كثيرة الخير عندما زارها ياقوت الذي أضاف أن أهلها كلهم من الكرد دون أن يحدد انتماءاتهم القبلية[٤].

❖ اريوجان

نقل ياقوت عن مسعر بأنها مدينة جيدة تابعة لكورة ماسبذان، وكانت قريبة من مدينة السيروان[٥].

❖ أسدآباد

زعم ياقوت أنها بلدة عمّرها قبل الإسلام شخص يدعى أسد بن ذي السرو الحميري[٦]، ولكنه زعم باطل لأنها تقع في غرب إقليم الجبال الذي تسكنه الأغلبية الكردية، ولم يصل حكم الحميريين إلى هناك، والأرجح أن أصل تسميته هو (شيرواه) وترجمت حرفياً إلى العربية فحولت إلى (أسدآباد)؛ والمعروف عن ياقوت أنه كان يحاول جاهداً إعادة أسماء المدن والمواقع إلى أصول عربية.

وكانت تبعد عن مدينة كنكور حوالي أربعة فراسخ (24كم). وقد نسب إليها عدد من أصحاب العلم والفضل مثل أبي عبد الله الزبير بن عبد الواحد بن محمد بن زكريا بن صالح بن إبراهيم الأسدآبادي الحافظ الذي توفي منتصف القرن الرابع الهجري[٧].

1- أحسن التقاسيم، ص302.

2- معجم البلدان، ج5، ص214.

3- معجم البلدان، ج4، ص301.

4- معجم البلدان، ج7، ص202. وللمزيد ينظر: محمد علي سلطاني، مرجع سابق، مج1، ص18.

5- المصدر نفسه، ج1، ص138.

6- المصدر نفسه، ج1، ص145.

7- المصدر نفسه.

* **البندينجين (مندلي)**

أول من ذكرها من البلدانيين هو ابن خرداذبة وكانت في عهده أحد طساسيج كورة استان قباذ إحدى الكور الاثنتي عشرة التابعة لإقليم السواد. وكان لطسوج البندينجين خمسة رساتيق[1].

وكانت في القرن الرابع الهجري إحدى المدن التابعة لكورة حلوان ضمن إقليم العراق[2]. ومن الملاحظ أن ياقوت رأى في لفظة البندينجين أنها لفظة تثنية متوهماً أن الحرفين الأخيرين (ين) اللذين يفيدان التثنية في اللغة العربية، إنما يدلان الدلالة نفسها في هذه اللفظة، ثم نقل عن أبي حمزة الأصفهاني قوله: «إن بناحية العراق موضع يسمى وندنيكان وعرّب على البندينجين ولم يفسر معناه»[3].

كما عرّفها ياقوت بأنها «بلدة مشهورة في طرف النهروان من ناحية الجبل من أعمال بغداد يشبه أن تعدّ من نواحي مهرجانقذق»[4].

ونقل عن أحد فقهاء البلدة ويدعى العماد بن كامل النبدنيجي الفقيه، أن البندينجين اسم يطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان بل كل واحدة متفردة لا ترى الأخرى. وكان بها دار الإمارة في أكبر محلاتها المعروفة بـ (باقطنايا) والتي كان بها أيضاً منزل القاضي[5]. مما يدلّ على ذلك أهمية المدينة من الناحية الإدارية.

* **جلولا (جلولاء)**

كانت أحد طساسيج كورة استان قباذ التابعة لإقليم السواد. وكان لها خمسة رساتيق[6]، وكانت تبعد عن خانقين حوالي سبعة فراسخ (42كم)[7]. وهي على طريق خراسان[8].

1- المسالك والممالك، ص18 – 19، ص26. وينظر: قدامة، مصدر سابق، ص160.

2- المقدسي، مصدر سابق، ص104. ذكرها بصيغة (بندينجان).

3- معجم البلدان، ج2، ص393. للمزيد حول أصل الكلمة ينظر: محمد جميل بندي الروزبياني، مدن كردية قديمة، ص86 – 87.

4- المصدر نفسه والصفحة.

5- المصدر نفسه والصفحة.

6- ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص18، ص26.

7- المصدر نفسه، ص31. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص70 – 71.

8- ياقوت، معجم البلدان، مج3، ص71.

وقد عدّها المقدسي ضمن المدن التابعة لكورة بغداد[1]، واشتهرت في المصادر التاريخية بالواقعة الحاسمة التي وقعت بين المسلمين الفاتحين والفرس أواخر سنة (16 هـ/637م) والتي عرفت بيوم جلولاء الوقيعة التي انتهت بهزيمة الفرس[2].

وقد ذكر عنها شعر كثير منه:

ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت   بنو فارس لما حوتها الكتائب[3]

❖ جبّل

ذكرها ابن خرداذبة خلال تناوله الطريق من بغداد إلى البصرة[4]، ولكن دون أن يتناولها بالتعريف أو شيء من الوصف. أما ابن حوقل فقد أشار إلى وقوعها على الجانب الشرقي من دجلة وهي مدينة صغيرة[5]. في حين ذكرها المقدسي ضمن مدن كورة بغداد ووصفها بالعامرة وآهلة الجامع[6].

وانفرد صاحب كتاب (حدود العالم) بالإشارة إلى سكان المدينة حيث أفاد أن أغلبهم كرد[7]، ومن جانب آخر فقد وصف مدينة جبّل بأنها قليلة العمارة[8]. أي على العكس من وصف المقدسي، على الرغم من أن تاريخ تأليف الكتابين متقارب جداً. ففي حين صُنّف كتاب حدود العالم في سنة (372 هـ/982م)، فإن المقدسي ألف كتابه (أحسن التقاسيم) بين سنتي (375 – 380 هـ/985 – 990م). إلا أن الراجح هو ما أورده المقدسي، نظراً لدقته وكثرة رحلاته من جهة ولأن صاحب كتاب (حدود العالم) لم يكن جوالة ولا رحالة بل جمع كتابه من مؤلفات من سبقوه من البلدانيين كما يظهر من محتويات كتابه، على الرغم من أنه لم يشر إلى مصادره التي استقى منها معلوماته.

والجدير بالملاحظة أيضاً، أن وجود الكرد بتلك الكثافة في مدينة جبّل إحدى

1- أحسن التقاسيم، ص104.

2- البلاذري، مصدر سابق، ص260 – 261. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص71.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص71.

4- المسالك والممالك، ص60، ص150.

5- صورة الأرض، ص210، ص219.

6- أحسن التقاسيم، ص104، ص109.

7- مؤلف مجهول، ص115.

8- المصدر نفسه والصفحة.

المدن التابعة لكورة بغداد يدلّ على مدى انتشار الكرد في العراق، كما يؤكد بشكل لا لبس فيه وجودهم بنسب متباينة في أماكن أخرى مجاورة للمدينة.

أما ياقوت فقد وصف جبّل بـ (بليد) يقع بين النعمانية وواسط في الجانب الشرقي، وأكدّ بأنها كانت مدنية وقد زارها أكثر من مرة ووجدها قرية كبيرة[1]. أي أن دورها الحضري قد تلاشى في القرن السابع الهجري لأسباب نجهلها.

وينسب إلى مدينة جبّل جماعة من أهل العلم والفضل منهم: أبو عمران موسى بن اسماعيل الجبلي والحكم بن سليمان الجبلي وأبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبلي الشاعر (ت: 439 هـ/1047م) وقد كان من المجيدين في الشعر كان بينه وبين الشاعر الكبير أبي العلاء المعري مناظرة شعرية، وفيه قال أبو العلاء قصيدته:

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي   نوح باكٍ ولا ترنّم شادي[2]

❖ **حلوان**

وكانت في القرن الثالث الهجري مدينة جليلة كبيرة، وصف سكانها بأنهم أخلاط من العرب والعجم، من الفرس والأكراد.

واختلف البلدانيون بشأن تبعية كورة حلوان، فمنهم من ذكرها ضمن كور إقليم الجبال ومنهم من ذكرها ضمن كور إقليم العراق، وذلك لوقوعها على حدود الإقليمين من جهة وازدواجية مناخها حيث كان قسم منها يسود فيه المناخ الجبلي وفي القسم الآخر مناخ العراق[3].

ومن الملاحظ أن الاصطخري رسم حلوان في خارطة العراق[4]، ولكنه مع ذلك تحدث عنها ضمن إقليم الجبال حيث قال: «مدينة في سفح الجبل المطلّ على العراق، وقد صورناها في صورة العراق»[1].

1- معجم البلدان، ج3، ص30.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- اليعقوبي، مصدر سابق، ص40.

4- ينظر: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص18. اليعقوبي، مصدر سابق، ص40. الاصطخري، المسالك والممالك، ص60، ص118. ابن حوقل، مصدر سابق، ص314. المقدسي، مصدر سابق، ص104.

أما ناسخ كتاب ابن حوقل في القرن السادس الهجري فقد أكد أن حلوان مدينة تابعة للجبال وكان دليله أنها يسقط فيها الثلج[٢] حيث ذكر: «ويزعم بعض الناس أن حلوان من العراق ويزعم الأكثرون أنها جبلية يسقط فيها الثلج، وهي من الجبال بلا منازعة»[٣].

ونقل ياقوت عن أبي زيد البلخي قوله: «أما حلوان فهي مدينة عامرة ليست بأرض العراق بعد الكوفة والبصرة وواسط وبغداد وسرّ من رأى أكبر منها ... وهي بقرب الجبل وليس للعراق مدينة بقرب الجبل غيرها، وربما يسقط بها الثلج وأما أعلى جبلها فإن الثلج يسقط به دائماً ..».

ومن جانب آخر أكد ياقوت أن حلوان أنجبت عدداً كبيراً من العلماء، لكنه لم يذكر منهم إلا أبا محمد الحسن بن علي الخلال الحلواني[٤].

أما المقدسي فقد وصف حلوان بأنها قصبة صغيرة سهلية جبلية وكان لها ثمانية دروب: درب خراسان، ودرب الباقات، ودرب المصلى، ودرب اليهود، ودرب بغداد، ودرب برقيط، ودرب اليهودية (مدينة باصبهان) ودرب ماجكان[٥]. وأضاف المقدسي أن المدائن التابعة لكورة حلوان كانت صغيرة حربية لا يجدر ذكرها[٦].

ومن الملاحظ وجود نوع من التناقض بين نظرات كل من الاصطخري وابن حوقل والمقدسي بشأن وصف حلوان وتوابعها، على الرغم من أن كلهم ينتمون إلى عصر واحد والفارق الزماني بين تصنيف كل منهم لكتابه فارق ضئيل[٧]. ولكن الأرجح هو ما ذكره المقدسي، لما اتصف به من دقة علمية مبنية على المشاهدة والمعرفة المباشرة والتحري عن الأمور بمراجعة أولي الألباب وذوي الخبرة والدراية للتحقيق من الأخبار والأوصاف، أكثر من غيره من البلدانيين. هذا من جهة ومن

1- ينظر خارطة رقم9.
2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص60.
3- المصدر نفسه والصفحة.
4- لمصدر نفسه والصفحة.
5- معجم البلدان، ج3، ص175.
6- المقدسي، مصدر سابق، ص110.
7- ينظر الفصل الأول من هذه الدراسة.

جهة أخرى فإن الاصطخري نقل ما ذكره في كتابه عن البلخي أيضاً، حيث أن العبارات الوصفية للمدينة متشابهة إن لم نقل متطابقة تماماً[١].

❖ **همذان**

وصفها اليعقوبي بأنها: «بلد واسع جليل القدر، كثير الأقاليم والكور.. وهو الذي يسمى ماه البصرة»، أما سبب تسميته تلك فلأن خراجه كان يحمل في أعطيات أهل البصرة[٢]. وروى أن همذان أعتق مدينة بالجبل[٣]. وقد أسهب ابن الفقيه الهمذاني كثيراً في وصفها ودخل في استطرادات كثيرة تغلب عليها الظرافة[٤].

وإن اهتمام البلدانيين بتلك المدينة من جميع النواحي يؤكد أهميتها في العصور التاريخية المختلفة.

إن ما سبق ذكره من المدن والبلدات الكردية لا يعني أن بلاد الكرد، وخاصة إقليمي الجزيرة والجبال الغربي، كانت تقتصر على هذه المراكز العمرانية (الحضرية)، وإنما نحن تطرقنا إلى الأبرز منها بإيجاز ولابدّ أن هناك مراكز عمرانية أخرى لم يذكرها البلدانيون أو لم نتطرق إليها، والغاية من هذا الاستعراض السريع هي استكمال جوانب هذه الدراسة التي تحمل عنوان (بلاد الكرد...) على الرغم من إدراكنا بأننا اضطررنا إلى تكرار بعض ما تناوله الأسبقون بصور متفاوتة ومتفرقة، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن ذلك يؤكد أن الكرد لم يكونوا جميعاً بدواً رحلاً بدليل كثرة المدن والبلدات التي كانت تحويها بلادهم أي أنهم على جانب بيّن من التحضر.

ب- القرى

من الواضح أن البلدانيين والرحالة المسلمون اهتموا بوصف المدن والبلدات ورسم معالمها اعتماداً على مشاهداتهم خلال زياراتهم لتلك المدن أو بمساءلة

---

[1] - قارن: الاصطخري، المسالك والممالك، ص60، ص118. ابن حوقل، مصدر سابق، ص314. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص173.

[2] - البلدان، ص41.

[3] - ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص203. ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص48.

[4] - المصدر نفسه، ص201 – 209. كذلك: ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص483 – 487.

العارفين، وإما بالرجوع إلى مصادر سبقتهم في حين أن أوصاف القرى وأحوالها لم تنل نصيباً وافراً من اهتمامات أولئك البلدانيين إلا ما كانت لها أهمية تميزها عن غيرها من القرى.

إن ذلك لا يعني التقليل من شأن الكتب البلدانية لأن أصحابها كانوا معذورين في عدم التأكيد على القرى والمناطق النائية حيث أن تغطية بلاد كبلاد الكرد الواسعة الأرجاء ومسح مدنها وقراها جميعها لهي أمر بعيد المنال ومستحيل التحقيق خاصة في ظروف كتلك التي كان يعيشها أولئك البلدانيون ونقصد بها صعوبة التنقل من مكان إلى آخر وبدائية طرق ووسائل المواصلات.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره من المدن فقد أورد بعض البلدانيين وبخاصة ياقوت الحموي، أسماء عدد من القرى الكردية لا سيّما الواقعة منها في إقليمي الجزيرة والجبال الغربي، والتي سنشير إليها تباعاً:

❖ **اكلِّ**

اكتفى ياقوت بالقول أنها من قرى ماردين[١].

❖ **بازيدي**

إحدى قرى الجزيرة الواقعة على نهر دجلة مقابل جزيرة ابن عمر وكان يضاف إليها قرى كثيرة[٢].

❖ **قردي**

قرية قريبة من جبل الجودي بالجزيرة ويقربها قرية الثمانين المذكورة كانت تنسب إليها ولاية كبيرة تضم حوالي مائتي قرية منها قرية الجودي وقرية الثمانين[٣].

❖ **فيروزسابور**

وصفت بأنها قرية كبيرة فيها عمارات واسعة وآثار، وكانت إحدى نواحي قردي[١].

---

[1]– ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص193.

[2]– المصدر نفسه، ج7، ص30.

[3]– المصدر نفسه.

❖ قطربل

كانت قرية تقابل مدينة آمد بديار بكر، ذكر ياقوت أنها كان يباع فيها الخمر كما كان الحال في القرية الواقعة بين بغداد وعكبرا فكان ينسب إليها الخمر[٢].

❖ دونمان

كانت قرية كبيرة تقع بين مدينتي رأس العين ونصيبين وكانت سوقاً لأهل الجزيرة[٣].

❖ كراثا

كانت قرية تقع بين مدينتي الموصل وجزيرة ابن عمر، وكانت تعرف في عهد ياقوت بـ (تل موسى) نسبة إلى شخص كان يدعى موسى وليّ الموصل من قبل السلاجقة، وقتل ودفن في تلها فعرفت بذلك[٤].

❖ كفر توثا

وصفت بأنها كانت قرية كبيرة من أعمال الجزيرة تبعد عن مدينة دارا حوالي خمسة فراسخ (30كم)، وتقع بينها وبين مدينة رأس العين، وأضاف ياقوت أن قوماً من أهل العلم ينسبون إليها[٥].

❖ كفر زمّار

ذكر ياقوت أنها قرية من قرى الموصل، ثم نقل عن أحد الرواة أنها ناحية واسعة من أعمال قردي وبازيدي[٦].

❖ كفر عزّا

كانت إحدى القرى التابعة لمدينة اربل وتقع بين المدينة وبين الزاب الأسفل وأضاف ياقوت أن قاضي اربل في عهده كان ينسب إليها دون أن يسميه[١].

---

1 – ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص30.
2 – المصدر نفسه، ج7، ص69.
3 – ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص323. وينظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.
4 – المصدر نفسه، ج7، ص123.
5 – المصدر نفسه، ج7، ص143. وكفر: لفظة يونانية الأصل تعني القرية أو المزرعة.
6 – المصدر نفسه، ج7، ص144.

❖ **كفر جديا (كفر جدا)**

كانت إحدى قرى مدينة الرها (أورفه) ومن أملاك أحد أولاد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (105 – 125 هـ/ 723 – 742م)[2].

❖ **المونسة**

قرية كانت تبعد عن مدينة نصيبين مرحلة واحدة (حوالي 37كم) باتجاه الموصل[3].

❖ **نيربا**

وصفت بأنها كانت قرية كبيرة ذات بساتين، وضمن كورة المرج (ميرگ) شرقي الموصل[4].

❖ **مرق**

كانت قرية كبيرة على طريق نصيبين من الموصل، وتبعد عن الأخيرة مسيرة يومين (72كم) وكانت منزلاً لاستراحة القوافل التجارية[5].

❖ **ممدوح آباد**

قرية كبيرة بالقرب من الزاب الأعلى، تقع بين مدينتي اربل والموصل وكانت أحد أعمال الأولى[6].

❖ **الزرّاعة**

كانت قرية كبيرة يقال لها أيضاً (رأس الناعور) وكانت فيها عين فوّارة غزيرة المياه، ينبت فيها نبات النيلوفر الذي يستخدم في بعض الأدوية، واقعة شرقي مدينة الموصل بالقرب من مدينة باعشيقا[7].

---

[1] – المصدر نفسه، ج7، ص145. وعرفت كفر عزا بكثرة علمائها. ينظر: ابن المستوفي، تاريخ اربل.

[2] – المصدر نفسه، ج7، ص143.

[3] – المصدر نفسه، ج8، ص322.

[4] – المصدر نفسه، ج8، ص422.

[5] – المصدر نفسه، ج8، ص250.

[6] – ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص319.

[7] – المصدر نفسه، ج8، ص471.

❖ دحلان

أورد ذكرها البكري، ووصفها بأنها قرية بالموصل أهلها أكراد ولصوص! فكان يضرب بها المثل عندما يقال «فلان دحلاني»[1].

❖ جُوزة

كانت إحدى قرى الكرد الهكارية الواقعة في الجبال من نواحي الموصل وكانت عامرة. ينسب إليها العالم المحدّث أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الجوزي[2].

❖ باعذرا

من قرى الموصل[3].

❖ باصفرا

قرية كبيرة في شرقي الموصل في لحف الجبل، وصفت بأنها كثيرة البساتين والكروم، ويجيء عنبها وسط الشتاء[4].

❖ بارمّا

بالإضافة إلى كونها اسم جبل بارما (حمرين) المعروف، فقد كانت قرية شرقي دجلة وإليها كان ينسب السن فيقال سن بارما[5].

❖ بارنجان

وصفت بأنها قرية وبها خان وعين قرب مدينة سنجار[6].

❖ بلاباذ

قرية في شرقي الموصل ضمن أعمال نينوى، تقع بين الموصل والزاب، وكانت القوافل التجارية تنزل فيها حيث كان بها خان يرتاده المسافرون[1].

1- معجم ما استعجم، ج2، ص545.
2- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص92.
3- المصدر نفسه، ج2، ص259.
4- المصدر نفسه، ج2، ص258.
5- المصدر نفسه، ج2، ص255.
6- المصدر نفسه والصفحة.

◆ بلاسكرد (بلازكرد)

اكتفى ياقوت بالقول أنها قرية بين اربل وأذربيجان[٢]، ولها تسميات أخرى نحو (بلاشكرت) و (ملاذگرد) و (مانزكرت) وهي تقع شمال شرق تركيا على مقربة من بحيرة وان، وقد وقعت فيها معركة حاسمة بين المسلمين السلاجقة والروم (463 هـ/ 1071م).

◆ باكلبا

من القرى التابعة لمدينة اربل، ينسب إليها الفقيه أبو عبد الله الحسين بن شروين بن أبي بشر الجلالي الباكلبي وكان صديقاً لياقوت[٣].

◆ ترجلة

قرية مشهورة بين مدينتي اربل والموصل، من أعمال الموصل[٤]، وقعت عندها معركة بين جند كل من الأمير الزنكي عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر وصاحب اربل يوسف بن علي كوجك، وكان ذلك في سنة (580 هـ/1184م)[٥].

◆ تل خَوسا

قرية واقعة بين مدينتي اربل والموصل بالقرب من الزاب[٦].

◆ تل زيدي

إحدى قرى الجزيرة[٧].

◆ بيت النار

وصفت بأنها قرية كبيرة من القرى التابعة لمدينة اربل تبعد عنها ثمانية أميال، وقد استغل ياقوت اسم هذه القرية والذي يدل على أن أهلها كانوا يدينون

1- المصدر نفسه، ج2، ص375.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- المصدر نفسه، ج2، ص262.

4- المصدر نفسه، ج2، ص467.

5- حول تلك المعركة ينظر: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الأتابكي، ص74 – 76.

6- المصدر نفسه، ج2، ص452.

7- المصدر نفسه والصفحة.

بالزرادشتية في يوم من الأيام، فنقل عن أحد الشعراء المدعو عبد الرحمن بن المستخف أبياتاً شعرية تهجو مدينة اربل[1]:

اربـل دار الفسـق حقـا فـلا يعتمـد العاقـل تعزيزهـا

لـو لم تكـن دار فسوق لمـا أصبح بيت النـار دهليزهـا[2]

❖ با أيوب

قرية كبيرة كانت تقع بين مدينتي قرميسين وهمذان نسبت إلى بانيها، وكان يدعى أبا يعقوب من بني جرهم، وكانت بها مباني هدمت وكانت تعرف بقرية الدكان[3].

❖ بيجانين

إحدى قرى نهاوند[4].

❖ الزبيدية

وصفت بأنها قرية بالجبال بين مدينتي قرميسين ومرج القلعة، وكانت تبعد عن كل منها ثمانية فراسخ (48كم)[5].

❖ ازنَري

إحدى قرى نهاوند[6].

❖ آذيو خان

قرية من قرى نهاوند، ينسب إليها أحد الفضلاء، وكان يدعى أبو سعد الفضل بن عبد الله بن علي بن عمر بن عبد الله بن يوسف الآذيوخاني[7].

1- المصدر نفسه، ج2، ص411.

2- دهليز: تعريب دهلة، ومعناه القنطرة والعقدة، أدي شير، مصدر سابق، ص68.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص250.

4- المصدر نفسه، ج2، ص411.

5- المصدر نفسه، ج4، ص469.

6- المصدر نفسه، ج1، ص139.

7- المصدر نفسه، ج1، ص53.

❖ كيركان (كركان)

قرية كانت قرب مدينة قرميسين، كانت كثيرة العقارب مما تودي بحياة عدد كبير من أهلها سنوياً. وأضاف ابن الفقيه الهمذاني أن بعض ملوك الفرس أمروا المنجم والمطلسم بليناس الحكيم أن يدفع عن المنطقة العقارب، ففعل ذلك، ومنذ ذلك الحين لم تدب عليها عقرب الأمات[1]!.

❖ بندسيان

من قرى نهاوند، وقعت عندها معركة نهاوند الشهيرة[2].

❖ بهستون

قرية كانت تقع بين مدينتي همذان وحلوان، تبعد عن الأولى أربع مراحل (24 فرسخاً – 144كم) وعن مدينة قرميسين ثمانية فراسخ (48كم)[3].

❖ ترمان حمّة

إحدى قرى ماسبذان، ويظهر أنها سميت بالحمة الموجودة فيها و "تخيل إلى الإنسان أن النار تتقد فيها، تعمل في الشتاء ولا تعمل في الصيف" وأضاف ابن الفقيه الهمذاني المعروف بميله نحو إثارة العجب والدهشة لدى قراء كتابه على حساب الحقائق أن حمّة ترمان لم تكن سوى شظية من حمّة ماه الكوفة (الدينور). وأن بليناس الحكيم عمل طلسماً لها[4].

❖ الرّذ

قرية تابعة لمدينة ماسبذان قرب مدينة البندينجين (مندلي)، توفي بها الخليفة العباسي المهدي[5] (158 – 169 هـ/774 – 785م)[6].

1- مختصر كتاب البلدان، ص197، القزويني، آثار البلاد، ص445.

2- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص437.

3- المصدر نفسه، ج2، ص405.

4- مختصر كتاب البلدان، ص197.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص400.

6- كان المهدي عازماً في أواخر عهده تقديم ابنه الرشيد في الخلافة على الهادي الذي كان حينئذ بجرجان فاستدعاه لكن الأخير لم يحب فتوجه المهدي بنفسه إليه، وعند وصوله ماسبذان أدركته الوفاة بعد حكم دام أكثر من عشر سنين، محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج5، ص130.

◆ **تَرّسخ**

إحدى القرى التابعة لمدينة البندينجين، كانت مشتهرة بالملح[1].

◆ **ده بالا[2]**

إحدى قرى ماسبذان بناحية الجبل قرب مدينة البندينجين، ذكر ياقوت أن قبر الخليفة المهدي بها. والظاهر أنه لم يكن متأكداً تماماً من ذلك، لذلك ناقض نفسه عندما حدد مكانين لقبر المهدي، وهما قرية الرذ وقرية ده بالا. وقد زار الخليفة العباسي المستجد بالله (555 – 566 هـ/1160 – 1170م) القرية في سنة (564 هـ/1168م) ووزع الأموال بسخاء على سكانها[3].

◆ **مرت[4]**

كانت قرية قريبة من مدينة أرمية، وصفت بأنها كبيرة ذات بساتين وفي أهلها شجاعة وجماعة[5].

◆ **شقلد باذ (شقلدون)**

وصفت بأنها قرية مليحة في لحف الجبل المطل على اربل[6].

تلك كانت طائفة من القرى المنتشرة ببلاد الكرد أورد ذكرها ياقوت وبعض البلدانيين الآخرين. ومما لاشك فيه أن هنالك مئات القرى الأخرى لم يتطرق إليها البلدانيون لسبب أو لآخر.

ثانياً: عوامل قيام المراكز العمرانية الكردية واضمحلالها

لعل من المفيد التنويه بأن العلماء المسلمين اهتموا اهتماماً بالغاً بالمسائل المتعلقة بالمدنية (التحضر)، والخطط والنظريات التي تبحث عنها، وتشكل الجانب المعرفي منها، وكتبوا كثيراً عن التصنيف الوظيفي للمدن، وبيّنوا الأنشطة المختلفة داخل كل مدينة كقطاع السكن وقطاع الزراعة وقطاع الصناعة، كما تحدثوا عن

1- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص437.

2- ده بالا: كلمة مركبة كردية تعني: القرية العليا.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص328.

4- كلمة كردية تحوير (مه رد) التي تعني (الشجيع) ومما يؤكد هذا وصف أهلها بالشجاعة.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص243.

6- المصدر نفسه، ج5، ص150.

أنماط التوزيع العرقي للأجناس القاطنة فيها كما تجسده الدراسات الحديثة تحت عنوان (Urban – Ethnicity) فضلاً عن العديد من الظواهر التي تدرس في الوقت الحاضر بشيء من التفصيل والتعمق[1].

ومن بين العلماء الذين اهتموا بالتفسير الشرعي للتمدن، وأسهبوا فيه؛ ابن أبي الربيع (ت: 272 هـ/885م) والماوردي (ت: 450 هـ/1058م) وابن خلدون (ت: 808 هـ/1405م) ولسنا هنا بصدد عرض النظريات والأفكار التي طرحها أولئك العلماء عن التمدن، والخطط المدنية، ولكن من المستحسن قبل التطرق إلى عوامل قيام/إنشاء المدن، كما ذكرها أقدم الثلاثة فيهم، وهو ابن أبي الربيع الذي وجد ضرورة مراعاة ثمانية شروط فيها، وهي:

- أن يساق إليها الماء العذب للشرب حتى يسهل تناوله من غير عسف.
- أن تنظم وتقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب، ولا تضيق.
- أن يُبنى فيها جامع للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.
- أن تقدر أسواقها بكفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب.
- أن تميز قبائل ساكنيها لكن شريطة أن لا تجمع أضداداً مختلفة متباينة.
- إن أراد أحد سكناها، فليسكن أفسح أطرافها، وأن يجعل خواصه كنفاً له من سائر جهاته.
- أن يحوطها سور خوف اغتيال الأعداء لها لأنها بجملتها دار واحدة.
- أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها[2].

علماً أن الصفحات التالية تبيّن توفر معظم تلك الشروط في المدن الكردية، القديمة منها والمستحدثة في العهود الإسلامية.

أ- دور مصادر المياه في العمران والتخطيط العمراني

تطرق البلدانيون المسلمون إلى حقيقة أساسية في نشأة العمران وقيام التجمعات السكانية واتساعها المتمثلة في أهمية الأنهار والروافد ومصادر المياه الأخرى، كالعيون والآبار التي تكثر في المناطق الجبلية، والتي كانت عاملاً أساسياً

1- ينظر: وليد عبد الله المنيس، التفسير الشرعي للتمدن، نشرة البحوث الجغرافية (جامعة الكويت: د/ت)، ص21.

2- سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق ناجي التكريتي، (بيروت: 1981)، ص192.

في قيام التجمعات السكانية والتخطيط العمراني لها، وبالتالي فإن بلاد الكرد تعدّ من أقدم المواطن البشرية في التاريخ، وذلك لما للمياه من الدور المؤثر في التجمعات السكانية. ومن أوائل البلدانيين الذين ركزوا على هذه المسألة، الاصطخري وابن حوقل والمقدسي.

ولما كان اعتماد الكرد على الأنهار والآبار معاً، فالبلدانيون في وصفهم للمدن الكردية ذكروا عن سكان مدينة همذان بأن: «لهم مياه وبساتين وزروعاً كثيرة خصبة»(١). وكذلك بارد المياه كثير العيون(٢) والدينور «لها مياه»(٣) و نهاوند "لها أنهار"(٤)، وفي «الصيمرة والسيروان يجري الماء من خلال الدور والمحال»(٥).

أما إقليم الجزيرة، فلكثرة ما بها من المناطق الجبلية المطيرة شتاءً، فقد كان غنياً بالمياه الجوفية، وتكثر فيه العيون، وكان يخرج من مدينة رأس العين أكثر من ثلاثمائة عين ماء صافية «وهذا ما لا يحدث في أي بلد آخر من بلدان الإسلام»(٦). ووصف ابن حوقل جزيرة ابن عمر بأنها: «لها أشجار ومياه»(٧) كما ذكر أن مدينة نصيبين: «مخرج مائها عن شعب جبل يعرف ببالوسا، وهو أكثر مكان بها حتى ينسبط في بساتينها ومزارعها، ويدخل إلى الكثير من دورها ويغدق البرك إلى قصورها»(٨).

أما المدن القريبة من الأنهار فقد وردت عنها إشارات عديدة في كتب البلدان، فكانت مدينة ميافارقين «محتفة الأنهار»(٩) ومدينة سوق الأحد في ضواحي الموصل تحادد الجبل على نهر قريب منه(١٠). ومدينة سنجار كانت لها أنهار جارية وعيون كثيرة(١١).

---

[1]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص117. ابن حوقل، مصدر سابق، ص308.

[2]- المقدسي، مصدر سابق، ص30.

[3]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص117.

[4]- المصدر نفسه، ص118. ابن حوقل، مصدر سابق، ص313. المقدسي، مصدر سابق، ص30.

[5]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص314.

[6]- المصدر نفسه والصفحة.

[7]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص53. صورة الأرض، ص202.

[8]- صورة الأرض، ص191.

[9]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

[10]- المصدر نفسه، ص196.

[11]- المصدر نفسه، ص199. المقدسي، مصدر سابق، ص124.

ولكثرة عيون مدينة آمد فقد أقيمت عليها طواحين[1]. وكانت مدينة معلثايا على نهر[2]، وكذلك مدينة الحسنية[3]. وكانت مدينة بدليس بأرمينيا تقع في وادٍ عميق يجري فيه نهران[4]. وكان في دبيل نهر غزير، وفي خلاط نهر، وكذلك بأرمية[5].

ويظهر مما أورده البلدانيون أنه لفتت نظرهم كيفية إيصال المياه وخاصة مياه الشرب إلى المحلات والدور السكنية، وذلك عن طريق القنوات التي استخدمت في بعض المدن مثل مدينة دارا التي كانت لها قناة (تعمّ البلد وتجري فوق السطوح، وتقرُّ في الجامع ثم تنحدر إلى وادٍ)[6]. كما ذكر ناسخ كتاب ابن حوقل أن مدينة ماردين كانت المياه تصل إلى سكانها من عيون مجرورة في قنوات خاصة، ثم استخدموا الصهاريج والبرك ليجمعوا ماء المطر، بعد أن لم يعد تكفيهم المياه لزيادة السكان وتوسع المدينة[7].

وكانت المياه تجري في منازل ميافارقين وأسواقها[8]. وفي الصيمرة والسيروان كانت المياه تجري في الدور والمحال[9]. وفي بعشيقا كان النهر يشقّ وسط المدينة[10].

وغالباً ما كان البلدانيون يشيرون إلى موقع المدينة من حيث مصادر المياه، منها ما أشار إليه الاصطخري أن مخرج ماء مدينة نصيبين كان من شعب جبل يعرف ببالوسا[11]. وفي الموصل (ليس لهم سوى ماء دجلة للشفة)[12]. ومدينة دارا

---

[1] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص201.
[2] - المقدسي، مصدر سابق، ص123.
[3] - المصدر نفسه والصفحة.
[4] - المصدر نفسه، ص289.
[5] - المصدر نفسه والصفحة.
[6] - المقدسي، مصدر سابق، ص124.
[7] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.
[8] - صورة الأرض، ص202.
[9] - المصدر نفسه، ص118.
[10] - ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص259.
[11] - الاصطخري، المسالك والممالك، ص52.
[12] - المصدر نفسه والصفحة. والشفة: الشرب.

تشتمل على مياه جارية[1]. ومدينة رأس العين يخرج منها أكثر من ثلاثمائة عين ماء. وفيها أكثر من بئر عليها شبابيك الحديد والخشب[2]. ومدينة جزيرة ابن عمر (لها أشجار ومياه)[3]. وكذلك الحال عن مدن غربي إقليم الجبال، فكانت في مدينة السيروان عيون ماء متفجرة، تجري في وسط المدينة وصولاً إلى أنهار عظام، تسقي المزارع والقرى والضياع والبساتين على مسافة ثلاثة أيام، ومن طبيعة تلك العيون أنها حارة في الشتاء وباردة في الصيف[4]. ومدينة الصيمرة كانت فيها عيون وأنهار تسقي القرى والمزارع[5].

وورد أنه كانت لهمذان عيون وأودية وأنهار[6]، تجري شتاءً وصيفاً، وكان شرب أهلها منها[7]. وفي قرميسين مياه جارية[8] وكذلك في الدينور[9] ونهاوند «لها أنهار»[10]. ومما سبق يتبين لنا الدور الكبير الذي لعبته مصادر المياه في بلاد الكرد والتي ساعدت على تشييد وحدات عمرانية فيها وهذا ما أكدّ عليه البلدانيون المسلمون بجلاء.

ب- دور العامل التجاري

كما كان للعامل التجاري دوره المؤثر أيضاً في قيام التجمعات السكانية، فالأماكن الواقعة على الطرق التجارية سرعان ما كانت تغدو مراكز حضرية[11]، فازدهرت بعض المدن تجارياً نتيجة لالتقاء طرق المواصلات البرية عندها.

فقد كانت حلوان تقع على طريق (خراسان العظيم) التجاري مما أكسبها أهمية كبيرة، في حين كانت همذان من أبرز المدن التجارية في إقليم الجبال قاطبة.

1- المصدر نفسه والصفحة.

2- ابن حوقل، مصدر سابق، ص200

3- الاصطخري، المسالك والممالك، ص53.

4- اليعقوبي، مصدر سابق، ص39.

5- المصدر نفسه والصفحة.

6- الاصطخري، المسالك والممالك، ص117. ابن حوقل، مصدر سابق، ص306. اليعقوبي، مصدر سابق، ص41.

7- اليعقوبي، مصدر سابق، ص41.

8- المصدر نفسه والصفحة.

9- الاصطخري، المسالك والممالك، ص117. ابن حوقل، مصدر سابق، ص307.

10- المصدر نفسه، ص118، ص308.

11- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

والواقع أن ذلك الإقليم وخصوصاً غربه، كان الرابط بين مركز الخلافة العباسية والأقاليم الشرقية، حيث كانت القوافل التجارية تمر عبره من بغداد إلى خراسان وبالعكس، وهي تسلك طريق (خراسان العظيم)[1].

ومن هنا فإن بقاء وصمود بعض مدن الإقليم يمكن تعليلها بالموقع الجغرافي الواقع على طرق التجارة.

وتمثل مدينة دنيسر خير نموذج على إظهار دور العامل التجاري في نمو وازدهار المدن؛ حيث كانت تلك المدينة أحد المواضع في الجزيرة الفراتية التي لم يذكرها بلدانيو القرن الرابع الهجري، وإن الوصف التفصيلي الذي وصلنا عنها يعود إلى زمن ناسخ كتاب ابن حوقل في سنة (534 هـ/1139م) فهو يشير إلى الموضع من خلال وصفه حصن ماردين ذاكراً: «وتحتها في الصحراء من جانب القبلة على أربعة فراسخ منها أو أقل، موضع يعرف بسوق دنيسر، كان قبل هذا قرية، يجتمع الناس في صحرائها كل يوم أحد للبيع والشراء، ويجلب إليها الجهاز من سائر البلدان، قد استوطنها الناس من كل فجّ عميق وكثر بها الارتفاع[2] والضمانات»[3].

يستشف من هذا النص أن القرية الصغيرة قد كانت تتحول إلى سوق أسبوعية عند يوم الأحد من كل أسبوع، ثم تطورت فيما بعد إلى مدينة عامرة تضاهي أكبر المدن الإسلامية. ولتأكيد هذه التحولات الحضرية السريعة التي شهدها ذلك الموضع لأسباب تتعلق بالمواصلات البرية ومرور الطرق التجارية عبرها، يمكننا الاستدلال بما ورد عن ياقوت في وصف البلدة قائلاً: «بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين بينهما فرسخ، ولها اسم آخر يقال له (قوج حصار)، رأيتها وأنا صبي، وقد صارت قرية ثم رأيتها بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة وقد صارت مصراً لا نظير له كبراً، وكثرة أهل، وعظم أسواق، وليس لها نهر جارٍ إنما شربهم من آبار عذبة طيبة مرية وأرضها حرة وهواؤها صحيح»[4].

1- ينظر: قحطان عبد الستار الحديثي، طريق خراسان، مجلة كلية الآداب (جامعة البصرة:1991)، العدد الثاني والعشرون، ص9.

2- الارتفاع، مبلغ ما يستحصل من المال من دواوين الدولة أو مجموع الاموال الديوانية كلها. ينظر: الصابئ، رسوم دار الخلافة، ص21.

3- صورة الأرض، ص202.

4- معجم البلدان، ج4، ص318.

إن من يقارن بين أوصاف ناسخ كتاب صورة الأرض وأوصاف ياقوت الحموي يجد أن بينهما تشابه واضح من عدة وجوده، في مقدمتها أن الموضع يرجع تقريباً إلى زمن متقارب، وأن زيارات كليهما له كانت أيضاً متقاربة تقدر بحوالي منتصف القرن السادس الهجري. وقد تطورت دنيسر من قرية صغيرة.. مباشرة إلى مدينة عظيمة ومصر فهو تحول جذري وسريع في مرتبتها الحضارية بلا شك.

ت- دور عامل المناخ

ومما ضاعف أهمية بلاد الكرد من الناحية العمرانية والسياحية منذ عصر ما قبل الإسلام هو الظروف المناخية المساعدة التي ساهمت بالتضافر مع وفرة مصادر المياه والجمال الخلاب الذي تتسم به المنطقة، التي جعلت منها أشبه بمنتزهات تتجه إليها الأنظار، وتجذب إليها القلوب، كما ولفتت هذه الناحية أنظار البلدانيين والرحالة وعبّروا عنها أدبياً ووجدانياً في كتاباتهم.

فقد ورد أن ملوك الفرس (الأكاسرة) اتخذوا من الجبال مصايف لهم لطيب هوائها وسلامتها من سموم العراق وسخونة مائه وكثرة ذبابه وهوائه وحشراته، ولذلك قال أبو دلف:

وأنّي امرؤ كسروي الفعال أصيف الجبال وأشتو العراقا[1]

وقال أيضاً:

ألم ترني حين حال الزمان أصيف العراق واشتو الجبالا

سموم المصيف وبرد الشتاء حنانيك حالاً ازالتك حالا

فصبراً على حدث لنائبات فإنّ الخطوب تذل الرجالا

ويخصوص بناء مدينة قرميسين (كرمنشاه) ذكر ابن الفقيه الهمذاني أن الملك الساساني قباذ بن فيروز نظر في بلاده، فلم يجد بين المدائن وبلخ موضعاً أطيب هواءً، ولا أعذب ماءً، ولا أصح تربةً من قرميسين، فوقع اختياره عليه ليجعله سكناً له[2].

---

[1]– ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص215 – 216. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص27.

[2]– مختصر كتاب البلدان، ص195. ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص58.

كما وصفت مدينتا الصيمرة والسيروان بأنهما نزهتان[1]. وكذلك الحال فيما يتعلق ببعض مدن الجزيرة التي تغنّى بها الشعراء وفضلوها على بغداد، واتخذت كمصايف ومراجع، ومما أوردها بهذا الشأن:

بقردي وبازبدي مصيف ومربع وعذب يحاكي السلسبيل برود

وبغداد ما بغداد أما ترابها فحمّى وأما بردها فشديد[2]

وقد وصفت مدينة الحديثة الواقعة على نهر دجلة من ناحية الشرق بأنها "نزهة جداً." وذكر ابن حوقل أنه: "وجدت حول نصيبين ديارات وبيع وفلايات تقصد للنزهة، وتنتجع للفرحة والفرج". وهي كانت من أكثر مدن الجزيرة متنزهات وخضرة ونضرة[3].

أما مدينة رأس العين فكانت لها عيون كثيرة صافية تتجمع كلها في موضع واحد مكوّنة نهر (الخابور) وأشهر تلك العيون كانت عين آلاس وعين الصرار وعين الرياحية وعين الهاشمية وغيرها. روي أن الخليفة المتوكل (223 – 247 هـ/846 – 861م) نثر فيها عشرة آلاف درهم، ونزل أهل المدينة إليها فوجدوها وأخذوها لصفاء الماء، ولم يفقد منها شيء! أي أن مع عمق العين الذي يقدر بحوالي عشرة أذرع فإن قعرها يتبين بجلاء للناظر إليها من الأعلى، وذلك لصفاء مائها. ونقل ياقوت عن أحمد بن طيب السرخسي أن الخليفة المتوكل اتخذ عند إحدى العيون، وتدعى الزاهرية قصراً له. وكانت الزوارق الصغار تدخل إلى عين الزاهرية والى عين الهاشمية حيث كان الناس يركبون فيها للتوجه إلى بساتينهم. وذكر ياقوت أن تلك الحالة لم تكن قائمة في عهده[4].

أما فيما يتعلق باضمحلال دور المدن وضعف شأنها والعوامل المؤدية إلى ذلك. فقد انتبه إليه بعض البلدانيين، كأن يكون نتيجة لتغير العلاقات المكانية أو التغير في المسالك التجارية أو عوامل سياسية أو غير ذلك[5].

---

[1] – الاصطخري، المسالك والممالك، ص118.

[2] – ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص86. ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص256.

[3] – الاصطخري، المسالك والممالك، ص53.

[4] – معجم البلدان، ج4، ص380.

[5] – حول عوامل اندثار المدن، ينظر: أحمد علي اسماعيل، دراسات في جغرافية المدن (القاهرة:1985)، ص35.

ويحتل ابن حوقل موقع الصدارة بين البلدانيين في رصد مثل تلك الحالات، حيث تطرق إلى تأثر عدد من مدن الجزيرة وضعف شأنها كثيراً بسبب الأعمال العدوانية التي كان يقدم عليها الحمدانيون[1] ضدّها وتواطؤهم مع الروم مما أدى إلى هلاك العباد وتدمير البلاد، ومن تلك المدن نصيبين وكفرتوثا ودارا ورأس العين وجزيرة ابن عمر وكذلك ميافارقين وارزن وما كان يحيط بها حيث (أخذوا قراها وضياعها وعضدوا أشجارها وزروعها إلى أن جعلت كالخاوية على عروشها)[2].

كما أدت الحروب السجال بين المسلمين والروم وتخاذل بعض حكام المسلمين فيها إلى اضمحلال دور بعض المدن كثغور الجزيرة، فقد كانت لآمد ضياع ورساتيق وقصور ومزارع (هلكت بضعفهم واقتدار العدو عليهم وقلة المغيث وكثرة التآمر، ولم يبقى للمسلمين ثغراً أجلّ ولا أمنع جانباً سوره منه وقلما ينفع السور بغير رجال والسلاح بغير مقاتل)[3].

وذكر ناسخ كتاب صورة الأرض أنه دخل مدينة آمد سنة (534 هـ/1139م) ولم يكن بها إلا بقايا رمق، وكان ظلم وتعسف حكامها قائمين بحق سكانها (فألجأهم إلى التشتت عن الأوطان، والبعد عن الأهل والإخوان، فخربت بيوتهم وانمحت آثارهم فلم يبق بأسواقها حانوت معمور، فضلاً أن يقال مسكون)[4].

ولكن بعد أن تم استيلاء الملك العادل أبي عبد الله محمد بن قره أرسلان الأرتقي (570 – 581 هـ/1174 – 1185م) على المدينة في سنة (579 هـ/1183)[5] تغيرت الأوضاع فيها، ودبّت الحياة في عروق أهلها وأعيد العمران[1].

1- الحمدانيون: بطن من بطون تغلب بن وائل من العرب العدنانية، وينتسبون إلى جدهم أبي العباس حمدان بن حمدون وبه تسقوا، وهو أقدم فرد في الأسرة الحمدانية له دور في التاريخ. ويمتد تاريخ دولتهم نحو مائة عام، أي منذ قيام إمارتهم في الموصل عام (293هـ/905 – 906م) حتى سقوط إمارتهم في حلب عام (392 هـ/ 1001م). للمزيد ينظر: فيصل السامر، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، (بغداد:1970).

2- صورة الأرض، ص192.

3- ابن حوقل، مصدر سابق.

4- المصدر نفسه والصفحة.

5- كان ذلك بموافقة السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد أن اعترف الارتقيون في ديار بكر بسيادة صلاح الدين. ستانلي لين بول، الدول الإسلامية، ترجمة محمد أحمد دهمان، (دمشق:د/ت)، ق1، ص351.

ومما سبق يتبين أثر العامل السياسي على العمران والاستقرار، وأن تلك المقارنة التي أجريت بين حالة مدينة آمد في عهدين مختلفين تدّل على عمق توجه وإدراك الكاتب بشأن العوامل المؤثرة سلباً أو إيجاباً في العمران.

ولكون الجزيرة مركزاً يجتمع فيه الخوارج، ويتحصنون في مواقعها المحصنة، ومنها يتعرضون لمصالح السلطة الحاكمة، ويقفون في طريق القوافل التجارية مما أثر سلباً على مدن الجزيرة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، المثال على ذلك جزيرة ابن عمر التي كانت (على شفا حرب بين الخوف والرجاء بها تجارة دائمة لو تركتها السلاطين، وربح ومضطرب لو لم يجر فيها حكم الشياطين والخوارج)[٢].

كما كان توتر الأوضاع الداخلية لبعض المدن والنزاعات المحتدمة بين أبناء المدينة الواحدة من عوامل ضعفها ونذيرة خرابها. مثلما كان الحال في مدينة السنّ الواقعة شرقي دجلة في حدود جبال بارما (حمرين) حيث (كان عليها سور قد خرب أكثره وفي أهلها جور وشر وبينهم حنّات وضغائن، وليست ببعيدة الخراب)[٣].

وكذلك ما حدث للمنطقة الواقعة بين الزابين (حيث كانت الضياع بها ظاهرة والسكان بها إلى عهد قريب على حالة صالحة وافرة، فتكاثرت عليهم البوادي واعتورتهم الفتن فصارت قفاراً من السكان يباباً بعد العمران)، فغدت في فصل الشتاء مشاتي للكرد الهذبانيين ومصائف لبني شيبان في فصل الصيف[٤].

وقد يكون تغير الأوضاع في مدينة ما واضمحلال دورها يعود إلى استيلاء بعض العناصر البدوية عليه. نستكشف ذلك من نص أورده ابن حوقل، هو أن سيطرة بعض البدو من الأكراد على مدينة (ابهر) إحدى مدن كورة الري نواحي الديلم، أثرت سلباً على وضع المدينة (إذ لم تعد جليلة) كما كانت. وتنطبق الحال نفسها على مدينة جنديسابور التي كانت قصبة عامرة جليلة، ولكن في القرن الرابع الهجري (غلب عليها الأكراد) فتبدلت حالها[٥].

---

[1]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

[2]- المصدر نفسه والصفحة.

[3]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص203.

[4]- المقدسي، مصدر سابق، ص313.

[5]- المصدر نفسه والصفحة.

ثالثاً: المعالم العمرانية للمدن الكوردية

أكد البلدانيون المسلمون على خصائص المدن وأبرزوا معالمها والتي من دونها لا يمكن أن تكون في عداد المدن. وأنَّ تلك المعالم في معظمها عمرانية.

يلاحظ مما أورده أولئك البلدانيون أن غالبية المدن الكردية الواقعة في أقاليم متعددة، كانت محصنة وكانت للكثير منها أسوار ولمعظمها قلاع خاصة بها وذلك جزءاً من المتطلبات الدفاعية للأوضاع السائدة التي كانت تعيشها تلك المدن من الحروب والصراعات والتي كانت تقتضي تحصينات عمرانية تضمن الدفاع عنها وعن أهلها.

أ- الحصون والقلاع والأسوار

الحصن عبارة عن بناء متين يختار له موقع استراتيجي على طريق العدو، وقد يتطور الحصن إلى مدينة، وقد يبنى الحصن في قلب المدينة، فيصبح عند ذلك مدينة ملكية تبنى لكي يلجأ إليها الأمير وأهله. وقد يكون الحصن مجرد مسلحة ومخزناً للسلاح[١].

أما القلعة فهي في الغالب موقع هام في المدينة يبنى ليلجأ إليه الحاكم أو الأمير عند الشدائد[٢].

ويغلب الظن أن هناك فرقاً بين المعسكر والحصن والقلعة. فالمعسكر مجرد حائط محصّن يلجأ إليه سكان المنطقة في حالات الهجوم. في حين أن الحصن موضع محصن مأهول يشبه أن يكون مدينة وقد تتبعه حصون أخرى، أما إذا اتسع الحصن عن ذلك فيصبح (قلعة قديمة) أي حصناً كبيراً ومدينة كبيرة أيضاً[٣].

ونظراً لوقوع غالبية مواطن الكرد في المناطق الجبلية فقد انتشرت فيها القلاع والحصون على نطاق ملحوظ، ولا شك أنها كانت تعود إلى عهود قديمة، والجدير بالإشارة أن صاحب كتاب الفهرست، ذكر عنوان كتاب للمدائني يحمل عنوان (القلاع والأكراد)[٤] مما يؤكد ذلك الصلة الوثيقة بين الاثنين من جهة،

---

[1]- شاكر مصطفى، المدن في الإسلام، (الكويت: 1988). ج1، ص45.

[2]- شاكر مصطفى، مرجع سابق، ص203.

[3]- جمال حمدان، مرجع سابق، ص41.

[4]- ابن النديم، ص103. لسوء الحظ فإن الكتاب مفقود.

وكثرة عدد القلاع التي بناها الكرد، وتحصنوا بها في وجه الأخطار المحدقة بهم من جهة أخرى.

ومن الواضح أن الأوضاع السياسية السائدة والصراع الدائر بين مختلف القوى وخاصة الكبرى منها، أي الدولة الساسانية والدولة البيزنطية ثم الدولة الإسلامية، قد نجمت عنها العديد من الحروب، وكانت مناطق سكنى الكرد مسرحاً للمواجهات العسكرية. ومن هنا فإن اتخاذ الإجراءات التحصينية والاحترازية من قبل الأمراء الكرد كان أمراً ضرورياً. أضف إلى ذلك أن الصراعات الداخلية بين القوى المحلية العاملة ضمن الدولة الإسلامية وخاصة في العصر العباسي كانت تتطلب إقامة القلاع الحصينة حفاظاً على الاستقلال الذاتي الذي طالما جاهد من أجله الكرد.

وكان الحكام والأمراء المحليون يعمدون إلى تحصين المدن بالأسوار العالية ذات الأبواب المحكمة، وكانوا يحيطون تلك الأسوار بخنادق عميقة، كل ذلك منعاً لدخول الأعداء إلى مدنهم.

وعادة كانت القلاع تبنى في مواقع حصينة أو عالية جداً، بحيث يتعذر على العدو الوصول إليها، واختيار الموقع له أهميته بالنسبة للدفاع عن المدينة؛ فالأساس فيها أن يكون في مكان بحيث تؤدي وظيفة الدفاع والحماية ولو حتى كانت بعيدة. فقد كانت قلعة جبل ماردين – على سبيل المثال – بمكان من المناعة بحيث لم يكن بالمستطاع فتحها عنوة. ذكر الاصطخري أن ارتفاع الجبل من الأرض إلى القمة نحو فرسخين (12كم)، وهذا مبالغ فيه.

ولحصانة القلعة أهمية بالغة، كان الوالي يتخذها أحياناً مقراً له. مثل قلعة جرذقيل بالزوزان[1].

يذكر أن الحصون الدفاعية كانت معلماً رئيسياً للمدن الإسلامية، بل أن كثيراً من هذه المدن قامت أصلاً كمعسكرات وقلاع في مطلع الفتح الإسلامي[2].

وربما بنيت بعضها في العصور التي سبقت الإسلام، ويصفها البلدانيون بالقديمة، وقد يشيرون إلى بناتها[1].

1– ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص488.

2– أحمد علي إسماعيل، مرجع سابق، ص67.

ويأتي المقدسي ﴾ مقدمة بلدانيي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، الذين أعطوا التحصينات المتخذة ﴾ النواحي والمدن الكردية أهميتها، مع الإشارة إلى المواد المستخدمة ﴾ وصف مدينة الجبال التابعة لإقليم الجزيرة بأنها حصينة وبها قلعة[٢]. وعن حصن كيفا ذكر أن (بها قلعة حصينة)[٣] وبالقرب منها قلعة حصن طالب كان يسكنها الكرد الجوبية، وتغلب عليها قرة أرسلان بن داود بن نعمان صاحب حصن كيفا بعد سنة (560 هـ/1164م)[٤]. وآمد (بلد حصين)[٥]. والتي كانت مبنية من (حجارة شبه ثوران)[٦] ووصف حصن دبيل بـ (المنيع والوثيق)[٧].

وبالنسبة إلى أرمية أشار إلى أن قلعتها عامرة، ولها حصن[٨]. أما قلعة سرماركي الواقعة بين تفليس وخلاط فقد وصفها ياقوت بأنها مشهورة[٩]. وقلعة آني قلعة حصينة تقع ﴾ المدينة الواقعة بين خلاط وكنجة[١٠].

أولى ياقوت اهتماماً بالغاً بموضوع القلاع والحصون فأورد ذكر العديد منها وكذلك وصفها، ثم بيان مدى حصانتها والدور الذي اضطلعت به، ويبدو أن جل تلك القلاع كانت منتشرة ﴾ أراضي الجزيرة وحول الموصل، فعلى سبيل المثال وصف مرج الموصل الذي كان يعرف بمرج عبيدة عن جانبها الشرقي بأنه (موضع بين الجبال ﴾ منخفض من الأرض شبيه بالغور فيه مروج وقرى، ولاية حسنة واسعة وعلى جباله قلاع)[١١].

ونقل عن ابن الأثير أم ﴾ ناحية الزوزان بالجزيرة قلاع كثيرة حصينة (وكلها للأكراد البشنوية والبختية)[١٢] ومن تلك القلاع والحصون التي أوردها ياقوت:

1- ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص39. ج5، ص36.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- المصدر نفسه والصفحة. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص153.

4- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص153.

5- المقدسي، مصدر سابق، ص124.

6- المصدر نفسه، ص289.

7- المصدر نفسه والصفحة.

8- المصدر نفسه والصفحة. القزويني، آثار البلاد، ص293. ص494.

9- ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص42.

10- المصدر نفسه، ج1، ص58.

11- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص244.

12- المصدر نفسه، ج4، ص488. ينظر كذلك: ابن الأثير، مصدر سابق.

- قلعة خوشب: لم يزد ياقوت عن أنها إحدى قلاع الزوزان[١].
- نيروة: من قلاع ناحية الزوزان لصاحب الموصل[٢].
- برخو: قلعة من قلاع ناحية الزوزان لصاحب الموصل[٣].
- باز: وباز الحمراء قلعة من نواحي الزوزان التي للأكراد البختية[٤].
- باخوخا: قلعة من أعمال الزوزان لصاحب الموصل[٥].
- بشير: من قلاع البشنوية الأكراد من نواحي الزوزان[٦].
- آتيل: إحدى قلاع الأكراد البختية المعروفة بناحية الزوزان[٧].
- اروخ: قلعة من نواحي الزوزان لصاحب الموصل[٨].
- القى: قلعة حصينة من قلاع ناحية الزوزان لصاحب الموصل[٩].
- فنك: قلعة حصينة منيعة للأكراد البشنوية قرب جزيرة ابن عمر بينهما حوالي فرسخين (12كم)، وكانت خارجة عن سلطة صاحب الموصل[١٠].
- آشب: كانت من أجمل قلاع الهكارية ببلاد الموصل، خربها عماد الدين زنكي[١١] مؤسس الدولة الزنكية وبنى بدلاً عنها العمادية بالقرب منها[١٢].
- جلّصورى: اسم قلعة في جبال الهكارية بأرض الموصل[١٣].

1- المصدر نفسه، ج3، ص261.
2- المصدر نفسه، ج8، ص422.
3- المصدر نفسه، ج2، ص297.
4- المصدر نفسه، ج2، ص256.
5- المصدر نفسه، ج2، ص253.
6- المصدر نفسه، ج2، ص339.
7- معجم البلدان، ج4، ص448.
8- المصدر نفسه، ج3، ص261.
9- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص422.
10- المصدر نفسه، ج2، ص297.
11- ينظر عنه: عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، (الموصل:1985).
12- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص256.
13- المصدر نفسه، ج2، ص253. وجلصورى: كلمة كردية معربة مركبة من (گول) و (صور) أي الوردة الحمراء.

- اردمشت: قلعة حصينة قرب جزيرة ابن عمر في شرقي دجلة على جبل الجودي وكانت في عهد ياقوت حالها حال معظم قلاع ناحية الزوزان الأخرى خاضعة لصاحب الموصل بدر الدين لؤلؤ (615 – 630 هـ/1218 – 1233م). وكانت عامرة ويظهر أن أهل اردمشت خرجوا على الخليفة العباسي المعتضد بالله، وتحصنوا داخل القلعة، بحيث لم يستسلموا إلا بعد أن أجهز عليها الخليفة بنفسه فنزل عليها. واضطر أهلها إلى تسليم القلعة إليه، فأقدم على تخريبها قبل أن يقفل راجعاً. ويضيف ياقوت في ذلك أن المعتضد لما افتتحها بعد أن أعيت أصحابه وشاهد قلّة دخلها أمر بخرابها وانشد فيها:

أنا آبا الوبر لصعب المقتتص وهو إذا حقل ريح في قفص[1]

وأعاد بناءها ناصر الدولة الحمداني[2].

- الكواشي: وهو الاسم الحديث لقلعة اردمشت في عهد ياقوت القلعة التي ذكر أنه ليس إليها طريق إلا لرجل واحد[3]. وتقع بالقرب من دهوك.

- قلعة كركر: نقل ياقوت عن ابن الأثير بأنها حصن بين ملطية وآمد وكانت إلى الأولى أقرب[4].

- دير الزعفران: وهي قلعة قريبة من قلعة اردمشت[5].

- الباز الأشهب: وكانت قلعة تابعة للحمدانيين وهي على جبل ماردين بالقرب من نصيبين[6]. ووصف الرحالة ابن جبير القلعة بأنها كبيرة وهي (من قلاع الدنيا الشهيرة)[7].

1- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص339.

2- ناصر الدولة الحمداني: استقر حكمه في الموصل لفترة طويلة امتدت (317 – 356 هـ/923 – 967م) باستثناء فواصل قصيرة بين سنتي (317 – 323 هـ)، وقد تجاوز حكمه الموصل وما حولها من ديار ربيعة وديار مضر، خلعه ابنه أبو تغلب الغضنفر عام (356 هـ/967م). وتوفي عام (358 هـ/969). ينظر: فيصل السامر، مرجع سابق، ص67.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص134.

4- المصدر نفسه، ج7، ص131.

5- المصدر نفسه، ج1، ص198.

6- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص55.

7- رحلة ابن جبير، ص215.

- قُمير: وهي قلعة في الجبال كانت تقع ما بين مدينتي الموصل وخلاط[1].

- سرجة: حصن يقع بين مدن كل من نصيبين ودنيسر ودارا، بناه الروم وكان باقياً إلى عهد ياقوت الذي وصف طوله وعرضه بعد أن شاهده، بأنه في طول ستة أبراج في عرضه مما يلي الطريق أربعة أبراج[2].

- الجريرة: وهي قلعة في كورة بين النهرين واقعة بين مدينتي نصيبين والموصل وغالباً ما كانت تحت سيطرة صاحب الموصل[3].

- هرور: حصن تابع لأعمال اربل في جبالها من جهة الشمال[4]. وتعرف الآن بـ (هه رير).

- خفيان (خفتيدكان): قلعتان تابعتان لأعمال اربل، وصفهما ياقوت بأنهما (عظيمتان) كانت إحداهما تعرف بـ (خفتيان الزرزاري) وكانت على رأس جبل يجري من تحتها نهر عظيم وتحتها وادٍ كبير على طريق مراغة[5]. أما الثانية فكانت أعظم من الأولى وهي خفتيان سرخاب بن بدر أحد أمراء العنازين وكانت تقع على طريق ما بين اربل وشهرزور[6].

- كرخيني: رآها ياقوت ووصفها بأنها قلعة (في وطأة من الأرض حسنة حصينة بين دقوقا واربل... وهي على تلّ عال ولها ربض صغير). والمقصود بها قلعة كركوك.

- سرماج: ذكر أحد الرحالة أن رجلاً من الأكراد، ويقصد به أحد الأمراء الحسنويهيين[7]. نقض بعض صخور الدكان الموجود في قرية أبي أيوب – إحدى قرى غربي إقليم الجبال وبنى به ذلك الحصن المطل على القرية[8]. ولكن ياقوت

1- ياقوت، مصدر سابق، ج3، ص69.

2- ياقوت، معجم البلدان، ص36. وذكر ياقوت أن سرجة كلمة فارسية تعني رأس البئر. لكن الراجح أنها كلمة كردية الأصل جاءت من (سرجاوة) أي رأس العين، خاصة وأن المنطقة كردية وليست فارسية.

3- المصدر نفسه، ج3، ص39.

4- المصدر نفسه، ج8، ص476.

5- مراغة: بلدة مشهورة من بلاد أذربيجان، ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص238.

6- المصدر نفسه، ج3، ص240.

7- حول الحسنويين، ينظر: نشتمان بشير محمد، مرجع سابق، ص54 – 61.

8- مسعر بن مهلهل، مصدر سابق، ص25.

أورد معلومات أكثر دقة حين ذكر أن سرماج هي إحدى قلاع الأمير الحسنوي بدر بن حسنويه الكردي (369 – 405 هـ/ 972 – 1014م) صاحب شابور خواست[1]، وكانت تقع بين همذان وخوزستان في الجبال، وصفت بأنها من أحصن قلاعه وأشدّها امتناعاً[2].

– الهتاخ: قلعة خصينة في ديار بكر قرب ميافارقين[3].

– هرور: حصن منيع من أعمال الموصل من جهة الشمال يبعد عنها (30 فرسخاً/180كم) وهو من أعمال الهكارية بينه وبين العمادية ثلاثة أميال[4]. وهي غير هرور المذكورة سابقاً.

– حصن الدسكرة: والدسكرة قرية في طريق خراسان من شهربان وهي دسكرة الملك، حيث كان هرمز بن سابور بن اردشير بن بابك يكثر المقام بها فسميت بذلك[5]. وأضاف الاصطخري أن خارج القرية (حصن من طين داخله فارغ إنما هو مزرعة)[6].

– حصن الأكراد: وصف بأنه منيع حصين أقيم على جبل الجليل المقابل لمدينة حمص من جانب الغرب، والمتصل بجبل لبنان، والواقع بين مدينتي بعلبك وحمص، وقبل أن يتخذ هذا الموضع حصناً كان بعض أمراء الشام بنى فيه برجاً وجعل فيه طائفة من الكرد ليكونوا على خط المواجهة مع الصليبين وخصص لهم أرزاقاً؛ ثم خاف أولئك على أنفسهم من غارات العدو فشرعوا في تحصينه شيئاً

---

1 – شابور خواست: بلدة ولاية بني خوزستان وأصبهان، بينها وبين نهاوند (12 فرسخاً/72كم) ومنها إلى اللور (30 فرسخاً/180كم) وسبب تسميتها كما ذكره ياقوت هو أن شابور بن اردشير لما تخلى عن مملكته واختفى عن الأنظار بإيحاء من المنجمين. خرج أصحابه يطلبونه فلما وصلوا إلى نيشابور قالوا: نيست شابور أي ليس شابور فسميت نيشابور، ثم وصلوا إلى شابور خواست وعندما سئلوا هناك عما يريدون قالوا (شابور خواست) أي نطلب شابور فسمي الموضع بذلك ثم وقعوا إلى جنديسابور فوجدوه هناك فقالوا وندى شابور أي وجد شابور، ثم عربت وقيل جندشابور، معجم البلدان، ج5، ص6.

2 – المصدر نفسه، ج8، ص240.

3 – المصدر نفسه، ج8، ص486.

4 – المصدر نفسه، ج8، ص476.

5 – الاصطخري، المسالك والممالك، ص87. ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص476.

6 – ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص152.

فشيئاً إلى أن أصبح قلعة صدت الكثير من غارات الصليبيين، ولكن ما لبث أن باعه هؤلاء للصليبيين الذين ما انفكوا يشنون الغارات عليهم حتى استولوا عليه وغدا أحد أهم معاقلهم فيغيرون منه على حماة وحمص[1].

ويظهر أن حُماة الحصن من الكرد يئسوا من جدوى مقاومة المزيد من الهجمات الصليبية وأدركوا أنه خارج عن سيطرتهم لا محالة، فوجدوا أن التنازل عن مقابل مبلغ مادي أفضل من التخلي عنه بدون مقابل

الأسوار

أما الأسوار فهي إحدى مميزات المدن في العصور الوسطى الإسلامية حيث كانت المدن تحاط بأسوار حصينة حماية لها من الأخطار الخارجية.

وقد أشار البلدانيون والرحالة إلى العديد من الأسوار، ووصفوا بعضها بدقة بالغة بحيث يمكن للقارئ تصور صورة تلك الأسوار بناءً على وصفهم وتصويرهم، ومن ذلك وصف ابن مهلهل لسور مدينة دزدان التابعة لشهرزور بأنه عريض بحيث "تركض الخيل على أعلى سورها لسعته وعرضه"[2]، وحدد سمك سور مدينة ازري – قصبة شهرزور[3] – بثمانية أذرع[4-5].

ووصف الاصطخري سور آمد بأنه «في غاية الحصانة»[6] أما الرحالة ناصر خسرو الذي مر بالمدينة خلال رحلة الحج، فقد وصف سور المدينة وصفاً دقيقاً عندما قال « .. بلغنا آمد التي شيدت على صخرة واحد طولها ألفا قدم وعرضها كذلك. وهي محاطة بسور من الحجر الأسود، كل حجر منه يزن ما بين مائة إلى ألف من[7] وأكثر تلك الحجارة يلتصق بعضها ببعض من غير طين أو جص. مع أن ارتفاع السور عشرون ذراعاً وعرضه عشرة أذرع، وقد بني على بعد كل مائة ذراع

1- رحلة ابن جبير، ص299.

2- الرسالة الثانية، ص19. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص165. القزويني، آثار البلاد، ص398.

3- عند القزويني، (درذان) هي قصبة شهرزور. ينظر: آثار البلاد، ص398.

4- الذراع: كما عرفها القلقشندي، ست قبضات، قبضة إنسان معتدل، كل قبضة أربعة أصابع. كل إصبع ست شعيرات معترضة، ينظر: صبح الأعشى، ج3، ص446.

5- الرسالة الثانية، ص18.

6- المسالك والممالك، ص53.

7- الرسالة الثانية، ص19.

برج، نصف دائرته ثمانون ذراعاً، وشرفاته بنيت من الحجر نفسه، وقد شيدت في عدة أماكن داخل المدينة، سلالم من الحجر ليتيسر الصعود إلى السور»[1]، وقد بنيت قلعة على قمة كل برج[2].

وبالإضافة إلى ذلك البرج فقد كان خارج البرج سوراً آخر من الحجر نفسه، ارتفاعه عشرة أذرع ومن فوقه شرفات، فيها ممر يتسع لحركة رجل بكامل سلاحه، بحيث يستطيع أن يقف ويحارب فيه بسهولة، ولهذا السور الخارجي (أبواب من الحديد شيدت مخالفة لأبواب السور الداخلي بحيث لو اجتاز السائر أبواب السور الأول وجب عليه اجتياز مسافة لبلوغ أسوار السور الثاني تبلغ خمسة عشر ذراعاً)[3].

يظهر جلياً مما سبق روعة الوصف الذي قدمه ناصر خسرو لسور مدينة آمد ومدى الدقة التي اتصف بها وصفه، إذ يقرب الصورة جداً إلى القارئ بحيث يتصور السور وحصانته، بين الأسطر. وهو أحد أشهر أسوار العالم.

وبصدد أسوار ميافارقين التي كانت عاصمة الدولة المروانية الكردية[4]. فكان يحيط بها سور عظيم مبني من الحجر الأبيض الذي كان الحجر الواحد منه يزن خمسمائة منّ، وكان على بعد كل خمسين ذراعاً من السور برج عظيم من الحجر نفسه، وفي أعلى السور شرفات تعجّب ناصر خسرو من دقة بنائها فذكر بأنها (من الدقة بحيث تقول أن يد بناء ماهر أكملتها اليوم)[5]، كما وصف الاصطخري سور المدينة بأنه (سور دائر)[6].

وأشار ناصر خسرو إلى وجود سور آخر من الجانب الشمالي من ميافارقين[7].

1- سفرنامه، ص8.

2- البرج: غالباً ما يكون البرج منظر ومحرس في الحصن والقلعة. وهو جزء أساسي من النظام الدفاعي للمدن، لأنه يساعد على كشف الأخطار قبيل وصولها. ينظر: شاكر مصطفى، مرجع سابق، ج1، ص450.

3- سفرنامه، ص9.

4- للمزيد ينظر: الفارقي، تاريخ الفارقي، (القاهرة:1959)، عبد الرقيب يوسف، الدولة الدوستكية، ج1، ص؟.

5- سفرنامه، ص8.

6- المسالك والممالك، ص76.

7- سفرنامه، ص8.

أما مدينة نصيبين فكان يحيط بها سور نسب بناؤه إلى الروم، ومن بعدهم إلى الملك الساساني أنو شروان الذي أكمل بنائه بعد فتحه لها[1].

ب- الجوامع والمساجد وموقع الأسواق منها

وهما ركنان أساسيان في قيام المدن، وقد يكون في إحدى المدن أكثر من جامع وعدد من المساجد وغالباً ما يكون الجامع وسط السوق[2] أو في نهايتها أو بالقرب منها، حتى يسهل على أصحاب المحلات والحوانيت الوصول إليه في أوقات الصلاة، مما يوحي ذلك بوجود صلة قوية بين الجانب الروحي المتمثل في إقامة الصلوات في المساجد، والجانب المادي المتمثل في الأسواق وأماكن البيع والشراء، ومما تجدر الإشارة إليه أن المقدسي اهتم أكثر من غيره من البلدانيين بالإشارة إلى الجوامع وبيان مواقعها في المدن.

ففيما يتعلق بمدن غربي إقليم الجبال، وجد في مدينة همذان جامع وصفه المقدسي بأنه (رشيق)[3] ويقع في السوق[4]. وفي نهاوند جامعان[5]، أحدهما عتيق والآخر محدث[6]، مما يدل على كبر حجم المدينة وكان يوجد في مدينة قرميسين (جامع لطيف في الأسواق)[7] أي وسط السوق، أما بإقليم الجزيرة فقد كان الجامع في مدينة الحسنية يقع وسط المدينة[8].

وكذلك في آمد[9] حيث أسهب الرحالة ناصر خسرو في وصف مسجدها الجامع الذي كان مبنياً من الحجر الأسود بشكل لا نظير له في المتانة والإحكام، وأقيم في وسطها أكثر من مائتي عمود من الحجر، كل عمود عبارة عن قطعة واحدة، وفوق تلك الأعمدة، عقود من الحجر وقد نصبت فوقها أعمدة أقصر من

---

1 – ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص390. القزويني، أثار البلاد، ص476.

2 – للمزيد ينظر: عبد الرزاق عباس حسين، نشأة مدن العراق وتطورها، (بغداد:1973)، ص 27 – 28.

3 – ينظر حول الأسواق، الفصل التالي.

4 – المقدسي، مصدر سابق، ص300.

5 – المصدر نفسه، ص301.

6 – الاصطخري، المسالك والممالك، ص118. ابن حوقل، مصدر سابق، ص313.

7 – المقدسي، مصدر سابق، ص301.

8 – المصدر نفسه، ص123.

9 – المصدر نفسه، ص124.

ذلك، أما سقائفه فكانت على شكل الجملون، وكان يوجد في ساحته صخرة كبيرة عليها حوض كبير مستدير من الحجر، يبلغ ارتفاعه قامة رجل، ومحيط دائرته ذراعان، وفي وسط الحوض أنبوبة من النحاس، يتفجر منها ماء صاف، كما أشار إلى الميضأة[1] التي كانت بالمسجد ووصفها بأنها: "عظيمة جميلة الصنع بحيث لا يوجد أحسن منها"[2].

ومن جانب آخر أشار الرحالة الهروي إلى مساجد أخرى بآمد، منها مسجد كان يعرف بمسجد جبريل لأنه رؤي في المنام يكلم الرسول (ص)، ومسجد علي بن أبي طالب ومسجد أبي بكر الصديق ومسجد عمر بن الخطاب[3]، أما المسجد الجامع في مدينة ميافارقين فقد أكد ناصر خسرو على وصفه، ولو ذكر كل شيء حوله لطال الحديث، فاكتفى بذكر الميضأة التي عملت به وكان لها أربعون مرحاضاً تمر أمامها قناتان كبيرتان: الأولى ظاهرة ويستعمل ماؤها للوضوء والأخرى مدفونة لحمل الثقل وللصرف[4] أي لرمي الوساخات.

وهذا يبين مدى الاهتمام بالجوامع وأماكن الوضوء والحرص على نظافتها باستغلال المياه على أتم وجه.

كما ذكر الهروي أنه كان في ميافارقين ثمانية مساجد، قيل أن الصحابة (رضي الله عنهم) عمروها، وهي مسجد خزيمة ومسجد الطائي ومسجد إبراهيم ومسجد الخناديق ومسجد ياسين ومسجد أبي خالد ومسجد حرملة ومسجد علي بن أبي طالب[5].

ومن مساجد نصيبين ذكر مسجد باب الروم ومسجد أبي هريرة ومسجد زين العابدين ومسجد بني بكرة، والجامع القديم، ومسجد النبي (ص)، ومسجد باب سنجار الذي كان به مصحف عثمان بن عفان على حد زعم الهروي[6]. كما أشار ياقوت إلى جامع في قلعة اربيل[7].

1- الميضأة: من الوضوء أي مكان الوضوء والتهيؤ للصلاة.

2- سفرنامه، ص9.

3- الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص65.

4- سفرنامه، ص8.

5- الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص64.

6- المصدر نفسه، ص66.

7- معجم البلدان، ج1، ص116.

وبني جامع معلثايا على تل[1]، أما الجامع في الرها فكان واقعاً على طريق شعث[2] وربما لغلبة النصارى في تلك المدينة لم يبن الجامع في مركزها.

أما جامع مدينة دارا فكانت قناة الماء تمر فيه[3]، وكان الجامع في مدينة سنجار يقع في محلات الأساكفة[4]، التي كانت تكثر في المدينة[5].

وذكر ياقوت أنه كان في بعشيقا جامع كبير حسن له منارة[6].

أما بأرمينيا فإن الجوامع كثيراً ما كانت تقام في أو قرب الأسواق مثل مسجد الجامع ببرذعة[7]، وجامع أخلاط وجامع سلماس[8] وبني الجامع في دبيل على رابية كبيرة وكان إلى جنبه كنيسة[9]. مما يدل على العلاقات الجيدة والإيجابية بين المسلمين والنصارى في عاصمة أرمينيا. وقد كان الجامع يقام أحياناً في إحدى الأسواق المتخصصة، حيث كان جامع أرمية في سوق البزازين[10].

ووصف الجامع في مدينة قندرية التي أحدثها الكرد بأنه لطيف[11]، ولكن دون ذكر لموقعه.

ث- معالم عمرانية أخرى

بالإضافة إلى الجوامع والمساجد، التفت البلدانيون والرحالة المسلمون إلى العديد من المعالم العمرانية الأخرى في المدن، كالقصور والمباني العظيمة والحمامات والخانات والقناطر والجسور وغيرها.

فكانت توجد في الموصل (حمامات سرية ودور بهية)[12] كما كانت المدينة

1- المقدسي، مصدر سابق، ص123.

2- المصدر نفسه، ص125. والشعث: ما تفرق من الأمور، المعجم الوسيط، ج1، ص486.

3- المقدسي، مصدر سابق، ص124.

4- الأساكفة: مفردها إسكاف، أي صانع أياً كانت الصناعة.

5- المقدسي، مصدر سابق، ص124.

6- معجم البلدان، ج2، ص259.

7- المقدسي، مصدر سابق، ص124.

8- المصدر نفسه، ص288.

9- المصدر نفسه، ص289.

10- المصدر نفسه والصفحة.

11- المصدر نفسه والصفحة.

12- المقدسي، مصدر سابق، ص122.

(حسنة الفنادق على كل ركن فندق)[1] وفي ميافارقين خانات وحمامات[2]، وفي ماردين خانات[3]. ووصفت نصيبين بحماماتها الحسنة وقصورها المنيعة[4]. وكان يوجد في قرية المونسة القريبة من نصيبين والواقعة على طريق الموصل، خان تبرع بعمله أحد التجار كان يدعى سيابوقه الديبلي، في حوالي سنة (565 هـ/1169م)[5]. وكذلك كان هناك خان في إحدى القرى القريبة من سنجار ويدعى بارنجان[6].

وقد أعرب أحد بلدانيي القرن السابع الهجري عن إعجابه بحمامات مدينة سنجار العامرة بقوله: «وما رأيت أحسن من حماماتها»[7].

ووجد تحت قلعة حصن كيفا: «ربض عامر فيه الأسواق والحمامات والفنادق والمساكن الحسنة»[8].

ومن الملاحظ أنه عرفت بعض العمارات والقصور بأسماء بناتها، لذلك تغلب أسماء مشيديها على تلك المباني والقصور، مثل قصر (كثير) في نواحي الدينور نسبة إلى كثير بن شهاب الحارثي، الذي كان والي همذان والدينور من قبل المغيرة بن شعبة أيام الخليفة عمر بن الخطاب[9]. وعلى بعد أربعة فراسخ (24كم) من مرج القلعة كان هناك قصر يقال له قصر يزيد[10]، وذكر المقدسي أن عضد الدولة البويهي بنى على الجادة[11] داراً حسنة[1].

1- المصدر نفسه، ص123.

2- ناصر خسرو، مصدر سابق، ص8.

3- المقدسي، مصدر سابق، ص124. القزويني، آثار البلاد، ص260. ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص194.

4- المقدسي، مصدر سابق، ص122.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص348.

6- المصدر نفسه، ج2، ص255.

7- القزويني، آثار البلاد، ص393. وقد وصف تلك الحمامات بدقة بقوله: "بيوتها واسعة جداً وفرشها، وكذلك تازيرها، وتحت كل أنبوبة حوض حجرية مثخنة في غاية الحسن، وفي سقفها جامات ملونة بالأحمر والأصفر والأخضر والأبيض على وضع النقوش، فالقاعد في الحمام كأنه في بيت مدبج". ص393.

8- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

9- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص61.

10- ابن رسته، مصدر سابق، ص151.

11- الجادة: وسط الطريق أو الطريق الأعظم الذي يجمع الطرق، المعجم الوسيط، ج1، ص109.

وكان بقصر شيرين من الأبنية العظيمة الشاهقة ما يصعب على الحصر، وهي إيوانات كثيرة متصلة وخلوات وخزائن وقصور وعقود ومستشرفات وكذلك أروقة ومصايد وحجرات، وهي أن دلت على شيء فإنما تدل على القوة والبأس الشديد[٢].

لاشك أن تلك الإشارات البلدانية إلى القصور والفنادق والحمامات المنتشرة في المدن الكردية المختلفة تعكس جانباً هاماً في التمدن لدى المجتمع الكردي في العصور الإسلامية.

ومن ناحية أخرى، هناك إشارات بلدانية إلى عدد من القناطر المعقودة على الأنهار والأودية التي تصعب بدونها المواصلات، مثل قنطرة سنجة التي بنيت على نهر يقبل من أرمية عند مدينة الحسنية[٣]. وأقيم في عهد الأراتقة[٤] بالقرب من حصن كيفا قنطرة عالية حسنة البناء على نهر دجلة[٥]، وأشار أبو دلف إلى قنطرة النعمان وهي التي بناها ملك المناذرة النعمان بن المنذر على وادٍ عظيم عميق وعر قرب مدينة قرميسين وقال ابن الكلبي: «إن القنطرة قديمة وهي من بناء الأكاسرة، كانت تنسب إلى الملك النعمان بن مقرن، وسميت القنطرة باسمه لأنه عسكر عندها»[٦]. كما أشار ابن رسته إلى قنطرة بنيت على وادٍ بين قرميسين والدكان[٧].

1- أحسن التقاسيم، ص301.

2- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص58. أبو دلف، مصدر سابق، ص20.

3- المقدسي، مصدر سابق، ص12.

4- فخر الدين قرة أرسلان بن داود: الأراتقة: نسبة إلى ارتق بن الكسك التركماني، وكان أحد مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي، ومؤسس البيت الأرتقي هو معين الدولة سقمان بن ارتق الذي استولى على حصن كيفا سنة (495 هـ/1101م) ثم ضم إليها ماردين. وفي سنة (602 هـ/1205م) مم انقسمت دولة الأراتقة إلى قسمين، انتهى القسم الأول وكان بالحصن سنة (620 هـ/1223م) على أيدي الأيوبيين في حين طال عمر الآخر لماردين ليستمر حتى سنة (813 هـ/1421م) عندما سقط على أيدي قره قوينلو. محمد الخضري بك، مرجع سابق، ص452. عماد الدين خليل، الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام (465 – 812 هـ/1072 – 1409م) مؤسسة الرسالة، ط1، (بيروت:1980).

5- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

6- الرسالة الثانية، ص23، ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص96.

7- الأعلاق النفيسة، ص151.

ووجدت بين الصيمرة والطرحان قنطرة عظيمة وصفها أبو دلف بأنها كانت (بديعة عجيبة)[1] وكانت ضعف قنطرة خانقين التي وصفت بأنها عظيمة الشأن بنيت من حجر وآجر[2]، من أربعة وعشرين طاقاً، كل طاق يبلغ عشرين ذراعاً عليها طريق خراسان[3]. كما عقدت على وادي حلوان قنطرة[4] وبالقرب من جبل سميرة وجدت قنطرة عظيمة عجيبة البناء على وادٍ بعيد القعر[5].

ووصفت قنطرة ايذج بأنها من عجائب الدنيا المذكورة لأنها كانت مبنية بالصخر على واد يابس بعيد القعر[6].

ج- مواد البناء

من المعلوم أن إقامة الوحدات العمرانية لكي تتناسب مع المتطلبات الحياتية لسكانها تستوجب توفير مواد البناء المختلفة، مما حدا بالبلدانيين التطرق أيضاً إلى مواد البناء المستخدمة في تلك البنيان خلال تناولهم المدن الكردية كغيرها من المدن الإسلامية، وتعددت تلك المواد لتشمل الطين واللبن والحجر والآجر والجص والأخشاب وغيرها ولاشك أن أهمية كل منها تتفاوت بالمقارنة مع غيرها.

ومن بين مدن غربي إقليم الجبال التي استخدمت الطين في بناء دورها، ذكر البلدانيون مدينة نهاوند حيث كان (بناؤها من طين)[7]، وكذلك همذان[8]. ومدينة حلوان (بناؤها من طين وفيها أيضاً بناء حجارة)[9] ومن مدن الجزيرة مدينة الحديثة التي ذكر المقدسي أن (بنيانهم طين)[10] وكذلك مدينة معلثايا[11].

ووصف ناصر خسرو أحد أبواب ميافارقين بأن له عتبة عليها طاق حجري وقد ركب عليها باب من حديد لا خشب فيه[12].

1- الرسالة الثانية، ص20. ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص211.

2- ابن رسته، مصدر سابق، ص150.

3- أبو دلف، مصدر سابق، ص24.

4- المصدر نفسه، ص41. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص229.

5- أبو دلف، مصدر سابق، ص24.

6- المصدر نفسه والصفحة.

7- الاصطخري، المسالك والممالك، ص188.

8- المصدر نفسه، ص118.

9- الاصطخري، المسالك والممالك، ص118.

10- المقدسي، مصدر سابق، ص123.

11- المصدر نفسه والصفحة.

12- سفرنامه، ص8.

ومن عجائب العمران المبني بالحجارة قصر اللصوص بقرميسين، حيث الدكة التي كانت به تبلغ قياساتها مئة ذراع في مئة ذراع وارتفاعها عشرون مربعاً، كانت حجارتها مهندمة مستمرة بمسامير الحديد بشكل محكم للغاية بحيث لا تظهر، دروز الأحجار ويعتقد من ينظر إليه كأنه حجر واحد. وكان مثال إعجاب ملوك الأرض[1]. ووصف أبو حامد الغرناطي القصر بقوله: «وهو ذو أبواب شاهقة وأسطوانات محكمة من الحجارة السود التي لا يعمل الحديد فيها شيئاً»[2].

وقد كان الجص أحد المواد التي شاع استعمالها في أنحاء مختلفة من العالم المعمور، ومنها مناطق سكنى الكرد. حيث اعتمدوا عليه لتوفره وكذلك لمواصفاته الجيدة كمادة متماسكة قوية تتلائم مع الظروف الحرارية السائدة شأنها شأن اللبن والطين. وأكد ابن حوقل أن جميع مدن الجبال سوى الري كان بناؤها بالجص[3]. ومن الإشارات البلدانية بشأن استخدام هذه المادة ما ذكر عن الصيمرة والسيروان، فعلى الرغم من صغرهما كما يرى المقدسي فإن: «بناؤهما الغالب عليه الحجارة والجص»[4]، مثلهما مثل بناء الموصل[5]، وسكان رأس العين أيضاً بنيانهم من حجارة وجص[6]، وكذلك الحال في حصن كيفا[7].

كما نلحظ أن استخدام الحجر كمادة أساسية وشائعة في معظم المباني للمدن الكردية كان بسبب توفره وسهولة الحصول عليه. فكان سكان مدينة الجبال بإقليم الجزيرة بناؤهم من حجر وطين[8]. وكذلك سكان جزيرة ابن عمر بناؤهم حجارة[9]. ومدينة دارا «بنيانهم حجارة سود وكلس»[10]. وعمارات آمد كلها من الحجر الأسود في حين أن ميافارقين كانت عماراتها من الحجر الأبيض[11].

1- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص199. القزويني، آثار البلاد، ص433.
2- تحفة الألباب ونخبة الإعجاب، ص221.
3- صورة الأرض، ص315.
4- الاصطخري، المسالك والممالك، ص118.
5- الإدريسي، مصدر سابق، ج5، ص677.
6- المقدسي، مصدر سابق، ص124.
7- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.
8- المقدسي، مصدر سابق، ص124.
9- المصدر نفسه والصفحة.
10- المصدر نفسه والصفحة.
11- ناصر خسرو، مصدر سابق، ص9.

الفصل الرابع

المعطيات الاقتصادية والاجتماعية لبلاد الكورد كما أوردها البلدانيون

أولاً: المعطيات الاقتصادية

أ- الزراعة

ب- الثروة الحيوانية

ت- المعادن والعيون المعدنية

ث- الصناعة

ج- التجارة والأسواق

1- التجارة

2- الأسواق والأسعار

3- النظام النقدي

4- المكاييل والموازين

ثانياً: المعطيات الاجتماعية

أ- الأصول العرقية للكورد

ب- القبائل والطوائف الكوردية

ت- صفات وطبائع عامة

ث- المعتقدات والميول الدينية والمذهبية

إذا ما قارنا بين الجوانب الاقتصادية والجوانب الاجتماعية فيما يتعلق بمدى اهتمام البلدانيين المسلمين بهما لوجدنا أن الأولى حظيت باهتمام أكبر من الأخرى. ويلاحظ بوضوح إغفال المصادر القديمة للشؤون الاجتماعية وعدم حملها محمل الجد مقارنة بالشؤون الحياتية والأخرى.

أما المصادر البلدانية فعلى الرغم من أن العديد منها تطرقت إلى قضايا اجتماعية متفرقة إلا أنها مع ذلك كانت محدودة مقارنة بالحياة الاقتصادية التي احتلت حيزاً كبيراً من هذه المصادر. وخاصة إذا كان الموضوع يخص بلاداً غنية كبلاد الكرد التي وجدت فيها جميع النشاطات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة ومتعلقاتها. ولذلك حظيت باهتمام البلدانيين والرحالة المسلمين.

أولاً: المعطيات الاقتصادية وتشمل

أ- الزراعة

كانت الزراعة تشغل حيزاً كبيراً من النشاطات الاقتصادية للكرد، وهي تأتي في مقدمة الجوانب التي تناولها البلدانيون المسلمون، لأن نسبة كبيرة من سكان بلاد الكرد – وخاصة في الجزيرة – كانت تحترف هذا النشاط كحرفة رئيسة بحكم توفر جميع متطلبات الحياة الزراعية من مناخ وتربة وتوفر مصادر المياه.. الخ.

ومن جانب آخر فإنّ التمييز بين أنواع الأراضي الزراعية من ديمية وسيحية وكذلك نوعية المحصول، كان أمراً ضرورياً لتقدير مقادير الخراج، أضف إلى ذلك أن ازدياد النشاط الزراعي، وتنوع المحاصيل عوامل تؤثر على النشاط الصناعي والتجاري معاً، حيث أن عدداً من المحاصيل الزراعية يدخل ضمن صناعات متنوعة، وكذلك الحال فيما يتعلق بالمنتجات الحيوانية التي غالباً ما تلحق بالزراعة. وأن الفائض من المواد المصنعة كان يصدر إلى المناطق التي تفتقر إليها.

وقد انعكست كثرة الخيرات في بلاد الكرد، ولا سيّما كثرة منتجاتها الزراعية على المستوى المعاشي لسكانها وكثرة وارداتهم وبالتالي كثرة الضرائب المترتبة عليهم ولا سيّما الخراج، حيث قدرت ذلك بملايين الدنانير سنوياً. وقد تطرق العديد من البلدانيين إلى تلك الحالة وأورد بعضهم قوائم مفيدة بهذا الشأن[1]

---

[1]- ينظر للتفاصيل: محمد ضياء الدين الريس، الخراج في الدولة الإسلامية، (القاهرة: د/ت)، ص422 – 445.

كابن خرداذبة[١] وقدامة بن جعفر[٢].

وقد عبّر البلدانيون بعبارات وصفية عامة عن مدى الاهتمامات الزراعية لسكان المدن والأماكن الكردية وما يتميز بها تلك المناطق من خصوبة وكثرة مياه وبساتين وغيرها.

مماً يتعلق ببعض مدن إقليم الجزيرة، وصف الاصطخري مدينة آمد بأنها (كثيرة الشجر والزروع)[٣] ومدينة ميافارقين (خصبة جداً وكثيرة المياه)[٤] ولكنها (قليلة البساتين)[٥]، ووصف مدينة سعرد بأنها (خصبة)[٦].

ووصف ابن حوقل جزيرة ابن عمر بأن لها (أشجار وثمار ومياه ومرافق وخصب)[٧]، وقال عن ماردين أن بها (الفواكه الكثيرة اللذيذة والكروم الواسعة والهواء الصحيح والرخص).

ووصفت الصيمرة والسيروان بأن (فيهما مياه وأشجار وزروع وهما نزهتان)[٨] وفضّل ابن حوقل مدينة نصيبين على سائر مدن الجزيرة بتأكيده على أنها (من أكثر بقاع الجزيرة فواكه ومياه ومتنزهات وخضرة ونضرة)[٩].

وقيل عن مدينة الرها (أنها كثيرة الفواكه)[١٠] ونقل ياقوت على لسان أهلها أن (فيها وفي قراها .. أربعين ألف بستان)[١١].

ووصف حيزان بأنه بلد (فيه شجر وبساتين كثيرة ومياه غزيرة)[١٢]، أما سنجار فبحكم موقعها وطبيعة مناخها كانت كثيرة الفواكه الصيفية والشتوية[١].

---

[1]- المسالك والممالك، ص26، ص32، ص47.

[2]- الخراج، ص182.

[3]- المسالك والممالك، ص53. وينظر أيضاً: القزويني، آثار البلاد، ص491.

[4]- المصدر نفسه، ص112.

[5]- أحسن التقاسيم، ص125.

[6]- الاصطخري، مصدر سابق، ص53.

[7]- صورة الأرض، ص202.

[8]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص200، ابن حوقل، مصدر سابق، ص314.

[9]- صورة الأرض، ص191.

[10]- المقدسي، مصدر سابق، ص124.

[11]- ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص390.

[12]- المصدر نفسه، ج3، ص204.

أما بشأن مدن غربي إقليم الجبال، فقد أورد ابن خرداذبة قولاً لأحد ملوك الساسانيين جاء فيه: «أجود مملكتي فاكهة المدائن وسابور وارجان والري ونهاوند وحلوان وماسبذان»[٢]. أي أن المدن الثلاث الأخيرة والتي تسكنها أغلبية كردية كانت تساهم بنحو النصف من إنتاج الثمار لبلاد إيران في العصر الساساني.

وذكر أبو دلف أن مدينة الصيمرة كانت تجمع فواكه الجبل والسهل[٣]. ويلاحظ مما أورده البلدانيون فيما يخص الزراعة، تنوع الثمار في بلاد الكرد، ومن أشهر أنواعها:

– الكروم: ومن أنواعها الشهيرة (الماسبذي) نسبة إلى مدينة ماسبذان[٤]، وكان يوجد نوع منها بشهرزور يعرف بالعنب (السونايا)[٥] (يأتي سنة بالعنب وسنة بثمرة شبيهة بالجزر شديدة الحمرة، أسود الرأس يقولون له الودع)[٦]، ووصف ابن حوقل مدينة اشنه بأنها (كثيرة الأعناب)[٧] كما اشتهرت مدينتا ماردين ورأس العين أيضاً بزراعة الكروم[٨]. وفي مدينة نصيبين كان العنب متوفراً إلى حدّ الرخص[٩].

ووصف ياقوت قرية شقلاباد (شقلاوة الحالية) بأنها (ذات كروم كثيرة وبساتين وافرة) بحيث كان عنبها ينقل إلى اربل طول العام، والى حد سدّ حاجة سكان المدينة من العنب إلى حد كبير[١٠].

– التين: اشتهرت به مدينة حلوان[١] ولجودة نوعيته كان يسمى (شاه انجير)[٢] أي ملك التين بالكردية، كما وصف بأنه لا مثيل له في أي مكان آخر[٣]. وكان يزرع أيضاً بجزيرة ابن عمر[٤].

---

[1] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص199.

[2] – المسالك والممالك، ص147. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص194، ص232.

[3] – الرسالة الثانية، ص23.

[4] – ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص199.

[5] – أبو دلف، مصدر سابق، ص20.

[6] – القزويني، آثار البلاد، ص398.

[7] – صورة الأرض، ص298.

[8] – المصدر نفسه، ص200، ص202.

[9] – المصدر نفسه، ص191.

[10] – معجم البلدان، ج5، ص150.

– الرمان: ووجد بكثرة في حلوان[5]، وكانت نوعيته متميزة[6].

– الكمثرى: اشتهرت به مدينة اشنه، ونوعه كان يفضّل على غيره، لذلك كان يصدّر إلى النواحي المجاورة[7].

– الحمضيات: ومنها الترنج والنارنج بسنجار[8] والليمون والدستبويه[9] بالسيروان والصيمرة[10].

– الزيتون: وكان يزرع في مدينة الصيمرة[11] وفي مدينة ماردين، حيث كان يُستفاد من زيته الذي استشهد ياقوت في وصفه ببيت شعري يقول:

يا خُزر تغليب إن اللوم حالفكم ما دام في ماردين الـزين

– الجوز: أبرز البلدانيون مناطق توفره في مدينتي الصيمرة والسيروان[13]. وسنجار التي تعد جبالها من أخصب الجبال، وفيه الجوز واللوز اللذان يكسران بصحن الكف حسب تعبير أحدهم[14]. وكذلك في جزيرة ابن عمر[15].

---

[1] – الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص34؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص87، ص200.

[2] – ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص173.

[3] – المصدر نفسه، ص173؛ القزويني، آثار البلاد، ص357.

[4] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص 203.

[5] – الجاحظ، مصدر سابق، ص34. الاصطخري، المسالك والممالك، ص200.

[6] – القزويني، آثار البلاد، ص357.

[7] – ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص164.

[8] – المصدر نفسه، ج5، ص78.

[9] – الدستبويه: نوع من البطيخ الأصفر معرب عن دستبوى أي الشمامة وهو مركب من (دست) أي يد ومن (بو) و (بون) أي الرائحة باللغة الكردية، ينظر: ادي شير، مرجع سابق، ص63.

[10] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص315.

[11] – أبو دلف، مصدر سابق، ص23.

[12] – ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص194.

[13] – أبو دلف، مصدر سابق، ص23؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص200؛ ابن حوقل، مصدر سابق، ص314.

[14] – ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص90.

[15] – ابن حوقل، مصدر سابق؟، ص203.

- اللوز: في جزيرة ابن عمر[1]، وجبال سنجار[2].

- البندق: وكان يكثر في جزيرة ابن عمر[3]، وحيزان[4]، وبرذعة التي وصف بندقها بأنه يفوق بندق سمرقند[5].

- الشاه بلوط: ذكر أن حيزان كانت تتفرد به من بين بلاد العراق والجزيرة والشام[6].

- النخيل: من أن مناطق زراعته في بلاد الكرد قليلة، ولا تتعدى بضع مدن، يزرع فيها النخيل على نطاق ضيق. فقد أشار الاصطخري إلى وجوده في مدينة حلوان[7]، حيث ساعد موقعها الجغرافي وطبيعة المناخ السائد فيها على ذلك فقد كان (الثلج منها على مرحلة وهي مع ذلك حارة)[8].

واشتهرت بحلوان نخلتان كانتا على طريق السابلة، وقد أصبحتا مصدر إلهام للشعراء فكانوا يتغنون بهما ويتذكرون بهما الذكريات[9].

كما ذكر الاصطخري أن مدينتي الصيمرة والسيروان تتفردان في إقليم الجبال بوجود بعض أشجار النخيل فيهما. حيث قال: «ويجتمع فيهما التمر والجوز، وما يكون في بلاد الصرود والجروم»[10]. كما وجدت أشجار النخيل في مدينة البندينجين[11].

1- المصدر نفسه والصفحة.

2- ابن سعيد المغربي، مصدر سابق، ص90.

3- ابن حوقل، مصدر سابق، ص203.

4- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص204.

5- الاصطخري، المسالك والممالك، ص183.

6- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص124؛ القزويني، آثار البلاد، ص360.

7- المسالك والممالك، ص200.

8- المصدر نفسه والصفحة.

9- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص174؛ القزويني، آثار البلاد، ص357.

10- المسالك والممالك، ص200، والصرود والجروم كلمتان كرديتان معربتان، الأولى جاءت من (سارد) أي البارد فقلب السين صاداً وجمعت جمع تكسير لتصبح (صروداً)، أما الثانية فجاءت من (گه رم) أي الحار فقلب حرف (گ) إلى الجيم لعدم وجوده في اللغة العربية، وجمع جمع تكسير لتصير (جروماً).

11- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص393.

ومن جانب آخر فقد ورد أن إقليم الجبال اشتهر بالزعفران[1] وخاصة في المدن الواقعة غربي الإقليم مثل نهاوند وقرميسين والروذراور، حتى عرف بعض مناطقه بـ (الأرض الزعفرانية)[2].

أما الحبوب، فلا شك أن مساحات واسعة من الأراضي في بلاد الكرد كانت تستغل لزراعتها وخاصة الحنطة التي تعد المادة الأساسية للاقتتات عليها بعد أن تطحن ويعمل منها الخبز، فهي تشكل الأساس الغذائي في وجبات الطعام المختلفة للكرد . ويأتي بعدها ذلك من حيث الأهمية الشعير.

وقد كان القمح والشعير يزرعان في المدن الكردية بإقليم الجزيرة مثل نصيبين وبازبدي وباعذرا وجزيرة ابن عمر[3]. وأكدّ ابن حوقل أن نصيبين كانت واسعة الغلات من الحبوب والقمح والشعير[4].

ولا شك أن كثرة خيرات الجزيرة ووفرة غلاتها وخاصة زراعة الحنطة والشعير في جميع رساتيقها تدر على المزارعين مردودات كبيرة، كما تجني الدولة منها فوائد عظيمة من خلال جباية الخراج[5]. أما غربي إقليم الجبال فكانت زراعة الحنطة تتم فيه على نطاق واسع[6].

وفيما يتعلق بالزراعات الشتوية في بلاد الكرد فإنها كانت نشطة بفضل الأمطار الغزيرة التي تصل أحياناً حد الفيضان، فكان سكان الجزيرة يستغلون الثروة المائية تلك عن طريق (حجمها في برك محفورة وآبار معمورة وصهاريج)[7] ليستفاد منها وقت الحاجة.

---

[1] - الزعفران: نبت معروف له أصل يشبه البصل، وبصلة يدق ويعصر ويكون عصيره كالحليب؛ القزويني، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات (القاهرة، 1956)، ص285. وتؤخذ من شجرة صبغة الزعفران.

[2] - الاصطخري، المسالك والممالك، ص199؛ ابن الفقيه الهمذاني- مصدر سابق، ص236؛ ابن حوقل، مصدر سابق، ص313.

[3] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص191، ص197، ص199، ص229.

[4] - المصدر نفسه، ص191.

[5] - المصدر نفسه، ص196 – 197.

[6] - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص301.

[7] - ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

وفيما يخصّ المحاصيل التي تدخل في بعض الصناعات، فقد أشار ابن الفقيه الهمذاني إلى القطن الذي اشتهر به إقليم الجبال بشكل عام[1]. وأشار ياقوت إلى زراعة قصب السكر في مدينة ايذج بإقليم خوزستان، والتي كان يسكنها الكرد اللر، وأكد على أن مائية قصب السكر هناك كانت تفضّل على سائر أنواع القصب بالأهواز بنسبة أربعة في كل عشرة[2].

أما بشأن وسائل الري المستخدمة لدى الكرد فقد تطرق إليها أيضاً بعض البلدانيين، فأشاروا إلى أنها كانت تتم إما باستعمال الري الاصطناعي أو عن طريق الأمطار الموسمية. وكانت الطريقة الأولى أكثر شيوعاً في مدن الجزيرة كنصيبين ورأس العين وغيرهما. وكذلك في مدينة سنجار[3].

وكان هذا الري يعتمد على المياه المتدفقة من العيون أو المياه التي كانت تجلب من الأنهار بواسطة السواقي والقنوات والكهاريز[4]. وخاصة في أوقات الجفاف[5].

وأشار ياقوت إلى أن مزارع مدينة ايذج كانت تعتمد على الأمطار[6].

ت- الثروة الحيوانية

تعد تربية الحيوانات حرفة مكملة للزراعة وملحقة بها، ولا تكاد نجد أحدهما بمعزل عن الأخرى، وفيما يتعلق ببلاد الكرد فإنها كانت غنية بالثروة الحيوانية حيث كانت الظروف الطبيعية ملائمة لتوفير المراعي الخصبة.

فقد ذكر الاصطخري وابن حوقل بأن القرويين من الأكراد والأعراب كانوا يتخذون من المنطقة الواقعة بين الدسكرة وحلوان التي كانت تتصف بقلة العمارة، مراعياً لمواشيهم[7] كما اشتهرت شهرزور بمراعيها الخصبة، حيث أشار أبو دلف إلى أن حوالي ستين ألفاً من بيوت القبائل اتخذوا من مراعي شهرزور مشتى لها، ترعى فيها الأغنام والمواشي[8].

1- مختصر كتاب البلدان، ص232.

2- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص229.

3- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

4- الكهريز: قناة تحفر تحت الأرض ليجري فيها الماء.

5- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

6- معجم البلدان، ج1، ص229.

7- المسالك والممالك، ص61؛ صورة الأرض، ص219 – 220.

8- الرسالة الثانية، ص18، ص20.

وقد جلبت تلك الحالة أنظار البلدانيين وخاصة – ابن حوقل – فقد أورد بعضهم شواهد عليها، حيث ذكر ابن حوقل أنه كان يوجد في مدينة نصيبين السائمة الكراع، وكانت في رساتيق الموصل وكورها تربّى المواشي السائمة من الأغنام والكراع[1].

ومن جانب آخر قارن ابن حوقل بين مدينة ماردين وبعض المدن المجاورة لها في عدد من النواحي، منها تفوقها في ثروتها الحيوانية، فهي «ليست كأرزن وميافارقين من خلوّ المنازل وعدم الاكرة وأهل الضياع وقلة الماشية والكراع»[2].

ووصفت كور الجزيرة ورساتيقها بشكل عام بأنها (غزيرة الأهل والقرى والقصور والمواشي)[3]، ونعت المقدسي خيل إقليم الجزيرة بالجودة[4].

ومما جذب اهتمام الرحالة ابن جبير خلال زيارته لمدينة دنيسر، بديار بكر كثرة الأغنام فيها، حيث قال: «وشاهدنا بها من الخنانيص أمثال الغنم كثرة، وإنساً بأهلها"[5].

وكان كرد إقليم الجبال يقتنون الأغنام بالمرتبة الأولى[6]، أما القاطنون منهم في إقليم فارس فكانوا (أصحاب أغنام ورميك، والإبل فيهم قليلة)[7].

أما الكرد المازنجان الذين كانوا يقيمون على حدود أصفهان فكانوا يمتلكون الخيول العتاق، والغالب على دوابهم براذين وشهاري[8].

ووصف ابن حوقل مدينة مرج القلعة بغربي إقليم الجبال بأن لها (أغنام كالمجّان)[9] مما يفيد بأن كثرة الأغنام فيها أدت إلى رخص شديد في أسعارها[10].

1– صورة الأرض، ص196.

2– المصدر نفسه، ص203.

3– المصدر نفسه، ص196.

4– أحسن التقاسيم، ص41.

5– رحلة ابن جبير، ص217.

6– الاصطخري، المسالك والممالك، ص203.

7– ابن حوقل، مصدر سابق، ص240.

8– ابن حوقل، مصدر سابق، ص240.

9– المصدر نفسه، ص306.

10– ومما يدل على كثرة الأغنام والمواشي والخيول في المنطقة أن الأمير الكردي بدر بن حسنويه (369 – 405 هـ/ 979 – 1014م) الذي عرف بأعماله الخيرية والإصلاحية جعل في سبيل الله ألف وسبعمائة من الدواب وعشرون ألف رأس غنم. ينظر: ابن الجوزي، المنتظم في أخبار الملوك

أما الكرد القاطنون في الأقاليم الأخرى فيظهر أنهم كانوا أيضاً يعتنون بالثروة الحيوانية، حيث وصف كرد مدينة اشترج (اندخذ) بإقليم خراسان مثلاً، بأنهم (أصحاب أغنام وإبل)[1].

ث- المعادن والعيون في بلاد الكرد

يظهر من كتب البلدانيين أن بلاد الكرد تتميز بغناها بالثروة المعدنية، حيث أن فيها العديد من أنواع المعادن والعيون المعدنية.

ولعل في مقدمة من أشار إلى أماكن تواجد المعادن من البلدانيين والرحالة الاصطخري وأبو دلف وياقوت، فقد ذكر الاصطخري أنه كان بجبل ماردين جواهر الزجاج[2]، ولجودته كان يفضل على غيره بجوهرية مميزة فيه[3]. وبجبل بارما (حمرين) كانت هناك عيون القير والنفط[4].

وعلى الرغم من أن الاصطخري نفى أول الأمر وجود معدن الذهب والفضة في جميع أنحاء إقليم الجبال[5]، فإنه عاد فيما بعد ليشير إلى أن (بالجبل معدن ذهب)[6].

ولاحظ ابن الفقيه الهمذاني وجود معدن الحديد بجبل آمد، ولفتت نظره إلى ذلك مغناطيسيته، فأورد بحثاً طريفاً بشأنه حيث قال: «ومن عجائبنا الجبل الذي بآمد يراه جميع أهل البلدة فيه صدع، فمن انتضى سيفه فأولجه في الصدع وقبض على قبيعته بجميع يديه، اضطرب السيف في يديه، وأرعد القابض، وأن كان هو أشدّ الناس»، ثم يضيف أنه في الجبل أعجوبة أخرى حيث أنه «متى يحك بذلك الجبل سكين أو حديد، أو سيف، حمل ذلك السيف أو السكين الحديد وجذب الإبر والمسأل بأكثر من جذب المغناطيس، وأعجوبة أخرى أن ذلك الحجر نفسه لا

والأمم (حيد آباد الدكن: 1357 هـ)، ج7، ص272. ابن كثير، البداية والنهاية، (القاهرة: 1988)، ج11، ص354.

1 - الاصطخري، المسالك والممالك، ص153، ابن حوقل، مصدر سابق، ص370.

2 - المسالك والممالك، ص72.

3 - ابن حوقل، مصدر سابق، ص194.

4 - الاصطخري، المسالك والممالك، ص75؛ ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص255.

5 - المسالك والممالك، ص203.

6 - الأقاليم، ص88.

يجذب الحديد، فإن حك عليه سكين، أو سيف جذب الحديد. وفيه أعجوبة أخرى وذلك أنه لو بقي مائة سنة لكانت تلك القوة قائمة فيه»[1].

وعلى الرغم مما يلاحظ على النص السابق من نبرة المبالغة والدهشة التي عرف بها أسلوب ابن الفقيه الهمذاني فإنه يؤكد توفر مادة الحديد في جبال آمد ومغناطيسيتها الشديدة.

كما وجد الحديد في مدينة (حاني) بديار بكر، وكان يصدّر إلى المناطق الأخرى[2]. وكذلك وجد في بلدة هرور الجبلية الواقعة شمال الموصل[3]، بالإضافة إلى المومياء (الشمع)[4].

وألمح أبو دلف إلى وجود معادن كثيرة بمدينة ايذج دون أن يحدد أنواعها[5]. كما ذكر أنه كانت بمدينة خانقين عين للنفط وكانت كثيرة الدخل[6]، أي أن أهميتها الاقتصادية كانت كبيرة.

وأشار ياقوت إلى وجود طرائف من الأحجار في موضع قرب وادي الكرد بالقرب من بحيرة أرمية[7].

ومن البديهي أن يساعد توفر المعادن في بلاد الكرد، على إيجاد صناعات معدنية تسد حاجات السكان إلى حد كبير.

أما العيون المعدنية في بلاد الكرد فقد تنوعت وتعددت أماكن تواجدها حسب ما ورد في كتاباتهم، فقد يلاحظ أن أبا دلف من الذين اهتم بذكر أخبارها كثيراً وبيان فوائدها الصحية أو آثارها السلبية، فقد ذكر حيث كان لذلك الرحالة اهتمامات طبية كما يبدو في الظاهر.

فقد ذكر أبو دلف أن مدينة اريوجان التابعة لكورة مهرجانقذق كانت تقع في سهل بين جبال كثيرة الحمّات والكباريت والزاجات والبوارق والأملاح[1]، كما أشار

---

1 – مختصر كتاب البلدان، ص127. ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص56.

2 – ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص110.

3 – المصدر نفسه، ج8، ص476.

4 – المصدر نفسه والصفحة.

5 – الرسالة الثانية، ص41؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص229.

6 – الرسالة الثانية، ص20؛ ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص211.

7 – ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص471.

إلى الآثار الصحية التي تترتب على استعمال مياه أحد العيون الموجودة فيها لدى الناس، كالإسهال ووجع أعصاب الرأس[٢].

ووجد على وادي الكرد الذي يلي مدينة سلماس، حمّة كانت تعرف بـ (زراوند) التي وصفت بأنها «كثير المنفعة وهي بالإجماع والموافقة خير ما يخرج من كل معدن في الأرض». ومن كان يستشفى بمائها يعافى من أمراض عديدة، والعجيب أن مائها عذب زلال بارد»[٣].

ووصفت مدينة ماسبذان بأنها كثيرة الحمّات والكباريت والزاجات والبوارق والأملاح، «وبها عين عجيبة من شرب منها قذف أخلاطاً كثيرة، لكنه يضرّ بأعصاب الرأس، وأن احتقن بمائها أسهل إسهالاً عظيماً»[٤].

وكانت توجد في أطراف مدينة حلوان عدة عيون كبريتية يستشفى بها من أمراض عدة[٥].

ووجدت بقرية (ترجلة) الواقعة بين اربل والموصل (عين كبريتية كثيرة الماء)[٦] وفي مدينة رأس العين بالجزيرة (عين يظهر ماؤها أخضر، ليس له رائحة، يجري في نهر صغير وتدور به ناعورة يجتمع مع عين الزاهرية في مكان واحد) ثم يصبان كلاهما في موضع واحد في نهر الخابور[٧].

وتعجّب المقدسي من وجود عين في مدينة نصيبين ينبع منها كلس أبيض يستعمل في الحمامات والدور[٨]. أي كان يستخدم كمنظف.

ج- الصناعة في بلاد الكرد

في بلاد الكرد كما في سائر البلدان، كانت النشاطات الصناعية تقتصر على الصناعات المحلية البسيطة التي كانت تقوم على تصنيع المنتجات الزراعية والحيوانية والمعدنية.

1- الرسالة الثانية، ص23؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص138.
2- الرسالة الثانية، ص23؛ ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص196.
3- الرسالة الثانية، ص14؛ ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص471.
4- القزويني، آثار البلاد، ص260.
5- المصدر نفسه، ص357؛ ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص173.
6- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص437.
7- المصدر نفسه، ج4، ص380.
8- أحسن التقاسيم، ص129.

فلكثرة ما في تلك البلاد من أشجار الثمار، فقد كان الزرّاع المنتجون يقومون بتصنيع كميات من الثمار لاستهلاكها أو تصديرها. كصناعة أنواع من المربى والزبيب والحلويات والمشروبات.

كما وجدت في بلادهم بعض الصناعات النسيجية الكتانية والقطنية، وصناعات الزيوت والصوابين بفضل بعض أنواع الحبوب والأحجار الكلسية، أضف إلى ذلك أن الثروة الحيوانية التي اشتهرت بها مناطقهم ساعدت على تعدد الإنتاج الحيواني من ألبان وأجبان ولحوم وشحوم وجلود.

وكان لكثرة قطعان الماشية أن أنتج الصوف والوبر بكميات وافرة، قامت عليها معامل نسيجية وصوفية ووبرية، لصنع أقمشة وبسط وسجاد وستور وغير ذلك.

ومن جانب آخر كان لاتساع رقعة الغابات فيها أثر كبير في إيجاد ثروة خشبية قامت على أساسها صناعات خشبية، كما وجدت في المنطقة أيضاً صناعات معدنية من حديدية وبرونزية وفضية وزجاجية.

وفي ذلك تطرق البلدانيون إلى عدد من تلك الصناعات مع تحديد مناطق تركزها، فقد ذكروا اشتهار منطقة إقليم الجبال بصناعة الألبان وخاصة الذي كان يحمل لجودته (إلى الآفاق) على حد تعبير الاصطخري[1]. وأشاد المقدسي بالجبن الدينوري[2]، كما عرفت مدينة روذراور بغربي إقليم الجبال بكثرة إنتاج الجبن[3].

وفي رواية أوردها ابن سعد أن تاجراً كان يعمل الجبن من مدينة حلوان إلى مدينة الكوفة[4]. وقد أشار ابن حوقل إلى أهمية صناعة الألبان لسكان إقليم الجبال بشكل عام بقوله: "والغالب على أهل الجبال كلها قنية الأغنام وعلى مطاعمهم الألبان وما يكون منها، ولهم ما يتخذ من اللبن أنواع طيبة لذيذة كالمايستج[5]، والجبن المحمول إلى كثير من أعمال الأرض ويوصف بالجودة"[6].

وقد ميّز المقدسي إقليم الجبال وفضّله على غيره من الأقاليم من حيث أنه

1- المسالك والممالك، ص118.

2- أحسن التقاسيم، ص304، دائرة المعارف الإسلامية، مادة (دينور)، ج9، ص372.

3- Hudud al – alam, p.132.

4- الطبقات الكبرى، (بيروت: 1980)، ج9، ص385.

5- المايستج: ومعناه اللبن الرائب (ماست بالكردية).

6- صورة الأرض، ص317.

(أجودها ألباناً وأعسالاً وألذّها أخبازاً وأمكنها زعفراناً)[١]. وذكر الجاحظ وابن الفقيه الهمذاني ضمن عجائب الجبل "اتخاذ طرائف الألبان كالجبن واللور"[٢].

كما عرفت منطقة الجزيرة بصناعة الألبان أيضاً، ومن المدن التي ورد ذكرها بهذا الشأن الموصل ومعلثايا والحسنية[٣] التي اشتهرت بالجبن والشواريز[٤]. وكان اللبن الداوي[٥] مشهوراً في نصيبين[٦].

كما أشار المقدسي إلى صناعة الزبيب والفواكه المقددة (المجففة) في مدينتي نصيبين والحسنية[٧]، للاستفادة من تلك الفواكه في غير مواسمها، وكذلك أشاد بالحلواء الجيد الذي كان يصنع في مدينة همذان[٨].

أما الصناعات الصوفية والقطنية فقد وجدت في أماكن عدة كما أوردها البلدانيون، حيث اشتهرت مدينة آمد بصناعة ثياب الصوف والكتاب الرومي على عمل الصقلي[٩]، ولكثرة المرعز[١٠] في مدينة ماردين، كانت أكسيته تصدّر إلى المناطق المجاورة[١١]. وذكر المقدسي أن من بين ما اشتهر به إقليم آقور (الجزيرة) القطن والسيور[١٢].

وذكر ياقوت أن ثياباً نسبت إلى بليدة حزة القريبة من اربل، وهي تدعى ثياب النصافي (الحزية) وهي قطنية، وصفت بأنها رديئة[١٣].

---

[1] - أحسن التقاسيم، ص41.

[2] - التبصر بالتجارة، ص25؛ مختصر كتاب البلدان، ص232.

[3] - المقدسي، مصدر سابق، ص128.

[4] - الشواريز: جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ماؤه، القاموس المحيط، ج؟،ص؟.

[5] - الدواية: ما يعلو اللبن ونحوه إذا ضربته الريح، يقال له داوه، القاموس المحيط، ج؟، ص؟، وبالكردية (دوّ).

[6] - المقدسي، مصدر سابق، ص128.

[7] - أحسن التقاسيم، ص128.

[8] - المصدر نفسه، ص301.

[9] - المصدر نفسه، ص128.

[10] - المرعز: بالكردية (مه ره ز) ويطلق على شعر نوع من المعز ويعرف به.

[11] - ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق قرنيط، معهد مولاي حسن، (تطوان: 1958)، ص90.

[12] - أحسن التقاسيم، ص129.

[13] - أحسن التقاسيم، 129؛ السيور: السير، وهو الذي يقدمن الجلد، وثوب سيروشيد إذا كان مخططاً، المقدسي، مصدر سابق، هامش رقم 1، ص129.

واشتهرت مدينة تستر (شوشتر) التي كان يسكنها الكرد اللر، بإقليم خوزستان، بثياب حملت اسم المدينة. وبلغت شهرتها حداً أنه كانت توجد بمدينة بغداد محلة باسم (التوستريون) كانت تقع في الجانب الغربي منها بين دجلة وباب البصرة، كان يسكنها تستريون الذين ينتجون الثياب التسترية[1].

وذكر الإدريسي أن مدينة ميافارقين عرفت بصناعة التكك[2] التي كانت تضاهي وربما تفوق تلك التي كانت تصنع بمدينة سلماس، كما كانت تصنع فيها المناديل العراض والمسببات[3].

وفي مدينة دبيل (دوين) بأرمينيا التي كان يسكنها أغلبية كردية، كانت تصنع أنواع من ثياب الصوف من بسط ووسائد ومقاعد وتكك وغيرها من الأصناف. وكان يصبغ صوفها باللون القرمزي[4].

أما ما يصنع من الأشجار، فقد ألمح المقدسي أنه لكثرة الأشجار في إقليم الجبال (في الشتاء الحطب والفحم مجّان)[5]. وورد أنه كان في مدينة نهاوند شجر خلاّف[6] تُعمل منه الصوالجة[7] ليس في شيء من البلدان مثله صلابة وجودة[8].

ويظهر من نص أورده ابن الفقيه الهمذاني أن عدداً من المدن الكردية كانت تشتهر في عهد الساسانيين بصناعة الأسلحة، فيقول: «ميّز قباذ بن فيروز إقليمه و .. ووجد أعلم أهل إقليمه بالسلاح أربعة مواضع: همذان وحلوان وأصبهان وشهرزور»[9].

وأشاد ابن الفقيه في موضع آخر بمهارة الهمذانيين في صناعات أخرى كالمرايا والملاعق والمجامر والطبول والمذهّبة، واصفاً إياهم بأنهم: «تفوقوا بها على جميع أهل الأرض»[1].

1- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص444.

2- التكة: وهي رباط طويل يستعمل لربط السراويل. دوزي، المعجم المفصل، ص82.

3- نزهة المشتاق، قسم الجزيرة والعراق، تحقيق إبراهيم شوكت، مجلة الأستاذ، كلية التربية، (جامعة بغداد :1963)، مج11، ص11.

4- الاصطخري، المسالك والممالك، ص188؛ حدود العالم، ص199.

5- أحسن التقاسيم، ص295.

6- شجر خلاف: شجر الصفصاف، الرائد، ج1، ص637.

7- الصوالجة: العصا المعقوفة، الرائد، ج1، ص4937.

8- أبو دلف، مصدر سابق، ص30؛ ياقوت، معجم البلدان، ج9، ص409.

9- مختصر كتاب البلدان، ص149.

ووصف المقدسي مدينة سنجار في القرن الرابع الهجري بأنها (كثيرة الأساكفة) أي أنها كانت تحتضن عدداً كبيراً من أرباب الحرف. والجدير بالملاحظة أن البلداني المغربي البكري انفرد دون غيره من البلدانيين بتطرقه إلى صناعة هامة في مدينة (الرها) ألا وهي صناعة الورق[٢]. حيث ذكر بأنه كان (ينسب الجيد من ورق المصاحف) إليها[٣].

ولا يستغرب ذلك إذا ما علمنا أن مدينة الرها كانت قبل الإسلام من أبرز المراكز للديانة المسيحية في المنطقة، إذ كان طلاب العلم يتوجهون إليها لتلقي العلوم الدينية على أيدي رجال الدين فيها[٤].

ونختم موضوع الصناعة بالإشارة إلى صناعة الخمر التي اشتهرت بها بعض مناطق الجزيرة ذات الأغلبية النصرانية مثل دير أحويشا بمدينة اسعرت، وكان خمرها موصوفاً بالجودة[٥]، ودير اكمن بالقرب من جبل الجودي والذي وصف خمره بأنه (النهاية في الجودة)[٦].

أما بغربي إقليم الجبال فقد كانت مدينة قرميسين معروفة بأن (فقّاعها[٧] موصوف)[٨].

ح- التجارة والأسواق

1- التجارة

إن توفر بعض المنتجات الاقتصادية في مناطق معينة، وافتقار البعض إليها، يتطلب تبادل السلع والمتاجرة بها بين تلك البلدان والمدن. وقد عبّر ابن الفقيه الهمذاني خير تعبير عن هذه الحالة بقوله (لولا أن الله خصّ بلطفه كل بلد من البلدان، وأعطى كل إقليم من الأقاليم بشيء منعه عن غيرهم، لبطلت التجارات

1- مختصر كتاب البلدان، ص142.

2- أحسن التقاسيم، ص124.

3- معجم ما استعجم، ج2، ص678.

4- ينظر: أحمد ميرزا، مرجع سابق، ص62.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص332.

6- المصدر نفسه، ج4، ص334.

7- فقاع: شراب يتخذ من الشعير، يتخمر حتى تعلوه فقاعاته، المعجم الوسيط، ج2، ص705.

8- المقدسي، مصدر سابق، ص301.

وذهبت الصناعات، ولما تغرب أحد ولا سافر رجل ولتركوا التهادي وذهب الشراء والبيع والأخذ والعطاء، إلا أن الله عز وجل أعطى كل صقع في كل حين نوعاً من الخيرات ومنح الآخرين ليسافر هذا إلى بلد هذا ويستمتع قوم بأمتعة قوم ليعتدل القسم وينتظم التدبير)[1].

وقد شهدت فترة البحث تلك ازدهاراً اقتصادياً واضحاً ومن ضمنه نشاطاً تجارياً واسعاً شمل جميع أنحاء الدولة العباسية التي اتسم النظام السياسي والإداري فيها باللامركزية والمرونة، مما ساعد على قيام دويلات وإمارات إسلامية في المشرق والمغرب، وقامت بينها وبين حاضرة الخلافة، وكذلك بين بعضها البعض علاقات تجارية متينة.

وكانت بلاد الكرد من بين المناطق التي كانت تتمتع بأنشطة تجارية متنوعة، وذلك لوجود الفائض فيها من السلع، فحظيت تلك الناحية الاقتصادية باهتمام البلدانيين المسلمين لحيويتها من جهة ولوجود مقاصد تجارية لبعضهم في ترحالهم من جهة أخرى.

وقد تناول أولئك الرحالة السلع المصدرة والمستوردة من وإلى المدن الكردية، فكانت الصادرات تشمل بعض أنواع الفواكه والمحاصيل الزراعية ومشتقات الألبان والأكسية والمواد المصنعة من المعادن وغيرها.

إذ يلاحظ أن المقدسي أسهب في ذكر صادرات المدن الكردية آنذاك، فذكر أن من بين صادرات مدينة سنجار، فرك اللوز وحب الرمان والقصب والسماق[2]. ونصيبين كانت تصدّر الفواكه المقددة والشاه بلوط الذي وصف بأنه (أكبر من البندق وأطيب ليس بمدوّر)[3]. وجزيرة ابن عمر كانت تصدّر الجوز واللوز والبندق والعسل والمن والسمن والجبن والتين والزبيب[4]. في حين أن مدينة الحسنية يحمل منها الفواكه المقددة والزبيب[5]. ومن معلثايا الفواكه الرطبة والأعناب والشاهدانق[6].

1- مختصر كتاب البلدان، ص251.

2- أحسن التقاسيم، ص128.

3- المصدر نفسه والصفحة، ويعرف الشاه بلوط بـ (الكستنا).

4- المصدر نفسه والصفحة.

5- المصدر نفسه والصفحة.

6- المصدر نفسه والصحفة والشاهدانق لفظة كردية مركبة من (شاه) أي الملك و (ده نك) أي حبّ ويقصد بها كبار حب الرمان.

كما ذكر المقدسي أن إقليم آقور (الجزيرة) بشكل عام كان يصدّر الحبوب والسمّاق وحبّ الرمان[١]، واشتهرت مدينة معلثايا بتصدير النمكسود[٢]. وجزيرة ابن عمر بتصدير اللحوم والخيول الجياد إلى خارج المدينة[٣]. وعرفت مدينة الحسنية بتصدير طير القبج والجواجيق[٤].

وأفاد الاصطخري أن سكان الموصل لم يكن لهم من نهر دجلة إلا الشيء اليسير من الزرع في الجانب الشرقي من النهر، وأن (زروعهم مباخس وفواكههم تحمل من سائر النواحي)[٥].

ويفهم من ذلك أن المدن والنواحي الكردية المجاورة كانت تحتل موقع الصدراة في تزويد الموصل باحتياجاتها الزراعية وخاصة الفواكه منها.

إلا أن المقدسي عدد جملة سلع مصنعة وغير مصنعة كانت تصدّرها مدينة الموصل كالحبوب والعسل والنمكسود والفحم والشحوم والجبن والمن والسمّاق وحب الرمان والقير والحديد والإسطال والسكاكين والنشاب والطريخ[٦] الفائق والسلاسل[٧].

لاشك أن هذا النص يعكس القدرة الهائلة لمدينة الموصل وتوابعها في إنتاج كل تلك السلع المتنوعة والتجارة بها في الوقت نفسه.

وأكد ياقوت أن مدينة اربل كانت تسدّ حاجتها من الفواكه، من الجبال المجاورة لها[٨].

أما غرب إقليم الجبال فقد اشتهر بأنواع نادرة من منتجات الألبان، التي انفرد بها، حيث كان جبنه «يحمل إلى الآفاق»[٩] وكان الفائض من جبن مدينة

1- المقدسي، مصدر سابق، ص128.

2- المصدر نفسه والصفحة، والنمكسود: هو اللحم إذا شرح وجعل عليه الملح والبهارات.

3- المصدر نفسه والصفحة.

4- المصدر نفسه والصفحة والجواجيق: جمع جوجة وهي الصوص وصيصان.

5- المسالك والممالك، ص53.

6- الطريخ: السمك المجفف، محيط المحيط، ص547.

7- أحسن التقاسيم، ص128.

8- معجم البلدان، ج1، ص116.

9- الاصطخري، المسالك والممالك، ص118؛ ابن حوقل، مصدر سابق، ص317.

الروذراور يصدّر إلى المناطق المجاورة[1]. وعرفت بعض المدن الكردية في الإقليم بتصدير الفواكه، مثل نهاوند التي عرفت بجودة فواكهها ووفرتها فكان يصدر منها إلى العراق[2].

واشتهرت مدينة اشنه بالكمثرى الذي كانت لجودته تستورده المناطق المجاورة[3]. كما كان يجلب من تلك المدينة وضواحيها الأغنام والدواب والعسل والجوز واللوز والشمع وما شابه ذلك من ضروب المتاجر[4].

ومن جانب آخر فإن غنى جبال بلاد الكرد بالغابات الطبيعية ساعد على اهتمام الكرد بعمل الأخشاب التي كانت تستخدم كمصدر أساسي للوقود من جهة وصناعة الحاجات المنزلية منها من جهة أخرى، وهناك إشارات بلدانية تفيد تصديرهم الأشجار والأخشاب إلى النواحي المجاورة، منها ما ذكره ابن الفقيه الهمذاني أنه كان (في جبل باجرمي شجر عظام كبار يقطع فيحمل إلى العراق)[5]، وكانت معلثايا تصدر الفحم[6].

أما الأكسية والملابس، فقد أورد الجاحظ ضمن طرائق السلع والأمتعة التي كانت تجلب من البلدان، ذكر الثياب الموشية والمناديل[7] والمقارم[8] الرقاق والطيالسة المصنوعة من الصوف والتي كانت تشتهر بها مدينة آمد، ويصدّر منها إلى الخارج[9]. ويظهر أن قرب المدينة من حدود بلاد الروم جعل صناعتها تتأثر

1- المقدسي، مصدر سابق، ص128.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص118؛ ابن حوقل، مصدر سابق، ص309.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص164.

4- ابن حوقل، مصدر سابق، ص289.

5- مختصر كتاب البلدان، ص125.

6- المقدسي، مصدر سابق، ص128.

7- المنديل: قماش مصنوع من القطن استخدم لأغراض عدة منها كحرام يشد حول الخصر يلف حول الرقبة ولمسح الوجه. ينظر: دوزي، مرجع سابق، ص335.

8- المقارم: جمع مقرمة وهي الستر، وعن ابن الإعرابي هي المحبس نفسه يقرم به الفراش، قال وهو توب من صوف فيه ألوان من عهون، فأخيط نصا وكأنه بيت فهو كلة، قد تزين المقارم في اطرافها بالرجائز، وهي تسبجة حمراء عرضها ثلاث أصابع أو أربع. المخصص؛ ج4، ص75.

9- التبصير بالتجارة، ص30.

بصناعات الروم، حيث كانت بعض أنواع ثيابها تعرف بـ (الرومية)[1]. كما كانت ماردين تصدّر الأكسية إلى الخارج[2].

وعلى صعيد المعادن، هنالك بعض الإشارات البلدانية حول تجارة عدد من مدن الجزيرة الكردية ببعض أنواع المعادن، حيث كان يحمل من جبل ماردين الزجاج المشهور بالجودة إلى سائر بلدان الجزيرة[3] وحتى بلاد الروم[4] وكان يجلب الحديد من مدينة حاني بديار بكر إلى مختلف البلدان[5]. أما مدينة نصيبين فكانت تصدر الرصاص[6].

بالإضافة إلى ما ذكر من السلع المصدرة من المدن الكردية، هناك بضعُ إشارات بلدانية عن بعض المواد الأخرى المصدرة والتي تدخل ضمن (المواد الكمالية) كالعطور والمطيّبات، حيث ذكر المقدسي أنه كان يجلب من مدينة نصيبين ماء الورد[7]، تلك المدينة التي وصفت بأنها: «مخصوصة بالورد الأبيض، الذي يعمّ ماء ورده بلاد الدنيا ويفضّل على سائر أنواعه»[8]. كما كان يجلب منها الكواذين[9].

ومن مدينة دارا وأعمالها كان يجلب (المحلب) الذي كانت تتطيب به الأعراب[10].

أما مدن أذربيجان وأرمينيا وآران فقد وصفها صاحب كتاب (حدود العالم) بأنها عامرة وذات نعم وفير، يجتمع فيها التجار وكانت تصدّر القرمز[11] والسراويل

1- المقدسي، مصدر سابق، ص128.

2- ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص90.

3- الإدريسي، نزهة المشتاق، قسم الجزيرة والعراق، تحقيق؛ ابراهيم شوكت، ص10.

4- ابن حوقل، مصدر سابق، ص194.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص110.

6- الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص32.

7- المقدسي، مصدر سابق، ص128.

8- ابن سعيد المغربي، بسط الأرض، ص89.

9- المقدسي، مصدر سابق، ص128. الكواذين: الكاذي: نبات طيب الريح يطيب به الدهن، محيط المحيط، ص774.

10- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص273.

11- القرمز: هي دودة حمراء تظهر أيام الربيع، فتلتقط ثم تطبخ ويصبغ بها الصوف، ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص271، ابن حوقل، مصدر سابق، ص294.

والثياب الصوف والقطن والأسماك والعسل والشمع ويؤتى إليها بالرقيق الرومي والأرمني والبجناكي والخزري والصقلبي[١].

أما بخصوص السلع المستوردة إلى بلاد الكرد، فلا نجد سوى إشارات ضئيلة من البلدانيين إليها وذلك مقارنة بتلك التي أسلف القول فيها حول صادرات البلاد التي شملت – كما لاحظنا – مختلف أنواع السلع، مما يؤكد ذلك العافية الاقتصادية للكرد وبلادهم، لأن صادراتهم كانت أكبر بكثير من مستورداتهم.

وقد أفاد ابن حوقل أن إقليم الجبال بالإضافة إلى أقاليم العراق وفارس وخراسان وخوزستان كانت تأتيه الثياب والأكسية من العتابى والوشى وسائر ثياب الأبريسم والقطن من أصبهان، حيث كان عنتابي أصبهان مشهوراً في الجودة والجوهرية[٢].

ومن المرجح أن زعفران مدينة أصبهان كان يجلب إلى بقية مدن إقليم الجبال والجزيرة كسائر النواحي، بالإضافة إلى وصول زعفران مدينة الروذراور إلى نهاوند[٣].

وكانت المدن الكردية بغربي إقليم الجبال من بين المناطق التي كانت يأتيها السكر من مدينة جنديسابور بخوزستان[٤].

أما ما يتعلق بالعلاقات التجارية بين المناطق التجارية الكردية وبلاد الروم، فلم نجد إشارات بلدانية صريحة تؤكد ذلك، لكنّ هذا لا يعني الإقرار بعدمها إطلاقاً، لأنه من المرجح جداً أن السلع التي كانت تجلب من بلاد الروم عبر طرابزون إلى أرمينيا، كان يصل منها إلى المناطق الكردية المجاورة لها.

وكانت طرابزون مدخل أهل أرمينيا إلى الروم، يجتمع فيها التجار فيدخلون بلاد الروم للتجارة. وكان كل ما يأتي من سلع من بلاد الروم فإنه يأتي عن طريق هذا المدخل[٥].

---

[1] – مؤلف مجهول، ص119.

[2] – صورة الأرض، ص309.

[3] – المصدر نفسه والصفحة.

[4] – المقدسي، ص313.

[5] – الاصطخري، المسالك والممالك، ص111.

وفي نهاية الكلام عن التجارة لابد من الإشارة إلى أن المناطق والمدن الكردية كانت ترتبط ببعضها البعض أو بغيرها من الأقاليم بشبكة من الطرق الداخلية والتجارية مما سهلت الحركة التجارية، وقد تطرق البلدانيون والرحالة المسلمون إلى هذه الناحية، وحددوا المسافات فيما بينها[1]، ولا أجد ضرورة لذكرها لأنها سبقت وأن تناولها باحثون بالتفصيل[2].

2- الأسواق

من البديهي أن تكتسب الأسواق أهمية اقتصادية كبيرة، من حيث ارتباطها المباشر بالتجارة، فهي أماكن تصريف السلع التجارية، وتقوم فيها عمليات البيع والشراء، وقد كانت المدن بصورة عامة بمثابة أسواق تحيط بها قرى وأرياف باعتبارها مستودعات لما تنتجها المدن من سلع ومنتوجات مختلفة لغرض بيعها. وكان أهالي القرى يأتون إلى تلك المدن ويصرفون في أسواقها سلعاً مختلفة[3].

ولعلّ أول ما يصادف البلداني الرحالة خلال تجواله بين المدن، الأسواق، حيث يجتمع فيها الناس لاستيفاء حاجاتهم، وإذا كانت الأسواق عامرة والأسعار مناسبة فهي دلالة على صحة اقتصاد هذه المدينة وازدهارها التجاري وقد ركز البلدانيون، وخاصة المقدسي على طبيعة الأسواق المنتشرة في المدن ووجدوا أنها تشكل جواً حيوياً هاماً للمدن.

لقد وصفت الأسواق القائمة في المدن الكردية من قبل البلدانيين بألفاظ عديدة والتي لها دلالاتها المعنية مثل (كثيرة)[4] و (عظيم)[1] و (جميلة)[2] و (حسنة)[3] و (كبير)[4].

1- ينظر مثلاً: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص 32 – 33، ص 46 – 47، ص59 – 87؛ قدامة، مصدر سابق، ص 77 – 129؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص 52، ص116؛ مصدر سابق، ص131، ص233، ص302، ص 306 – 308، المقدسي، مصدر سابق، ص131، ص293 – 294، ص 307 – 308، الإدريسي، نزهة المشتاق، قسم الجزيرة والعراق، ص 6 – 18؛ أنس المهج و روض الفرج، ص 188 – 192.

2- ينظر: نشتمان بشير، مرجع سابق، ص 141 – 149؛ قادر محمد حسين، الإمارات الكردية، ص 145 – 161.

3- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، (بغداد :1948)؛ ص133.

4- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص208، ص194.

ذكر البلدانيون أسواقاً عدة في الجزيرة والجبال مما يدل على مدى الازدهار الذي كان تشهده المناطق التي كانت تقطنها غالبية كردية. وقد كانت تلك الأسواق دائمية أو موسمية تقام في بعض أيام الأسبوع، فكانت ماردين معروفة بأسواقها الكثيرة[٥]. وسوق نصيبين «من الباب إلى الباب»[٦] دلالة على سعته.

أما ميافارقين فكانت في القرن السادس الهجري (ضيقة الأسواق)[٧] وذكر ياقوت في وصفه لمجدل بأنه (بلد طيب بالخابور إلى جانبه تل عليه قصر وفيه أسواق كثيرة وبازار قائم)[٨]، وإن تل هفتون كان (فيها سوق حسنة وخيرات واسعة)[٩] وكانت لبعشيقا (سوق كبير)[١٠].

ونقل ياقوت عن السرخسي أنه كان في مدينة آذرمة التابعة لنصيبين في عهد الخليفة العباسي المعتضد سوق يبلغ عدد حوانيتها حوالي المائتين. أما في الفترة التي عاش فيها ياقوت فقد تغيرت حالها وتحولت إلى قرية بسيطة[١١]. وهكذا الحال فيما يخص دوغان الواقعة بين مدينتي رأس العين ونصيبين، فقد وصفت بأنها كانت قرية كبيرة وتشكل سوقاً لأهل الجزيرة يجتمع إليها أهلها في كل شهر مرة[١٢]، أي كانت سوقاً موسمية مختلفة عن الأسواق الأسبوعية الأخرى، التي يقام فيها البيع والشراء ليوم واحد أو أكثر في الأسبوع وهذا يعني أنه كان أوسع وأكثر رواجاً لطول المدة التي تسبق إقامتها من جهة ولكثرة من يحضرونها من الباعة والشراة من جهة أخرى. ولم يذكر ياقوت بوجود سوق في دوغان، وإنما قال (كانت

---

[1]- الاصطخري، المسالك والممالك، ص76.

[2]- ناصر خسرو، مصدر سابق، ص7.

[3]- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص455.

[4]- المصدر نفسه، ص259.

[5]- المصدر نفسه، ج7، ص194.

[6]- المقدسي، مصدر سابق، ص124.

[7]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.

[8]- معجم البلدان، ج7، ص208.

[9]- المصدر نفسه، ج2، ص455.

[10]- المصدر نفسه، ج2، ص259.

[11]- معجم البلدان، ج1، ص111 – 112.

[12]- المصدر نفسه، ج4، ص323.

سوقاً لأهل الجزيرة) ولكنه يعود ليقول أنها لم تعد كذلك، فقد زارها أكثر من مرة ولم يجد بها سوقاً[1].

ومن الأسواق الهامة في الجزيرة كانت سوق دنيسر، فقد ذكر الاصطخري أن بدنيسر «بازار[2] عظيم في الخميس والجمعة والسبت والأحد، يجتمع فيه الناس من البلاد البعيدة ليحضروا ويشتري منه كل ما يحتاج إليه»[3]. كما ذكر ناسخ كتاب صورة الأرض في النصف الأول من القرن السادس الهجري أنه كان هناك على بعد حوالي 4 فراسخ (24كم) من ميافارقين باتجاه الجنوب (موضع يعرف بسوق دنيسر، كان قبل هذا قرية يجتمع الناس في صحرائها كل يوم أحد للبيع والشراء، فانغمرت الآن عمارة كثيرة واتخذ بها الحانات والأسواق والبيع والشرى يجلب إليها الجهاز من سائر البلدان)[4].

أي بعد أن كان الموضع يطلق عليه سوقاً وتقام هذه السوق في يوم الأحد من كل أسبوع، تطور الأمر في القرن السادس الهجري ليغدو الموضع من سوق أسبوعية في الماضي إلى مدينة عامرة فيها أسواق كثيرة.

وقد حافظت دنيسر على أهميتها التجارية في الوقت الذي وصلها ابن جبير خلال رحلته التي دامت أكثر من ثلاث سنوات (578 – 581 هـ/1182 – 1185م)، لذا وصفها بأن "لها الأسواق الحفيلة والأرزاق الواسعة" وكان يجتمع بها التجار وأصحاب المعاملات القادمين من الشام وديار بكر وآمد وبلاد الروم[5]. وكانت السوق تقام في أيام الخميس والجمعة والسبت والأحد من الأسبوع وكانت تسمى بـ (البازار) و (كانت أيام كل سوق معلومة)[6].

وأكّد ابن حوقل أن مدينتي أرمية ومراغة كانتا كثيرة الخير بفضل أكرادها الهذبانيين، فكان بها (أسواق للتجار في أوقات من السنة مربحة وبيوع حارة وأرباح وافرة)[7].

1- المصدر نفسه والصفحة.
2- بازار: كلمة كردية تعني السوق.
3- المسالك والممالك، ص76.
4- صورة الأرض، ص202.
5- رحلة ابن جبير، ص216.
6- المصدر نفسه، ص217.
7- صورة الأرض، ص289.

وبشأن مدن غربي إقليم الجبال وأرمينيا فقد وردت إشارات بلدانية عن أسواقها، فعلى سبيل المثال كانت مدينة الدينور (مجتمعة الأسواق .. والجامع ناء من الأسواق)[١]. وأسواق همذان ثلاثة صفوف[٢]. حيث كانت الدكاكين في الشرق الإسلامي في الغالب تبنى بشكل مصفوف وفي مكان واحد[٣]. وللدلالة على النشاط الذي تشهده عمليات البيع والشراء في مدينة أسدآباد فقد وصفها المقدسي بأنها (حارة السوق)[٤].

وذكر عن دبيل (دوين) أن (أسواقه صليب)[٥] واردبيل (أسواقه مصلبة إلى أربعة دروب)[٦]، أي أنها كانت تأخذ شكل (صليب) ووصف ناسخ كتاب ابن حوقل مدينة أخلاط في منتصف القرن السادس الهجري بأن لها (أسواق حارة)[٧]، أي نشطة الحركة.

لاشك أن كثرة إشارات بلدانيي القرن الرابع الهجري إلى الأسواق المنتشرة في المدن المختلفة، نابعة من التطور الذي كانت تشهده الحياة الاقتصادية في المنطقة في ظل حكم أمرائها الحسنويين الذين اهتموا كثيراً بالأسواق ولا سيّما الأمير بدر بن حسنويه (369 – 405 هـ/979 – 1015م) وما أقدم عليه من إجراءات تجارية هامة من مثل إقامته أسواقاً جامعة وكذلك جلب مختلف البضائع والسلع التي كان سكان المنطقة بحاجة إليها وبأثمان رخيصة، والأكثر كم ذلك فقد أسلف المزارعين وغيرهم مبالغ نقدية لصرفها في السوق الجامعة، مما يترتب عليه تدفق الأموال إلى خزائن الإمارة وبالتالي توظيفها في المشاريع العمرانية والاقتصادية[٨].

ومن الأسواق التي كانت تقام في أيام معينة، ما ذكره الاصطخري عن سوق مدينة برذعة على باب الأكراد، وكانت تسمى (سوق الكركي)[٩] وكانت سوقاً واسعة

---

[1] – ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص323.
[2] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص202.
[3] – عمر رضا كحالة، دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية، (بغداد: 1973)، ص24 – 25.
[4] – أحسن التقاسيم، ص302.
[5] – المصدر نفسه، ص288.
[6] – المصدر نفسه والصفحة.
[7] – صورة الأرض، ص295.
[8] – محمد أمين زكي، خولاسه يه كي تاريخي كوردو كوردستان، ج2، ص68 – 70.
[9] – ذكر لسترنج، أن لفظة (الكركي) جاءت من اللفظة اليونانية (قرياقوس، Kuriakos) وتعني (يوم الرب)؛ ينظر: بلدان الخلافة الشرقية، ص212.

بعرض فرسخ في فرسخ أي حوالي ($36كم^2$) يتوجه إليه الناس يوم الأحد من كل المناطق، ومنها العراق[1]. وذكر أنه غلب على هذا اليوم اسم الكركي لدوامه فكان يقال: يوم السبت يوم الكركي ويوم الاثنين[2].

وقد بالغ الاصطخري عندما ذكر بأن تلك السوق كانت أكبر من سوق كورسرة[3]. ولكن ابن حوقل خفف من الأمر شيئاً بقوله: "يكاد يداني سوق كورسرة"[4] ويظهر أن النشاط الذي كان يشهده سوق برذعة في القرن الرابع الهجري لم يستمر في القرون التالية، إذ أكدّ ياقوت بأن (هذه صفة قديمة، فأما الآن فليس من ذلك كله شيء... وليس بها الآن إلا كما يكون في القرى ناس قليل وحال مضطرب...)[5].

وذكر بأنه كان هناك بين مدينتي جزيرة ابن عمر ونصيبين (سوق وبازار) يقامان في يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع[6]. وكانت توجد في إحدى رساتيق الموصل التي عرفت بـ (حسن أسواقها)[7] مدينة تعرف بـ (سوق الأحد) وفيها أسواق تقام في أوقات معينة حيث كان التجار والفلاحون الكرد يجتمعون فيه للبيع والشراء[8].

وفي نهاية موضوع الأسواق لابدّ من الإشارة إلى أن الظروف المناخية للمدن الإسلامية بشكل عام تطلبت وجود السقائف[9] لحماية المتعاملين في السوق من الحرارة والأمطار، إذ هناك إشارات بلدانية أيضاً بهذا الخصوص، فقد ورد أن معظم أسواق الموصل كانت (مغطاة) وكذلك أسواق تل فافان بين دجلة ورزم من

1- الاصطخري، المسالك والممالك، ص109.

2- المصدر نفسه، ص183، ابن حوقل، مصدر سابق، ص291.

3- كورسرة: مدينة باذربيجان تبعد عن اردبيل 12 فرسخاً (حوالي 72كم) تقام فيها سوق عند كل رأس شهر قمري، يجتمع فيها الناس من كل الأجناس وتعرض فيه السلع والمتاع بكميات هائلة، يضرب به المثل في كثافة النشاط التجاري وازدحام الناس. ابن حوقل، مصدر سابق، ص301.

4- قارن: الاصطخري، المسالك والممالك، ص109. ابن حوقل، مصدر سابق، ص291.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج2، ص301.

6- المصدر نفسه، ج2، ص257.

7- المقدسي، مصدر سابق، ص122.

8- ابن حوقل، مصدر سابق، ص196.

9- للمزيد ينظر: أحمد إسماعيل، مرجع سابق، ص67.

ناحية الجبل[1]. وبرذعة (أسواقها قد ظللت مجتمعة)[2] ومدينة طزر الواقعة غرب إقليم الجبال كانت (أسواقها مظللة)[3].

ومن المعلوم أن بلاد الكرد عرفت بكثرة خيراتها ووفرة مواردها مما ساعد على ارتفاع في المستوى المعاشي لدى سكانها وانخفاض الأسعار في أسواقها، وجلبت هذه الظاهرة نظر البلدانيين والرحالة، فضمنوا كتبهم بها في إشارات عديدة، منها ما ذكره ابن حوقل عن نصيبين (ولم تزل على ما ذكرته منذ أول الإسلام معروفة بكثرة الثمار ورخص الأسعار)[4] وفي تل فافان كانت (الأسعار بها رخيصة) وفي باعيناثا (رفق ورخص) والخابور (الأسعار بها رخيصة)[5]، وطزر (رخيصة الأسعار والخبز)[6] وهمذان (الخبز به رخيص)[7].

ووصف المقدسي مدن أذربيجان المجاور لإقليم الجبال، بشكل عام، أنها (طيبة كثيرة الخيرات والمعادن الرخص والثمار واللحوم والنعم الطيبة)[8]. وبلغ الرخص في الأسعار في بعض مدن الإقليم حداً بأن تباع الشاة بدرهمين، وفي بعضها الآخر لا يتجاوز سعرها سعر المنوين[9] أو ثلاثة أمنان أي درهماً واحداً[10].

وكانت مدينة أسدآباد بغربي إقليم الجبال معروفة بكثرة العسل[11]، مما أدى إلى رخص هذه المادة الحيوية، وذكر ناصر خسرو في رحلته، أنه بعد وصوله إلى مدينة بدليس اشترى مائة من عسل بدينار واحد، لكثرة إنتاجه في المدينة[12]. كما

1- المقدسي، مصدر سابق، ص125.
2- المصدر نفسه، ص288.
3- المصدر نفسه، ص301.
4- صورة الأرض، ص191.
5- المقدسي، مصدر سابق، ص125.
6- المصدر نفسه، ص301.
7- المصدر نفسه، ص301.
8- المصدر نفسه، ص290، ص287.
9- المنوين: مثنى (منّ) وهو: يساوي شرعاً رطلين، كل رطل (130) درهماً وهو يختلف حسب وجود استعماله في الدولة الإسلامية، ويبلغ وزنه 833غم، فالتر هنتس، مرجع سابق، ص45.
10- الاصطخري، المسالك والممالك، ص112.
11- المقدسي، مصدر سابق، ص302.
12- سفرنامة، ص7.

أشار إلى سعر العنب في مدينة ارزن، حيث كان البرسيون[1] يبيعون هناك مئة منّ من العنب بدينار واحد في عز الشتاء[2]، وهذه دلالة على رخصه، كما ألمح إلى أن ذلك العنب يسمى رز ارمانوش[3].

وكانت الأسواق لها طابع التخصص في الكثير من المدن الإسلامية ومنها الكردية. أو التي يتواجد فيها الكرد بنسب كبيرة، فالموصل كان بها لكل جنس من الأسواق الاثنان والثلاثة والأربعة، مما يكون بذلك في السوق المائة حانوت أو أكثر[4]. وأشار المقدسي إلى سوق البزازين في أرمية[5]، وأشهر الأسواق في همذان كانت سوق الصاغة[6].

مما سبق يتبين لنا أن المعلومات التي وردتنا عن الأسواق في بلاد الكرد من خلال انطباعات وإشارات البلدانيين والرحالة المسلمين، وإن كانت شحيحة لكنها في الوقت نفسه تعطينا انطباعات عامة حول بعض الأمور الهامة المتعلقة بالأسواق التي تعد محور النشاط الاقتصادي والتبادل التجاري بالإضافة إلى كونها أحد أبرز معالم المدن الإسلامية مما يعكس ذلك جانباً حضارياً هاماً لتلك البلاد.

كما أن عدم ذكر أسواق بعض المدن الكردية لدى البلدانيين لا يعني بحال من الأحوال خلوها منها، لأنه بداهة، لابد لكل مدينة من سوق أو أكثر.

3- النظام النقدي

بيّن لنا البلدانيون وخاصة بلدانيو القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، جوانب من النظام النقدي وصيغ التعامل المالي في الأقاليم المختلفة، حيث كانت تختلف تلك الصيغ من إقليم إلى آخر، ومن مكان إلى آخر داخل الإقليم ذاته، لذلك فإن النقود لم تكن متساوية من حيث الوزن والحجم والقيمة. فكانت من حيث

---

[1] – البرسيون، هم الفرس الذين حافظوا على عقيدتهم الزرادشتية ولم يدخلوا الإسلام في أعقاب عمليات الفتح، كما لا يستبعد أن يكون من بين هؤلاء كرد أيضاً إذا ما أخذنا بالحسبان الموقع الجغرافي.

[2] – سفرنامة، ص8.

[3] – رز: كلمة كردية هي (ره ز) أي البستان الذي يزرع فيه الكروم.

[4] – ابن حوقل، مصدر سابق، ص195.

[5] – أحسن التقاسيم، ص289.

[6] – لسترنج، مرجع سابق، ص299.

القيمة على نوعين: الأول نقود متينة في المعدن الذي صنعت منه، والثاني نقود عادية خاضعة للتغيير. وإن كلاً من ابن حوقل والمقدسي يشرحان قيمة النقود وفق مناطق وجودها غالباً[1].

أما بشأن طريقة التعامل بالنقود فكانت أما تحسب بالوزن أو بالعد، وكانت أوزان النقود معلومة وثابتة فكان التعامل بها غالباً ما كان بالعد[2]، وأحياناً بالوزن[3]. وكان أساس النظام النقدي في بلاد الكرد أما الدينار الذهبي أو الدرهم[4] الفضي، حيث كانت العملات الرسمية تجري بالدراهم والدنانير على حد سواء[5].

وقد أشار الاصطخري وابن حوقل إلى أن النقود المستخدمة في جميع أنحاء إقليم الجبال هي المكونة من الذهب والفضة[6]، ولكن (الذهب يغلب على الفضة)[7] على الرغم من عدم وجود هذين المعدنين في هذا الإقليم[8]. كما كانت نقود أذربيجان وآران وأرمينيا التي كان يسكنها عدد كبير من الكرد، الذهب والفضة[9]. إلا أن الرحالة ناصر خسرو لاحظ أن المعاملة في أخلاط كانت بالنقود النحاسية[10].

أما بخصوص النقود المستخدمة في أقاليم خوزستان فيظهر مما أورده المقدسي أنها كانت مثل المشرق الذهب بالدوانيق[11]، كل دانق ثمان وأربعون تمونة

1- ينظر مثلاً: صورة الأرض، ص263،62، أحسن التقاسيم، ص94، 129، 320.

2- الدوري، مرجع سابق، ص146.

3- المقدسي، مرجع سابق، ص115.

4- الدرهم: وحدة من وحدات العملة الفضية للدولة الإسلامية، كما ضربت الدراهم من النحاس وسكت من الزجاج، ويعد الدرهم أحد كسور الدينار الذهبي، وقد اقتبسه المسلمون منذ العصر الأموي من الفرس. هؤلاء اقتبسوه بدورهم عن (الدراخمة) اليونانية، أحمد عطية الله، القاموس السياسي، مج2، ص364. وكل درهم ست دوانق، المصباح المنير، ص313.

5- مسكويه، تجارب الأمم، ج1، ص340.

6- المسالك والممالك، ص120، صورة الأرض، ص317.

7- صورة الأرض، ص317.

8- الاصطخري، المسالك والممالك، ص203، الأقاليم، 88، ابن حوقل، مصدر سابق، ص317.

9- الاصطخري، المسالك والممالك، ص113.

10- سفر نامة، ص7.

11- الدانق: كل دانق يساوي ثمان حبات وخمسا الحبة، المصباح المنير، ص313، ينبع 6/والحبة: القيراط الصيرفي الذي وزنه أربع حبات، صبح الأعشى، والحبة اصطلاحاً في الموازين والمقاييس

وهي الأزة[1]، وكانت قيمة النقود تتغير من مكان إلى آخر داخل الإقليم، إذ تحدث المقدسي عن نقود خوزستان على سبيل المقارنة (فقال كل ألف درهم وزنت بأصفهان، فإنها تنقص بتستر خمسة وعشرين، ثم التسترية على الأهوازية بستة دراهم وكل مائة دينار وزنت بقزوين فإنها تزيد بتستر خمسة أو أربعة دوانيق وكل مائة درهم وزنت بخراسان درهمين وليس يعرفون القيراط)[2].

4- المكاييل والموازين

لاشك أن المكاييل والموازين كانت تتباين من إقليم إلى آخر وفق تباين الأقاليم، بل وأنها كانت أحياناً تختلف في الإقليم الواحد وبين مدينة وأخرى، وذلك لسعة رقعة البلاد الإسلامية وبالتالي عدم وجود نظام موحد وثابت للمكاييل والأوزان. ولكن من الملاحظ عن الإشارات البلدانية وجود وحدة عامة للمكاييل، كانت تستخدم في الأقاليم الإسلامية المختلفة عموماً وهي وحدة (المنّ)[3] وقد سبق ابن حوقل والمقدسي غيرهما من البلدانيين إذ أشارا إلى العديد من المكاييل والأوزان، وحددا قيمة كل منها[4] بالأرطال[5]. ففي إقليم الجزيرة (آقور) حسب تعبير المقدسي كان التعامل في المكاييل بالمدّ[6] وهو يساوي 3/1 مكوك، وهو بذلك يتسع لـ (2/5 لتر)، المكوك[1]

كان شائعاً في كثير من البلاد الإسلامية والحبة من موازين الذهب وغيره من المعادن الثمينة وتزن قدر شعيرتين والشعيرة حبة شعير وعلى هذا تزن الحبة (50/1) من المثقال وتزن الحبة (6/1) من الدينار ولكن هذه الأوزان تختلف من بلد إلى بلد آخر، وتستخدم الحبة في وزن الذهب والأحجار الكريمة كما تستخدم في العقاقير، ينظر: أحمد عطية الله القاموس السياسي، ص30.

1- تمونة والأزة: من أنواع العملة استخدمت في الأقاليم الشرقية لم أجد لها ذكراً في المصادر.

2- أحسن التقاسيم، ص320.

3- المقدسي، مصدر سابق، ص94.

4- ينظر مثلاً: ابن حوقل، مصدر سابق، ص262 – 263، المقدسي، مصدر سابق، ص305، 293، 354.

5- الرطل: هو الرطل الشرعي الذي اعتمده الفقهاء مقياساً في تقريراتهم للاحكام الشرعية وهو الرطل البغدادي أو العراقي، وكان هو الرطل الرسمي للدولة وهو الذي قدرت به الأشياء العينية التي كانت ترسل كأجزاء من الخراج. وكان الرطل العراقي يساوي 130 درهماً، وهو يساوي (25 / 406غ)، فالتر هنتس، المكاييل والاوزان الإسلامية، ص30، 31، 35.

6- المدّ: كان يساوي في صدر الدولة الإسلامية (4/1 صاع)، وكان المد يتسع لرطلين بغداديين، وفي قول أبي يوسف يتسع (3/1 – 1) رطل، وكلاهما يساوي (82/5غ) قمح وبذلك فالمد الشرعي يكون (1/5) لتر، ويبدو أن الكيل بالمد في العراق كان نادراً، أبو يوسف، الخراج، ص31. فالتر هنتس، مرجع سابق، ص74.

والقفيز[٢] والكارة[٣] كما نوه المقدسي إلى وحدة أخرى للوزن لم نجدها في أقاليم أخرى، سماها (فرق) إذ ذكر أن (فرقهم بغدادي ستة وثلاثون رطلاً)[٤] ثم ذكر قيمة كل مكيال بالرطل فالمكوك خمسة عشر رطلاً والمدّ ربعه والكارة مئتان وأربعون رطلاً والقفيز ربعها والمكوك ربع القفيز .. والأرطال بغدادية[٥].

أما إقليم الجبال فقد اختلفت فيه الأوزان والمكاييل، وتباينت أمنانهم، باستثناء الري فإن (منّ) سائر الإقليم أربعمائة[٦]. فكان منّ همذان والماهات أربعمائة درهم[٧]. ومكاييلهم مختلفة الجريب[٨] عشرة أقفزة وستة أكف[٩].

أما بالنسبة للأوزان السائدة في مدينة أرمية فكان رطلهم ثلاثمائة، ومنُهم ستمائة، وقفيز مراغة ومدّها عشرة أمنان والكليجة[١٠] سدس القفيز[١١].

---

[1] – المكوك: وتختلف قيمتها من إقليم إلى آخر، فقد حدد مكوك ما بين النهرين بأنه يعادل (15 رطلاً) أو (6/74كغم) من القمح، وفي قول آخر كان المكوك العراقي (8/1) قفيز أي (6/84 كغم) من القمح. أما مكوك الموصل وأطرافها فقد كانت له قيمة أكبر فكان يساوي (14/1) غرارة دمشقية أو يساوي (33/75) رطل طحين – 13/589 كغم، وبذلك فهو يتسع لـ (18/8 لتر)، فالتر هنتس، مرجع سابق، ص78.

[2] – القفيز: تدرج سعره في الدولة الإسلامية، فكان في دولة الراشدين يبلغ من السعر ثلاثة دراهم، وفي العصر الأموي أربعة دراهم، وفي العصر العباسي خمسة دراهم. وكان يساوي في العراق والجزيرة (30 منأ) أي (60 رطلاً) وكان رطل (130 درهم)، أبو يوسف، مصدر سابق، ص31، فالتر هنتس، مرجع سابق، ص66، المقدسي، مصدر سابق، ص115.

[3] – الكارة: ذكر المقدسي، بأن هذا المكيال كان يتعامل به في العراق وهو يساوي قفيزين أو (16 مكوكاً) وكارة القمح – 240 رطلاً، وكارة الشعير والحمص والعدس – 200 رطل، وكارة الأرز – 300 رطلاً، والكارة تساوي (120 لتر)، أحسن التقاسيم، ص؟، فالتر هنتس، مرجع سابق، ص69.

[4] – أحسن التقاسيم، ص129.

[5] – المصدر نفسه والصفحة.

[6] – المقدسي، مصدر سابق، ص129.

[7] – المصدر نفسه والصفحة.

[8] – المصدر نفسه والصفحة.

[9] – الاصطخري، المسالك والممالك، ص120.

[10] – الكليج: كانت تساوي في القرن الرابع الهجري ثلث مكوك = 600 درهم من القمح أي بما يعادل 1875 غم، أو بصورة أوق 2.5 لتر، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، (مصر: 1342 هـ)، فالتر هنتس، مرجع سابق، ص71.

[11] – المقدسي، مصدر سابق، ص129.

وفي خوزستان من الإقليم من اللحم والسمك عدا الأهواز أربعة أرطال ومن الخبز مكّي ومنّ الأهواز بغدادي في كل شيء[1] ويظهر من ذلك أن هناك عدة أوزان حسب نوع المادة التي توزن بها.

ومكاييل خوزستان أيضاً مختلفة من منطقة إلى أخرى، وهي المكوك والكرّ والمختوم[2] والكف والقفيز[3].

ثانياً: المعطيات الاجتماعية

أ- الأصول العرقية للكرد

حظي موضوع الأصول العرقية للكرد باهتمام المصادر الإسلامية، والغاية هنا ليست تتبع ما جاء فيها حول هذا الموضوع، لأن ذلك يبعدنا عن الغاية المتمثلة فيما أورده البلدانيون المسلمون بهذا الخصوص.

أما سر ذلك الاهتمام بالكرد دون غيرهم من الأقوام التي تعرف عليها العرب المسلمون، فقد يكون مرده إلى أن المناطق الكردية في الجزيرة والجبال جنوباً وشرقاً كانت أولى البلاد التي اتصل بها المسلمون الأوائل خلال عمليات الفتوحات الإسلامية في العقد الثاني من القرن الأول الهجري.

وعلى هذا الأساس يكون من الضروري أن يحاول الفاتحون الذين بدأ بعضهم بالاستيطان مع عوائلهم في تلك المناطق المفتوحة التعرف عن كثب على أحوال وطبائع سكان تلك المناطق، وبالتالي البحث عن خيوط الاتصال وسبل التعايش بينهم في ظل نظام جديد للحياة.

من المعروف أن العرب كانوا يولون اهتماماً كبيراً بالأنساب، وأن نسب الشخص عندهم هويته، وكانت شهرة النسب تحدد مكانة الفرد في المجتمع القبلي. بل وقد تعدى اهتمامهم بأنساب البشر إلى الاهتمام بأنساب الخيول والطيور، وفي ذلك كانوا حقاً خبراء متمرسين في معرفة الأنساب والتمييز بينها، وأنهم صنفوا كتباً حولها.

ومن هنا جاء تطرق بعض البلدانيين العرب إلى أصل الكرد وفي مقدمتهم

1- المصدر نفسه، ص320.

2- نوع من المكاييل استعمل في هذا الإقليم.

3- المقدسي، مصدر سابق، ص321.

المسعودي الذي أورد عدة آراء بشأن الأصل العرقي الذي ينتمي إليه الكرد بعد أن أقرّ بـ (تنازع الناس في بدئهم) حسب تعبيره[1]، والآراء التي أوردها هي[2]:

1- أن أصل الكرد يعود إلى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان من بكر بن وائل، (انفردوا في قديم الزمان وانضافوا إلى الجبال والأودية لأحوال دعتهم إلى ذلك، وجاؤوا من هنالك من الأمم الساكنة في المدن والعمائر من الأعاجم والفرس، فحالوا عن لسانهم، وصارت لغتهم أعجمية).

ومن الملاحظ عن هذا الرأي أن المسعودي لم يحدد التاريخ الذي ابتعد فيه الكرد عن مواطنهم وزمن لجوئهم إلى الجبال والأودية المجاورة لبلاد الفرس، كما أنه لم يوضح الأسباب التي دعتهم إلى ذلك، واكتفى بأن (الأحوال دعتهم إلى ذلك) وأنه ذكر بأن الاتصال بينهم وبين من لجؤوا إلى بلادهم أنساهم لغتهم الأصلية.

2- هناك من يرى أن الكرد يعود أصلهم إلى مضر بن نزار وأنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن[3]، وأنهم انفردوا في قديم الزمان لوقائع كانت بينهم وبين غسان.

ويظهر من هذا الرأي الثاني أن أصحاب هذا الرأي يحاولون إرجاع أصل الكرد (العرقي) إلى اسم (علم) عربي موهوم، حيث كان من السائد لدى العرب إرجاع أصول قبائلهم إلى (أعلام) محددة تعرف بها، أي محاولة تطبيق التقاليد العربية المتعارف عليها على الكرد بغية اختلاق نسب عربي لهم.

كما أن هذا الرأي كسابقه لا يحدد الزمن الذي جرت فيه مفارقة الكرد

---

[1] - مروج الذهب،ج2، ص249.

[2] - المصدر نفسه، ج2، ص249 – 250.

[3] - إن التوجه الرامي إلى إعادة انتماء الكرد إلى أصول عربية أو فارسية أو خرافية لم يقتصر على كتاب فترة البحث، وإنما امتد ليشمل العصور التالية حيث نقل الكتاب والمؤرخون ذلك الزعم في كتبهم دون أن يقدموا دليلاً واحداً يمكن أخذه بعين الاعتبار ووضعه في ميزان العقل. ينظر: على سبيل المثال: المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (بيروت: د/ت)، ج2، ص232.

شرفخان البدليسي، شرفنامه، ص مه لامه حمود البايزيدي، عادات ورسومت نامه، ص47 – 49. مه لا مه حمودى بايه زيدي، داب ونه ريتى كورده كان، وه ركيرانى له روسى يه وه شوكريه ره سول، (به غدا: 1984)، ص94.

(الجماعية) لمواطنهم في (جزيرة العرب)، لكنه عزى سبب ذلك إلى نزاع وقتال بينهم وبين بني غسان!

3- وهناك من يرى أن أصل الكرد يعود إلى ربيعة ومضر العربيتين وقد آووا إلى الجبال بحثاً عن المياه والمراعي، فنسوا بمرور الزمن اللغة العربية وأخذوا لغات الأمم المجاورة!.

ولكن كيف نسي جميع ذلك الخلق الكثير لغتهم، وهم يعيشون معاً أو إلى جنب بعض، لتتحول لغتهم إلى لغة أخرى أو أكثر من لغة!

إن الآراء الثلاثة السالفة الذكر تحاول – كما لاحظنا – إعادة جنس الكرد إلى أصول عربية[1]، في ظروف غامضة، ولا يعدو ذلك أكثر من فرضيات وهي أبعد ما تكون عن الحقيقة بل إلى العاطفة أقرب، وقد يكون مثل هذا التوجه نابعاً من محاولة العرب المسلمين إقامة جسر من التعايش مع الكرد واستمالتهم عقب فتح بلادهم منذ أوائل القرن الأول الهجري لا سيما أنّ بلادهم كانت أولى البلاد غير العربية التي توجهت إليها جموع الفاتحين بسبب العامل الجغرافي، وتم لهم فتحها خلال مدة وجيزة.

وزعم المسعودي أن طائفة من الكرد وهي (الشوهجان ببلاد ما هي الكوفة والبصرة، وهي أرض الدينور وهمذان، فلا تناكر بينهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار[2] بن معد) ويقول في موضع آخر (وقد ذهب قوم من متأخري الأكراد وذوي الدراية منهم ممن شاهدناهم فيما ذكرنا من البلاد، إلى أنهم من ولد كرد بن مرد بن صعصعة بن حرب بن هوازن، ومنهم من يرى أنهم من سبيع بن هوازن. وحرب وسبيع عند نساب مضر درجا فلا عقب لهما، وإنما العقب لهوازن بن بكر بن هوازن، ومن الأكراد من يذهب إلى أنهم من ربيعة ثم من بكر بن وائل)[3].

1- يقول مصطفى جواد بهذا الخصوص: "لاشك في أن إلحاق الكرد بالأنساب العربية، قد أصبح باطلاً عند أهل التحقيق والتدقيق، وكان السبب فيه على ما أرى إثبات الإخوة في النسب تبعاً للإخوة في الدين، فاخترع النسابون تلك النسبة". وهذا رأي وجيه خاصة إذا ما علمنا تأثر الكرد الشديد بالعامل الديني جعلهم يتقبلون هذا الزعم ويرددونه إلى حد الاقتناع، ينظر جاوان القبيلة الكردية المنسية، منشورات المجمع العلمي العراقي (بغداد :1973)، ص8.

2- ذكر ابن حزم أن مضر بن نزار بن ربيعة كانا أخوين وهما حفيدا عدنان الجد الأكبر للعرب المستعربة، ينظر: جمهرة أنساب العرب، (القاهرة:1962)، ص9.

3- التنبيه والإشراف، ص61.

يلاحظ مما سبق أن المسعودي نسب رأي (عربية الأصل الكردي) إلى الكرد أنفسهم كأبناء قبيلة الشوهجان وكبار السن من الكرد الذين التقى بهم، وسألهم عن الأمر.

ولكن هذا الموقف لا يمكن اعتباره دليلاً جازماً على صحة الزعم المذكور طالما لم تكن، هناك أدلة عقلية وعلمية على ذلك، لأنه بمقدور أي أحد أن يدعي انتماءه إلى الأصل الفلاني وهذا غير كافٍ لبيان الحقيقة إطلاقاً. وقد يكون ذلك محاولة من الكرد أنفسهم للتقرب أكثر إلى العرب[1] الذي تربطهم بهم رابطة العقيدة الإسلامية التي تجعل من المؤمنين إخوة. وكان ذلك بدافع العاطفة والبساطة اللتين يتميز بهما الكرد، ولكنهم كثيراً ما دفعوا ضريبة عواطفهم الجياشة تلك، عالية إذ غالباً ما استغلت تلك العواطف والنوايا الحسنة من قبل الشعوب المجاورة من العرب والترك والفرس المسلمين، الذي هضموا حقوق الكرد مراراً وتكراراً عبر التاريخ، ولم يقيسوا الأمور بميزان العدل الذي قام عليه الإسلام بل قاسوها وفق مصالحهم وأهواء حكامهم التي غالباً ما تتناقض مع الحق والعدل.

4- "ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود حين سُلب ملكه، ووقع على إمائه المنافقات الشيطان المعروف بالجسد، وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن، فعلق منه المنافقات، فلما ردّ على سليمان ملكه، ووضع تلك الإماء الحوامل من الشيطان، قال: «أكردوهنّ إلى الجبال والأودية، فرتبهم بأمهاتهم، وتناكحوا وتناسلوا فذلك بدء نسب الأكراد»!.

إن هذه الرواية ملفقة أصلاً، وهي لا تليق بمقام الأنبياء الأصفياء، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الرأي لا يعدو أكثر من هراء وهو لا يصمد أمام أبسط مفردات المنطق والعقل، إذ أن لكل من الجنّ والإنس خلقه الخاص، ولا يمكن لها التزاوج مع البعض، فلو لم يتطرق المسعودي إلى تلك الخرافة لكان أفضل له وأسلم، وهو المعروف بجودة مصنفاته التي جمعت بين شتى الفنون والمعارف. إلا أن مثل هذا الطرح وغيره من الطروحات التي انتقدها بعض الكتاب الذين أعقبوه كابن خلدون، أفقده الكثير من المصداقية والرؤى السليمة، فقد ذكر ابن خلدون

---

[1]- كان الانتساب إلى أصل عربي شيئاً مألوفاً من جميع البلدان الإسلامية بدافع ديني حتى القرن المنصرم.

Arfa, The apoli tical and socipl study, (London:1966), p.14.

منتقداً المسعودي وغيره أن (كثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثاً أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط..)[١] وقال أيضاً: «كان كتاب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الإثبات ومشهور بين الحفظة والثقاة»[٢].

فكان الأجدر بالمسعودي أن يعرض الرأي الذي أورده حول أصل الكرد على أصوله، وقياسه بأشباهه، وموازنته بمقياس الحكمة وتحكيم النظر والبصيرة نية، فهل يعقل أن تكون أمة جليلة تقطن بلاداً واسعة الأرجاء ويغلب على أحوال أبنائها السخاء والرخاء، وأنجبت آلافاً من الأجلاء والعظماء وصل شعاع عطاياهم إلى شتى البقاع والأنحاء، أن يكون أولئك من نسل الشيطان والإماء. أليس هذا هراء في هراء؟!.

ثم أن عبارة (أكردوهنّ إلى الجبال) تحمل مغزى لغوياً يهدف إلى ربط الكرد (كجنس) بلفظة (أكردوهنّ) وهي عربية، جاءت من (كَرَدَ) وتعني (طرد)[٣] أي (اطردوهنّ) فهل كان النبي سليمان (عليه السلام) عربياً حتى يلفظ بتلك الكلمة؟! ثم تؤول وتحوّل إلى أصل عربي؟ ثم هل بالضرورة أن تكون لجميع المفردات والألفاظ أصولاً في اللغة العربية؟ إنها حقاً نظرة ضيقة لو تقاس بها الأمور.

ومن الجدير بالذكر أن العديد من الكتاب العرب كانوا يجهدون أنفسهم في إيجاد أصول لغوية عربية للألفاظ الأعجمية، ويسلكون في مسعاهم شتى السبل ليحملوا تلك الألفاظ ما لا طاقة لها به ولا حاجة فيه، ويكون ذلك بلا شك على حساب الحقائق العلمية والتاريخية، لأن مجرد وجود تشابه بين المفردات في الاسم أو الوسم لا يعني بحال من الأحوال أنها ذات أصول واحدة.

5- "ومن الناس من رأى أن الضحاك ذا الأفواه... الذي تنازعت فيه الفرس والعرب في أنه من أي الفريقين هو[٤] أنه خرجت من كتفيه حيّتان فكانتا لا تغذيان

---

[1]- مقدمة ابن خلدون، (بيروت: د/ت)، ص1009.

[2]- المصدر نفسه والصفحة.

[3]- المعجم الوسيط، ج2، ص788.

[4]- تاستياغ من الثابت تاريخياً أن الضحاك الذي ذكرت له مسميات أخرى مثل (بيوراسب، ازدهاك، لشتوميكو، ايخ تومكو) كان آخر الملوك الميديين الذين كانت عاصمتهم اكباتان (همذان)

إلا بأدمغة الناس فأفنى خلقاً من فارس واجتمعت لحربه جماعة كثيرة، وقد حملوا راية من الجلود تسميها الفرس درفَش كاويان، فأخذ افريدون الضحاك، وقيده في جبل دنباوند[1].. وقد كان وزير الضحاك يذبح كبشاً ورجلاً في كل يوم ويخلط أدمغتهما، ويطعم تنين الحيتين اللتين كانتا في كتفي الضحاك، ويلجأ من تخلص منهم إلى الجبال، فتوحشوا وتناسلوا في تلك الجبال، فهم بدء الأكراد وهؤلاء من نسلهم وتشعبوا أفخاذاً[2]، ثم يضيف المسعودي «وما ذكرنا من خبر الضحاك فالفرس لا يناكرونه ولا أصحاب التواريخ القديمة والحديثة وللفرس في أخبار الضحاك مع إبليس أخبار عجيبة وهي موجودة في كتبهم»[3].

وذلك يعني أن الكرد هم بدو الفرس الذين تفرقوا في الجبال، وتلك رواية فارسية حول أصل الكرد وهي لا تقل هنا عن الروايات العربية السالفة الذكر، ويغلب عليها الطابع الخرافي الأسطوري الذي يتميز به الأدب الفارسي، وعلى الرغم مما ذكره المسعودي من أن تلك الأخبار أجمعت عليه الفرس وغيرهم من أصحاب التواريخ، فإن ذلك لا يعدّ دليلاً على صحتها لأن طريقة نقل الخلف عن السلف كان من أبرز ظواهر التدوين التاريخي في العصور القديمة، وغالباً ما كانت تلك الظاهرة تفتقر إلى النقد والتحليل، والجدير بالذكر أن المسعودي بعد عرضه للآراء الستة الآنفة الذكر، رجح واحداً منها وهو القائل بأن نسب الكرد يعود إلى ولد بن ربيعة بن نزار، واستند ترجيحه إلى أن ذلك الرأي هو (الأشهر عند الناس).

والتي سقطت على يد الملك الاخميني كورش في عام 550 ق.م، ولم يتم إلقاء القبض على الضحاك، وإنما توفي في مكان بعيد عن همذان: ينظر، داكونوق، ميديا، وه ركيرانى بورهان قانع، (بغداد: 1987)، ص577.

[1] – دنباوند: جبل عظيم من نواحي الري لا يفارق الثلج أعلاه ولا يستطيع أحد بلوغ قمته ويعرف بجبل البيوراسف، ارتبط بحكاية افريدون والضحاك، أفريدون كان يمثل التحرر من بطش وجود الملك الطاغية الضحاك (بيوراسف)، قبل أن قيد ذلك الملك بالجبل المذكور. وقيل أن الشبان الذين يحررهم وزير الملك المدعو (ارمائيل) حتى لا يصحبوا طعاماً للحيتين اللتين كانتا في كتف الضحاك، كان يرسلهم إلى ذلك الجبل، ولكن الملاحظ أن ابن الفقيه الهمذاني ومسعر بن مهلهل وياقوت لم يشيروا إلى أن أصل الكرد يعود إلى أولئك المحررين من بطش الضحاك، ينظر: مختصر كتاب البلدان، خص 251 – 253، ياقوت، معجم البلدان ج4، ص316 – 317.

[2] – مروج الذهب، ج2، ص250.

[3] – المصدر نفسه والصفحة.

6- الأكراد عند الفرس من ولد كرد بن اسفنديار بن منوشهر[1]، وهذه الرواية كما صرح بها المسعودي هي رواية فارسية كسابقتها، ولكنها تجاوزت البعد الخرافي الأسطوري الذي غلب على الرواية السابقة، وبدلاً من ذلك فإنها اختلقت اسم (علم) وهمي هو (كرد) لربط أصل الكرد به، وهي بذلك تكون شبيهة بإحدى الآراء العربية حول هذا الموضوع والذي أشير إليه من حيث أنه أصل الكرد إلى (كرد بن مرد بن صعصعة).

تلك كانت الروايات التي قيلت بشأن أصل الكرد والتي أوردها المسعودي في كتابيه (مروج الذهب) و (التنبيه والإشراف) وقد طرحت تلك الروايات كما هو بيّن دون أي دليل أو برهان. ومع ذلك فقد تناقلتها الكتب التي صنّفت في الفترات التالية لها، وكأن أصل الكرد لا يخرج من (الإطار العربي) و (الإطار الفارسي). ومما ساعد على صمود تلك الآراء الباطلة، الهيمنة السلطوية الفارسية والعربية على بلاد الكرد وأهلها سياسياً وثقافياً، أضف إلى ذلك إنجرار الكرد[2] ورائها أ وصمتهم حيالها، وعدم حمل الموضوع محمل الجدّ، فرددوا ما سمعوه وقرأوا ما كتبه غيرهم عنهم دون نقد علمي بنّاء.

واستمرت تلك الآراء بالتداول في المصادر الإسلامية حتى القرن الثامن الهجري الذي شهد ظهور العالم الموسوعي ابن فضل الله العمري (ت: 749 هـ/1348م) الذي طرح رأياً جديداً وجريئاً ومتصفاً بالصواب مفاده أن (الأكراد جنس خاص) وهم (خلائق لا تحصى وأمم لا تحصر)[3].

أما البلدانيون الآخرون الذين أعقبوا المسعودي فإن بعضهم تطرق بشكل أو

1- التنبيه والإشراف، ص94: ومنوشهر: أول ملوك الفرس من الطبقة الثانية حسب تقسيم المسعودي، وقد استمر ملكه مائة وعشرين سنة، وينظر إليه الفرس نظرة تعظيم وتقديس، وكان له سبعة أولاد وتعود أنساب أكثر شعوب فارس إليه، التنبيه والإشراف، ص94.

2- نقصد بهم أرباب القلم والسياسة أمثال: ملك اليمن الأيوبي المعز إسماعيل بن سيف الإسلام بن طغتكين بن أيوب، الذي ادعى أنه قرشي وأنه من بني أمية، وذلك سنة 599 هـ، وكذلك أبو الفداء الأيوبي وغيرهما.

ينظر: المختصر في أخبار البشر (بيروت: 1997)، ج1، ص133، ج2، ص192. ومن هؤلاء أيضاً، شرفخان البدليسي والملا محمود البايزيدي وغيرهم. ينظر: الشرفنامه، ص 47 – 50، داب ونه ريتى كوردمكان، ل 19 – 21.

3- التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق محمد حسين شمس الدين، (بيروت: 1988)، ص58.

بآخر إلى موضوع أصل الكرد، مثلما ألمح إليه الاصطخري خلال حديثه عن أحياء الكرد بفارس التي كان يزيد سكانها على خمسمائة ألف بيت، إلاّ أن أولئك (يزعمون أنهم من العرب)[1] ولم يزد الاصطخري على تلك العبارة، فلم يعلق عليها ولم يعقّب.

وربما كانت غايتهم ترسيخ نفوذهم أكثر في إقليم فارس وإضفاء نوع من الشرافة والهينة على أنفسهم من خلال ردّ أصلهم إلى العرب الذين كانوا آنذاك القوة العظمى والتي كانت تستمد هيبتها وعزتها من الدين الإسلامي.

أما ابن حوقل فإنه ذكر خلال تناوله موضوع أحياء الكرد في إقليم فارس وعدد بيوتاتهم، زعماً نسبه إلى ابن دريد[2] فقال: «ويزعم ابن دريد أنهم من العرب وأن أكثرهم من ولد كرد بن مرد بن عمرو بن عامر في حماسته، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ممن يستبطن علوم العرب وأخبارها يحتج بقوله ويسلم له ما يدعيه من هذا الباب وغيره»[3].

وهكذا نلاحظ أن ابن حوقل لفرط ثقته بابن دريد ومعلوماته فإنه يؤيده فيما يذهب إليه دون أي تردد سواء كان الأمر يتعلق بنسب الكرد أو غير ذلك.

كما ذكر ابن حوقل أن الكرد القاطنين في إقليم كرمان الذين عرفوا بالقفص زعموا أنهم من العرب[4].

أما البكري فإنه كرر ما ذكره المسعودي بهذا الخصوص ولكن بشكل أكثر اختصاراً، فقد أورد منه (يزعم أن الأكراد فضل طعام بيوراسف لأنه كان يذبح كلّ يوم إنسانين، ويتخذ من لحومها طعامه، وكان وزيره يدعى ارمائيل، فكان يذبح واحداً ويستحي واحداً يبعث به إلى جبال فارس، فتوالدوا هناك)[5].

1- المسالك والممالك، ص72.

2- ابن دريد: هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي ولد مدينة البصرة سنة (223 هـ/837م) ودرس فيها، يعد من أكبر علماء عصره في اللغة، وأقدر نقاد الشعر، له ما يقرب من خمسة وعشرين مؤلفاً في موضوعات شتى، ينظر: ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، منشورات مكتبة المثنى (بغداد :1979)، ص305 ، 32 – 33، دائرة المعارف الإسلامية، مادة (ابن دريد)، ج1، ص159.

3- صورة الأرض، ص340.

4- المصدر نفسه، ص269.

5- المسالك والممالك، ص343.

ومن جانب آخر فقد نقل البكري عن الجيهاني قوله أن: «موضع الكرد الذي فيه أولهم ما بين أرض يهوذا من أرض الشام وما بين جزيرة العرب»[1]، ولكن هذا الرأي لا يتفق مع الحقيقة في شيء، ولا يسنده دليل لأن للكرد موطنهم الذي يعيشون فيه منذ آلاف السنين كما سبق الذكر.

أما الإدريسي فإنه نقل هو الآخر عن ابن دريد الرأي القائل بأن أصل الكرد يعود إلى كرد بن مرد بن صعصعة[2].

وهكذا فإن خمسة من بلدانيي فترة البحث تطرقوا إلى الأصول العرقية للكرد، وكما لاحظنا فإن المسعودي كان أولهم، ولم يكن الآخرون سوى نقلة آرائه أو بعضها. وتلك الآراء كانت بحق مجحفة جداً بحق إحدى أقدم أمم الشرق وأعرقها، وقد مررتها الظروف الذاتية والموضوعية على الرغم من بعدها كل البعد عن الحقيقة، وما أثبتته الأبحاث الحديثة تنفي ذلك كلياً[3]. ويقول في ذلك المؤرخ الكردي محمد أمين زكي: (إن الآثار الإسلامية والروايات والقصص الكردية لا يعوّل عليها كثيراً في البحث عن أصل منشأ الكرد)[4].

أما بشأن اللغة فمن الملاحظ أن إشارات البلدانيين إلى لغات الأقوام قليلة، ويظهر أنهم عامة لم يوفقوا في التمييز بين اللغات واللهجات المختلفة وإنما خلطوا بينها، إذ غالباً ما كانوا يكتفون بذكر (الأعجمي) للدلالة على غير العربية، فعلى سبيل المثال نجد أن المقدسي خلال تناوله (أقاليم العجم) والتي جعلها ثمانية، ذكر أن (كلام هذه الأقاليم الثمانية بالعجمية إلا منها درية ومنها منغلقة.وجميعها تسمى الفارسية واختلافها بيّن وانعجامها مشكل)[5].

1- المصدر نفسه، ص344.

2- نزهة المشتاق، (طبعة ليدن: 1970)، ج3، ص419.

3- للمزيد حول أصل الأكراد ينظر: ئيحسان نوري باشا، ميزووى ره ك ره جه له كى كورد، وه ركيرانى له فارسى يه وه: حه مه كه ريم عارف، (هه ولير:1998)؛ محمد أمين زكي، خولاصه يه كى ته ئريخى كورد وكوردستان، (سليمانى:2000)، به ركى يه كه م، ل51 – 65. أرشاك بولاديان، الأكراد حسب المصادر العربية، نقله إلى العربية: خشادور صاريان وعبد الكريم ابازيد، (يريفان: د/ت)، ص104 – 140. ليرخ، دراسات حول الأكراد، ترجمة عبدي حاجي، (حلب:1992)، ص9 – 18.

4- خولاصه يه كى تاريخى كوردو كوردستان، جاب وتوفسيتي ده زكاى سه رده م، (سليمانى:2000)، ل39.

5- أحسن التقاسيم، ص211.

ولا شك في أن ما أورده المقدسي زعم باطل لأن اللغات الأعجمية ليست كلها فارسية وإن كانت لها أصول مشتركة، إلا أن عراقة اللغة الفارسية وتبينها من قبل السلطة السياسية المتمثلة بالإمبراطوريات الإيرانية المتعاقبة قبل الإسلام، جعلت منها اللغة الغالبة على سائر لغات المنطقة.

ومن جهة أخرى فإن البلدانيين المسلمين لم يتفهموا إشكالية العلاقة بين لغات المنطقة ولهجات اللغة الواحدة. ومن هنا لم يتطرقوا إلى (اللغة الكردية) باستثناء المسعودي الذي استخدمها للدلالة على (اللهجات) المختلفة للقبائل الكردية، عندما صرّح بأن (لكل نوع من الأكراد لغة بالكردية)[١].

وبشكل عام يبدو أن معظم البلدانيين لم يدركوا أن للكرد لغتهم المستقلة، وإنها ليست إحدى اللهجات الفارسية، وإنما هي ذاتها متعددة اللهجات[٢].

ت- القبائل والطوائف الكردية

لاشك في أن المجتمع الإسلامي بشكل عام – خاصة في فترة البحث- كان يغلب عليه الطابع البدوي أو الريفي وما يترتب عليه من تحديد نمط العيش والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية أكثر من الطابع الحضري.

وكان المجتمع الكردي أحد المجتمعات الإسلامية التي تنطبق عليه الحالة المذكورة، حيث كان الارتباط بين أفراده يقوم على أساس (عشائري)[٣] أو (قبائلي)[٤]، ومن جانب آخر كان التجوال والتنقل من مكان إلى آخر بحثاً عن

---

[1]- مروج الذهب، ج2، ص249.

[2]- للمزيد ينظر: شرفخان، مصدر سابق، ص50، ص87، ئه مين زه كي، سه رجاوه ى بيشوو، ل206 – 225. فؤاد حمه خورشيد، التوزيع الجغرافي للهجات الكردية، (بغداد: 1986)، تاريخ، ص9، زبير بلال إسماعيل، تأريخ اللغة الكردية، (بغداد :1977).

[3]- العشيرة: تتكون من عدد غير قليل من الناس ينتمون بالأصل إلى بطن واحدة، وإن كانوا يشكلون أفخاذاً حسب عرف العشائر، والواقع أن النموذج الشائع للعشيرة الكردية كان ولا يزال هو الذي يقوم على أساس الاشتراك في الموضع، للمزيد ينظر: شاكر خصباك، الأكراد، (بغداد :1971)، ص436، عبد ربه سكران إبراهيم الوائلي، أكراد العراق (1851 – 1914) أطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب (جامعة القاهرة: 1987)، ص82.

[4]- القبيلة: تتكون من عدة عشائر ولكنها تنتمي إلى جد واحد، ويبدو أن التنظيم العشائري الكردي لا يفرق بين العشيرة والقبيلة، أو بالأحرى لا وجود للقبيلة فيه. الوائلي، مرجع سابق، ص82، توما بوا، مع الأكراد، ترجمة آواز زنكنة، (بغداد :1975)، ص38.

المراعي، إحدى الظواهر التي لاحظها البلدانيون المسلمون، ووقفوا عندها، ليقدموا لنا معلومات مفيدة عن تلك القبائل والعشائر والتي عبّروا عنها بالطوائف وخاصة من النواحي الاجتماعية والاقتصادية.

وقد ورد في كتب البلدانيين ذكر أسماء العديد من القبائل والطوائف الكردية المنتشرة بين الأقاليم الكردية المختلفة أو ذات التوطن الكردي الكثيف. وإذا كان بلدانيو القرن الثالث الهجري أشاروا إلى طوائف وبيوتات كردية في أقاليم فارس وأذربيجان وخوزستان – أي خارج الموطن الرئيسي للكرد – في بضع مرات[1]؛ فإن الفضل يعود إلى بلدانيي القرن الرابع الهجري في تحديد أسماء الكثير من القبائل والطوائف الكردية ومواطن سكناها أو مشاتيها؛ ولا سيّما المسعودي وابن حوقل والاصطخري ومسعر بن مهلهل[2].

أما ياقوت فإن معجمه حافل بالتطرق عشرات المرات إلى القبائل والمجموعات الكردية وخاصة المتحصنة في القلاع والحصون المنتشرة في بلاد الجزيرة والجبال – كما سنرى – .

وإذا كانت القبائل والأفخاذ والبطون العربية قد نسبت في أصولها إلى أشخاص يمثلون جدودها وشيوخها، بالنظر إلى الطبيعة الجغرافية لبلاد العرب والتي يغلب عليها الطابع الصحراوي، وما يترتب عليه من ظروف مناخية ومعيشية قاسية والتي تتطلب تجمع أبناء المنطقة حول شخص قوي يحميهم من عوادي الدهر وكذلك لدرء المخاطر، حيث التصارع والتنافس بين المجموعات البشرية (القبائل) بغية عيش أفضل وأكثر أماناً، وإذا كان انتساب العرب إلى أشخاص تتمثل في (الجدود)، فالملاحظ إن انتساب الكرد يعود غالباً إلى المنطقة الجغرافية التي كانت يعيش عليها بشكل مجموعات، لأن الفضل في تأمين وسائل العيش لهم يعود إلى البيئة الجغرافية ذات الطبيعة الجبلية – في الغالب – والمنطقة بكثرة خيراتها المتأتية من وفرة مصادرها المائية. ومن الواضح أن البيئة الجغرافية تحدد إلى حد كبير أنماط الحياة للمجتمعات البشرية وتنعكس مظاهرها على أخلاقها

---

[1] – ينظر: ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص51، ابن رسته، مصدر سابق، ص؟، ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص188، قدامة بن جعفر، مصدر سابق، ص338، ص378، ص381، ص385.

[2] – التسلسل وفق الأولية في ذكر أكبر عدد من الطوائف الكردية.

وطبائعها. وقد أكد المسعودي أن سكان الجبال من الأكراد اتصفوا بالفظاظة بقوله: «فلذلك أخلاق قطانها على ما هي عليه من الجفاء والغلظ»[1].

أما الطوائف الكردية التي ذكرها المسعودي في كتابيه (مروج الذهب)[2] و (التنبيه والإشراف)[3] فهي:

- الشوهجان: وكانوا يقطنون في المنطقة الواقعة بين ما هي الكوفة والبصرة وهي أرض الدينور وهمذان.

- الماجردان: وهم من الكنكور الواقعة بين همذان وقرميسين (كرمنشاه) في إقليم أذربيجان.

- الهذبانية[4].

- الشاذنجان: في بلاد الجبال.

- اللورية: في بلاد الجبال.

- المادنجان – (البازنجان).

- البارسان (البارسيان)[5].

- الخالية (الكلالية) (الجلالية)

- الجابا رقية: أول من ذكرها من البلدانيين هو ابن خرداذبة[6].

- الجاوانية[7].

1- مروج الذهب، ج2، ص96 – 97.

2- ج2، ص251.

3- ص78، التنبيه والإشراف، ص78.

4- ينظر: أحمد عبد العزيز محمود، الهذبانيون في أذربيجان واربل والجزيرة الفراتية.

5- لعلها مصفحة عن الباسيان – بازيان وهي المنطقة الواقعة بين قضاء جمجمال ومحافظة السليمانية.

6- المسالك والممالك، ص27.

7- ينسب إليهم الصحابي الجليل جابان الكردي الذي روى ابنه أبو بصير الكردي أحاديث عن النبي (ص). ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوي (القاهرة: د/ت)، ج1، ص429.

وحول جاوان والجاوانيين، ينظر مصطفى جواد؛ هوزى له بير كرواى كاوان، وه ركيرانى هه زار جابخانهى كورى زانيارى كورد، (به غدا: 1973).

- المستكان.

-الدبابلة (الدنابلة): كانوا يقطنون بلاد الشام.

- اليعقوبية: وهم نصارى.

- الجورقان (الجوزقان): وكانوا نصارى أيضاً.

- السراة (الشراة): وكان رأيهم رأي الخوارج.

- الجروغان.

- الكيكان.

والجدير بالذكر أن قبائل وطوائف الكرد لم تقتصر على ما صرح به المسعودي بأسمائها فقط، وإنما ذكر قسماً منها بدليل أنه أسبق ذكر أسمائها بقول مخصص دال على التبعيض فقال (منهم) أي أنه لم يذكر من تلك الطوائف إلا على سبيل المثال لا الحصر؛ ثم بعد أن ذكر بعضاً منهم قال: «وغيرهم ممن بزمام فارس وكرمان وسجستان وخراسان وأصبهان وأرض الجبال من الماهات: ماه الكوفة وماه البصرة – الدينور وهمذان وماسبذان والايغارين وهما البرج وكرج أبي دلف وهمذان وشهرزور ودراباد والصامغان وأذربيجان وأرمينيا وآران والبيلقان والباب والأبواب ومن الجزيرة والشام والثغور»[1]. أما الاصطخري فإنه لم يتطرق إلى القبائل والطوائف الكردية باستثناء إشارته إلى بعض زموم الأكراد بفارس[2].

أما ابن حوقل فقد أسهب في ذكره زموم الأكراد وأحيائهم في فارس[3]، كما أنه أورد ذكر عدد من الطوائف الكردية وكذلك مواطن تواجدها كالحميدية واللارية والهذبانية[4]، في غربي إقليم الجبال وإقليم الجزيرة والشراة بمدينة سهرورد[5] واللور في إقليم خوزستان[6] والهذبانية في إقليم أذربيجان[7] والروادية في نواحي

1- التنبيه والإشراف، ص78.

2- المسالك والممالك، ص87.

3- صورة الأرض، ص236، ص 239، ص240.

4- المصدر نفسه، ص195، ص205، ص315.

5- المصدر نفسه، ص314.

6- المصدر نفسه، ص232.

7- المصدر نفسه، ص289.

أبهر ورزقان التابعة للإقليم السابق[١] والشهارجة بالجزيرة[٢] والمازنجان بفارس على حدود أصفهان[٣].

والجدير بالملاحظة أن المقدسي، على الرغم من أهمية كتابه وما تميز به هو عن غيره من البلدانيين، فإنه لم يشر إلى اسم أية قبيلة أو طائفة كردية باستثناء ذكره لبعض زموم الأكراد وأحيائهم بفارس[٤]، ربما كان ذلك لعدم ميله إلى تكرار ونقل ما كتبه غيره، حيث يلاحظ عنه تجنبه التكرار عموماً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

أما الرحالة مسعر بن مهلهل فقد ذكر من الأكراد، الهذبانيين[٥] القاطنين في جنوب غربي أرمية، وطوائف الجلالية[٦] والباسيان[٧] والحكمية[٨] والسولية[١] الذين كانوا ستين ألف بيت يشتون في شهرزور[٢].

1- المصدر نفسه، ص289.

2- المصدر نفسه، ص196.

3- المصدر نفسه، ص236.

4- أحسن التقاسيم، ص 339 – 340.

5- الهذبانية: اختلف الباحثون بشأن الأصل اللغوي لهذه الكلمة، أما نشاطاتهم فتعود بداياتها إلى أواخر القرن الثالث الهجري، ودخلوا في صراعات مع القوى المحلية وخاصة الحمدانيين الذين أجبروهم على ترك موطنهم الأصلي في منطقة الهكارية، وتمكنوا من تأمين إمارة لهم كان مركزها اربل، أوائل القرن الخامس الهجري استمرت أكثر من قرن، للمزيد ينظر: أحمد عبد العزيز، الهذبانيون في أذربيجان واربل والجزيرة الفراتية.

6- الجلالية: يكاد يجمع الباحثون المحدثون على أن الجلالية و (الكلالية) شيء واحد أي أنهما تسميتان لعشيرة واحدة، ينظر: عباس العزاوي، عشائر العراق الكردية، مطبعة المعارف، بغداد :1947، ص17. محمد أمين زكي بك، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ولكن أحد الباحثين توصل إلى رأي مفاده أن الجلالية و الكلالية مختلفتان وكل منها تسمية لعشيرة مستقلة، فالكلالية ما زالت موجودة باسمها وهي التي تقطن في كردستان إيران، أما الجلالية فهي الأخرى قائمة في الوقت الحاضر ويقطن أفرادها في المثلث الحدودي بين إيران وتركيا وأذربيجان الغربية، ويسكن بعض بيوتاتهم في بعض مدن كردستان العراق.

للمزيد ينظر: حسام الدين النقشبندي، الرسالة الثانية لمسعر مهلهل وشهرزور، كوفارى زانكوى سليمانى، زماره (8) سال 2001، ص 217 – 219.

7- أغلب الظن أنها (بازيان) الحالية.

8- ذكر عباس العزاوي أن الحكمية تنسب إلى مروان بن الحكم الأموي. وهو زعم لا يستند إلى أساس، ينظر: عشائر العراق الكردية، ص17.

أما البلداني المغربي البكري فقد أشار إلى ست طوائف كردية بقوله: (ومن أجناس الأكراد: الشوهجان الماجردان والماذنجان والكيكان والبارسان (المارسان) والمستاكان وغيرهم)(٣) وحدد مواطنهم بأرض الدينور وهمذان وبلاد أذربيجان وبلاد الشام وبأرض الموصل إلى جبل الجودي، ثم أضاف بأن أولئك نصارى على رأي اليعقوبية(٤). وأظن أنه منفرد بهذه المعلومة من بين البلدانيين الآخرين.

ومنذ أواخر القرن الخامس حتى العقد الثاني من القرن السابع الهجريين لا نجد أثراً يذكر للقبائل والطوائف الكردية في كتب البلدانيين، ولكن بظهور ياقوت الحموي ومعجمه الموسوعي يتغير الأمر كلياً، حيث تطرق ياقوت إلى هذا الموضوع عشرات المرات وبشكل أكثر إسهاباً من البلدانيين الذين سبقوه ابتداءً من القرن الثالث الهجري. ومما ذكره من القبائل الكردية.

- الهذبانية: ذكر أنهم كانوا ينزلون في نواحي الموصل، وذكر اسم شخصية هذبانية تدعى الأمير شرف الدين يعقوب بن الحسن الهذباني، مؤكداً أنه نقل عن المذكور - وهو في دمشق - معلومات بلدانية دقيقة عن بلاد الشام وجزيرة العرب(٥)، مما يوحي أنه جاب تلك الديار، وأخذ أوصافها وانطباعات الأمير عنها دون أن يدونها في كتاب، ولعلّ من المفيد عرض المعلومة التي نقلها ياقوت عن الهذباني، وهي (أذرح: وهو اسم بلد في أطراف الشام من أعمال السراة ثم من نواحي البلقاء وعمّان ومجاورة لأرض الحجاز، فقد حدثني الأمير شرف الدين يعقوب بن الحسن الهذباني، قبيل من الأكراد، ينزلون في نواحي الموصل. قال: رأيت أذُرح والجرباء غير مرة وبينهما ميل واحد، - بل - وأقل لأن الواقف في هذا ينظر هذه، واستدعى رجلاً من أهل تلك الناحية ونحن بدمشق واستشهده على

1- السولية: لعلها (سيوه يل) وهي منطقة تابعة لمحافظة السليمانية، كما أورد ذكرها العمري في القرن الثامن الهجري باسم (السول)، مسالك الأبصار، إصدار فؤاد سزكين، السفر الثالث، ورقة 124، العزاوي، عشائر العراق الكردية، ص17.

2- الرسالة الثانية، ص18.

3- المسالك والممالك، ص344.

4- المرجع نفسه والصفحة.

5- ينظر معجم البلدان، ج1، ص110، ج3، ص212، ج4، ص302،ج5، ص52، ص73، ص226، ج6، ص372،ج8، 284، ص440.

صحة ذلك فشهد به ثم لقيت أنا غير واحد من أهل تلك الناحية، وسألتهم عن ذلك فكلّ ما قال مثل قوله)[1].

– الزرزارية: وقد عرف بهم إحدى القلاع التابعة لاربل، وكانت تدعى خفتيان الزرزاري[2].

– الحُميدية: وكانوا يتواجدون في قلعة العقر الحصينة في الجبال الواقعة شرقي الموصل[3] وأعمالها مثل الشوش[4] والغيضة[5] وجوجر[6] وغيرها .

– الداسنية: قال ياقوت (داسن اسم جبل عظيم في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي فيه خلق كثير من طوائف الأكراد يقال لهم الداسنية)[7].

– الجوبية: كانوا يسكنون إحدى القلاع التابعة لحصن كيفا[8].

– الجلالية: نقل ياقوت عن مسعر بن مهلهل أن أولئك صنف من الأكراد في عشرات الآلاف من البيوت يشتون في شهرزور[9]. وفي موضع آخر من معجمه أشار في حديثه عن قرية (باكَلبا) التابعة لاربل إلى فقيه صديق له يدعى أبو عبد الله الحسين بن شروين بن أبي البشر الجلالي الباكلبي: (تفقه للشافعي وأعاد في عدة مدارس في الموصل وحلب، وسمع الحديث من جماعة، وهو شاب فاضل مناظر، والجلالي نسبه إلى قبيلة من الأكراد)[10].

– الهكارية: (نسبة بلدة وناحية وقرى فوق الموصل في بلد جزيرة ابن عمر يسكنها أكراد يقال لهم الهكارية)[11].

---

[1] – معجم البلدان،ج1، ص110 .

[2] – المصدر نفسه، ج3، ص240.

[3] – المصدر نفسه، ج6، ص338.

[4] –المصدر نفسه، ج5، ص162 .

[5] – المصدر نفسه، ج6، ص403.

[6] – المصدر نفسه، ج3، ص87.

[7] – المصدر نفسه، ج4، ص284.

[8] – المصدر نفسه، ج3، ص153 .

[9] – المصدر نفسه، ج5، ص165 .

[10] – المصدر نفسه، ج2، ص261.

[11] – المصدر نفسه، ج8، 480.

- البشنوية والبختية: وهما طائفتان كانتا تقطنان في كورة الزوزان وخصوصاً في قلاعها الحصينة[1]، إذا كانت هذه الكورة (أهلها أرمن وفيها طوائف من الأكراد)[2].

- اللور: وهو جيل من الأكراد في جبال بين أصبهان وخوزستان، وتلك النواحي تعرف بهم[3].

- الجوزقان (الجورقان): جيل من الأكراد يسكنون أكناف حلوان، ينسب إليهم أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم بن الحسين بن جعفر الجوزقاني[4]، وهم الكوران.

- زومان: وهم طائفة من الأكراد لهم ولاية، وكانوا يقطنون إحدى نواحي أرمينيا مما يلي الموصل وهي ناحية زوم[5].

- بنو أيوب: أشار ياقوت خلال تعريفه لمدينة (دوين) إلى أنه (منها ملوك بنو أيوب)، دون أن يذكر أنهم من الكرد الروادية، إحدى بطون الهذبانية.

- الأكراد الشامية: وكانوا يسكنون في حصن الأكراد المنيع الذي أقيم على جبل الجليل المتصل بجبل لبنان والواقع بين بعلبك وحمص، وعرف بهم لأنهم تمركزوا هنالك ليكونوا حاجزاً منيعاً بوجه الصليبيين[6].

وفي موضع آخر وخلال تناوله تاريخ مدينة ميافارقين، أشهر مدن ديار بكر، ألمح إلى جبال هناك، وذكر أنه (يسكنه في زماننا الأكراد الشامية)[7] وقد يعني ذلك أن عدداً من الكرد الذين كانوا في حصن الأكراد قد انتقلوا إليه، بعد أن فقدوا الحصن.

ث- صفات وطبائع عامة

ألمح البلدانيون والرحالة المسلمون إلى عدد من الأمور الاجتماعية المتعلقة بالكرد، ويتميز بلدانيو القرن الرابع الهجري عن غيرهم في هذه الناحية، ويحتل

1- ينظر: الفصل الثاني من هذه الدراسة.
2- معجم البلدان، ج4، ص488.
3- معجم البلدان، ج7، ص177.
4- المصدر نفسه، ج3، ص91.
5- المصدر نفسه، ج4، ص489.
6- المصدر نفسه، ج3، ص152.
7- معجم البلدان، ج8، ص345.

المقدسي مركز الصدارة بينهم حيث خصص باباً منفرداً عن الأحوال العامة عند نهاية حديثه عن كل إقليم من الأقاليم الخمسة عشر التي تناولها.

كما يذكر بعض البلدانيين صفات عامة لأهالي إقليم واحد، أو يذكرون بعض الخصائص الاجتماعية لسكان مدينة بعينها.

ولعل اليعقوبي أول بلداني وصف الكرد صراحة بأن فيهم غلظة وذلك خلال تعريفة للبلاد والأقاليم المختلفة وسكانها، فوصف كور الجبل بـ (الحزنة الخشنة المثلجة)[1] بأنها: «دار الأكراد الغليظي الأكباد»[2]. يظهر من هذا النص أن اليعقوبي ناسب بين الطبائع الاجتماعية لهم والحالة المناخية لبلادهم. بعبارة أخرى أن ما اتصف به الكرد وبلادهم من الخشونة والغلظة إنما هو انعكاس لصعوبة المنطقة وقساوة مناخها القارس. وهذا ما أكدّ عليه المسعودي أيضاً في تأثير العوامل الجغرافية على طباع وأخلاق سكان الجبال[3]. ويستدل من هذه النصوص أن الخشونة والغلظة التي وصف بها الكرد أنها تدل على شدة بأس القوم وقوتهم وتمكنهم من مقاومة الظروف المناخية القاسية والطبيعة الصعبة لبلادهم مما جعل القوم أشداءً غليظي الأكباد.

أما القزويني فإنه وصف الجبال وأهلها وصفاً إيجابياً بقوله: (وهي أطيب النواحي هواءً وماءً وتربة، وأهلها أصحّ الناس مزاجاً وأحسنهم صورة)[4]. مما نلحظ في هذه الرواية أيضاً التوافق والتناسب بين صحة الهواء وصحة الطبائع.

وقد أكد ابن رسته على تأثير الكواكب والأبراج والشمس على الطبائع بقوله: (أن للشمس غير دلالتها على الأهوية وتركيب الأشخاص والنفوس الحيوانية وأمزاجها من المدن والخلق والأخلاق والديانات والمعادن والنبات والنشوء بإذن الله عز وجل)[5]. ومن المعلوم أن العلاقة بين الفلك وطبائع البشر فكرة قديمة.

أما المقدسي فقد وصف أهل الجبال بأن (فيهم لطافة ولباقة)[6]، كما

---

[1] – معجم البلدان، ص6.

[2] – المصدر نفسه والصفحة.

[3] – مروج الذهب، ج2، ص248.

[4] – ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص329.

[5] – الأعلاق النفيسة، ص12.

[6] – أحسن التقاسيم ص303.

وصفهم بكثرة عملهم ورجاحة عقلهم عندما ذكر بأن فيهم (علم كثير وعقل وحذق وإتقان)[1]، إلا أن ما يدل على شراسة الكرد الجبليين، هو ما استشهد به بعض الشعراء في قصائدهم وضربوا بها المثل إذ قال أحدهم.

كم قطعنا من عدوّ شرس   زط[2] وأكراد وقُفس[3] قَفَس

وقال شاعر آخر:

ولو أصبحت بنت القطاميّ دونها   جبال بها الأكراد صُمّ صخورها

لباشرت ثوب الخوف حتى   بنفسٍ إذا كانت بأرض تزورها[4]

تدل هذه الأبيات على مدى الخوف والهيبة من أكراد الجبال، إذ يبين الشاعر فيها أنه على استعداد لركوب المخاطر والوصول إلى حبيبته واجتياز منطقة الجبال الوعرة المسكونة بالأكراد من أجلها.

وقد أورد بعض البلدانيين إشارات عن طبائع وخصائص أهالي بعض البلدان والأقاليم، التي لا تخلو من طرافة لكنها لم تأت جزافاً، فقد قيل أن قباذ بن فيروز صنّف الأقاليم التي كان يحكمها ليصل إلى أبرز ما يميز كل إقليم عن غيره فوجد أعقل أهل بلاده سبعة مواضع من بينها ماسبذان وهمذان، وأمكرهم أحد عشر موضعاً من بينها ماسبذان ومهرجانقذق وتُستر. ووجد أقل أهل بلاده نظراً في العواقب أي أقصرهم نظراً ثمانية مواضع من بينها ماسبذان ومهرجانقذق والبندينجين[5].

يلحظ مما أورده ابن الفقيه الهمذاني أن بعض المواقع جمعت بين صفات قد تكون متضاربة كمدينة ماسبذان التي وصف أهلها بأنهم من أعقل الناس تارة ومن أقصرهم نظراً تارة أخرى، فكيف يمكن الجمع بين العقل وقصر النظر!.

---

[1] - ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص75.

[2] - الزّط: معرب (جت) وكانوا أخلاطاً من الناس وعرفوا بالنور، أصلهم من هنود آسيا كانوا يسكنون شواطئ الخليج جنوبي العراق، وكان لهم دورهم السياسي والعسكري في القرن الثالث الهجري، ينظر: محمد الخضري بك، مرجع سابق، ص 195 – 196.

[3] - القفس: وهم جيل بكرمان في حياتها كالأكراد يقال لهم القفس والبلوص، ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص75.

[4] - ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص75.

[5] - ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص194.

أما أبو حامد الغرناطي فذكر هو الآخر أن القدماء اعتبروا أخلاق أهل البلاد وما امتاز به أهل كل مدينة من طبائع، فوجدوا أهل بقاع الأرض سبعة مواضع من بينها؛ حلوان وماسبذان ونهاوند، ووجدوا أمكر أهل بقاع الدنيا أهل ماسبذان ومهرجان وأذربيجان والموصل وأرمينيا وشهرزور والصانعان ووجدوا أبخل أهل بقاع الأرض أهل ماسبذان ودبيل ودينور وحلوان[1].

وأورد الغرناطي أن: (أهل الجزيرة أشجع الفرسان واقتل للأقران)[2]، ووصف ابن حوقل أهل الجزيرة بالشرافة[3]. كما أشاد المسعودي بأهل الجزيرة، وذكر أن فيهم (همم ولهم بأس ومراس) ولاشك أن ما اتصف به أولئك الكرد من الخصال كالشجاعة وشدة البأس كانت تتضح، وتبرز نتيجة الدور العسكري البارز الذي اضطلع به الكرد في التاريخ.

وقد أورد ابن الفقيه الهمذاني جانباً من حياة ملوك الجبال في الشتاء، إذ أنهم كانوا (لا يعدون العيش عيشاً ولا النعمة إلا في أيام الشتاء)[4] وذلك لتمتعهم بلبس أحسن الثياب وأدفئها من تلك المصنوعة من فرو الحيوانات البرية، كما كانوا يفرشون أشكالاً من الفرش الغالية الثمن كالخزّ والأرمني والديباج والمرغزي وغير ذلك، كذلك جاء في كتابه كيف أن أولئك الملوك قد اتخذوا القصور المشيدة التي يعقدون فيها مجالس ليلية في موسم الشتاء الذي يتصف لياليه بالطول إ (يستلذّ فيه الملوك شرب المدام لطول الليل وقلة الهوام الذي هو صديق النفس وحياة الأبدان والسبب إلى الزيادة في الأعمار وصحة الأجسام..)[5].

والى جانب الصفات العامة التي أشار إليها البلدانيون فإن بعضاً منهم تطرق إلى بعض خصوصيات الطبائع لمدينة معينة، وقد يأخذ ذلك صفة المقارنة بين مدينة وأخرى مثلما أجرى ذلك الاصطخري عند حديثه عن مدينة الدينور بأن (أهلها أحسن طباعاً من أهل همذان)[6] التي وصفها المقدسي أيضاً بأنها (ظريفة

1- تحفة الألباب، ص216.

2- المصدر نفسه، ص215.

3- صورة الأرض، ص190.

4- مختصر كتاب البلدان، ص216.

5- المصدر نفسه والصفحة.

6- المسالك والممالك، ص198.

الأهل)[1] كما وصف أهل نصيبين بأن لهم (يسار ولباقة)[2]. ووصف الأكراد البشنوية بأنهم قوم (فيهم المروة والعصبية ويؤون من يطلب منهم الحماية)[3].

ووصف أهل ماردين بقساوة القلوب وقوة الألسن أي بإمكانهم إقناع من يقابلهم مهما كانت حجته. ولذلك قال بعض الظرفاء بشأنهم:

في ماردين، حماها الله، لي سكن لولا الضرورة ما فارقتها نفسا

لأهلها السن لان الحديد لها وقلبهم جبلي قد قسا وعسا[4]

وقد يعلل ويفسر نعتهم بهذا الشكل إلى مزاولتهم النشاط التجاري الدائم في المدينة واختلاطهم بالتجار واحتكاكهم بالمسافرين على نطاق واسع، وهو ما تدل عليه ذلك كثرة الأسواق والخانات في المدينة[5].

وذكر ناسخ كتاب ابن حوقل أنه دخل مدينة آمد سنة 534 هـ ووجد أن أهلها (أناس ذات يسار ومروءة والأفضال والكرم ومواساة الغريب)[6]، وفي معرض تناوله لشهرزور اتهم ياقوت الكرد القاطنين في جبال تلك النواحي بأنهم يغيرون على من يجوب مناطق سكناهم، ويمر قرابة مدنهم وقراهم وأنهم اعتادوا على (إخافة السبيل) دون أن يردعهم رادع ويمنعهم مانع[7].

ولم يكتف ياقوت بهذا الحدّ من تشويه صيتهم وإنما تجاوز ذلك ليعمم تلك الصفات الذميمة على الكرد قاطبة عندما قال: (وهي طبيعة الأكراد معلومة وسجية جباههم بها موسومة). وعلى الرغم من قوله هذا فإنه أشاد بإنجاب شهرزور لعدد يفوق الحصر (من الأجلة والكبراء والأئمة والعلماء وأعيان القضاة والفقهاء)، ومنهم بنور الشهرزوري وبنو عصرون[8]، الذين برزوا في مجال القضاء وقدموا خدمات جليلة للأمة.

1- أحسن التقاسيم، ص302.

2- المصدر نفسه، ص124.

3- ياقوت، معجم البلدان، ج6، ص167، القزويني، آثار البلاد، ص432.

4- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص194. القزويني، آثار البلاد، ص260.

5- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص194.

6- صورة الأرض، ص201.

7- معجم البلدان، ج5، ص165.

8- المصدر نفسه والصفحة.

لا ينكر إن ما ذكره ياقوت إجحاف بحق الكرد الذين اضطلعوا بدور بارز في التاريخ والحضارة الإسلامية في مختلف العصور، وكان الأجدر به أن يصحح المفاهيم الخاطئة والأحكام الباطلة التي اقترنت بالكرد لا سيّما أنه عاصر السلطان الكردي صلاح الدين الأيوبي وأنه شاهد وسمع ما أنجزه وما حققه من مكاسب لصالح الأمة الإسلامية خلال صفحة الصراع الإسلامي – الصليبي.

ومن الواضح أن الكرد وقد عانوا الأمرين على أيدي المتسلطين على مرّ العصور، ولأنهم جبلوا على حبّ الحرية والاستقلال، ورفض سيطرة الغرباء، تلك الصفات التي كان أحد روافدها يتمثل في الطبيعة الجغرافية لبلاد الكرد، إذ دفعهم ذلك إلى مضايقة القوى التي كانت تحاول اغتصاب حقوقهم ومصادرة استقلالهم، وكان فعلهم هذا قد يصل حد الإفراط أحياناً ليشمل كل من يقترب منهم وكل غريب يمر بقربهم ظانين أنه يبطن السوء نحوهم.

وحتى لو سلمنا بقيام بعض العناصر الكردية البدوية بالتعريض للطرق ونهب القوافل كان ينبغي من البلدانيين تفهم هذا الأمر، وأخذه مأخذاً عادياً لأن تلك الأعمال الشائنة لم تكن مقتصرة على عناصر من الكرد بل كانت الأعراب والديلم وغيرهم تمارسها أيضاً، إذاً فلماذا تجاهل جميع فضائلهم وتعميم تلك الممارسات السلبية على جميعهم، والزعم بأنها (طبيعة الأكراد معلومة وسجية جباههم بها موسومة). ثم ألم يناقض ياقوت نفسه عندما استذكر فضائل علماء وقضاة شهرزور؟!.

إن ما ذكره ياقوت يشابه ما أورده ابن جبير مع الفارق في المكان، فيظهر أن ذلك الرحالة الأندلسي الذي أتى المشرق دون أن يعلم الكثير عنه وخاصة طبائع أقوامه، نجده ينعت كرد الجزيرة بقطع الطريق وإعاثة الفساد في الطريق بين نصيبين ودنيسر والذي لم يكن طريقاً آمناً بسبب هجمات الكرد الذين كانوا آفة البلاد حسب زعمه[1].

ومن المؤكد أن ما ذكره ابن جبير كان ترديداً لما سمعه فحسب، وإن مجرد السماع لا يغني عن الحق شيئاً، فالواقع أن تلك الأعمال المسلحة والتي وصفت بغير الشرعية، واتخذت فيما بعد طابعاً اجتماعياً إنما كانت لها جذور سياسية، التي

[1]- رحلة ابن جبير، ص215.

كانت نابعة من إدراك سكان المنطقة من الكرد بأنهم قد سلبوا السيادة والحقوق، وإن خيرات بلادهم يأخذها غيرهم، وإن بلادهم غدت ميداناً للصراعات بين القوى المختلفة وهم المتضررون بالدرجة الأولى في ذلك ولعل ورائها شعور قومي نابع من ذلك الواقع.

ومن جانب آخر فإن ابن جبير هو الآخر لم يحاول الربط بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والكرد الذين شتمهم، وإن سيول المدح والإطراء التي أمطرها على صلاح الدين الذي كان بالفعل مثال القائد الجامع لصفات القيادة وكذلك المسلم الملتزم بدينه في وقت كانت هناك أزمة خانقة في صفوف الشعوب الإسلامية، لكن ذلك لم يخفف من حكمه الجائر على أجداد صلاح الدين[١].

ومن الجدير بالملاحظة أيضاً ندرة إشارات البلدانيين والرحالة إلى العادات والتقاليد أو الأعياد والمناسبات التي كان الأكراد يحتفلون بها، وقد يكون مردّ ذلك أن الكرد وغيرهم عندما دخلوا الإسلام غدت لهم مناسبات محددة، مشتركة وبخاصة الاحتفال بالعيدين الفطر والأضحى وأصبح الأمر عندهم شيئاً مألوفاً فلم يثر اهتمامهم.

وكذلك يمكن تعليله بأن الكرد الذين كتب البلدانيون الرحالة عن بلادهم لم يرصد عنهم أمر غريب أو شاذ لافت للنظر فيما يتعلق بالعادات والقيم الاجتماعية، كأن تكون بعيدة عن القيم والمبادئ الإسلامية بحيث تكون جديرة بالإبراز كما كانت الحال فيما يخص أقواماً وشعوباً أخرى كالخزر والهنود[٢] وغيرهم.

ويستشف من نص أورده البلاذري مدى حرص الكرد القاطنين في جنوب أذربيجان على إحياء مناسباتهم وأعيادهم وكذلك إظهار البهجة والسرور بالطريقة التي تعودوا عليها من الرقص والدبكات، فاشترط المرزبان على القائد الفاتح حذيفة أن لا يتعرض لهم، وأن لا يمنعهم من ممارسة تلك النشاطات الاجتماعية مقابل السماح للفاتحين المسلمين بدخول البلاد، فرضي القائد بذلك

[1]- للمزيد ينظر: محسن محمد حسين، سه رنجه كانى ئيبن جوبه ير له سه ر سه لاحه دين و ده وله ته كه ى له رى ى ديد ه نى يه كانى يه وه، كوفارى، سه نته رى براية تى، هه ولي، زماره 23، به هارى، 2002، ل21 – 34.

[2]- ينظر مثلاً: الاصطخري، المسالك والممالك، ص103، ص104، ص129.

ومما جاء في النص (أن المزربان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على .. ولا يتعرض الأكراد البلاسجان وسبلان وساترودان[1] ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه)[2].

وعندما كان أهالي أصفهان يحتفلون بعيد نوروز، ويظهرون البهجة والسرور لمدة سبعة أيام وهم يلبسون أجمل الملابس ويتزينون بأروع أدوات الزينة، ويحضرون أنواعاً من الأكل والشرب، ويدبكون، ويطربون منفقين آلاف الدراهم في تلك المناسبة، لم يكن الأصفهانيون أولئك الناس وحدهم وإنما كان يشاركهم كثير من أهالي المنطقة المجاورة وكذلك البعيدة[3]. والأرجح أن من بين أولئك الناس أعداداً من الكرد الذين ينتمون إلى الإقليم ذاته أو الأقاليم المجاورة للجبال.

وقد أكدّ ابن حوقل أن المحتفلين بالنوروز كانوا يتمتعون بحرية تامة دون أن يعترضهم أحد من السلاطين على مرّ السنين[4]. مما يدل ذلك على مدى تمتع الأقوام الإيرانية بالحرية لإحياء مناسباتهم وأعيادهم القومية من جهة، وكذلك مدى تأصل (النوروز) في نفوسهم بحيث لم يكن من السهل استغناؤهم عن الاحتفال به.

أما المعلومات التي أوردها البلدانيون المسلمون عن الأزياء والملابس في الأقاليم الإسلامية المختلفة بشكل عام فهي شحيحة، باستثناء ما أشار إليه بعضهم وفي مقدمتهم ابن حوقل، ولكنه أيضاً لم يذكر الأزياء والملابس الخاصة بالكرد صراحة ويظهر أنه أكدّ على الأزياء والملابس الخاصة بشعوب وطوائف الأقاليم البعيدة من التي لفتت نظره، كإقليم المغرب والأندلس وفارس والسند والخزر وخراسان وما وراء النهر وغيرها في حين أنه لم يتطرق إلى وصف الأزياء السائدة في الجزيرة والجبال وبلاد العرب والشام ومصر.

لكنه مع ذلك فإن إشاراته إلى ملابس أهالي العراق وخوزستان وفارس التي تفيدنا في معرفة ملابس الكرد وتخمينها نظراً لأنه كان يسكن الأقاليم المذكورة عدد كبير منهم، وتنطبق خصائص ومواصفات الملابس المذكورة إلى حد كبير على

1- عند ياقوت (مياه روزان)، معجم البلدان، ج1، ص109.

2- فتوح البلدان، ص317، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص109.

3- ابن حوقل، مصدر سابق، ص310.

4- المصدر نفسه والصفحة.

الملابس والأزياء القومية للكرد مثل الأزر والميازر[١]، والقراطق[٢]، والعمامة التي كانت تلبس تحتها القلنسوة[٣] والمناطق التي كانت تلبس في أوساط الرجال[٤].

ج- المعتقدات والميول الدينية

تطرق البلدانيون بشكل أو بآخر وبنسب متفاوتة إلى الجوانب المتعلقة بالإيمان والمعتقدات والميول المذهبية لدى الكرد.

ومن المعروف أن الدين الإسلامي كان الغالب في بلاد الكرد في أعقاب الفتوحات الإسلامية، واعتناق معظم الكرد للدين الجديد، وإحدى مؤشرات ذلك تتمثل في كثرة الجوامع والمساجد[٥] المنتشرة في المدن والقرى الكردية بالإضافة إلى بناء الربط والخانقاهات[٦] وكذلك ارتياد الكرد للمشاهد وقبور الصالحين.

وأشار البلدانيون والرحالة إلى العديد من تلك المظاهر الدينية، منها ما وجد في مدينة ماردين من الربط والخانقاهات. ووجدت ثلاثة مشاهد في مدينة نصيبين، الأول مشهد علي بن أبي طالب والثاني مشهد الرأس في رأس النشابين يقال أن رأس الإمام حسين بن علي (رض) علق به لمّا عبر بالسبي إلى الشام، والثالث مشهد النقطة، يقال أنه من دم الرأس هناك[٧].

كما أشار الهروي المختص بشؤون الأماكن المقدسة المزارات إلى مشهد أم اليمن ومشهد الخضر بمدينة دارا[٨] ومشهد الإمام علي بن أبي طالب على جبل سنجار[١].

---

[1]- صورة الأرض، ص229. والازر، يدل على الغطاء الكبير أو الرداء الواسع الذي تلتف به المرأة جسمها كله، كما أنه يعين نوعين من الثياب لتغطية الأرداف والأعضاء الطبيعية. أما المئزر، يعني قطعة القماش التي تستر العورة والتي تلبس في السرة إلى أسفل، ينظر، دوزي، المعجم المفصل بأسماء الملابس العربية الإسلامية، ترجمة أكرم فاضل، (بغداد:1971)، ص40.

[2]- صورة الأرض، ص280، والقرطق، تعريب كرته، وبالكردية: كورته ك، وهو عبارة عن قباء ذي طاق واحد، أدي شير، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص124.

[3]- القلنسوة: مايلات على الرأس تكويراً، ينظر، ابن سيده، مصدر سابق، ج4، ص9، أو هي الطاقية التي توضع تحت العمامة، ينظر، دوزي، مرجع سابق، ص45.

[4]- ابن حوقل، مصدر سابق، ص253.

[5]- سبقت الإشارة إلى الجوامع والمساجد في الفصل السابق.

[6]- ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص194.

[7]- الهروي، مصدر سابق، ص65.

[8]- المصدر نفسه والصفحة.

والذي يمكن قوله أن اتخاذ تلك المشاهد وما قيل بشأنها لا يمكن الإقرار بها من الناحية التاريخية والواقعية إلا أن التصديق بها يعود إلى مدى ما اتصف به الكرد من الإيمان العفوي والعاطفة الدينية التي تتقبل حتى الأمور غير الواقعية.

كما ذكر الهروي العديد من قبور الصالحين في مدن دنيسر وآمد وأرمية ودارا وسنجار وجزيرة ابن عمر وغيرها[٢].

أما الميول المذهبية فإن هنالك بعض الإشارات القليلة بشأنها، فقد ذكر المسعودي أن (في الأكراد من رأي الخوارج والبراءة من عثمان وعلي)[٣].

وكانت مذاهب سكان إقليم آقور (الجزيرة) سنّة وجماعة[٤]. وكان مذهبا أبي حنيفة والشافعي (رض) هما الشاهدين في الإقليم مع وجود بعض الحنابلة والشيعة، أما فقهاً وهم فلم يخوضوا في علم الكلام المثير للجدل والتزموا في قراءة القرآن الكريم بقراءة عبد الله بن عامر[٥].

وفي حين كان سكان مدينة سهرورد من الشراة (الخوارج)[٦] وكان الشهرزوريون من موالي الخليفة عمر بن عبد العزيز[٧] في الغالب.

وكان سكان إقليم الجبال بشكل عام منقسمين بين الحنبلية والإفراط في حب معاوية والولاء له من جهة، وبين الفرقة النجارية من الخوارج الذين يكفّرون غيرهم[٨]. فكانوا في كلتا الحالتين من الغلاة.

ووصف المقدسي سكان إقليم الرحاب (أذربيجان وأرمينيا وآران) والذي كان تسكنه نسبة كبيرة من الكرد، بأن مذاهبهم كانت مستقيمة، وكان أهل الحديث منهم حنابلة في حين أن مذهب أبي حنيفة (رض) كان في الغالب مدينة دوين (دبيل) وغيرها من مدن الإقليم[٩].

1- المصدر نفسه، ص64.
2- الإشارات، ص 64 – 66.
3- مروج الذهب، ج2، ص251.
4- المقدسي، مصدر سابق، ص126.
5- المصدر نفسه والصفحة.
6- ابن حوقل، مصدر سابق، ص315.
7- مسعر ابن مهلهل، مصدر سابق، ص18.
8- المقدسي، مصدر سابق، ص295.
9- المصدر نفسه، ص291.

أما القفص القاطنين في الجبال التي عرفت بهم بإقليم كرمان، والذين عرّفهم ابن حوقل بأنهم: (صنف من الأكراد لكنهم زعموا أنهم من العرب)[1]، فأولئك تأثروا بالدعوة الفاطمية، وتشيعوا، ونسب ابن حوقل إلى عارفين بإخبار ذلك القوم القول بأنهم جمعوا أموالاً كثيرة وذخائر نفيسة انتظاراً لإمام الزمان[2] أي الإمام المهدي المنتظر!.

أما المعتقدات الأخرى كالزرادشتية والمسيحية واليهودية فكان هناك من يدين بها في بلاد الكرد بنسب مختلفة ويظهر أن الزرادشتية[3] في إقليم الجبال أكثر انتشاراً من المسيحية واليهودية بالنظر إلى أن الزرادشتية ظهرت منذ القرن السابع قبل الميلاد في بلاد الكرد – ميديا – واستمرت في الانتشار حتى غدت الدين الرسمي للدولة الساسانية[4].

وبعد ظهور الإسلام وانتشاره شرقاً وغرباً عن طريق الفتوحات ووصول طلائع الفاتحين إلى البلاد، كان يعتنق سكانها الزرادشتية ومنها بلاد الكرد، فمنهم من دخل في الإسلام ومنهم من بقى على دينه وعومل كأهل الذمة وألزم بدفع الجزية[5].

وقد ذكر أحد المستشرقين أنه بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لأقاليم آران كان هناك في كل ولاية من ولاياتها معبد للنار[6]. وهناك إشارات بلدانية تؤكد ذلك حيث وجد الرحالة ابن رسته في قرية آخرين الواقعة بالقرب من عقبة حلوان، بيت نار، عظيم كان يقصده الناس من أقاصي البلاد للعبادة[7].

---

[1] – صورة الأرض، ص269.

[2] – صورة الأرض، ص269.

[3] – ينظر بشأن الزرادشتية وتعاليمها: الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام رؤوف، (بيروت: 1969)، ج5، ص325 – 327، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص279، الشهرستاني، الملل والنحل، تحقيق أحمد فهمي محمد، (القاهرة: 1368هـ)، ج1، ص219، آرثر كريستنسن، مرجع سابق، ص130 – 167.

[4] – آرثر كريستنسن، مرجع سابق، ص130.

[5] – أبو يوسف، الخراج (القاهرة: 1396 هـ)، ص139.

[6] – بروان، تأريخ الأدب في إيران، ترجمه إلى العربية: أحمد كمال الدين حلمي، (جامعة الكويت: 1984)، ج1، ص310.

[7] – الأعلاق النفيسة، ص151.

كما كان في قرية قريبة من همذان بيت نار عتيق يعد أحد بيوت النيران الثلاثة الرئيسة التي كان الزرادشتيون يغالون في تقديسها، أما المعبدين الآخرين فكانا بيت نار (آذر خرّة) وبيت نار (جم الشيز). وذكر ابن الفقيه الهمذاني أن ذلك المعبد كان قائماً في سنة (282 هـ/895م) أي خلال عهد الخليفة العباسي المعتضد (279 – 289 هـ/892 – 901م)[1].

وقد أكد المقدسي على كثرة تواجد الزرادشتيين في نواحي الجبال[2]. ووصف البلدانيون بيت نار الشيز الواقع بين مدن مراغة وزنجان وشهرزور والدينور، بأنه عظيم الشأن، وعلى رأس قبته هلال فضة، هو طلسمة مناعته، وقيل كان من عجائبه أن النار كانت توقد فيه منذ سبعمائة سنة ولا يوجد فيه رماد[3]. ووجد في إحدى البلدات القريبة من مدينة حلوان إيوان عظيم وبداخله دكة عظيمة للنار لاحظها أحد رحالة القرن السابع الهجري[4]، فقد وجدت معابد زرادشتية في مدينة اليشتر الواقعة غربي إقليم الجبال[5].

وذكر الرحالة أبو دلف أنه كان يوجد في مدينة ايذج الواقعة وسط الجبال بين أصفهان وخوزستان بيت نار قديم كان يوقد إلى عهد الخليفة هارون الرشيد[6].

والجدير بالإشارة أن آثاراً عديدة اكتشفت في غربي إقليم الجبال تمثّل معابد وبيوت النيران ونقوش محفورة على الجبال تعود إلى فترات مختلفة سادت فيها الزرادشتية[7].

أما في إقليم الجزيرة فقد أكدّ المقدسي أن ليس به مجوس، مما يوحي بدخول الزرادشتيين المنطقة في الإسلام. وأشار ياقوت إلى إن إحدى القرى التابعة لأربل من جهة الموصل والتي كانت تبعد ثمانية أميال عن أربل كانت تدعى بيت النار[8]، مما يفيد بأن اسم المعبد غلب على اسم القرية.

---

[1] – مختصر كتاب البلدان، ص226.

[2] – أحسن التقاسيم، ص303.

[3] – ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص106. مسعر ابن مهلهل، مصدر سابق، ص8. ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص171.

[4] – القزويني، آثار البلاد، ص451.

[5] – حمد الله المستوفي القزويني، مصدر سابق، ص127.

[6] – ينظر: كرستنسن، مرجع سابق، ص242، مسعود كلزاري، مرجع سابق، ص670، 675، 680.

[7] – الرسالة الثانية، ص41. ياقوت، معجم البلدان، ج1،ص229.

[8] – ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص411.

أما الخرمية[1] التي تعدّ امتداداً للمزكية[2]، أي أن الخرمية التي ظهرت في العصر الإسلامي هي المزدكية نفسها[3]، فقد كان غربي إقليم الجبال من أبرز مواطنها، وكانت لهم فيها قلاع وحصون[4]، وفي العصر العباسي كان لهم تواجد واضح في همذان والدينور وقرى أصفهان[5]. وعرفت بعض الجبال في الإقليم بجبال الخرمية[6] أو الخرمدينية[7] لوجود الخرمية فيها والتي نسب إليها بابك الخرمي، وذكر الاصطخري أنه على الرغم من وجود مساجد في قراهم، وقراءتهم القرآن غير أنه يقال: «إنهم لا يدينون في الباطن بشيء إلا الإباحة»[8].

لكن المقدسي الذي زار المكان وترك لنا انطباعاته عنه أكدّ بأن أهل قوم مرجئة، وإنهم لا يغسلون من جنابة، ولم يجد في قراهم مساجد وعندما ناقشهم في سرّ عدم غزوهم من قبل المسلمين بالرغم من معتقدهم هذا وعدم أداء الفرائض وتعطيل الشرائع فإنهم عزوا ذلك إلى كونهم موحدين ويدفعون الخراج سنوياً إلى السلطان[9].

أما الديانة المسيحية فكانت هي السائدة في أغلب نواحي إقليم الجزيرة وبلاد هكاري وأربل والمناطق الواقعة تحت الحكم البيزنطي، قبل ظهور الإسلام ووصول

---

[1] - الخرمية: فرقة دينية ذات أصول إيرانية قديمة كالزرداشتية والمزدكية، ظهرت في القرن الثاني الهجري، وتزعمها بابك الخرمي في أوائل القرن الثالث الهجري فعرفت باسمه. ينظر: الاسفرايين، ص80.

[2] - المزدكية: نسبة إلى مؤسسها مزدك الذي ظهر في عهد الملك الساساني قباذ (488 — 531م) وخلاصة معتقداتها أن الناس ولدوا سواء ولا فرق بينهم، ولما كانت المشاكل تنشأ بينهم بسبب النساء والأموال، فأن الحل يكمن في الإباحة، وإن الناس فيهما شركاء كاشتراكهم في الماء والنار والكلأ، ينظر: المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص289. ابن النديم، مرجع سابق، ص406. الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص229. أحمد شلبي، مقارنة الأديان، ص42. كريستنسن، مرجع سابق، ص330.

[3] - ابن النديم، مصدر سابق، ص406.

[4] - مسكويه، تجارب الأمم، (مصر: 1914)، ج1، ص278.

[5] - اليعقوبي، البلدان، ص 41 — 44.

[6] - الاصطخري، المسالك والممالك، ص120.

[7] - المقدسي، مصدر سابق، ص306.

[8] - المسالك والممالك، ص120.

[9] - أحسن التقاسيم، ص306.

مدّ إلى تلك المنطقة[١]، ولذلك بقي عدد كبير من سكانها على دينهم مستفيدين من التسامح الذي عرف به الإسلام وضمانه حرية المعتقد إلى حدّ كبير[٢].

وأشار ابن حوقل إلى أن قوماً من الشهارجة (نصارى ذوو يسار) كان يسكن مدينة كفر عزى[٣] ويظهر أن هؤلاء الشهارجة كانوا من الكرد، وقد عاونوا الفاتحين المسلمين في فتح تكريت، ولكنهم انتقضوا ضد السلطة العباسية سنة (148 هـ/ 765م) أيام خلافة أبي جعفر المنصور[٤].

وقد أكد المسعودي أن الكرد اليعقوبية والجورقان كانوا يقطنون النواحي التي كانت تلي الموصل قرب جبل الجودي[٥].

ومما يؤكد تسامح المسلمين مع غيرهم كثرة عدد الكنائس والأديرة المنتشرة في المنطقة والتي أشار إليها البلدانيون والرحالة المسلمون، ووصفوا تلك التي جلبت أنظارهم أكثر من غيرها، وخاصة ياقوت الذي أورد ذكر عشرات الأديرة المنتشرة في أنحاء الجزيرة. وشرع بتعريف الدير بقوله: «الدير بيت يتعبد فيه الرهبان، ولا يكاد يكون في المصر الأعظم إنما يكون في الصحارى ورؤوس الجبال، فإن كان في المصر كانت كنيسة أو بيعة، وربما فرّق بينهما فجعلوا الكنيسة لليهود والبيعة للنصارى..»[٦].

ولعل أكثر ما كان يلفت نظر الرحالة، الكنيسة التي كانت في الرها، حيث لم يوجد في بلاد المسلمين كنيسة أعظم منها[٧]. وما من بناء حجري أبهى منها[٨]، وعدّت إحدى عجائب الدنيا[٩]، وقيل أنه كان في المدينة ثلاثمائة وستون ديراً[١]. وفيها صوامع كثيرة ورهابين[٢].

---

1 - الهروي، مرجع سابق، ص 64 – 66.

2 - ينظر: توما المرجي، كتاب الرؤساء، عرّبه ووضع حواشيه الأب البيربونا، (الموصل: 1966)، أدي شير، تأريخ كلدو آشور، (بيروت: 1913)، ج2، ص5. الرهاوي، تأريخ الرهاوي المجهول، ترجمة البير بونا، (بغداد :1986).

3 - صورة الأرض، ص196.

4 - ينظر: الأزدي، مصدر سابق، ص208 – 209.

5 - مروج الذهب، ج2، ص251.

6 - معجم البلدان، ج4، ص331.

7 - الاصطخري، المسالك والممالك، ص54. ابن حوقل، مصدر سابق، ص204.

8 - ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص135.

9 - المقدسي، أحسن التقاسيم، ص125.

ووصف ناصر خسرو الكنيسة القريبة من المسجد بآمد بأنها كانت عظيمة وغنية بالزخارف، بنيت كلها بالحجر، وفرشت أرضها بالرخام المنقوش، ثم أردف قائلاً: «وقد رأيت فيها الطارمة، وهو مكان العبادة عند النصارى، باباً من الحديد المشتبك لم أرَ مثله في أي مكان(٣) ووجدت بحصن كيفا كنائس كثيرة»(٤).

أما حول الأديرة المنتشرة في بعض مدن الجزيرة ذكر دير زكي الواقع على باب الرها، وكان مشهوراً.

وكان بنصيبين دير عظيم وحواليه ديارات وصوامع كثيرة(٥)، وعلى بعد ستة فراسخ (عند ياقوت على بعد فرسخين) من ميافارقين كان يوجد دير مار توما فيه جسد قائم يابس يزعمون أنه من الحواريين(٦)، الناس يقصدونه لزياراته، وهذا مما لا يقبله العقل.

وكان يوجد دير مار جرجيس ما بين جزيرة ابن عمر وبلد على بعد ثلاثة فراسخ وأزيد من الثانية، وقد بنى على جبل عالٍ(٧). ودير أبّون (أبيون) كان ما بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانين قرب ناحية باسورين من أعمال الموصل شرقي دجلة، وكان ديراً جليلاً عند أهله، فيه عدد كثير من الرهبان. وكان يزعم أن به قبر النبي نوح(٨). ثم أورد ياقوت أبياتاً شعرية نسبت إلى أحدهم وهو يذكر محبوبته الكردية التي عشقها قرب الدير، منها:

فيا ظبية الوعساء هل فيك مطمع	لصادٍ إلى تقبيل خدّيك ظمآن
وأنّي إلى الثرثار والحضر حلّتي	ودارك دير ابّون أو برزمهران
سقى الله الدير غيثاً لأهله	وما قد حواه من قلال ورهبان(٩)

1- ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص127.

2- الاصطخري، المسالك والممالك، ص54.

3- سفر نامه، ص10.

4- المقدسي، مصدر سابق، ص125.

5- الاصطخري، المسالك والممالك، ص54.

6- المقدسي، مصدر سابق، ص129.

7- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص362.

8- المصدر نفسه، ج4، ص332.

9- ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص332.

وكان في شرقي الموصل دير منصور المطل على نهر الخابور، وكان ديراً كبيراً عامراً في عهد ياقوت[1]. ودير الزعفران وكان يسمى عمر الزعفران سمي بهذا الاسم لزراعة الزعفران فيه، وكان قرب جزيرة ابن عمر تحت قلعة اردمشت، وهو في لحف جبل، كان قد نزل فيه المعتضد عند محاصرته لتلك القلعة حتى تمكن من فتحها وقد وصف الدير بأنه (دير نزه فرح لأهل اللهو به مشاهد، ولهم فيه أشعار)[2]، وكان يوجد خارج مدينة نصيبين عدد من الأديرة والبيع[3].

– دير الغرس: وكان يبعد عن جزيرة ابن عمر ثلاثة عشر فرسخاً (78كم) وقد بني على رأس جبل عالٍ، وكان كثير الرهبان[4].

– دير باغوث: وكان على شاطئ دجلة بين مدينتي الموصل وجزيرة ابن عمر، وكان كبيراً كثير الرهبان[5].

– دير الجب: وكان في شرقي الموصل بينها وبين اربل، وكان مشهوراً يقصده الناس للاستشفاء من الصرع[6].

– دير اكمن (أو اكمل): وكان أقيم على رأس جبل بالقرب من الجودي[7].

– دير الجودي: وكان مبنياً على قلعة جبل الجودي[8].

– دير عبدون: وكان بالقرب من جزيرة ابن عمر[9].

– دير كوم: نسبة إلى قرية كوم القريبة من العمادية من بلاد الهكارية، وكان عامراً في أيام ياقوت[10].

---

1 – المصدر نفسه، ج4، ص364.

2 – المصدر نفسه، ج4، ص344.

3 – ابن حوقل، مصدر سابق، ص191. ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص344.

4 – ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص354.

5 – المصدر نفسه، ج4، ص335.

6 – المصدر نفسه، ج4، ص337.

7 – المصدر نفسه، ج4، ص334.

8 – المصدر نفسه، ج4، ص338.

9 – المصدر نفسه، ج4، ص352.

10 – معجم البلدان، ج4، ص358.

- دير احويشا : أي دير الجيس بالسريانية، وكان بمدينة اسعرت بديار بكر، وكان كبيراً جداً فيه حوالي أربعمائة راهب[1].

- دير الكلب: وكان بين باعذري وجزيرة ابن عمر، له قلالي ورهبان كثر، سمي بهذا الاسم لأنه من عضّه الكلب الكليب، وجيء به إلى هناك عالجه رهبانه إذا لم يمر على حالته أربعون يوماً[2].

- دير متي[3]: يقع شرقي الموصل، بني في جبل متى الشامخ، يشرف على رستاق نينوى والمرج، وهو حسن البناء وأكثر بيوته منقورة في الصخر وفيه نحو مائة راهب، وقد وصفه ياقوت بدقة مما يدل على أنه زار المكان[4].

أما اليهود فكانوا أقل عدداً من غيرهم في بلاد الكرد، لذا فإن الإشارات البلدانية إليهم نادرة، فقد ذكر المقدسي أن أحد دروب مدينة حلوان كان يدعى درب اليهود، ودرب آخر كان يسمّى درب اليهودية[5] نسبة إلى مدينة يهودية بأصفهان، كما أشار إلى وجود كنيسة لليهود خارج مدينة حلوان كانوا يعظمونها وكانت مبنية بالجص والحجارة[6].

1- المصدر نفسه، ص331.

2- المصدر نفسه، ج4، ص358.

3- المصدر نفسه والصفحة.

4- المصدر نفسه، ج4، ص460.

5- المقدسي، مصدر سابق، ص110.

6- المصدر نفسه والصفحة.

الفصل الخامس

الجوانب العسكرية والسياسية
لبلاد الكورد كما أوردها البلدانيون

أولاً: فتح بلاد الكورد وحيثياته في كتب البلدان

ثانياً: ملامح سياسية

لم يول البلدانيون المسلمون بالأمور السياسية والعسكرية كبير اهتمامهم، على الرغم من أن ذلك لا يعني خلو مصنفاتهم من أخبار متعلقة بالشؤون السياسية والوقائع الحربية، البتة. وعلى قدر ما يتعلق الأمر بموضوع البحث، فقد تراوح ما تناولوه بين روايات عن الفتوحات الإسلامية وشذرات من التاريخ السياسي وكذلك روايات عن بعض الأمراء الكرد الذين برزوا في فترات مختلفة، كما تفاوتت تلك المعلومات من كتاب إلى آخر فقرة، وقد احتل كتاب البلاذري (فتوح البلدان) موقع الصدارة في تناوله لحركة الفتوحات الإسلامية الذي يعدّ أحد أهم المصنفات التي عالجت هذا الموضوع وكذلك المصدر الأساسي الذي اعتمده جلّ المؤرخين المسلمين من بعده.

كما أفرد قدامة بن جعفر باباً من كتابه عن (فتوح النواحي والأمصار) والذي نقل معظم أخباره عن البلاذري ولكن بشكل مختصر.

أما اليعقوبي فقد أورد إشارات (فتحية) لكنه بشكل عابر حيث ذكر تواريخ بعض الفتوح وكذلك بعض الفاتحين قبل الشروع في وصف المدن والمواضع ووارداتها .. الخ.

أما ابن خرداذبة وابن رسته فإنهما لم يلمحا بشيء عن الفتوحات الإسلامية؛ لكن ابن الفقيه الهمذاني المعاصر لهما تطرق إلى أخبار الفتوحات بشيء من التفصيل بالاستناد إلى كتب الفتوح وخاصة (فتوح البلدان) و (فتوح الشام).

والجدير بالذكر أن أخبار الفتوح تكاد تختفي في كتب بلدانيي القرنين الخامس والسادس الهجريين وحتى في القرن السابع الهجري، إلا أن ياقوت بحكم طبيعة كتابه الموسوعية فإنه أورد روايات عدة عن فتوح البلدان بالاعتماد على المصادر التاريخية والبلدانية التي سبقته، وغالباً ما كان يشير في ذلك إلى أصحاب الروايات التي استقى منها أخباره ورواياته.

ونظراً لموقعها الجغرافي فإن أنحاء من بلاد الكرد كانت من أولى المناطق التي تعرفت على الإسلام الذي حمله الفاتحون المسلمون معهم، وأدى ذلك إلى تغيير جذري في أحوالهم وأنماط حياتهم في مختلف النواحي العقيدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ومن أوائل البلدانيين الذين تناولوا موضوع الفتوحات كما أشرنا هم كل من البلاذري وقدامة وياقوت، ومن الضروري الوقوف عن تناولاتهم على قدر تعلق الأمر ببلاد الكرد دون الدخول في التفاصيل الكثيرة التي سبق وأن تطرق إلى ذكرها بعض الدارسين في رسائلهم العلمية[1].

أولاً: فتح بلاد الكرد وحيثياته في كتب البلدان

أ- فتح الجزيرة

ليست الغاية في هذا المقام استعراض العمليات العسكرية التي وقعت خلال الفتوحات الإسلامية لمنطقة الجزيرة، لأن ذلك يتطلب تغطية شاملة مما يبعدنا ذلك عن موضوعنا الأساس، وإنما نكتفي بذكر العلامات البارزة لأعمال الفتوح من تواريخ وأسماء القادة المسلمين الذين تمت على أيديهم الفتوحات، وبيان نوع الفتح صلحاً كان أم عنوة، مما أورده بعض البلدانيين المسلمين.

والجدير بالإشارة هو ما أكده الطبري من أن الجزيرة كانت (أسهل البلدان أمراً، وأيسره فتحاً)[٢].

وفسر ياقوت ذلك بقوله: «إن أهلها رأوا أنهم بين العراق والشام وكلاهما بيد المسلمين فأذعنوا للطاعة؛ فصالحهم عياض بن غنم على الجزية والخراج»[٣].

والواقع أن هناك نوعاً من الاختلاف بين المصادر التاريخية والبلدانية حول تاريخ فتح الجزيرة، فهناك من يرى أن ذلك كان في سنة (17 هـ/638م) وبعض يجعلونه في سنة (19 هـ/640م) في حين أن البلاذري يرى أن فتح الجزيرة[٤] تم بين سنتي (18 – 19 هـ/ 639 – 640م)[٥] وهذا هو الراجح والأقرب إلى الحقيقة لأن الجزيرة إقليم واسع وإن إتمام فتحها يستغرق سنين على أقل تقدير.

---

[1]- ينظر مثلاً: فائزة محمد عزت، الكرد في إقليم الجزيرة شهرزور، ص84 وما بعدها، أحمد ميرزا، مرجع سابق، ص78 وما بعدها.

[2]- تأريخ الأمم والملوك، ج4، ص54.

[3]- معجم البلدان، ج3، ص54.

[4]- الطبري، مصدر سابق، ج4، ص53.

[5]- فتوح البلدان، ص172 – 180.

فقد ولّي القائد المسلم عياض بن غنم[1] فتوح الجزيرة كلها بعد القائد أبي عبيدة بن الجراح الذي وافته المنية إثر طاعون عمواس الشهير سنة (18 هـ/639م)، وكان قد استخلف عياضاً قبل مفارقته الحياة، وكتب إليه الخليفة عمر بن الخطاب (رض) بأن يتولى الأمر، وكان ذلك في يوم الخميس النصف من شعبان من السنة المذكورة[2]. وسرعان ما تحركت قوة عياض البالغة نحو خمسة آلاف مقاتل صوب مدن الجزيرة بغية فتحها.

حيث دخل جيش عياض مدينة الرقة[3] صلحاً[4] ليتوجهوا إلى مدينة الرها فقد نزلوا عند أحد أبوابها ومكثوا حول المدينة بضعة أيام، طافتها خلال تلك الفترة دوريات وسرايا مغيرة على أطراف المدينة لمعرفة مكامن القوة والضعف في موقف حماة المدينة[5].

وما لبث أن أرسل بطريرك المدينة إلى القائد عياض يطلب الأمان، فصالحه وأمن جميع أهلها على أنفسهم وأهليهم وأموالهم ومدينتهم، وقال عياض: «الأرض لنا وطئناها، وأحرزناها فأقرها في أيديهم على الخراج ودفع منها ما لم يرده أهل الذمة فرفضوه إلى المسلمين على العشر ووضع الجزية على رقابهم، فألزم كل رجل منهم ديناراً في كل سنة وأخرج النساء والصبيان ووظف عليهم مع الدينار أقفزة من القمح وشيئاً من زيت وخل وعسل»[6].

---

[1] – عياض بن غنم: أحد صحابة النبي، ولد قبل الهجرة بأربعين سنة 583 أسلم قبل الحديبية، شارك في فتوح الشام والعراق، وكان شاعراً وفاضلاً سمحاً، معروفاً بالسخاء، توفي في الشام سنة (20 هـ/640م) وقد ناهز الستين من العمر.

ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى، (بيروت:1376 هـ) ج7، ص398.

[2] – هناك أكثر من رواية بهذا الصدد، للمزيد ينظر: فتوح البلدان، ص172 – 173.

الطبري، مصدر سابق، ج4، ص101، قدامة، مصدر سابق، ص312.

[3] – الرقة، مدينة مشهورة كانت قصبة ديار بني مضر، على شاطئ الفرات، المقدسي، مصدر سابق، ص125.

[4] – ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص414.

[5] – فتوح البلدان، ص173.

[6] – البلاذري، مصدر سابق، ص174، قدامة، مصدر سابق، ص312، وللمزيد ينظر: ابن الأعثم الكوفي، كتاب الفتوح (بيروت: د/ت)، ج1، ص 329 – 332. الطبري، مصدر سابق، ج4، ص53.

وقد أورد البلاذري نصوص الوثيقتين المتعلقتين بشروط الصلح والأمان بينهما واللتين أصدرهما القائد المذكور. فكانت الأولى لأسقف مدينة الرها والأخرى لأهلها.

وتكمن أهمية الصلح في أنه غدا الأساس الذي اعتمد عليه فيما بعد في تنظيم العلاقة بين قادة الفتح وبين أهل الجزيرة من ناحيتي الحقوق والواجبات، ومن هنا فإن صلح الرها يكتسب أهمية استثنائية في صفحة الفتوحات.

وكان نص الكتاب الأول هكذا: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم لأسقف الرها، إنكم إن فتحتم لي باب المدينة على أن تؤدوا إلي عن كل رجل ديناراً ومدّي قمح فأنتم آمنون عن أنفسكم وأموالكم ومن تبعكم وعليكم إرشاد الضال وإصلاح الجسور والطرق ونصيحة المسلمين «شهد الله وكفى بالله شهيداً»)[1].

أما نص الكتاب الثاني الذي كان موجهاً لأهل الرها فقد كان: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرها؛ أني أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم، إذا أدوا الحق الذي عليهم، ولنا عليهم أن يصلحوا جسورنا ويهدوا ضالّنا، شهد الله والملائكة والمسلمون)[2].

نلاحظ في نصيّ الصلح أن المسلمين قد أعطوا الأمان لسكان الرها على أنفسهم وأهليهم وممتلكاتهم وطواحينهم التي كانت تتصل مباشرة بحياتهم اليومية مقابل دفعهم الجزية والتعاون مع المسلمين الفاتحين وإرشادهم إلى المسالك الآمنة وكذلك إصلاح وصيانة الجسور، لأن ذلك كان أمراً ضرورياً لهم كونهم غرباء في المنطقة، وكذلك بسبب تنقلهم وحركتهم الدائبة لمواصلة عمليات الفتح.

واصل عياض بن غنم تقدمه بعد فتح الرها واستقرار أمرها حيث توجه صوب مدن سروج وراسكيفا والأرض البيضاء وصالح أهل حصونها على مثل ما صالح عليه أهل الرها. كما فتحت آمد[3] على الصورة نفسها[1] سنة (20 هـ/ 641م)[2].

---

[1] - البلاذري، مصدر سابق، ص174.

[2] - البلاذري، مصدر سابق، ص175.

[3] - يرى الواقدي أن مدينة آمد فتحت على يد القائد خالد بن الوليد، لكن الرواية الأولى أصحّ، ينظر: فتوح الشام، (القاهرة: 1954)، ج2، ص103 – 110.

أما مدينة ميافارقين فعلى الرغم من تأكيد البلاذري على أنها فتحت على يد القائد المذكور على مثل ما صالح عليه أهل الرها إلا أن ياقوت ذكر نقلاً عن بعض كتب السير.

إن كلاً من القائدين خالد بن الوليد والاشتر النخعي توجها إلى مدينة ميافارقين في جيش كبير وفتحاها عنوة وأضاف (وقيل صلحاً) على خمسين ألف دينار «على كل رجل بالغ أربعة دنانير وقيل دينارين وقفيز حنطة ومدّ زيت ومدّ خل ومدّ عسل، وأن يضيف كل من اجتاز بها من المسلمين ثلاثة أيام وجعل للمسلمين بها مسلحة[٣]، وقرر أخذ العشر من أموالهم»[٤].

هذا ما نقله ياقوت عن الكتاب الذي لم يذكر اسمه، والذي يعطي معلومات هامة عن طبيعة وبنود الصلح الذي توصل إليه الطوفان، ومن بينها كما نلحظ أن يكون للمسلمين في المدينة موضع خاص يقيم فيه مسلحون لغرض المراقبة وذلك تحسباً لأي طارئ، هذا بالإضافة إلى الالتزامات المالية التي تعهد بها سكان المدينة المسلمين، ثم أضاف ياقوت أن ميافارقين إلى عهده لم تؤخذ عنوة قط، ويقارنها بآمد التي رغم كونها أحصن من الأولى وأحسن فقد أخذت بالسيف مراراً[٥].

أما مدن كفرتوثا ونصيبين وطور عبدين وماردين ودارا فإن جميعها فتحت على مثل صلح الرها[٦] والذي يجدر بالملاحظة الحديث الذي أورده ابن الفقيه الهمذاني بخصوص فتح نصيبين الذي نسبه إلى الرسول الكريم (ص) وهو: «رفعت ليلة أسري بي فرأيت مدينة فأعجبتني فقلت يا جبريل ما هذه المدينة؟

---

[1]- ثمة رأي آخر مفاده أن جند الروم بالمدينة والبالغ عددهم حوالي عشرين ألفاً قاتلوا جموع الفاتحين أول الأمر قبل أن يصالحوهم على صلح الرها: ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج2، ص374. ابن شداد، مصدر سابق، ج3، ق1، ص281.

[2]- البلاذري، مصدر سابق، ص176، قدامة، مصدر سابق، ص313.

[3]- مسلحة: موضع السلاح، وهي كل موضع مخافة يقف فيه الجند بالسلاح للمراقبة والمحافظة، المعجم الوسيط، ج1، ص444.

[4]- معجم البلدان، ج8، ص351. ابن شداد، مصدر سابق، ج3، ق1، ص281. الصحابة، (بغداد: د/ت)، ج3، ص32. ابن الأثير، أسد الغابة، (القاهرة: د/ت)، ج4، ص294. ج4، ص144.

[5]- البلاذري، مصدر سابق، ص177. قدامة، مصدر سابق، ص314.

[6]- المصدر نفسه، ص177.

فقال نصيبين، فقلت: اللهم عجّل فتحها، واجعل فيها بركة للمسلمين»[1]. مع ملاحظة أن هذا الحديث لم يرد ذكره في كتب الصحاح، ويظهر أنه موضوع والغرض من وضعه إضفاء المزيد من الأهمية والقدسية على المدينة وذلك بإيرادها على لسان النبي وكذلك إعجابه بجمالها. فمن المعلوم أن إسراء الرسول (ص) ومعراجه كانا في مكة وقبل الهجرة في وقت كان المسلمون يعيشون في أحلك أيامهم، ويلاقون الأمرين على أيدي مشركي مكة، فلم يكن هناك شيء اسمه (الفتح) بعد. ومن جانب آخر لو افترضنا جدلاً صحة ذلك فهل تقع مدينة نصيبين على الطريق بين مكة والقدس الشريف – مسرى الرسول – ؟!.

كما فتح القائد عياض بن غنم باقردي وبازبدي على مثل صلح الرها، ثم قدم إليه بطريق الزوزان فصالحه عن أرضه على إتاوة يدفعها للمسلمين ثم توجه صوب أرزن ففتحها صلحاً على مثل ما تقدم. وكان ذلك في سنة (19 هـ/639م) وأيام من شهر محرم من سنة (20 هـ/640م)[2].

ثم واصل السير حتى وصل بدليس وتجاوزها إلى خلاط حيث صالح بطريقها حتى وصل إلى العين الحامضة من أرمينيا فلم يتجاوزها. بعدها عاد فضمن صاحب بدليس خراج خلاط أو الجزية وما يقع على طريقها من التزامات تجاه المسلمين[3].

أما مدينة عين الوردة فإنها استعصت أول الأمر على القائد المسلم عمير بن سعد، ولكن بعد قتال تم فتحها على صلح[4]. كما امتنعت رأس العين على عياض بن غنم، ففتحها عمير بن سعد والي الجزيرة – بعد أن قاوم أهلها المسلمين بشدة، فدخلها المسلمون عنوة ثم صالحها المسلمون على أن تدفع الأرض إليهم ووضعت الجزية على رؤوسهم، على كل رأس أربعة دنانير لم تسب نساءهم ولا أولادهم[5].

1- المصدر نفسه والصفحة.

2- المصدر نفسه، ص181 – 182.

3- المصدر نفسه، ص178.

4- مختصر كتاب البلدان، ص126. وذكر ابن الأثير أن تلك المدن فتحت سنة 20 هـ/640م على يد القائد عتبة بن فرقد السلمي. الكامل، ج2، ص524.

5- عتبة بن فرقد السلمي: أحد صحابة النبي الكريم أسلم حوالي السنة السابعة للهجرة، شهد غزوة خيبر وغزوة أخرى، وشارك في جهاد المرتدين عقب وفاة الرسول، تسلم منصب إمارة الموصل على الحرب والخراج، سنة 17 هـ/638م.

ويستدل من رواية أوردها البلاذري نقلاً عن مشايخ من رأس العين أن أهل المدينة عوملوا برفق على الرغم من شدة مقاومتهم للفاتحين، ولم يتعرضوا للانتقام، فقد ورد أن عميراً لما دخلها صالحهم وقال لهم: «لا بأس لا بأس، إليّ إليّ»[١]، فكان ذلك بمثابة أمان وإدخال السكينة في نفوسهم.

وعندما خيّر سكان المدينة بني البقاء أو الجلاء، غادرها بعضهم في حين بقي القسم الآخر في المدينة[٢].

وقد ذكر البلاذري أن عميراً خلال ولايته على الجزيرة بنى في مدنها المساجد[٣]. وذلك لأهميتها، حيث أن المسجد يمثل (وحدة) جمع المسلمين وملتقى بعضهم بعضاً.

وفتحت سنجار صلحاً بعد أن عاد القائد عياض بن غنم من مدينة خلاط[٤].

وأكد ابن الفقيه نقلاً عن الزهري بأنه: «لم يبق بالجزيرة موضع قدم إلا فتح في عهد عمر بن الخطاب وعلى يدي عياض بن غنم: فتح حران والرقة وقرميشيا ونصيبين وسنجار وميافارقين وكفرتوثا وطورعبدين وحصن ماردين ودارا وقردي وبازبدي وأرزن..»[٥].

ب - فتح الموصل وباجرمي وشهرزور

أورد البلاذري عدة روايات بشأن فتح الموصل لعلّ أرجحها أنه بعد أو ولى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) في سنة (20 هـ/640م) القائد عتبة بن فرقد السلمي[٦] الموصل، دخل عتبة في قتال مع أهل نينوى، وتمكن من الاستيلاء على حصنها

ينظر: ابن سعد، مصدر سابق، ج4، ص275. ابن الأثير، أسد الغابة، ج3، ص365.

1- المصدر نفسه والصفحة، كذلك ابن شداد، مصدر سابق، ص278 – 280.

2- البلاذري، مصدر سابق، ص176. ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص194.

3- مختصر كتاب البلدان، ص126.

4- البلاذري، مصدر سابق، ص176، قدامة، مصدر سابقة، ص314.

5- المصدر نفسه والصفحة، ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص241.

6- عمير بن سعد الأنصاري الأوسي: كان من فضلاء الصحابة وزهادهم روى عن النبي وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة. شهد فتوح الشام قبل أن يولى الجزيرة من قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رض) ثم عين والياً على حمص وقنسرين وظل في ولايته طيلة عهد عمر، ومات في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رض) حوالي سنة 31 هـ/651م، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، (بيروت: د/ت)، ابن حجر العسقلاني، ج7، ص402. الإصابة في التمييز.

الشرقي ثم عبر دجلة، وعقد مع أهل الحصن الغربي صلحاً وافقوا بموجبه على دفع الجزية للمسلمين وأن يكونوا أحراراً في البقاء أو الجلاء. من الجدير بالذكر أن القائد عتبة صالح أهل الديارات الموجودة بالموصل على دفع الجزية، ثم فتح (المرج وقراه وباهدري وباعذري وحبتون والحيانة والمعلة وداسير وجميع معاقل الأكراد، وأتى بانعاثا من حزة ففتحها، وأتى تل الشهارجة والسلق الذي يعرف ببني الجرين صالح بن عبادة الهمذاني صاحب رابطة الموصل ففتح ذلك كله وغلب عليه)[١].

وذكر البلاذري أن القائد عتبة بن فرقد السلمي بعد أن أتم فتح مدينتي الطيرهان وتكريت وأعطى أهل حصن تكريت الأمان على أنفسهم وأموالهم، سار في كورة باجرمي (كركوك حالياً) ثم سار إلى شهرزور[٢]. ونقل عن أحد الشهرزوريين رواية مفادها أنه بعد أن فشل عروة بن قيس – والي حران – في فتح شهرزور، غزاها عتبة بن فرقد، ففتحها بعد قتال على صلح بمثل صلح حلوان، وقد نالت عقارب شهرزور الشهيرة من العديد من الفاتحين المسلمين، ويظهر أن أهل الصامغان ودراباذ صالحوا عتبة على الجزية والخراج على أن لا يقتلوا ولا يسبوا وأن يكونوا أحراراً في التنقل أينما شاؤوا[٣].

وفي رواية أخرى أوردها البلاذري، أنه وقع قتال بين كرد مدن شهرزور ودراباذ والصامغان وجيوش الفاتحين[٤].

لكن الرواية الأولى تبقى هي الراجحة لأنها نقلت من أحد الشهرزوريين، غير أن الرحالة أبا دلف يؤكد أنه بسبب مناعة مدينة دزدان التابعة لشهرزور ومقاومة أهلها فإن المسلمين لم يتملكوها، ولم يستطيعوا فتحها، وإنما دخل أهلها الإسلام بعد اليأس من طاعتهم[٥]. وقد انتشر الإسلام بين سكان مدينة (بير) التابعة لشهرزور أيضاً على يد الإمام زيد بن علي، أي تأخر إسلامهم فأصبحوا شيعة صالحية زيدية[٦].

---

[1]- فتوح البلدان، ص323. ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص123. قدامة، مصدر سابق، ص381.

[2]- فتوح البلدان، ص324، ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص124.

[3]- البلاذري، مصدر سابق، 325. قدامة، مصدر سابق، ص383.

[4]- البلاذري، مصدر سابق، ص325. قدامة، مصدر سابق، ص383.

[5]- الرسالة الثانية، ص29.

[6]- المصدر نفسه، ص19، ياقوت، معجم البلدان، ج5، ص165. وينظر: ص15 هامش (4)، من هذا الفصل.

ولم تشر المصادر التاريخية والبلدانية إلى سنة فتح شهرزور، وإنما اكتفت بأنها فتحت بعد فتح نواحي الموصل، مما يرجح أن فتح شهرزور كان حوالي سنة (20 هـ/641م).

ح- فتح جلولاء والبندينجين وخانقين

تعد واقعة جلولاء في نهاية سنة (16 هـ/637م)[1] من الوقائع الحاسمة في تاريخ الفتوحات الإسلامية، فبعد انتصار المسلمين في المدائن في السنة المذكورة جاءتهم الأنباء بأن الملك الساساني يزدجرد بن شهريار[2] حشد قوات كبيرة في جلولاء بهدف مهاجمة المسلمين، فوجه سعد بن أبي وقاص قوة قوامها اثنا عشر ألف مقاتل على رأسها القائد هاشم بن عتبة[3]، الذي وجد أن الأعاجم بقيادة جرزاد أخي رستم قد تحصنوا وخندقوا، وجعلوا مركز نقلهم في خانقين، عاقدين العزم على أن لا يتراجعوا مهما بلغت تضحياتهم، وكان خط إمداداتهم يصل إلى حلوان والجبال[4].

والجدير بالإشارة أن لفظة الأعاجم التي أوردها البلاذري تدل على أن القوة المحتشدة كانت مكونة من الفرس وغيرهم بضمنهم سكان المنطقة من الكرد.

---

[1]- يقول، اليعقوبي أنها وقعت سنة 20 هـ/640م، البلدان، ص39. وللمزيد حول تلك الوقعة ينظر: الطبري، مصدر سابق، ج4، ص24 – 33. ابن الأعثم الكوفي، مصدر سابق، ص 271 – 273.

[2]- هو يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين، وكان أميراً من نسل الملك كسرى أبرويز، يعيش مختفياً في مدينة اصطخر التي نشأ فيها الساسانوين وقد بايعه عظماء اصطخر وتوج في بيت نار اردشير بالمدينة، وسار أعوانه إلى المدائن (طيسفون) فاستولوا عليها بمساعدة القائد رستم وقتلوا الملك فروخزاد خسرو لتتحد المملكة للمرة الأخيرة تحت حكم يزدجرد. وقد انهزم جيشه أمام زحف المسلمين في معركة المدائن سنة 16 هـ/637م، وهرب ليلقى حتفه وسقطت الإمبراطورية الساسانية، آرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، (بيروت:1982)، ص486 – 489.

[3]- هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري: كان أحد الصحابة، اسم يوم فتح مكة سنة 8هـ/629م وشهد غزوة حنين وشارك في قتال أهل الردة، ورافق خالد بن الوليد في فتح العراق ثم الشام، واستقر في الكوفة، وشارك في معركة صفين سنة 37هـ/657م إلى جانب الخليفة علي بن أبي طالب (رض)، وقتل فيها هو وعمار بن ياسر في يوم أحد، ابن حجر العسقلاني، الإصابة، ج6، ص275. الطبري، مصدر سابق، ج4، ص24، 25. ص252، ص499.

[4]- البلاذري، مصدر سابق، ص260.

ووجد المسلمون أنه من الأفضل الإجهاض بقوة المدينة والانقضاض على تحشدها قبل أن يصله المزيد من الإمدادات من العدد والعدة.

وهذا ما حدث بالفعل، فبعد قتال شرس حالف النصر المسلمين، واضطر يزدجرد إلى الهرب[1]. وبعد تلك الوقيعة واصل المسلمون الزحف على مدن العراق من ناحية شرقي دجلة حتى وصلوا إلى مدينة البندنيجين، حيث طلب أهلها الأمان على أن يدفعوا الجزية والخراج[2]. كما وفق الفاتحون بقيادة هاشم بن عتبة يعاونه الأشعث بن قيس الكندي في الوصول إلى مدينتي داقوقا وخانيجار، فتم فتح جميع كورة باجرمي، ووصلوا عند سن بارما وبوازيج[3] إلى حد شهرزور[4].

خ- فتح حلوان وماسبذان ومهرجانقذق ونهاوند

كانت حلوان تتمتع بموقع جغرافي هام حيث تحيطها من الخلف الجبال الضيقة وأن فتحها كان يمهد السبيل أمام المسلمين لسلسلة من فتوحات أخرى، لذلك كان المسلمون مصرين على دخولها في أسرع وقت ممكن. وبالمقابل فإن تخلي الفرس عنها يعني انتزاع مفتاح الجبال من أيديهم وانتقاله إلى عدوهم، فكانوا حريصين على عدم التفريط بها[5].

وقد اختلف المؤرخون كما هو الحال في الكثير من تفاصيل الأحداث خاصة المتعلقة منها بالأعمال العسكرية، بشأن كيفية فتح حلوان وتاريخ ذلك الفتح ومن هو الذي تمّ على يده الفتح[6].

إن ما ذكره البلداني البلاذري ترجح بهذا الشأن على غيره باعتباره المختص بشؤون الفتح وحيثياته ونقل العديد من المصادر التي أعقبته عنه.

1- للمزيد ينظر: الطبري، مصدر سابق، ج4، ص168 – 173. ابن الأعثم الكوفي، مصدر سابق، ص278 – 282.

2- البلاذري، مصدر سابق، ص259 – 260. قدامة، مصدر سابق، ص370.

3- بوازيج (بوازيج الملك): مدينة كانت تقع قرب تكريت على مدخل الزاب الأسفل الذي يصب في نهر دجلة، وكانت من أعمال الموصل، معجم البلدان، ج2، ص396.

4- البلاذري، مصدر سابق، ص261.

5- أحمد ميرزا، مرجع سابق، ص79.

6- ينظر: خليفة بن خياط، تأريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري، (بيروت:1977)، ص769، الطبري، مصدر سابق، ج4، ص34. البلاذري، مصدر سابق، ص295.

وخلاصة ما أورده، أنه بعد انتهاء موقعة جلولاء لصالح المسلمين، أمدّ هاشم بن عتبة أبي وقاص قائده الميداني أبا عبد الله جرير بن عبد الله البجلي[1]، بعدد كبير من الخيالة، وأمره بالبقاء في جلولاء، ويكون وجوده هناك فاصلاً بين المسلمين وعدوهم. ومن جانب آخر فإن القائد العام سعد بن أبي وقاص بعث إليهم قوة إضافية قوامها ثلاثة آلاف رجل تقريباً لتكون رديفة للقوة الموجودة في جلولاء للهجوم على حلوان، وما أن اقتربت قوات المسلمين من المدينة حتى هرب القائد الفارسي يزدجرد إلى أصبهان، وفتح جرير بن عبد الله حلوان صلحاً على أن يضمن أمنهم على أنفسهم وأموالهم وحريتهم في التنقل[2]. وكان ذلك سنة (16 هـ/637م) وفي رواية أخرى سنة (19 هـ/640م)[3].

وتكمن أهمية هذا الفتح في أنه أول اتصال مباشر بين المسلمين والكرد على الرغم من وجود بعض الروايات التي تعيد العلاقة بين الجانبين إلى عهد الرسول (ص)[4].

ومنذ أن اتصل الكرد بالإسلام بدأوا ينجذبون إليه شيئاً فشيئاً خاصة وإنهم وجدوا في مبادئه ما يلائم فطرتهم، لذلك تقبله معظمهم، ودخلوا فيه بالتدريج كما نقل ذلك أحد المؤرخين الكرد عن السير مارك سايكس[5].

وعقب فتح مدينة حلوان ترك عتبة بن هاشم فيها جرير بن عبد الله مع عزرة بن قيس البجلي، وتوجه هو صوب الدينور لكنه لم يفتحها، وفتح قرماسين على غرار صلح حلوان[6].

---

[1] – جرير بن عبد الله البجيلي: أصله من إحدى قبائل اليمن: اختلف في تأريخ إسلامه، لكن الراجح أن ذلك كان قبل السنة العاشرة للهجرة، وقد شارك في قتال أهل الردة، وتم على يده فتح المدن الكردية: خانقين، وحلوان وقرميسين وهمذان، توفي سنة 51هـ/671م. ابن سعد، مصدر سابق، ج1، ص337. ابن الأثير، أسد الغابة، ج1، ص279. العسقلاني، الإصابة، ج1، ص242.

[2] – فتوح البلدان، ص295، قدامة، مصدر سابق، ص370.

[3] – ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص373.

[4] – العسقلاني، الإصابة، ج1، ص429. البدليسي، مصدر سابق، ص57 – 58. محمد أمين زكي، سه رجاوى بيشوو، ل90 – 91.

[5] – محمد أمين زكي، سه رجاوه ى بيشوو، ل90.

[6] – البلاذري، مصدر سابق، ص295. قدامة، مصدر سابق، ص373.

أما مدينة الدينور فقد فتحت على يد القائد أبي موسى الأشعري[1]، فقد مرّ بها بعد انصرافه من نهاوند، وأقام عليها خمسة أيام، ولاقى فيها المقاومة يوماً واحداً، بعدها تم الاتفاق بينه وبين أهلها على أن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية والخراج، بعد أن أمنهم الأشعري على أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وعيّن عليها والياً مع عدد من الفرسان. ثم توجه نحو ماسبذان فلم يقاتله أهلها[٢].

أما ياقوت فقد أورد رأياً آخر، حيث ذكر أنه بعد فتح مدينة حلوان، جمع أحد عظماء الفرس ويدعى (آذين) جيشاً خرج بهم من الجبال إلى السهل، بلغ الخبر سعد بن أبي وقاص بالمدائن فأرسل جيشاً بقيادة ضرار بن الخطاب لمواجهته فقتل آذين وتم الاستيلاء على ماسبذان وكان ذلك في سنة (16 هـ/637م)[٣]، لكن الراجح أن فتحها كان بين سنتي (19 – 20 هـ).

أما مدينة السيروان فقد دخل أهلها في صلح مع أبي موسى الأشعري على غرار صلح الدينور، غير أن البلاذري أورد رواية ثانية مفادها أن أبا موسى فتح ماسبذان قبل وقعة نهاوند[٤].

كما أنه أرسل صهره السائب بن الأقرع الثقفي إلى مهرجا نقذق، ففتح قصبتها (الصيمرة) صلحاً، ثم فتح جميع كور مهرجا نقذق صلحاً على أن يدفع أهلها الجزية والخراج مقابل سلامة أنفسهم وأموالهم وعدم سبيهم. وقد أكدّ البلاذري أن الانطلاق صوب مهرجا نقذق كان من الأهواز لا من مدينة ماسبذان بقوله: "واثبت الخبر أنه وجه السائب من الأهواز ففتحها"[٥].

وبشأن فتح نهاوند والذي سمي (فتح الفتوح) لضخامة حجم المشاركين في القتال ولموقعها الاستراتيجي وضراوة المعركة والآثار التي تركتها[٦]، فقد أورد البلاذري روايات عدة عن الاستعدادات التي اتخذها الجانبان وعن القادة

---

[1] – ثمة رواية أخرى مفادها أن المدينة فتحت على يد القائد سعد بن أبي وقاص، ينظر: خليفة بن خياط، مصدر سابق، ص150.

[2] – البلاذري، مصدر سابق، ص300، قدامة، مصدر سابق، ص372.

[3] – معجم البلدان، ج7، ص195.

[4] – فتوح البلدان، ص300 – 301.

[5] – فتوح البلدان، ص300، قدامة، مصدر سابق، ص370 – 371.

[6] – للمزيد ينظر: ابن الأعثم الكوفي، مصدر سابق، ص31 – 32، الطبري، مصدر سابق، ج4، ص115 – 137، ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص409، ابن الأثير، مصدر سابق، ج3، ص2 – 6.

المشاركين ثم مجريات المعركة لحين حسمها لصالح المسلمين. وأشار إلى ثلاث روايات حول تاريخ الفتح منها: (قال ابن الكلبي عن أبي محنف.. وكان فتح نهاوند في سنة تسع عشرة يوم الأربعاء ويقال في سنة عشرين. وحدّثنا الرفاعي قال حدثنا العبقري عن أبي بكر الهذلي عن الحسن ومحمد قالا: كانت وقعة نهاوند سنة إحدى وعشرين)[1]، لكنه يرجح إحدى الروايتين على الأخرى. في حين أن اليعقوبي لم يذكر سوى سنة (21 هـ/641م)[2] أما ابن الفقيه الهمذاني، فقد ذكر روايتين إحداهما تجعل الفتح في سنة (19 هـ/639م)، والأخرى سنة (20 هـ/640م)، غير أنه رجح الرواية الأولى[3]. وكذلك ياقوت الحموي[4].

ومن البدهي وجود اختلاف في الروايات التاريخية حول تواريخ وقوع الأحداث وخاصة أخبار الفتوح التي تم تدوينها بعد حوالي قرنين من الزمن أو أكثر. وأن التوصل إلى الحقيقة الثابتة المرجوة ليس بالأمر اليسير.

إلا أن الملاحظ عن التفاصيل والجزئيات التي ذكرت في كتب التاريخ والبلدان في موضوع فتح نهاوند هي أكثر وأعمق مما ذكر عن غيره من الأحداث وذلك لأهميته وآثاره الخطيرة.

وتعد مدينة همذان آخر المدن الكبيرة في غربي إقليم الجبال التي وردت أخبار فتحها في بعض كتب البلدان، إذ ما إن حلّت الهزيمة بجموع الفرس حتى تقهقرت فلولها إلى همذان، وكان لابد للمسلمين من استكمال النصر بالقضاء على تلك الفلول. لكن كغيرها من المدن المفتوحة هناك اختلاف بشأن كيفية الفتح وتأريخه ومن قاد العملية. حيث أن تاريخ الفتح يتراوح ما بين سنتي (17 – 24 هـ/ 638 – 644م)، حسب روايات مختلفة، لكن البلاذري يرى أنه كان في أواخر سنة (23 هـ/643م)، افتتحها جرير بن عبد الله صلحاً مثل صلح نهاوند، بعد قتال أسفر عن إصابة إحدى عيني جرير، بأمر من المغيرة بن شعبة الذي كان والياً على الكوفة في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[5].

---

[1] - فتوح البلدان، ص298 – 299، قدامة، مصدر سابق، ص371.

[2] - البلدان، ص41.

[3] - مختصر كتاب البلدان، ص237.

[4] - معجم البلدان، ج8، ص409، كذلك، الطبري، مصدر سابق، ج4، ص114.

[5] - البلاذري، فتوح البلدان، 302. ابن الفقيه الهمذاني، مختصر كتاب البلدان، 301.

نستنتج من أخبار فتوح الجزيرة وغربي إقليم الجبال، والتي ورد ذكرها في كتب البلدانيين، أن معظم مواطن الكرد تم فتحها صلحاً بغير قتال أو بعد قتال وقع خارج المدن وسرعان ما طلب أهلوها الصلح مقابل الأمان وكانت استجابة الفاتحين لطلب الصلح سريعة، فلم نجد من خلال روايات البلدانيين أن المدن الكردية تعرضت للتدمير أو سكانها للقتل والأسر أو السبي ولا ممتلكاتهم للسلب والنهب، إذ أن معظم الروايات تشير إلى حصولهم على الأمان على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم مقابل دفع الجزية والخراج، لذا يمكننا القول بأن المدن والنواحي الكردية فتحت من غير صعوبات كبيرة أو خسائر جسيمة إذا ما قورنت بفتح الأقاليم الأخرى كفارس وكرمان وسجستان وكابل والسند والمغرب وإفريقيا.

ومن الملاحظ أن فتح الجزيرة كان أسهل من فتح غربي إقليم الجبال بل كانت أسهل البلاد افتتاحاً لأن أهلها وجدوا أنهم بين العراق والشام وكلاهما تحت الحكم الإسلامي فآثروا الطاعة والصلح على الحرب[1]، وانتشر الإسلام بين أهالي الجزيرة في وقت مبكر حتى أن عدداً منهم شارك في عمليات الفتح وهي على أشدها[2]. فعندما أرسل الخليفة عثمان بن عفان رسالة إلى قائده حبيب بن سلمة الفهري يأمره بغزو أرمينيا (نهض إليها في ستة آلاف وقيل في ثمانية آلاف من أهل الشام والجزيرة)[3].

وفي رواية أخرى أنه بعد أن فتح حبيب بن سلمة الفهري أرمينيا، وبقي فيها عدة أشهر جاءته الأخبار أن بطريق أرمينيا جمع حشوداً من الخزر لمواجهة المسلمين، كتب الخليفة عثمان يطلب المدد من والي الشام كي يرسل إليه من أهل الشام والجزيرة أناساً (ممن يرغبون في الجهاد والغنيمة فبعث إليه معاوية ألفي رجل أسكنهم قاليقلا[4] وأقطعهم بها القطائع)[5].

1- ينظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص196.

2- ذكر الأزدي أن الأكراد الشهارجة ساعدوا الفاتحين المسلمين أثناء عملية فتح تكريت، تأريخ الموصل، ص208.

3- فتوح البلدان، ص196.

4- قاليقلا، إحدى نواحي خلاط بأرمينية الكبرى، ياقوت، معجم البلدان، ج7، ص13.

5- البلاذري، مصدر سابق، ص196 – 197.

أما عن مشاركة أهالي الجبال في الفتوحات فقد ذكر الاصطخري (والثغر الذي يلي الروم من أرمينيا قاليقلا، وإليها يغزو أهل أذربيجان والجبال والري وما والاها)[1] فلا نشك في أن العديد من أولئك المشاركين كانوا من الكرد الذين دخلوا الإسلام وكانوا يشكلون نسبة كبيرة من سكان الجبال كما هو معروف.

أما عن الأقاليم الأخرى التي كان يسكن فيها الكرد بنسب متفاوتة، فقد ورد ذكرهم أثناء أعمال الفتح، كما هو الحال عند فتح أذربيجان، حيث كانت المحافظة على وجودهم وعدم التعرض له أحد بنود الصلح الذي طلبه مرزبان أذربيجان من حذيفة بن اليمان بعد فشل الأول في الاستمرار في مقاومة جيوش المسلمين، إذ ذكر البلاذري (أن المزربان صالح حذيفة عن جميع أهل أذربيجان على ثمانمائة ألف درهم) (وأن لا يقتل منهم واحداً ولا يسبيه ولا يهدم بيت نار ولا عرض لأكراد البلاسجان وسبلان وساترودان، ولا يمنع أهل الشيز خاصة من الزفن في أعيادهم وإظهار ما كانوا يظهرونه)[2].

وفيما يتعلق بأكراد البلاسجان أيضاً نلحظ أنه في عهد الخليفة عثمان (23 – 35 هـ/643 – 655م) وبعد فتح القائد سلمان بن ربيعة الباهلي مدن ورساتيق آران[3] صلحاً، دعا أكراد البلاسجان إلى الإسلام إلا أنهم رفضوا وقاتلوه، لكن سلماناً غلبهم واضطر بعضهم إلى الإذعان وقبول الصلح ودفعهم الجزية مع البقاء على ما كانوا عليه من معتقد، في حين أن القسم الآخر – وهم القلة – دخلوا الإسلام ووافقوا على دفع الزكاة[4]. ويبدو أنه كان لهؤلاء شأن كبير قبل الإسلام، فقد كان اردشير يقرّ بحكم أنفسهم ويسمى ملكهم (بلاشجانشاه)[5].

كما ورد ذكر الأكراد خلال حديث البلاذري وقدامة عن فتح كور الاهواز وأنهما أشارا إلى اجتماع طوائف كردية إلى أهالي الزط وسبيل (وكان مما فتحه عبد الله بن عامر، الزط وسبيل وكان أهلها كفرة، واجتمع إليهم طوائف من

1- المسالك والممالك، ص111.

2- فتوح البلدان، ص317. قدامة، مصدر سابق، ص378، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص109.

3- آران: كلمة كردية تعني: الأرض السهلة غير الواسعة، أو مرعى، محمد أمين ذه بيجى، قاموس اللغة الكردية، (بغداد :1977)، ج1، ص13.

4- البلاذري، مصدر سابق، ص202؛ الهمذاني، مصدر سابق، ص2268.

5- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص30.

الأكراد وفتح ايذج بعد قتال شديد)[1]، وقد تم فتح بعض كور الأهواز صلحاً وبعضها الآخر عنوة[2]، ويظهر من الرواية السابعة أن مدينة ايذج التي كان يسكنها الكرد اللر قد فتحها عنوة.

أما عن إقليم فارس خلال عمليات الفتح، فيفيد أحد النصوص أن جماعة من الأكراد قتلوا أحد قادة الفتح بعد أن تخلف عن أصحابه في عقبة بين جره وشيراز، فعرفت العقبة فيما بعد باسم القائد المقتول، حيث يقول النص: (فقد كان عمر بن الخطاب أمر أن يوجه القائد الجارود العبدي سنة اثنين وعشرين إلى قلاع فارس فلما كان بين جره وشيراز، تخلف عن أصحابه في عقبة هناك سحراً لحاجته ومعه أدوات فأحاطت به جماعة من الأكراد فقتلوه فسميت تلك العقبة عقبة الجارود)[3].

ثانياً: ملامح سياسية

من المعروف تاريخياً أن الكرد عرفوا بنزعتهم الاستقلالية ورفض الخضوع والإذعان لغيرهم، وينطبق هذا بشكل واضح على الطوائف الكردية القاطنة في المناطق الجبلية، ولعلّ هذا ما يفسر كثرة الحصون والقلاع التي بنوها حفاظاً على مدنهم ومراكز استقرارهم، كما أن ظهور عدد من الكيانات السياسية المتمثلة في الإمارات الكردية، في القرنين الرابع والخامس الهجريين أيضاً يؤكد هذه النزعة[4].

وأن عدداً من البلدانيين والرحالة المسلمين لاحظ مثل هذه الظاهرة، وألمحوا إليها بإشارات موجزة لكنها مفيدة. وتمثل شهرزور وسهرورد ما نذهب إليه بجلاء، فعلى الرغم من قرب شهرزور من العراق، فقد غلب عليها الأكراد ولم يكن بهما أمير ولا عامل[5] معيّن من قبل الخلافة العباسية، أي أن السلطة السياسية للدولة العباسية لم تصل إليها لامتناع أهلها وصلابتهم وكان (أكثر أمرائهم منهم)[6]. ووصف ابن مهلهل أهل نيم ازري – قصبة شهرزور – بأنهم: «عصاة على

1- فتوح البلدان، 371، قدامة، مصدر سابق، 385.

2- فتوح البلدان، 371، قدامة، مصدر سابق، ص384 – 385.

3- فتوح البلدان، ص377.

4- Izady, Op.Cit. p41 – 43.

5- الاصطخري، المسالك والممالك، ص200.

6- مسعر بن مهلهل، مصدر سابق، ص18.

السلطان قد استطعموا الخلاف، واستعذبوا العصيان.. ولأهلها بطش وشدة يمنعون أنفسهم ويحمون حوزتهم»[١]. ومما دعم موقف أمرائهم هو تأييد وتحريض أبناء القبائل الكردية الرحل من الجلالية واليابسان والسولية الذين جرّوا أمراءهم على (الغلبة على الأمراء ومخالفة الخلفاء) على حدّ تعبيره[٢].

كما وصف مدينة (بير) التابعة لشهرزور بأنها (مأوى كل ذاعر ومأوى كل صاحب غارة)[٣] وذلك لمناعتها من جهة ونجدة أهلها وإيوائهم لمن يطلب الإيواء من جهة ثانية، فلا عجب أن نجد أن تلك المنطقة أصبحت منذ العصر الأموي مركزاً لحركات المعارضة المختلفة حيث كان قادتها وأنصارها يتحصنون بها وفيها لما كانوا يشعرون بالأمان[٤].

ومن جانب آخر يرى أن الاختلاف المذهبي كان سبباً في وقوع الفتن والقتال بين أهالي مدن شهرزور، فقد ذكر الرحالة ابن مهلهل أنه وقعت معركة هالكة بين سكان مدينة بير من الشيعة الزيدية[٥]، وسكان مدينة نيم ازري سنة (341 هـ/952م) والتي أودت بهزيمة البيريين وقتل العديد منهم وكذلك حرق وسلب ممتلكاتهم (عصبية للدين وظاهر الشريعة)[٦]. ووصفت مدينة بير بأنها دون نيم ازراي في العصيان[٧]. ويقصد في مناهضة السلطة.

1- المصدر نفسه والصفحة.

2- المصدر نفسه والصفحة.

3- المصدر نفسه، ص19.

4- للمزيد ينظر: فائزة عزت، مرجع سابق، ص119 – 120.

5- الزيدية: فرقة إسلامية ظهرت بوضوح منذ أوائل القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) وهم أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم)، وهي من أهم من فرق الشيعة إذ تضم الشيعة فرقتين رئيسيتين هما الإمامية والزيدية، أما زيد بن علي المكنى بـ (أبي الحسين) فقد ولد بالمدينة سنة 80 هـ/699م، وقتل سنة 122هـ/739م إذا فهو ينتسب من قبل أبيه إلى علي بن أبي طالب ابن عم الرسول (ص) وإلى فاطمة بنت الرسول فهو بهذا صاحب نسب رفيه لا يدانيه نسب، وهو من رجال الطبقة الثالثة من أهل المدينة من التابعين.
ينظر: ابن سعد، مصدر سابق، ج5، ص211. ابن قتيبة، المعارف، (القاهرة: 1969)، ص23، ص216، الأشعري، مقالات الإسلاميين، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (القاهرة:1969)، ج1، ص89، الشهرستاني، الملل والنحل، (القاهرة:1348هـ)، ج1، ص159، الطبري، مصدر سابق، ج7، ص160.

6- مسعر ابن مهلهل، مصدر سابق، ص19.

7- المصدر نفسه، ص18.

أما مدينة دزدان التابعة لشهرزور فكانت هي الأخرى ممتنعة على الأكراد والولاة والرعية وكان رئيسها الملقب بالأمير في حالة تأهب واستعداد دائمين لمواجهة أي خطر خارجي أو غارة قد تشن عليه. فقد عبّر ابن مهلهل عن صورة ذلك، والتي شاهدها بنفسه بقوله: «كنت كثيراً ما انظر إلى رئيسها الذي يدعونه الأمير وهو يجلس على برج مبني على بابها عالي البناء ينظر الجالس عليه إلى عدة فراسخ، وبيده سيف مجرد فمتى نظر إلى خيل من بعض الجهات لمع بسيفه..»[١].

وذكر أن سبب نصرتها ومناعتها يكمن في أن داود وسليمان عليهما السلام دعيا لها أو لأهلها بالنصرة، ويقال: «إن جالوت كان منها وبها استنصر بنو اسرائيل وذلك أن جالوت خرج من المشرق وداود من المغرب فأيده الله عليه»[٢]، وفي ذلك بقوله تعالى ﴿وقتل داود جالوت﴾[٣]، ويزعم حكامها أنهم من نسل طالوت[٤]. إن هذه المزاعم تدل على علم الشهرزوريين بقصص الرسل والأنبياء وكذلك أخبار الأمم السالفة ومنها كانوا يستمدون قوتهم المعنوية.

كما نلحظ وجود أخبار هامة في كتب البلدانيين تتناول جوانب من الدور السياسي الذي اضطلع به الكرد في مناطق مختلفة سواء كان ذلك متمثلاً في شخصيات أو إمارات، وتكمن أهمية هذه الأخبار في أنها غالباً ما تكون جديدة وغير متوفرة في كتب التاريخ، أضف إلى ذلك أن أولئك البلدانيين والرحالة كانوا معاصرين للعديد من الأحداث والوقائع التي أوردوا أخبارها أو شهود عيان لبعضها.

فعلى سبيل المثال أورد ابن حوقل معلومات هامة عن الزعيم الكردي ديسم بن شاذلويه[٥] الذي برزت سلطته في أذربيجان وأنحاء من أرمينيا وآران للفترة (315

---

[1] – المصدر نفسه، ص25، ينظر كذلك: القزويني، آثار البلاد، ص398.

[2] – مسعر بن مهلهل، مصدر سابق، ص20.

[3] – سورة البقرة، الآية، 251.

[4] – ابن مهلهل، مصدر سابق، ص20، القزويني، آثار البلاد، ص398، ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص165.

[5] – ديسم بن شادلويه، ورد اسم شاذلويه في المصادر بصيغ عدة وهي (شاد كويه) و (شاذكويه) و (شادلوه) كما اختلف بشأنه، هل أنه والد ديسم أم لقب له، والأرجح ما ذهب إليه أحمد كسروي من أنه اسم قبيلة والدة ديسم، لأن هناك في الوقت الحاضر قبيلة قاطنة في خراسان تحمل

– 345 هـ/926 – 956م)، وعلاقته مع المزربان[1] بن محمد بن مسافر السلار[2]، وكذلك علاقته مع ابن الديراني[3] الذي كان يربطه به علاقة جيدة في البداية، فكان ديسم كثيراً ما يأوي ابن الديراني في صراعه مع المزربان[4]. ولكن تلك العلاقات لم تبق حميمة عندما أقدم ابن الديراني على محاصرة ديسم والغدر به وذلك بتسليمه إلى ابن المزربان[5]. ولعل ذلك يفسر إعفاء الأخير لابن الديراني عن دفع ضريبة أربع سنوات والبالغة أربعمائة ألف درهم عرفاناً لفعلته تلك[6].

وذكر الرحالة ابن مهلهل الذي زار أذربيجان في حدود سنة (341 هـ/952م) بأن بليدة نريز[7] بأذربيجان من نواحي اردبيل[8] كانت تحت حكم الكرد الهذبانيين لفترة من الزمن، وكانت قبل ذلك يحكمها علي بن مرّ الطائي وكانت محل أنظار الشعراء، إذ قصد صاحبها الشاعران أبو تمام والبحتري وغيرهما ومدحا المدينة وصاحبها بقصائد، ولكن المدينة انتزعت من ولاية الطائي وملكها الكرد الهذبانيون الذين (عطلوا رسمها واخربوا رساتيقها وعفوا آثارها)[9]، ويكن يبدو أن هذا التعطيل والتخريب الذي ذكر لم يكن هدفاً بعينه وإنما كان وسيلة لغرض بسط

اسم (شادلو)، للمزيد ينظر: مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود، (بغداد :1973)، ج4، ق2، ص197، الباخرزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر، تحقيق سامي مكي العاني، (الكويت: 1985)، ج1، ص311؛ أحمد كسروي، شهرياران كمنام، (تهران:1975)، ب1، ص54. كليم الله توحدي، حركة تاريخي كرد به خراسان، (مشهد :1992)، ج1، ص14، قادر محمد حسين، الإمارات الكردية، ص13.

1 – مرزبان: كلمة فارسية مركبة من (مرز) و (بان) أي حامي الحدود، أدي شير، مرجع سابق، ص145.

2 – محمد بن مسافر الديلمي: كان صاحب أذربيجان، حارب الأمير البويهي ركن الدولة ووقع في أسره لكنه تمكن من الهرب سنة 342 هـ/953م ليستعيد سلطته في آذربيجان، توفي سنة 346هـ/957م، للمزيد، مسكويه، مصدر سابق، ج2، ص36.

3 – صورة الأرض، ص287.

4 – للمزيد من المعلومات ينظر: تجارب الأمم، ج2، ص31 – 33، ابن الأثير، الكامل، ج6، ص267.

5 – صورة الأرض، ص303.

6 – المصدر نفسه، ص303، وللمزيد ينظر: قادر محمد حسين، الإمارات الكردية، ص13 – 19.

7 – كانت قرية لها قصر قديم متشعث، فنزلها علي بن مرّ الموصلي الطائي، فبنى بها وسكنها هو وأولاده، فصاروا يتولونه دون عامل أذربيجان، ابن الفقيه الهمذاني، مصدر سابق، ص262.

8 – ياقوت، معجم البلدان، ج8، ص384.

9 – مسعر ابن مهلهل، مصدر سابق، ص18.

السلطة إذ عندما (ضعف السلطان وأمنوا طلب الولاة وقصد الأمراء عمّروا ما أخربوا). وترسخت سلطتهم واتسع نفوذهم حتى وصل قرى نريز بالسلق والدينور وشهرزور[١].

من هذا يتبين أن الهذبانيين كانوا ذا سلطة سياسية تامة على نواحي أذربيجان في النصف الأول من القرن الرابع الهجري، وذلك قبل أن يكوّنوا إمارة لهم في اربل وأطرافها في النصف الأول من القرن الخامس الهجري أي بفارق قرن. ودام حكم إمارتهم إلى أن سقط سنة (534 هـ/1139م) عندما تعرضت الإمارة التي اقتصرت في أواخر عهدها على اربل، للهجمات المتكررة التي كان يشنها عماد الدين زنكي وأدت في النهاية إلى أن تخضع للزنكيين[٢].

وفيما يخص الإمارة الشدادية الكردية في آران (340 – 595 هـ/ 951 – 1198م) نجد بعضاً من الإشارات البلدانية حولها، كالتي ذكرها المقدسي في وصفه دبيل (دوين) بأنه: «بلد جليل، وعليه حصن منيع – يضبطه الأكراد، به قلعة ..»[٣]، دون أن يذكر بني شداد صراحة مكتفياً بالقول أنه يضبطه الأكراد، وتذكر المصادر التاريخية أن دبيل كانت ضمن نفوذ وحكم الشداديين في ذلك الوقت[٤].

ومن جانب آخر أشار المقدسي إلى أن غلبة الكرد على جنديسابور التي كانت مصر إقليم خوزستان، أدت إلى أن تختل أوضاعها حيث كان (يظهر فيها الجور والفساد)[٥].

أما الرحالة ناصر خسرو فإنه عند بلوغه مدينة أخلاط خلال رحلته إلى الحج عرّفها بأنها تقع على الحدود ما بين المسلمين والأرمن وأن (عليها أمير اسمه نصر الدولة[٦]، نيّف على المائة، وله أبناء كثيرون، أعطى كل منهم ولاية)[١]. وعند

1- المصدر نفسه والصفحة.

2- ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج8، ص368، عماد الدين خليل، مرجع سابق، ص75 – 76، أحمد عبد العزيز، مرجع سابق.

3- أحسن التقاسيم، ص298.

4- للمزيد ينظر: اسماعيل شكر، مرجع سابق، ص45.

5- أحسن التقاسيم، ص313.

6- نصر الدولة، هو ثالث أبناء مروان بن دوستك مؤسس السلطة الكردية الحاكمة التي تحمل اسمه والذي حكم ديار بكر والجزيرة (373 – 487 هـ/983 – 1094م) تولى الحكم سنة

وصول ناصر خسرو إلى ميافارقين ذكر مرة أخرى اسم الأمير نصر الدولة، ويكرر القول بأنه بلغ المائة من عمره ويضيف: «يقال أنه حي». كما أشار إلى ألقابه والتي يبدو أنه سمعها في الخطبة وهي (الأمير الأعظم عزّ الإسلام سعد الدين نصر الدولة وشرف الملة أبو نصر أحمد)[٢].

وقد التفت الرحالة ابن جبير خلال رحلته إلى بعض قضايا الحكم والسياسة بشكل عابر كإشاراته إلى أسماء حكام بعض المناطق الكردية التي زارها من الأتابكة[٣]. ثم أردف ساخراً من أولئك الحكام الذين كانوا يحملون ألقاباً طنانة تدل على العظمة والكبرياء ولكنها لا تليق بهم لأنهم في واقع الأمر كانوا عكس ذلك. واستثنى منهم السلطان صلاح الدين الذي كان اسماً وافق مسماه ولفظاً طابق معناه (وما سوى ذلك في سواه فزعازع ريح وشهادات، يردها الجريح، ودعوى نسبة للدين برّحت به أي تبريح) ثم أورد البيت الشعري التالي ساخراً من حكام عصره:

ألقاب مملكة في تحير موضعها كالهرّ يحكي انتفاخاً صولة الأسد[٤]

وأورد ياقوت ذكر اسم أحد وزراء بني مروان ملوك ديار بكر، يدعى أبو نصر المنازي نسبة إلى منازكرد الواقعة بين أخلاط وبلاد الروم، والذي وصفه ياقوت أنه بالإضافة إلى اشتغاله بالوزارة كان رجلاً فاضلاً أديباً جيد الشعر وقد توفي سنة (437 هـ/958م)[٥].

وفي حديثه عن شابور خواست الواقعة بين خوزستان وأصبهان ألمح ياقوت إلى أن صاحبها هو بدر بن خسنويه الكردي، وأكد على أن سرماج الواقعة بين همذان وخوزستان هي من أحصن قلاعه وأشدّها امتناعاً[٦]، كما أشار في موضع آخر إلى

402هـ/1011م بعد وفاة أخويه. وكان في بدء ولايته تابعاً للدولة البيزنطية،فلما دخل طغرليك الجزيرة سنة 446هـ/1054 أصبح نصر الدولة تابعاً له، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة، توفي سنة 453 هـ/1061م، محمد أمين زكي، سه رجاوهى بيشوو، به ركى دووه م، ، ل50 – 59.

1- سفرنامة، ص7

2- المصدر نفسه، ص8.

3- رحلة ابن جبير، ص215.

4- المصدر نفسه، ص216.

5- معجم البلدان، ج8، ص229.

6- المصدر نفسه، ج5، ص32.

أن أمواله وممتلكاته المشهورة تلك أخذها فخر الملك أبو غالب من قلعة مدينة سابور خواست المعروفة بقلعة دزيز[1].

وبشأن الجزيرة فقد تناول ياقوت قلعة فنك التي كانت تبعد نحو فرسخين (12كم) عن جزيرة ابن عمر، وكان يمتلكها الأكراد البشنوية، وعلى الرغم من قربها من جزيرة ابن عمر إلا أن لا صاحب الجزيرة ولا غيره استطاع انتزاعها منهم، وأنها بقيت بأيديهم حوالي ثلاثة قرون[2]، أي أن عهدهم بها يعود إلى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي[3]، وهي فترة زمنية طويلة لا شك أنها تفسر صلابتهم وتؤكد صمودهم.

وفي موضع آخر ذكر ياقوت أخباراً عن إحدى قلاع أرمية الحصينة والتي اقيمت في وسط بحيرة أرمية على جبل يقال له كبوذان وغالباً ما كان أهلها عصاة على ولاة أذربيجان[4]. وعلى الرغم من أنه لم يذكر صراحة أنهم كرد، ولكن كثرة تواجد الكرد في تلك المنطقة لا تدع مجالاً للشك على أن أصحاب تلك البقعة كانوا كرداً.

وخلال وصفه مدينة اربل أشاد ياقوت بأميرها مظفر الدين كوكبوري بن زين الدين كجك علي[5] الذي قام بعمارة المدينة وبناء سورها وعمارة أسواقها وقيسارياتها، واستطاع بهيبته وشهامته وكثرة تجاربه من حماية المدينة والتصدي للأخطار الخارجية. وأكدّ أنه بفضل حُسن إدارته غدت اربل مأوى للغرباء ومستقراً لهم حتى صارت مصراً من الأمصار[6]. ومن المفارقات التي لاحظها ياقوت أن مظفر الدين على الرغم من فضائله الكثيرة من الإنفاق على الفقراء والمساكين والإنعام عليهم ومساعدة الغرباء وإنفاق الأموال على تحرير أسرى المسلمين من أيدي الصليبيين، فإنه كان (كثير الظلم عسوف بالرعية راغب في أخذ

---

1 – المصدر نفسه، ج4، ص300.

2 – المصدر نفسه، ج6، ص447.

3 – ذكر القزويني أن نزاعاً وقع بين إبراهيم حاكم القلعة وإخوانه انتهى بانتصار إبراهيم، للتفاصيل ينظر: آثار البلاد، ص342.

4 – معجم البلدان، ج1، ص116.

5 – ينظر عنه: محسن محمد حسين، اربيل في العهد الاتابكي، ص51 – 56.

6 – معجم البلدان، ج1، ص116.

الأموال من غير وجهها)[1]. ولعل ذلك كان حرص مظفر الدين على ترسيخ العدالة، وردّ الحقوق إلى أهليها لكنه ربما أدى إلى الإفراط في الإجراءات المتخذة، بحيث نتجت عنها مردودات عكسية.

وعن أخبار أمراء آخرين ذكر ياقوت عند تعريفه قلعة قيمر الجبلية الواقعة بين الموصل وخلاط، أن مجموعة من كبار الأمراء الأكراد بالموصل وخلاط ينسبون إلى تلك القلعة، وكان صاحبها يلقب بـ (أبو الفوارس)[2].

أما عن الأيوبيين فقد أورد ياقوت ظريفة وقعت لأحد أمرائهم في اليمن مفادها أن ملك اليمن الأيوبي سيف الإسلام طغتكين بن أيوب أنكر على ولده إسماعيل أمراً أدى به أن يطرده من بلاد اليمن، وينفيه إلى موضع في آخر حدود اليمن من جهة مكة، وصادف أن لقيه أحد الشعراء يدعى أبو محمد عبد الله بن محمد الأمحني ومدحه بقصيدة فلم يكن في وسع حاله أن يكافئه على ذلك فكتب على ظهر رقعته البيتين المشهورين:

كف سخبٌ ولكن ليس لي مال ... فكيف يصنع من بالقرض يحتال

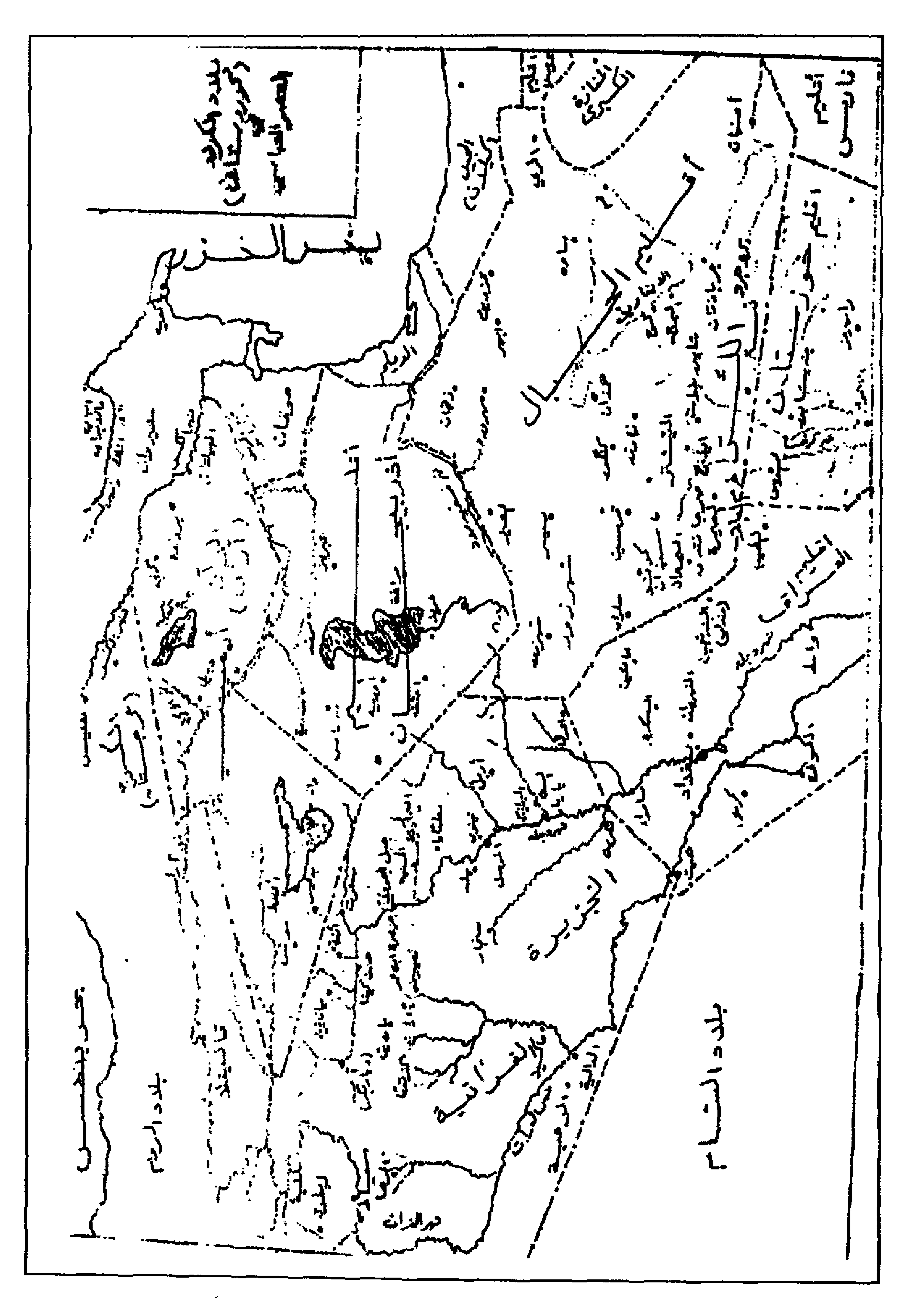
خذ هاك خطّي إلى أيام ميسرتي ... دين عليّ فلي في الغيب آمال

فلم يبرح مكانه حتى جاءه نبأ وفاة والده، وبذلك رجع اليمن فملكها خلفاً لوالده وأفضل على هذا الشاعر وقرّبه[3].

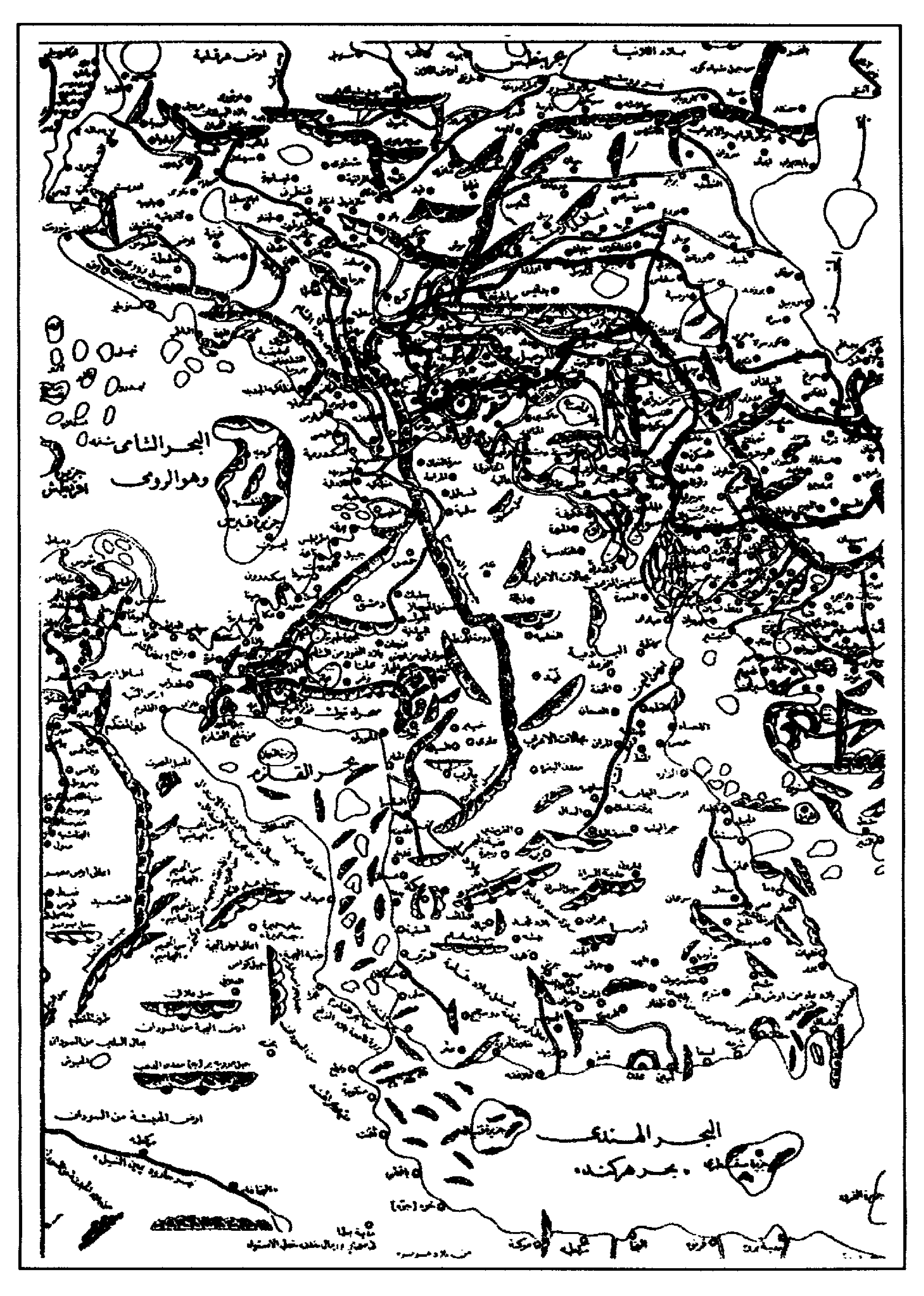
وفي الختام لابدّ من الإشارة إلى أن هناك العديد من الأحداث السياسية والعسكرية الأخرى غير التي ذكرناها قد وردت ذكرها في كتابات البلدانيين، لكننا تجاوزناها واكتفينا بما سبق ذكره على سبيل الاستشهاد والاستدلال، سبق وإن أفرد لها أطروحات وبحوث علمية عديدة فليس بالضرورة التطرق إليها في هذه الدراسة التي هي في غنى عن القضايا السياسية، وإنما غرضها التأكيد على أهمية كتب البلدانيين من حيث تناولها لهذه القضايا، وليست القضايا ذاتها.

1- ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص161.
2- المصدر نفسه، ج7، ص109.
3- معجم البلدان، ج1، ص201.

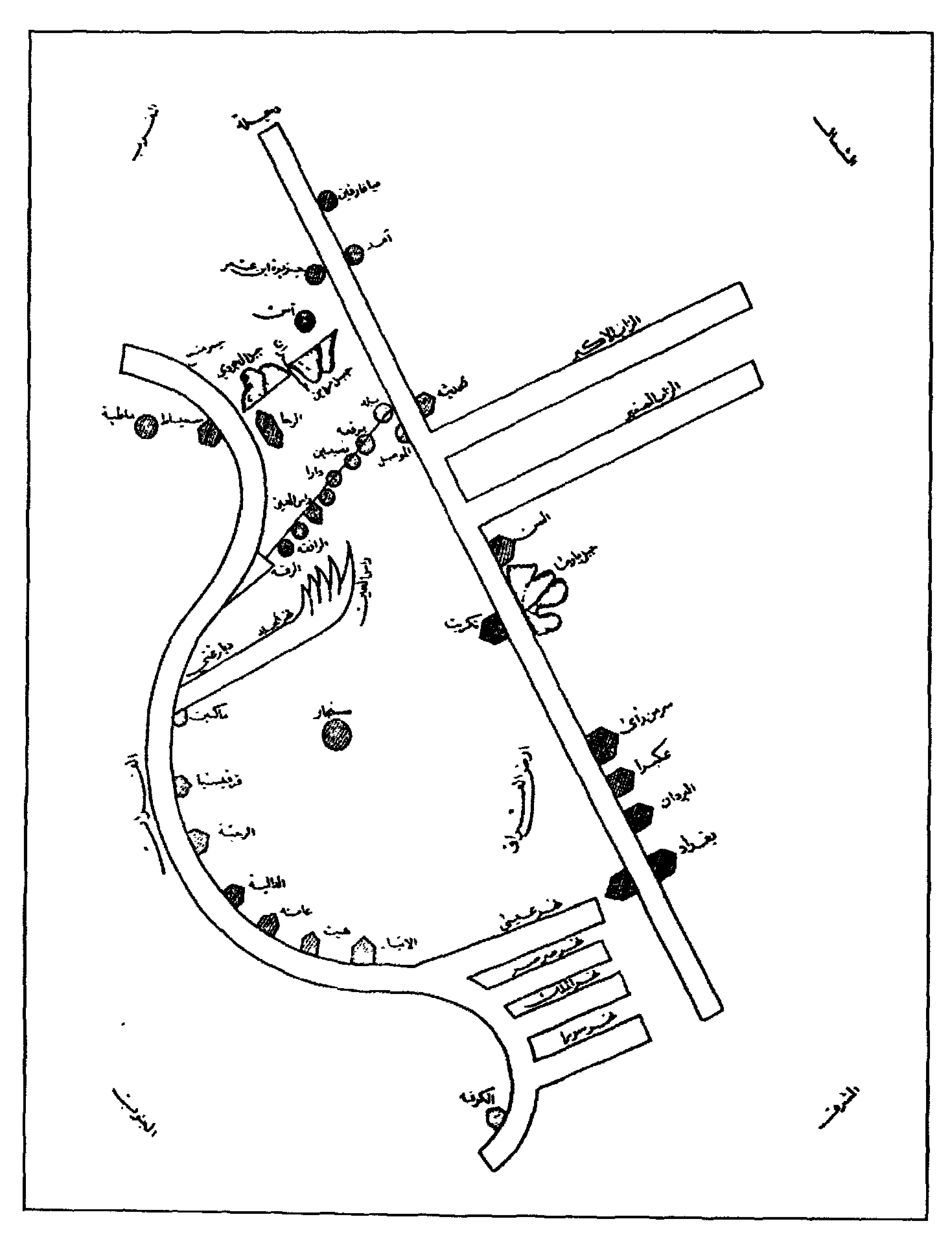
ملحق خرائط



خارطة رقم (1) بلاد الكورد (كوردستان) في العصر العباسي



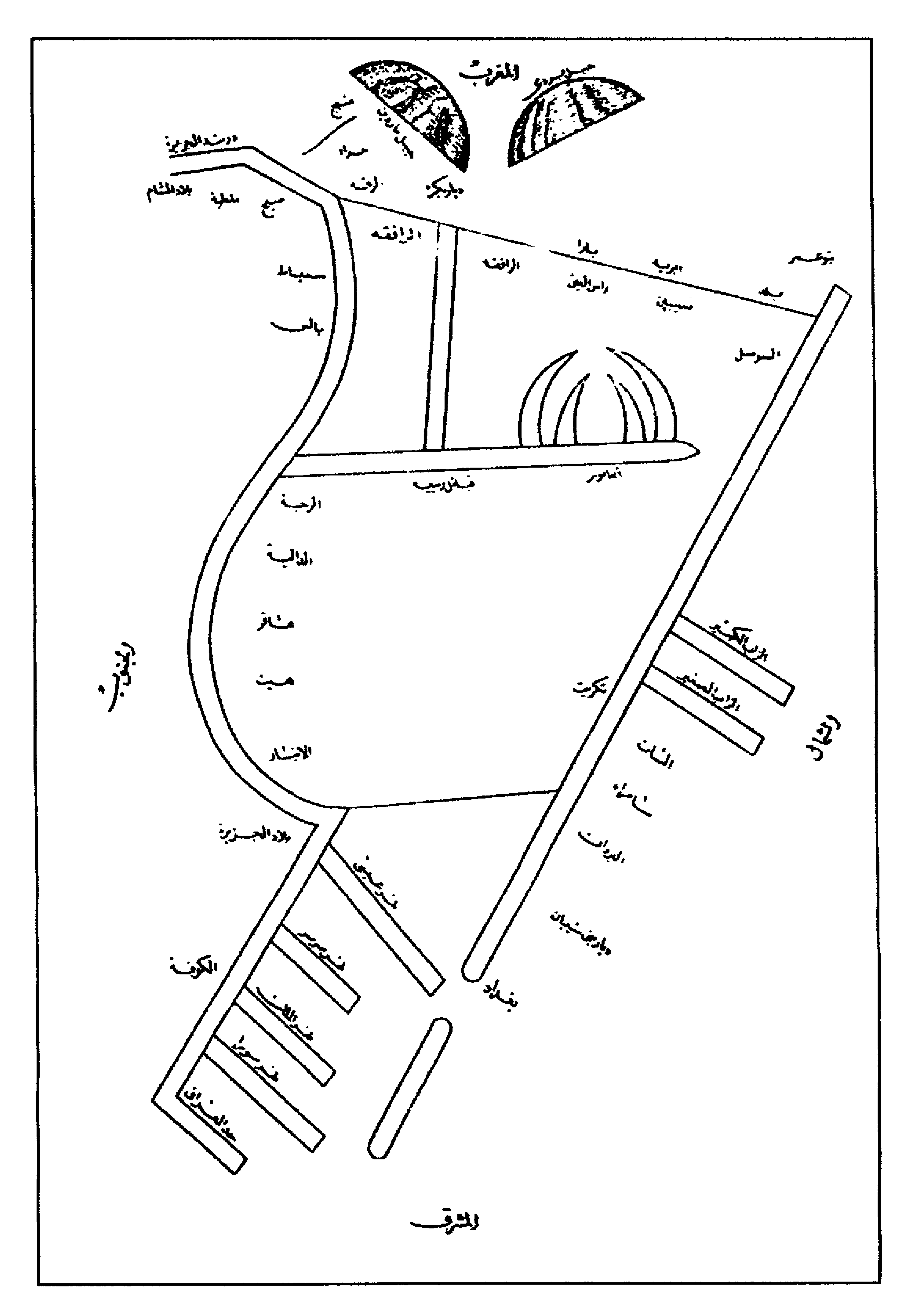
خارطة رقم (2) تقريبية لبلاد الكورد بالاعتماد على ما رسمها الإدريسي وهي مأخوذة عن الخارطة التي جمع أجزاءها المتفرقة المستشرق الألماني كونراد ملر وأعادها إلى أصلها العربي محققة ومحررة الأستاذ محمد بهجة الأثري والدكتور جواد علي عضوي المجمع العلمي العراقي



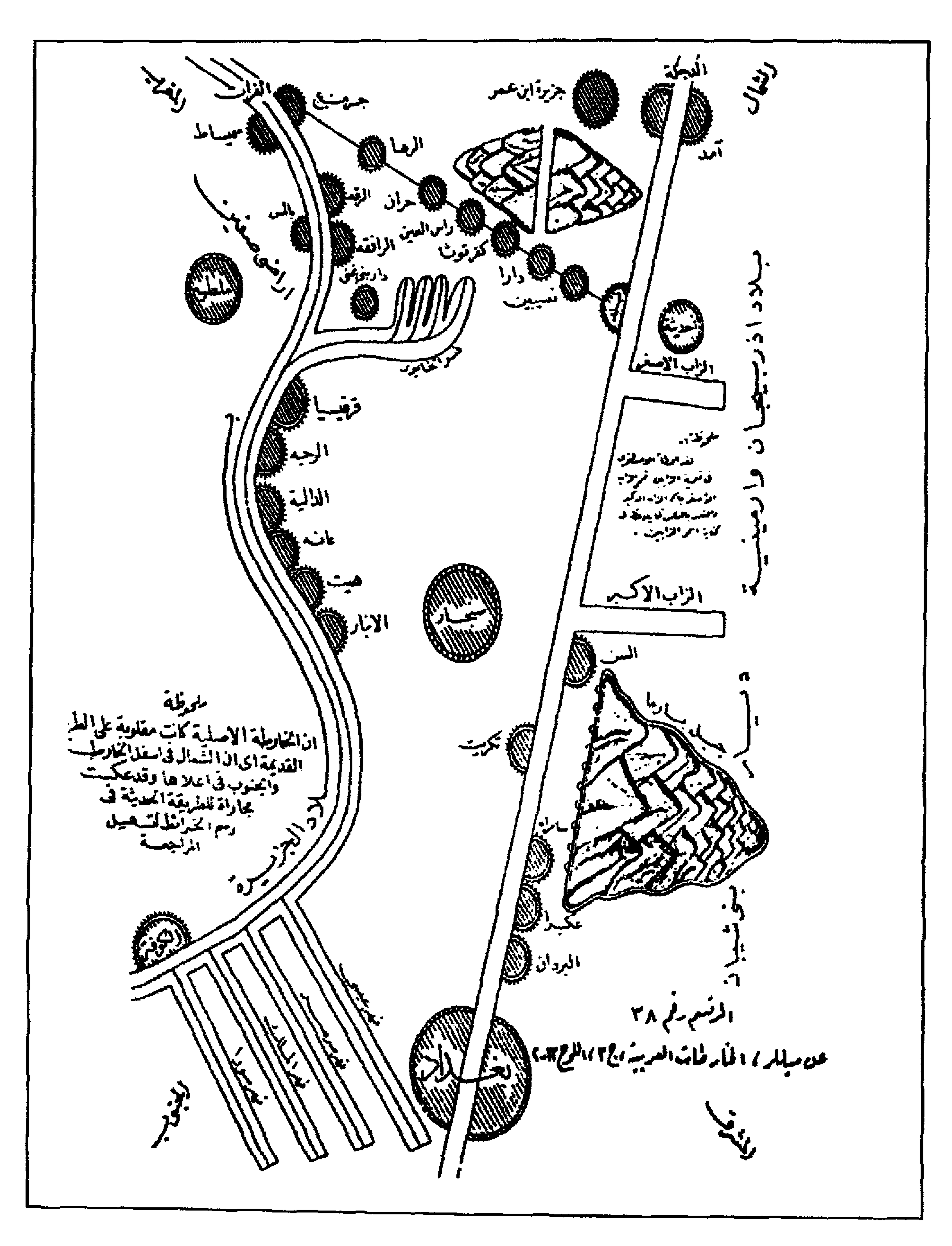
خارطة رقم (3) صورة الجزيرة للبلخي (المتوفى سنة 322 هـ - 934م)

تحقيق الدكتور أحمد سوسه.

ملاحظة: إن الخارطة الأصلية مقلوبة على الطريقة القديمة أي أن الشمال فيها في الأسفل والجنوب في الأعلى وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط.



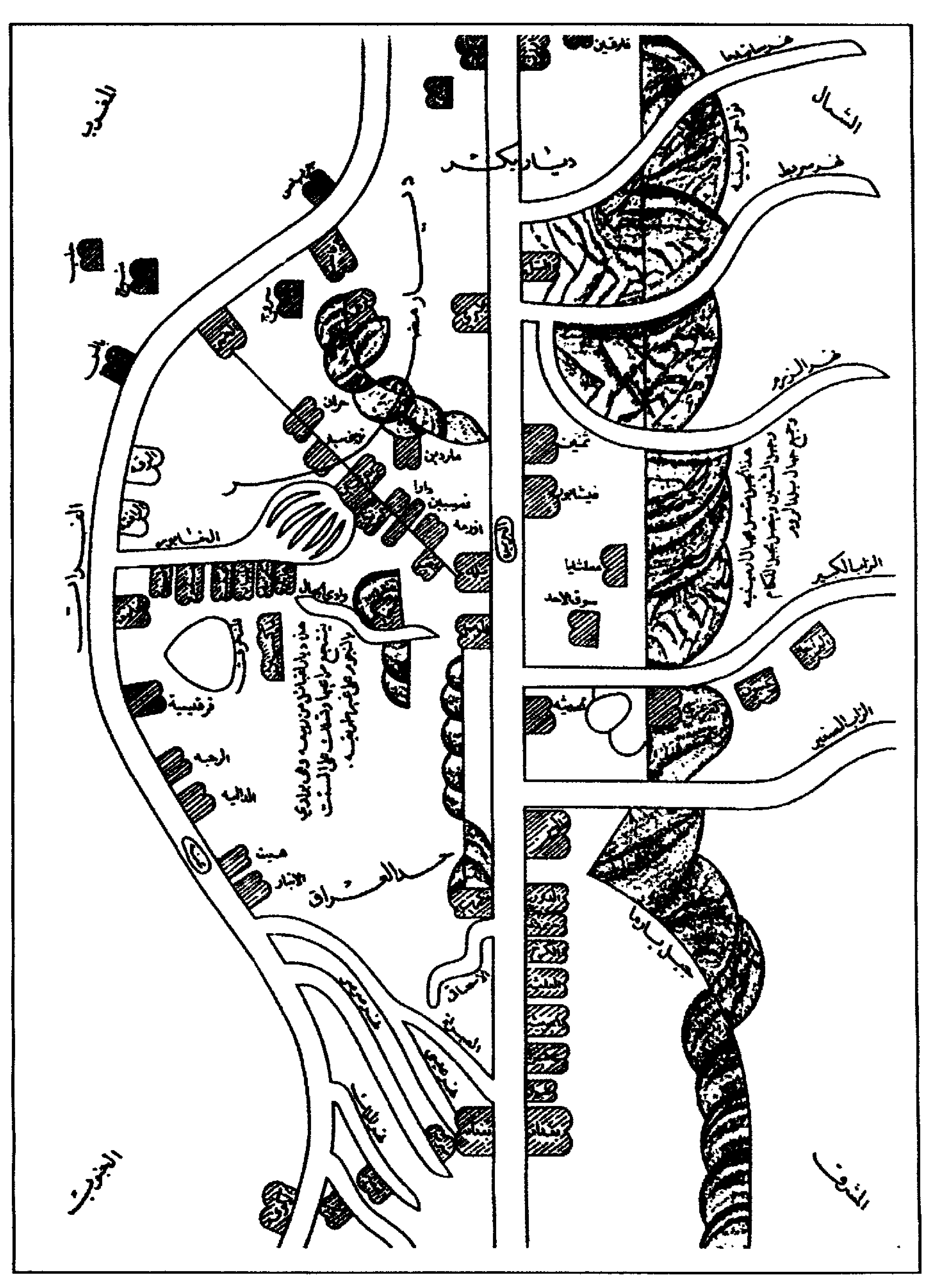
خارطة رقم (4) صورة الجزيرة للجيهاني (من جغرافيي القرن الرابع الهجري – القرن العاشر الميلادي)



خارطة رقم (5) صورة الجزيرة للاصطخري (نبغ سنة 340 هـ - 951م)

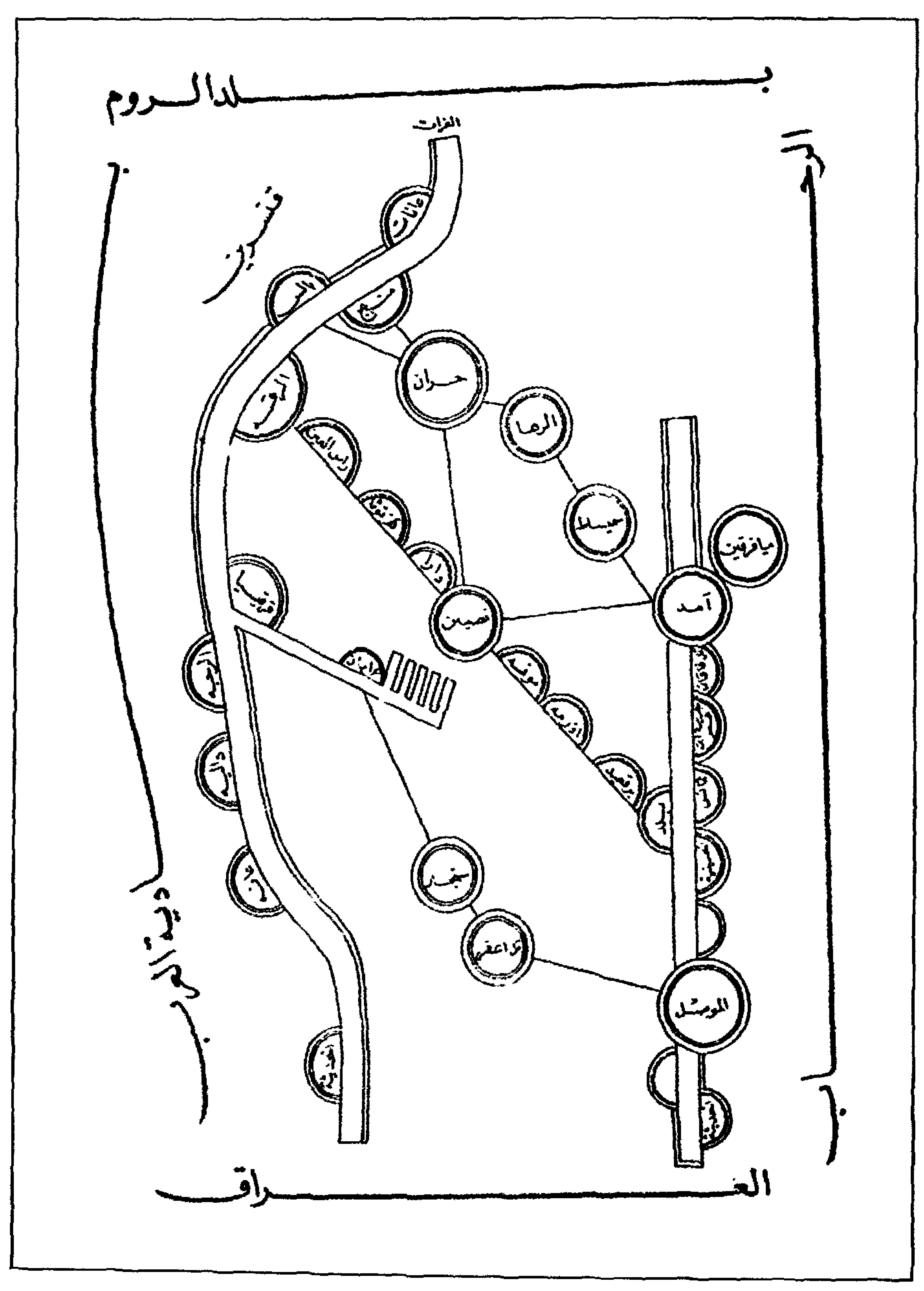
مأخوذة عن كونراد ملر، الخارطات العربية ج3، للوح13-2

وهي في الأصل مقلوبة أي الشمال في الأسفل والجنوب في الأعلى وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط.



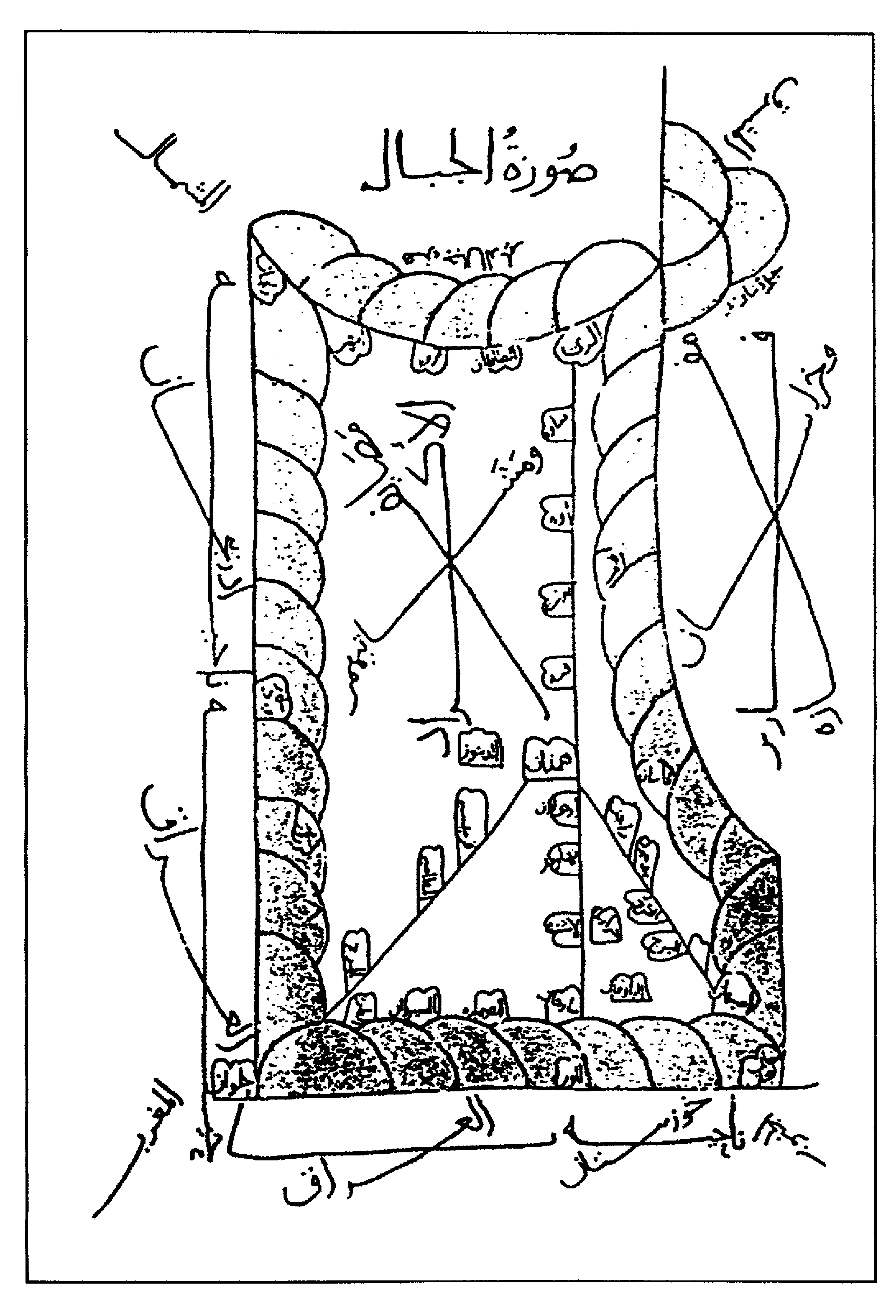
خارطة رقم (6) صورة الجزيرة لابن حوقل

وهي في الأصل مقلوبة أي الشمال في الأسفل والجنوب في الأعلى وقد عكسناها مجاراة للطريقة الحديثة في رسم الخرائط.

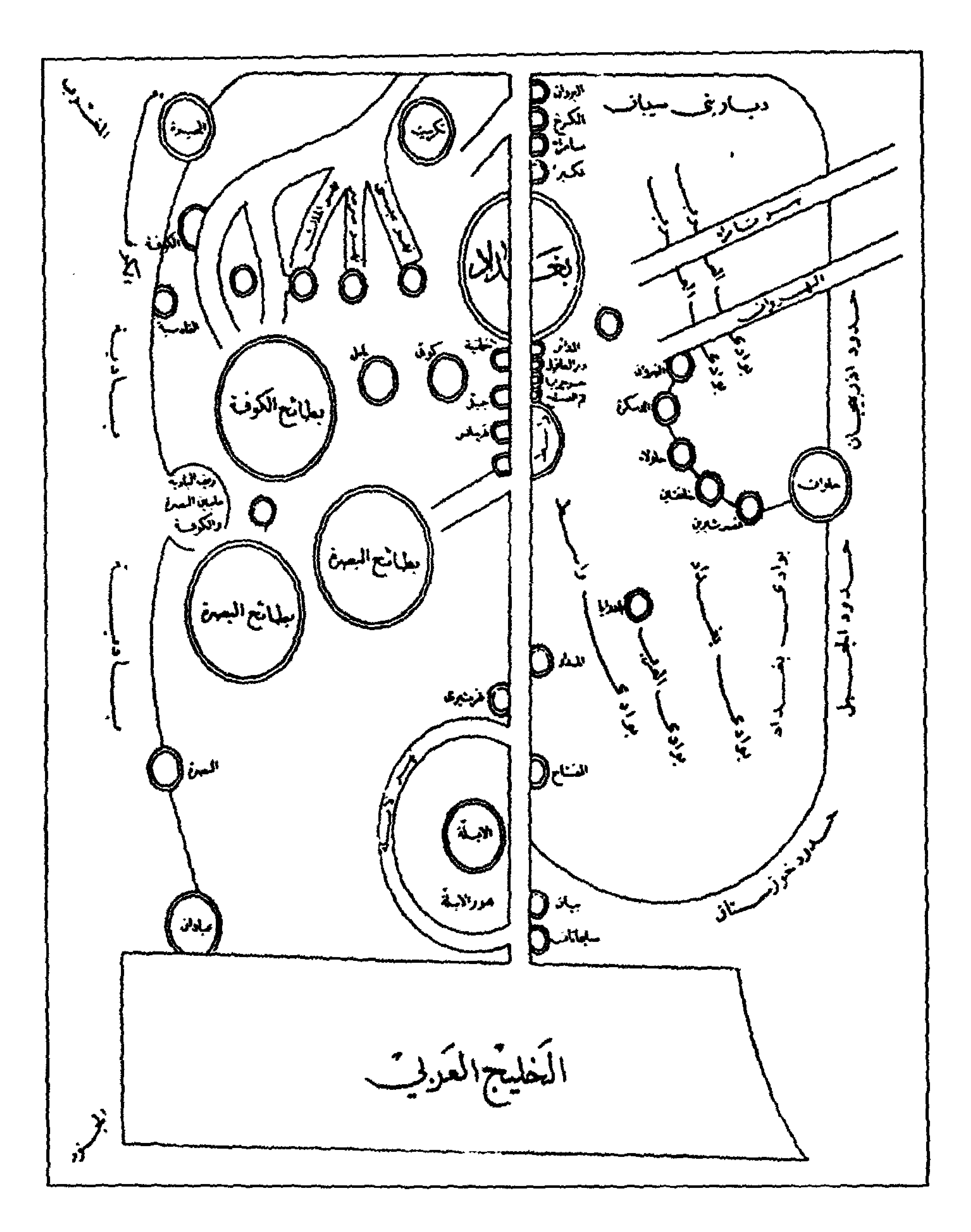


خارطة رقم (7) صورة الجزيرة للمقدسي (نبغ سنة 375هـ - 985م)

تحقيق الدكتور أحمد سوسه، عن كتاب الشريف الادريسي في الجغرافية العربية



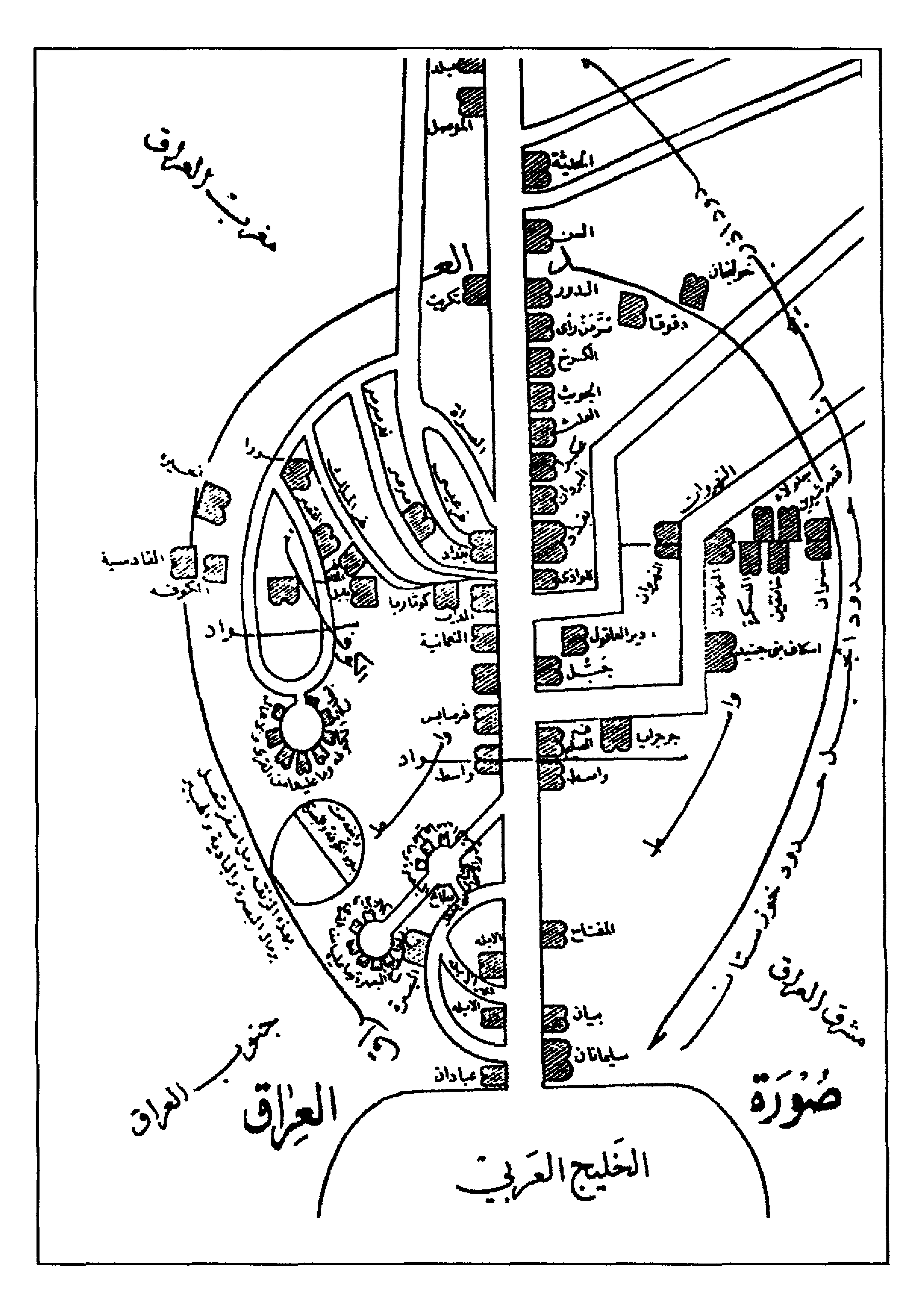
خارطة رقم (8) صورة الجبال لابن حوقل، عن كتاب صورة الأرض



خارطة رقم (9) صورة العراق للاصطخري

(النصف الأول من القرن الرابع الهجري – القرن العاشر الميلادي)

عن كتاب الشريف الادريسي في الجغرافية العربية



خارطة رقم (10) صورة العراق لابن حوقل (367 هـ - 977 م)

عن كتاب صورة الأرض

الفهرس

صدر عن الدار

- شرفنامه: الجزء الأول: في تاريخ الدول والإمارات الكردية، تأليف: الأمير شرف خان البدليسي، ترجمة: محمد علي عوني.
- شرفنامه: الجزء الثاني: في تاريخ سلاطين آل عثمان ومعاصريهم من حكام إيران وتوران، تأليف: شرف خان البدليسي، ترجمة: محمد علي عوني
- قواعد اللغة الكردية، تأليف: رشيد كورد.
- تعلم اللغة الكردية، إعداد: عباس اسماعيل.
- مع روائع جكرخوين الشعرية، إعداد وتقديم: عبد الوهاب الكُرمي.
- شذى الطفولة في سانات، أحوال قرية مسيحية في كردستان العراق، مذكرات: أفرام عيسى يوسف، ترجمة: نزار آغري
- كان يا ما كان، قراءة في حكايات كردية، تأليف: نزار آغري.
- تل حلف والمنقب الأثري فون أوبنهايم، تأليف: ناديا خوليديس — لوتس مارتين، ترجمة: د. فاروق إسماعيل.
- حينما في العُلى، قصة الخليقة البابلية، الترجمة الكاملة للنص المسماري للأسطورة، الدكتور نائل حنون.
- مشاهير الكرد وكردستان في العهد الإسلامي 2/1، تأليف: العلامة المرحوم محمد أمين زكي بك، ترجمة: سانحة خانم، راجعه وأضاف إليه محمد علي عوني.
- القبائل الكردية في الإمبراطورية العثمانية، مارك سايكس، ترجمة: أ د. خليل علي مراد، تقديم ومراجعة وتعليق: أ د. عبد الفتاح علي البوتاني.
- هكذا عشت في سوريا، في شاغر بازار وتل براك وتل أبيض، مذكرات، أغاثا كريستي، ترجمة: توفيق الحسيني.
- القاموس المنير (Ferhenga Ronak)، كردي — عربي، إعداد: سيف الدين عبدو.
- اللغة كائن حي، رؤية ونظرة فكرية حول اللغة الكردية انموذجاً، د. آزاد حموتو.
- أسرة بابان الكردية، شجرتها التاريخية وتسلسل أجيالها، إعداد: إياد بابان.
- حقيقة السومريين، ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، تأليف: د. نائل حنون.

- قاموس روسي - عربي مدرسي، إعداد: جلال العبدلله.
- اتجاهات الخطاب النقدي العربي وأزمة التجريب ، د. عبد الواسع الحميري.
- خطاب الضدّ، مفهومه، نشأته، آلياته، مجالات عمله، د. عبد الواسع الحميري.
- تاريخ الاصلاحات والتنظيمات في الدولة العثمانية، تأليف: انكه لهارد، ترجمة: أ. د. محمود عامر.
- بلاد الشام في ظل الدولة المملوكية الثانية (دولة الجراكسة البرجية)، 1381 – 1517، تأليف: د. فيصل الشلّي.
- العراق، دراسة في التطورات السياسية الداخلية، 14 تموز 1958 – 8 شباط 1963، أ. د. عبد الفتاح علي البوتاني.
- إسهام علماء كردستان العراق في الثقافة الإسلامية خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين – الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، د. محمد زكي البرواري.
- سعيد النورسي، حركته ومشروعه الإصلاحي في تركيا 1876-1960 م، د. آزاد سعيد سمو.
- مم و زين، أحمد خاني، شرح وترجمة: جان دوست.
- بوراق، رواية، تأليف: بيان سلمان.
- تلك الغيمة الساكنة (سيرة هجرة)، تأليف: بيان سلمان.
- الإيزيديون، نشأتهم، عقائدهم، كتابهم المقدس، توفيق الحسيني.
- عيد نوروز، الأصل التاريخي والأسطورة، إعداد: عبد الكريم شاهين.
- انطولوجيا شعراء النمسا، ترجمة وإعداد: بدل رفو مزوري.
- جولة وجدانية مع القصائد النورانية، للشيخ نور الدين البريفكاني، تقديم وشرح وتعليق: عبد الوهاب الكُرمي.
- البخار الذهبي، شيركو بيكه س، المنتخبات الشعرية، ترجمة: مجموعة من الأدباء الكرد.
- تاريخ الأشوريين القديم، إيفا كانجيك –كيرشباوم، ترجمة: د فاروق إسماعيل.
- تاريخ الإمارة البابانية 1784 – 1851 م، عبد ربه إبراهيم الوائلي.
- مشكلة الاتحاد والتعالي في عقيدة الشيخ محي الدين بن عربي، الأخضر قويدري.
- في آفاق الكلام وتكلّم النّص، د. عبد الواسع الحميري.

- الكـورد والأحـداث الوطنيـة في العـراق خـلال العهـد الملكـي 1921-1958م، أ.د. غانم محمد الحفو – أ.د. عبد الفتاح البوتاني
- التعددية الحزبية في الفكر الإسلامي الحديث، ديندار شفيق الدوسكي.
- التـصوف في العـراق ودوره في البنـاء الفكـري للحـضارة الإسـلامية، د. ياسين حسن الويسي.
- درامية النص الشعري الحديث، دراسة في شعر صلاح عبد الصبور وعبد العزيز المقالح، علي قاسم.
- دراسات في تاريخ الفكر السياسي الإسلامي، تأليف: أ.د. نزار محمد قادر – أ.د. نهلة شهاب أحمد.
- الكرد وكردستان، أرشاك سافراستيان، ترجمة: د. أحمد محمود الخليل.
- الفلـسفة الإسـلامية، دراسـات في المجتمـع الفاضـل والتربيـة والعقلانيـة، أ.د. علي حسين الجابري.
- تركيا وكوردستان العرق، الجاران الحائران، بيار مصطفى سيف الدين.
- أكراد العراق 1851 – 1914، دراسة في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، د. عبد ربه إبراهيم الوائلي.
- الكورد والدولة العثمانية، موقف علماء كوردستان من الخلافة العثمانية في عهد السلطان عبدالحميد الثاني، د. محمد زكي البرواري.

تحت الطبع

- نوبهار، قاموس كردي – عربي، للشيخ أحمد خاني، إعداد وتقديم: قاسم عبد الله.
- شوقاً إليك، أبليتُ الزَّناجيرَ، مجموعة شعرية، ترجمة: عبدالرحمن عفيف.
- تحليل الخطاب الروائي، مقاربة بنيوية سيميائية في رواية نجمة لكاتب ياسين.
- الملاّ الجزري، شرح ونقد لمختارات من ديوانه، عبد الوهاب الكُرمي.
- تـاريخ الـسليمانية وأنحائهـا، العلامـة محمـد أمـين زكـي بـك، ترجمة: محمد جميل بندى الروژبياني.
- الفكر الإسلامي، دراسات في علم الكلام والفلسفة والتصوف، أ.د. علي حسين الجابري.
- العقل العربي المعاصر، قضايا وإشكاليات، أ.د. علي حسين الجابري.
- فلسفة الوجود في الفكر الرافديني القديم وأثرها عند اليونان، د. محمد حسين النجم.

ف: 2323 ت: 7/2/2010

- الرموز الفكرية في حضارة بلاد الرافدين، حكمت بشير الأسود.
- السرد العربي القديم، من الحكاية إلى ما وراء الحكاية، . د. قيس كاظم الجنابي.
- الأسر الحاكمة في إيران القديمة، ميترا مهر آبادي، ترجمة: د. مازن النعيمي
- الحركات الدينية الإيرانية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، د. غلام حسين صديقيّ، ترجمة : د. مازن إسماعيل النعيمي.
- دراسات في تاريخ اليهودية والمسيحية في كوردستان، د. فرست مرعي.
- نجم الدين أربكان ودوره في السياسة التركية 1969 – 1996، منال محمد الحمداني.
- كوردستان في العهد المغولي والجلائري، د. زرار صديق توفيق.
- إشكالية الحداثة في الفلسفة الإسلامية المعاصرة، د. رواء محمود.
- التجلّيات الفنيّة لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر، تطبيقاً على الشعراء: (أدونيس، محمود درويش، سعدي يوسف، عبد العزيز المقالح، عبد الوهاب البياتي، أمل دنقل)، د. أحمد ياسين السليماني.
- الإمارات الكُردية في العصر العباسي الثاني، 350-511هـ / 960- 1117م، د. فرست مرعي.
- الفتح الإسلامي لكردستان، د. فَرسَت مرعي.
- نشأة الفكر اللاهوتي المسيحي، د. أنمار أحمد محمد
- تحليل الخطاب الروائي، مقاربة بنيوية سيميائية في رواية نجمة لكاتب ياسين.
- جمهورية مهاباد، 22 كانون الثاني 1946 – 17 كانون الأول 1946، دراسة تاريخية سياسية، هوزان سليمان ميرخان الدوسكي.
- مدن قديمة ومواقع أثرية، دراسة في الجغرافية التاريخية للعراق الشمالي، د. نائل حنون.
- الملك الأفضل علي بن صلاح الدين الأيوبي 565 – 622 هـ/1169 – 1225 م، شفان ظاهر عبدالله الدوسكي.

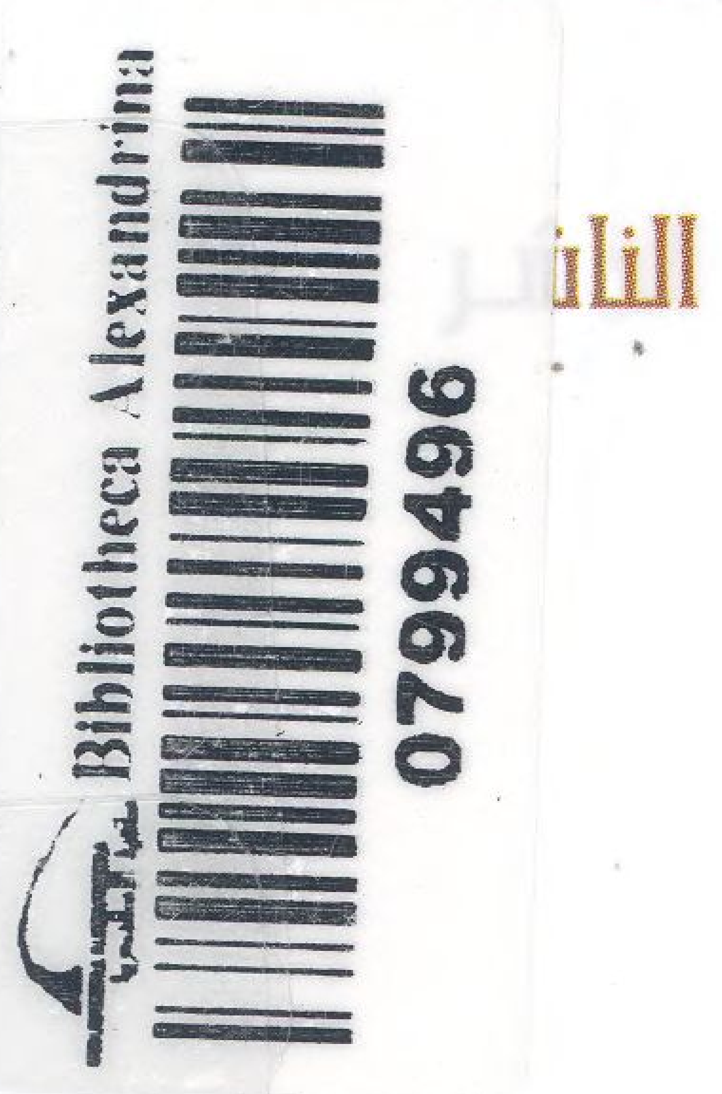
الكورد وبلادهم

عند البلدانيين والرحالة المسلمين

على مر العصور كان الكورد يشكلون أحد أبرز الأجناس البشرية في الشرق، وساهموا إلى جانب الشعوب الأخرى (العربية والفارسية) في صنع الأحداث وبناء الإمبراطوريات والدول التي سادت المنطقة الممتدة من فارس إلى حدود مصر القديمة، ومثلما كانوا في الماضي القديم فقد أثبتوا وجودهم ودورهم الفاعل خلال حقبة الدولة الإسلامية، أيضاً، فمنذ العقد الثاني من القرن الأول الهجري، الذي وصلت فيه طلائع الجيوش الإسلامية الفاتحة إلى بلادهم، بدأ دورهم بالتصاعد مع مرور الزمن، وازدادت إسهاماتهم العسكرية والسياسية والحضارية في العهود (الراشدية والأموية والعباسية)، والتي كانت تصب في خدمة الخلافة الإسلامية وحضارتها، كما كانت بلادهم أرضاً خصبة ضاعفت من إيرادات خزينة الدولة بفضل ما كانت تقام عليها من أنشطة اقتصادية.

لا شك في أن الإطلاع على مصنفات البلدانيين يُمهد السبيل إلى فهم حقيقة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية السائدة في بلاد الكورد في الماضي، كما يساعد مثل هذه الدراسة على الوقوف على مدى تحضر المجتمع الكردي - كأحد المجتمعات الإسلامية - في حقبة البحث. ولولا كتب البلدانيين لبقيت جوانب هامة من التاريخ الحضاري للكورد مجهولة أو غامضة.

الناشر







عاصمة الثقافة العربية 2009


ISBN 978-9933-9006-3-2
9 789933 900632

تصميم الغلاف: م. جمال الأبطح